

كتاب احياء العلوم للامام الغزالي

الجلد الثاني من الاحياء من كتاب العزلة
والى كتاب ذم الدنيا رحم الله مولفه رحمة واسعة

٢٥٠

من عواري الدهر
واودعته الملوك بني ...

دخل في ملك ...

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب العزلة الحمد لله الذي عظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته بان صرف
هممهم الى مؤانسته واجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته وروح اسرارهم
بمناجاته وملاطفته وحقر في قلوبهم النظر الى زينة الدنيا وزهرتها حتى اغتبط
بعزلته كل من طويت الحجب عن مجاري فكرته فاستانس بمطالعة سبحات وجهه تعالى
في خلوته واستوحش به عن الانس بالانس وان كان من اخص خاصته والصلاة
على سيد انبيائه محمد وخيرته وعلى آله واصحابه سادة الحق وائمته اما بعد
فان للناس اختلافا كثيرا في العزلة والمخالطة وتفضيل احدهما على الاخرى مع ان
كل واحد منهما لا ينفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو اليها وميل اكثر العباد
والزهاد الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة وما ذكرناه في كتاب الصحبة من
فضيلة المخالطة والمواخاة والموالفة يكاد يناقض ما مال اليه الاكثرون من اختيار
الاستيحاش والخلوة وكشف الغطاء عن الحق فيه مهم ونحصل ذلك برسم بابين
الباب الاول في نقل المذاهب والحجج فيه الباب الثاني في كشف الغطاء عن الحق بحصر
الفوائد والغوائل

الباب الاول في نقل المذاهب والاقاويل وذكر حجج الفريقين

اما المذاهب فقد اختلف الناس فيه وظهر هذا الاختلاف بين التابعين فذهب الى
اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان الثوري وابراهيم بن ادهم وداود
الطائي وفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف بن اسباط وحذيفة المرعشي
وبشر الحافي ومال اكثر التابعين الى استحباب المخالطة واستكثار المعارف
والاخوان للتالف والتحبب الى المومنين والاستعانة بهم في الدين تعاونا على
البر والتقوى ومال الى هذا سعيد بن المسيب والشعبي وابن ابي ليلى وهشام
بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك بن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك والشافعي
واحمد بن حنبل وجماعة والماثور عن العلماء من الكلمات ينقسم الى كلمات مطلقة تدل
على الميل الى احد الرايين والى كلمات مقرونة بما يشير الى علة الميل فلننقل الآن
مطلقات تلك الكلمات لنبين المذاهب فيها وما هو مقرون بذكر العلة نوردها
عند التعرض للغوائل والفوائد فنقول روي عن عمر رضي الله عنه خذوا بحظكم من العزلة
وقال ابن سيرين العزلة عبادة كفى بالله محبا وبالقران مونسا وبالموت واعظا اتخذ الله
صاحبا ودع الناس جانبا وقال ابو الربيع الزاهد لداود الطائي عظني فقال صم عن الدنيا

الى هنا

واجعل

واجعل فوطك الاخرة وفر من الناس فرارك من الاسد وقال الحسن رضي الله عنه
كلمات احفظهن من التوراة قنع ابن ادم فاستغنى اعتزل الناس فسلم ترك الشهوات
فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروته صبر قليلا فتمتع طويلا وقال وهيب بن الورد
بلغنا ان الحكمة عشرة اجزا تسعة منها في الصمت والعاشر عزلة الناس وقال ابو
يوسف بن مسلم لعلي بن بكار ما اصبرك على الوحدة وقد كان لزم البيت فقال كنت انا
شاب اصبر على اشد من هذا كنت اجالس الناس ولا اكلمهم وقال سفيان الثوري هذا
وقت السكوت وملازمة البيوت وقال بعضهم كنت في سفينة ومعنا شاب من العلوية
فمكث معنا سبعا لا نسمع له كلاما فقلنا يا هذا جمعنا الله واياك منذ سبع ولا نراك
تخالطنا ولا تكلمنا فانشا يقول قليل الهم لا ولد يموت ولا امر يحاذره يفوت
قضى وطر الصبا وافاد علما فغايته التفرد والسكوت وقال ابراهيم النخعي لغيره تفقه
ثم اعتزل وكذا قال الربيع بن خثيم وقيل كان مالك بن انس يشهد الجنائز ويعود المرضى
ويعطي الاخوان حقوقهم فترك واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول لا يتهيا للمرء
ان يخبر بكل عذر له وقيل لعمر بن عبد العزيز لو تفرغت لنا فقال ذهب الفراغ فلا فراغ
الا عند الله تعالى وقال الفضيل اني لاجد للرجل عندي يدا اذا لقيني ان لا يسلم علي
واذا مرضت ان لا يعودني وقال ابو سليمان الداراني بينما الربيع بن خثيم جالس على
باب داره اذ جاءه حجر فصك جبهته فشجه فجعل يمسح الدم ويقول لقد وعظت يا ربيع
فقام ودخل داره فلم يجلس بعد ذلك على باب داره حتى اخرجت جنازته وكان سعد
ابن ابي وقاص وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا ياتيان المدينة لجمعة
ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق وقال يوسف بن اسباط سمعت سفيان الثوري يقول والله
الذي لا اله الا هو لقد حلت العزلة وقال بشر بن عبد الله اقلل من معرفة الناس
فانك لا تدري ما يكون يوم القيامة فان تكن فضيحة كان من يعرفك قليلا ودخل حاتم
الاصم على بعض الامرا فقال الك حاجة قال نعم قال ما هي قال لا تراني ولا اراك وقال
رجل لسهل اريد ان اصحبك فقال اذا مات احدنا فمن يصحب الاخر فليصحبه الان وقيل للفضيل
ان عليا ابنك يقول وددت اني في مكان ارى الناس ولا يروني فبكى الفضيل وقال يا ويح علي
افلا اتمها فقال لا اراهم ولا يروني وقال الفضيل ايضا من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه
وقال ابن عباس افضل المجالس مجلس في قعر بيتك لا ترى ولا ترى فهذه اقاويل المائلين
الى العزلة **ذكر حجج المائلين الى المخالطة ووجه ضعفها** احتجوا بقوله تعالى ولا تكونوا

كالذين تفرقوا وبقوله تعالى الف بين قلوبكم امتن على الناس بالسبب المولف وهذا
ضعيف لان المراد به تفرق الارا واختلاف المذاهب في معاني كتاب الله تعالى
واصول الشريعة والمراد بالالفة نزع الغوايل من الصدور وهي الاسباب المثيرة المحركة
للخصومات والعزلة لا تنافي ذلك واحتجوا بقوله عليه الصلاة والسلام المومن الف
مالوف ولا خير في من لا يالف ولا يولف وهذا ايضا ضعيف فانه اشارة الى مذموم سوء
الخلق الذي يمتنع بسببه الموالفة ولا يدخل تحته الحسن الخلق الذي ان خالط الف والف
ولكنه ترك المخالطة اشتغالا بنفسه او طلبا للسلامة من غيره واحتجوا بقوله عليه الصلاة
والسلام من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية وبقوله عليه الصلاة والسلام من شق
عصا المسلمين والمسلمون في اسلام دائم فقد خلع ربقة الاسلام وهذا ضعيف
لان المراد به الجماعة التي اتفقت اراؤهم على امام بعقد البيعة فالخروج عليه بغي وذلك
مخالفة بالراي وخروج عليهم وذلك محظور لاضطرار الخلق الى امام مطاع يجمع
رايهم ولا يكون ذلك الا بالبيعة من الاكثر فالمخالفة فيه تشويش مثير للفتنة فليس
في هذا تعرض للعزلة واحتجوا بنهيه عليه الصلاة والسلام عن الهجرة فوق ثلاث اذ
قال من هجر اخاه فوق ثلاثة فمات دخل النار وقال عليه الصلاة والسلام لا يحل
لامرء ان يهجر اخاه فوق ثلاث والسابق يدخل الجنة وقال من هجر اخاه سنة ايام فهو
كسافك دمه وقالوا العزلة هجرة بالكلية وهذا ضعيف لان المراد به الغضب
على الناس واللجاج فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة فلا يدخل فيه ترك المخالطة
اصلا من غير غضب مع ان الهجرة فوق ثلاث جائزة في موضعين احدهما ان يرى
فيه استصلاحا للمهجور في الزيادة والثاني ان يرى لنفسه سلامة فيه والنهي وان
كان عاما فهو محمول على ما وراء الموضعين المخصوصين بدليل ما روي عن عايشة رضي الله
عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم هجرها ذي الحجة والمحرم وبعض صفر وروي عمر انه عليه
الصلاة والسلام اعتزل نساءه والى عنهن شهرا وصعد الى غرفة وهي خزانة له
فلبث تسعا وعشرين فلما نزل قيل له انك كنت فيها تسعا وعشرين فقال الشهر
قد يكون تسعة وعشرين وروت عايشة رضي الله عنها ان النبي عليه الصلاة والسلام
قال لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاثة ايام الا ان يكون ممن لا تومن بوايقه فهذا صريح في
التخصيص وعلى هذا ينزل قول الحسن رضي الله عنه حيث قال هجران الاحمق قربة الى الله
تعالى فانه ذلك يدوم الى الموت اذ الحماقة لا ينتظر علاجها وذكر عند محمد بن عمر الواقدي

رجل

رجل يهجر اخاه حتى مات فقال هذا شي قد تقدم فيه قوم سعد بن ابي وقاص
وكان يهاجر العمار بن ياسر حتى ماتا وعثمان بن عفان كان يهاجر العبد الرحمن بن
عوف وعايشة كانت مهاجرة لحفصة وكان طاوس مهاجرا لوهب بن منبه حتى مات
وكل ذلك يحمل على روينهم سلامتهم في المهاجرة احتجوا بما روي ان رجلا اتى الجبل
ليتعبد فيه فجي به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل انت ولا احد منكم لصبر
احدكم في بعض مواطن الاسلام خير من عبادة احدكم اربعين عاما والظاهر
ان هذا انما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه في ابتدا الاسلام بدليل ما
روي عن ابي هريرة انه قال غزونا على عهد النبي عليه الصلاة والسلام فمررنا
بشعب فيه عين طيبة الما فقال احدنا لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ولن
افعل ذلك حتى اذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام لا تفعل
فان مقام احدكم في سبيل الله خير من صلاته في اهله ستين عاما الا تحبون ان يغفر الله
لكم وتدخلوا الجنة اغزوا في سبيل الله فانه من قاتل في سبيل الله فوق ناقة ادخله
الله الجنة احتجوا بما روي معاذ بن جبل انه عليه الصلاة والسلام قال ان الشيطان
ذيب الانسان كذيب الغنم ياخذ القاصية والناحية والشاذة اياكم والشعاب وعليكم
بالعامة والجماعة والمساجد وهذا انما اراد به من اعتزل قبل تمام العلم وسياتي ان ذلك
منهي عنه الا لضرورة ذكر حجج المايلين الى تفضيل العزلة احتجوا بقوله تعالى حكاية
عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربي الاية
قال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا
جعلنا نبيا اشار الى ان ذلك ببركة العزلة وهذا ضعيف لان مخالطة الكفار لا فايدة
فيه الا دعوتهم الى الدين وعند الياس من اجابتهم فلا وجه الا هجرهم وانما الكلام
في مخالطة المسلمين وما فيها من البركة اذ روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انتوضو من جر مخمر احب اليك ام من هذه المطاهر التي يتطهر منها الناس فقال بل
من هذه المطاهر التماسا لبركة ايدي المسلمين وروي انه لما طاف بالبيت عدل الى
زمزم ليشرب منها فاذا التمر المنتقع في الحياض الادم قد مغثه الناس بايديهم وهم يتناولون
منه ويشربون فاستسقي منه فقال اسقوني فقال العباس ان هذا النبيذ شراب قد مغثه
الناس وقد خيض بالايدي افلا اتيك بشراب انظف من هذا في جر مخمر في البيت فقال اسقوني
من هذا الذي يشرب منه الناس التمس بركة ايدي الناس فشرب منه فاذا كيف يستدل

باعتزال الكفار والاصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم واحتجوا ايضا
بقول موسى عليه الصلاة والسلام وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون وانه فزع الى العزلة عند
اليأس منهم وقال في اصحاب الكهف واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف
ينشر لكم ربكم من رحمته امرهم بالعزلة وقد اعتزل نبينا عليه الصلاة والسلام قريشا
لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وامر اصحابه باعتزالهم والهجرة الى ارض الحبشة ثم تلاحقوا
في المدينة بعد ان اعلى الله كلمته وهذا ايضا اعتزال عن الكفار عند اليأس منهم فاعلم
انه عليه الصلاة والسلام انه لم يعتزل المسلمين ولا من توقع اسلامه من الكفار واهل
الكهف ~~ينشر لكم ربكم من رحمته امرهم بالعزلة وقد اعتزل نبينا عليه الصلاة~~
والسلام ما اعتزل بعضهم بعضا وكلهم مؤمنون وانما اعتزلوا الكفار واما النظر
في العزلة من المؤمنين فاحتجوا بقوله عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عامر الجهني
لما قال يا رسول الله ما النجاة قال ليسعك بيتك وامسك عليك دينك وابك على
خطيئتك ودونه انه قيل له صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل قال من جاهد بنفسه
وماله في سبيل الله قيل ثم من قال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه
ويدع من شره وقال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب العبد التقي الغني الخفي
وفي الاحتجاج بهذه الاحاديث نظر فاما قوله لعبد الله بن عامر فلا يمكن تنزيله
الا على انه عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة من حاله ان لزوم البيت كان
اليق به واسلم من المخالطة فانه لم يأمر جميع اصحابه بذلك ورب شخص يكون
سلامته في العزلة لا في المخالطة كما قد تكون سلامته في القعود في البيت وان لا يخرج
الى الجهاد وذلك لا يدل على ان ترك الجهاد افضل وفي مخالطة الناس مجاهدة
ومقاساة ولذلك قال عليه الصلاة والسلام الذي يخالط الناس ويصبر على
اذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم وعلى هذا ينزل قوله رجل
معتزل يعبد ربه ويدع الناس من شره فهذا اشارة الى شرير بطبعه يتأذى
بمخالطته وقوله ان الله يحب التقي الخفي اشارة الى ايثار الخمول وتوقي الشهرة وذلك لا يتعلق
فكم من راهب معتزل يعرفه كافة الناس وكم من مخالط خامل لا ذكر له ولا شهرة فهذا
تعرض لامر لا يتعلق بالعزلة احتجوا بما روي انه عليه الصلاة والسلام قال لاصحابه
الا انبئكم بخير الناس قالوا بلى قال فاشار بيده نحو المغرب فقال رجل آخذ بعنان
فرسه في سبيل الله ينتظر ان يغير او يغار عليه الا انبئكم بخير الناس بعده واشار

بيده

بيت نحو الحجاز وقال رجل في غنمه يقيم الصلاة ويوتي الزكاة ويعلم حق الله في ماله
اعتزل شرور الناس فاذا ظهر ان هذه الادلة لا شفا فيها من الجانبين فلا ينكشف
الغطا الا بالتصريح بفوايد العزلة وغوايلها ومقايسة بعضها ببعض ليتبين الحق فيه

الباب الثاني في فوايد العزلة وغوايلها وكشف الحق في فضلها اعلم ان اختلافهم في هذا
ايضا هو اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة وقد ذكرنا ان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص
بحسب ما فصلناه من افات النكاح وفوايده وكذلك القول فيما نحن فيه فلنذكر اولا
فوايد العزلة وهي تنقسم الى فوايد دينية ودنيوية فالدينية تنقسم الى ما يمكن من
تحصيل الطاعات في الخلوة بالمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم والى تخلص من
ارتكاب المناهي التي يتعرض الانسان لها بالمخالطة كالريا والغيبة والسكوت عن الامر
بالمعروف ومسارقة الطبع من الاخلاق الرديه والاعمال الخبيثة من الجلسا السو
واما الدنيوية فتنقسم الى ما يمكن من التحصيل بالخلوة كتمكن المحترف في خلوته والى تخلص
من محذورات يتعرض لها بالمخالطة كالنظر الى زهرة الدنيا واقبال الخلق عليها
وطمعه في الناس وطمع الناس فيه وانكشاف ستر مروته بالمخالطة والتاذي بسو خلق
الجليس في مرايه او سوء ظنه او نميمته او محاسدته او التاذي بثقله او بتشويه خلقته والى
هذا يرجع مجامع فوايد العزلة فلنحصرها في ستة فوايد الفايدة الاولى الفراغ للعبادة
والفكر بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف اسرار الله في امر
الدنيا والاخرة وملكوت السموات فان ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة
وسيلة اليه ولهذا قال بعض الحكما لا يتمكن احد من الخلوة الا بالتمسك بكتاب الله تعالى
والمتمسكون بكتاب الله تعالى هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذاكرون الله
بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكره ولقوا الله بذكر الله ولا شك في ان هولا تمنعهم المخالطة
عن التفكر والذكر فالعزلة اولى بهم ولذلك كان عليه الصلاة والسلام في ابتدا امره يتبتل
في جبل حرا وينعزل اليه حتى قوي فيه نور النبوة فكان الخلق لا يحجبه عن الله فكان
ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله تعالى حتى كان الناس يظنون ان ابا بكر خليله
فاخبر صلى الله عليه وسلم عن استغراق همه بالله فقال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت
ابا بكر خليلا لكن صاحبكم خليل الله ولن يتسع للجمع بين مخالطة الخلق ظاهرا والاقبال
على الله سرا الا قوة النبوة فلا ينبغي ان يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك ولا
يبعد ان تنتهي بعض درجة الاوليا اليه فقد نقل عن الجنيد انه قال انا اكلم الله منذ ثلاثين

سنة والناس يظنون اني اكلمهم وهذا انما يتيسر للمستغرق بحب الله تعالى استغراقا
لا يبقى لغيره فيه متسع وذلك غير منكر ففي الخلق من المشهورين من يحب الخلق فيخالط
الناس ببدنه وهو لا يدري ما يقول وما يقال له لفرط عشقه لمحبوبه بل الذي دهاه
ملمة تشوش عليه امر دنياه قد يستغرقه الهم بحيث يخالط الناس ولا يحس بهم ولا يسمع
اصواتهم لشدة استغراقه وامر الاخرة اعظم عند العقلاء ولا يستحيل ذلك فيه
ولكن الاولى بالاكثرين الاستعانة بالعزلة ولذلك قيل لبعض الحكما ما الذي ارادوا
بالخلوة واختيار العزلة فقال استدعوا بذلك دوام الفكرة وتثبت العلوم في قلوبهم
ليحيوا حياة طيبة ويذوقوا حلاوة المعرفة وقيل لبعض الرهابين ما اصبرك على
الوحدة فقال ما انا وحدي انا جليس الله تعالى اذا شئت ان يناجيني قرات كتابه
واذا شئت ان اناجيه صليت وقيل لبعض الحكما الى اي شي افضى بهم الزهد والخلوة
فقال الى الانس بالله وقال سفيان بن عيينة لقيت ابراهيم بن ادهم في بلاد الشام
فقلت له يا ابراهيم تركت خراسان فقال ما تهنات بعيش الا هاهنا افر بديني
من شاهق الى شاهق فمن راني يقول موسوس او حمال او ملاح وقيل لغزوان
الرقاشي هبك لا تضحك فما يمنعك من مجالسة اخوانك قال اني اصيب قلبي في مجالسة
من عنده حاجتي وقيل للحسن يا ابا سعيد هاهنا رجل لم نره قط الا وحده خلف
سارية فقال الحسن اذا رايتموه فاخبروني به فنظروا اليه ذات يوم فقالوا للحسن
هذا الرجل الذي اخبرناك به واشاروا اليه فمضى اليه الحسن فقال له يا عبد الله اراك
قد حببت اليك العزلة فما يمنعك من مجالس الناس فقال امر شغلني عن الناس فقال
ما يمنعك ان تاتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس اليه فقال امر شغلني عن
الحسن وعن الناس فقال له الحسن وما ذلك الشغل يرحمك الله قال فاني امسي
بين نعمة وذنب فرايت ان اشغل نفسي بشكر الله على النعمة والاستغفار من
الذنب فقال له الحسن انت يا عبد الله افقه عندي من الحسن فالزم ما انت عليه
وقيل بينما اويس القرني جالس اذ اتاه هرم بن حيان فقال له اويس ما جاء بك فقال
جئت لانس بك فقال اويس ما كنت ارى احدا يعرف الله فيانس بغيره وقال
الفضيل اذا رايت الليل مقبلا فرحت به وقلت اخلو بربي واذا رايت الصبح
ادركني استرجعت كراهية لقاء الناس وان يجي من يشغلني عن ربي وقال عبد الواحد

ابن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الاخرة قيل له وكيف ذلك قال يناجي الله في الدنيا
ويجاوره في الاخرة وقال ذو النون المصري سرور المومن ولذته في الخلوة مناجاة
ربه وقال مالك بن دينار من لم يانس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة المخلوقين فقد قل
علمه وعمي قلبه وضيع عمره وقال ابن المبارك ما احسن حال من انقطع الى الله تعالى ويروى
عن بعض الصالحين انه قال بينما انا اسير في بعض بلاد الشام اذا انا بعابد خارج من
بعض تلك الجبال فلما نظر الي تنحى الى اصل شجرة وتستر بها فقلت سبحان الله
تبخل علي بالنظر اليك فقال يا هذا اني اقمت في هذا الجبل دهرا طويلا اعالج قلبي في الصبر
عن الدنيا واهلها فطال في ذلك تعبي وفني فيه عمري فسالت الله تعالى ان لا يجعل
حظي من ايامي في مجاهدة قلبي فسكنه الله عن الاضطراب والف الى الوحدة والانفراد
فلما نظرت اليك خفت ان اقع في الامر الاول فاليك عني فاني اعوذ من شرك برب العارفين
وحبيب القانتين ثم صاح واغماه من طول المكث في الدنيا ثم حول وجهه عني ثم نفض يديه
فقال اليك عني يا دنيا لغيري فزيني واهلك فغري ثم قال سبحان من اذاق قلوب العارفين
من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع اليه ما الهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان
فاذا في الخلوة انس بذكر الله واستكنا من معرفة الله وفيه قيل واني لاستغشي وما بي
نعسة لعل خيالا منك يلقى خياليا واخرج من بين البيوت لعلني احدث عنك النفس بالليل خاليا
ولذلك قال بعض العلما انما يستوحش الانسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة
فيكثر حينئذ ملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه فاذا كانت ذاته فاضلة طلب
الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة وقيل الاستيناس بالناس
من علامات الافلاس فاذن هذه فايدة جزيلة ولكن في حق بعض الخواص ومن تيسر
له دوام الذكر والانس بالله ودوام الفكر والتحقق في معرفة الله فالتجرد له افضل من كل ما يتعلق
بالمخالطة فان غاية العبادات وثمرة المعاملات ان يموت الانسان محبا لله عارفا
بالله ولا محبة الا بالانس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة الا بدوام الفكر وفراغ
القلب شرط كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة الفايدة الثانية التخلص
بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة
وهي اربعة الغيبة والريا والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة
الطبع من الاخلاق الردية والاعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا اما الغيبة
فاذا عرفت في كتاب افات اللسان من ربع المهلكات وجوهها عرفت ان التحرز عنها

مع المخالطة عظيمة لا ينجو منها الا الصديقون فان عادة الناس كافة التمضمض باعراض
الناس والتفكه بها والتنقل بحلاوتها في طعمتهم ولذتهم اليها يستروحون من وحشتهم
في الخلوة فان خالطتهم ووافقتهم اثمت وتعرضت لسخط الله وان سكت كنت
شريكا والمستمع احد المغتابين وان انكرت ابغضوك وتركوا ذلك المغتاب واغتابوك
فازدادوا غيبة الى الغيبة وربما زادوا على الغيبة وانتهوا الى الاستخفاف والشتم
واما الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من اصول الدين وهو واجب كما سياتي
بيانه في هذا الربع ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فان سكت عصى
الله وان انكر تعرض لانواع الضرر وربما يجره طلب الخلاص منها الى معاص اكثر مما
نهى عنه ابتداء وفي العزلة خلاص منه فان الامر في اهماله شديد والقيام والقيام
وقد قام ابو بكر رضي الله عنه وقال ايها الناس انكم تقرؤون هذه الاية يا ايها الناس عليكم
انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانكم تضعونها في غير مواضعها واني سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول اذا راى الناس المنكر فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله بعقاب
وقد قال عليه الصلاة والسلام ان الله يسال العبد حتى يقول له ما منعك اذ رايت المنكر
في الدنيا ان تنكره فيقول يا رب رجوتك وخفت الناس وهذا اذا خاف من ضرب او امر
لا يطاق ومعرفة حدود ذلك مشكلة وفيه خطر وفي العزلة خلاص وفي الامر بالمعروف
اثارة للخصومات وتحريك لغوائل الصدور كما قيل وكم سقت في آثاركم من نصيحة
وقد يستفيد البغضة المستنصح ومن جرب الامر بالمعروف ندم عليه غالبا كجدار
مائل يريد الانسان ان يقيمه يوشك ان يسقط عليه فاذا سقط عليه فيقول يا ليتني
تركته مائلا نعم لو وجد اعوانا امسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة استمسك ولكنك
اليوم لا تجد الاعوان فدعهم وانج براسك واما الرابع فهو الداء العضال الذي يعسر على
الاوتاد والابدال الاحتراز عنه وكل من خالط الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن
راياهم وقع فيما وقعوا وهلك كما هلكوا واقل ما يلزم فيه النفاق فانك ان خالطت
متعاديين ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه صرت بغيضا اليهما جميعا وان
جاملتهما كنت من شرار الناس قال عليه الصلاة والسلام ان من شرار الناس ذا
الوجهين ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه واقل ما يجب في مخالطة الناس اظهار الشوق
والمبالغة فيه ولا يخلو ذلك عن كذب اما في الاصل واما في الزيادة واظهار الشفقة
بالسؤال

بالسؤال عن الاحوال فقولك كيف انت وكيف اهلك وانت في الباطن فارغ القلب من
همومه نفاق محض قال سري لو دخل علي اخ لي فسويت لحيتي بيدي لدخوله خشيت ان اكتب
في جريدة المنافقين وكان الفضيل جالسا وحده في المسجد الحرام فجاء اليه اخ له فقال له
ما جاء بك فقال المؤانسة يا ابا علي فقال هي والله بالموحشة اشبه هل تريد الا ان تتزين
لي وا تزين لك وتكذب لي واكذب لك اما ان تقوم واما ان اقوم عنك وقال بعض الحكماء ما احب الله
عبدا الا احب ان لا يشعر به ودخل طاوس على الخليفة هشام فقال كيف انت يا هشام
فغضب عليه لم خاطبني بامرة المؤمنين فقال لان جميع المسلمين لم يتفقوا على خلافتك
فخشيت ان اكون كاذبا فمن امكنه ان يحترز عن هذا الاحتراز فليخالط الناس والا
فليوطن نفسه على اثبات اسمه في جريدة المنافقين فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون
في قولهم كيف اصبحت وكيف حالك وفي الجواب عنه وكان سؤالهم عن احوال الدين
لا عن احوال الدنيا قال حاتم الاصم لحامد اللفاف كيف انت في نفسك قال سالم
معافى فكره حاتم جوابه فقال يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية
في الجنة وكان اذا قيل لعيسى عليه الصلاة والسلام كيف اصبحت قال اصبحت
لا املك تقديم ما ارجو ولا استطيع دفع ما احاذر واصبحت مرتهنا
بعملي والخير كله في يد غيري فلا فقير افقر مني وكان الربيع بن خثيم
اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحنا ضعفاء مذنبين نستوفي ارزاقنا
وننتظر اجالنا وكان ابو الدرداء اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحت
بخير ان نجوت من النار وكان سفيان الثوري اذا قيل له كيف اصبحت
يقول اصبحت اشكو ذا الى ذا واذم ذا الى ذا وافر من ذا الى ذا
وقيل لاويس القرني كيف اصبحت قال اصبحت لا ارى حياتي لمماتي
ولا نفسي لربي وقيل لحكيم كيف اصبحت قال اصبحت اكل رزق ربي
واطيع عدوه ابليس وقيل لمحمد بن واسع كيف اصبحت قال ما ظنك
برجل يرحل كل يوم الى الاخرة مرحلة وقيل لحامد اللفاف كيف
اصبحت قال اصبحت اشتهي عافية يوم الى الليل فقيل له الست
في عافية في كل الايام فقال العافية يوم لا اعصي الله فيه وقيل لرجل
وهو يجود بنفسه ما حالك فقال ما حال من يريد سفرا بعيدا بلا
زاد ويدخل قبرا موحشا بلا مونس وينطلق الى ملك عدل بلا حجة

وقيل لحسان بن سنان ما حالك فقال ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب
وقال ابن سيرين لرجل كيف حالك فقال وما حال من عليه خمسمائة درهم
دينا وهو معيل فدخل ابن سيرين منزله فاخرج الف درهم فدفعها
اليه وقال خمسمائة تقضي بها دينك وخمسمائة تعود بها على عيالك
ولم يكن عنده غيرها ثم قال والله لا اسال احدا عن حاله ابدا وانما خشي
فعل ذلك لانه خشي ان يكون سواله عن غير اهتمام بامره فيكون مرائيا
منافقا فقد كان سؤالهم عن امور الدين واحوال القلب في معاملة الله
وان سالوا عن امور الدنيا فعن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر
لهم من الحاجة وقال بعضهم اني لاعرف اقواما كانوا لا يتلاقون ولو حكم
احدهم على صاحبه بجميع ما يملكه لم يمنعه واري الان اقواما يتلاقون
ويتساءلون حتى عن الدجاجة في البيت ولو انبسط احدهم لحبة من ماله
لمنعه فهل هذا الا مجرد الرياء والنفاق وآية ذلك انك ترى هذا يقول
كيف انت ويقول الاخر كيف انت والسائل لا ينتظر الجواب والمسائل
مشغول بالسؤال لا يجيب وذلك لمعرفتهم بان ذلك عن رياء وتكلف
ولعل القلب لا يخلو عن ضغائن واحقاد والالسنة تنطلق بالسؤال
قال الحسن انما كانوا يقولون السلام عليكم اذا سلمت القلوب فاما
الان كيف اصبحت عافاك الله كيف انت اصلحك الله فان اخذنا بقولهم
كانت بدعة لا كرامة فان شاوا غضبوا علينا وانما قالوا ذلك
لان البداية بقولك كيف اصبحت بدعة وقال رجل لابي بكر بن عياش كيف
اصبحت فما اجابه وقال دعونا من هذه البدعة وقالوا انما حدث هذا في
زمان الطاعون الذي كان يدعى طاعون عمواس بالشام من الموت الذريع
كان الرجل يلقاه اخاه غدوة فيقول كيف اصبحت من الطاعون ويلقاه
عشية فيقول كيف امسيت والمقصود ان الالتقاء في غالب الاحوال
العادات ليس يخلو عن انواع من التصنع والرياء والنفاق وكل ذلك
مذمومات بعضها محظور وبعضها مكروه وفي العزلة الخلاص منها
فان من لقي الخلق ولم يخالقهم باخلاقهم مقتوه واستثقلوه
واغتابوه وتشمروا لايذائه فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه ودنياه

في الانتقام

في الاسقام منهم واما مسارقة الطبع لما تشاهده من اخلاق الناس
واعمالهم فهو داء دفين قلما يتنبه له العقلا فضلا من الغافلين فلا
يجالس الانسان فاسقا مدة مع كونه منكرا عليه في باطنه الا ولو
قاس نفسه الى ما قبل مجالسته لادرك فيها تفرقة في النفرة عن الفساد
واستثقاله اذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع ويسقط
وقعه واستعظامه وانما الوازع عنه شدة وقعه في القلب فاذا
صار مستصغرا بطول المشاهدة اوشك ان تنحل القوة الوازعة ويذعن
الطبع للميل اليه او لما دونه ومهما طالت مشاهدته للكبائر من
غيره استحقر الصغائر من نفسه ولذلك يزدري الناظر للاغنيا نعمة الله
عليهم فيؤثر مجالستهم في ان يستصغر ما عنده ويؤثر مجالسة الفقرا في
استعظام ما اتيح له من النعم فكذلك النظر الى المطيعين والعصاة
هذا تاثيره في الطبع فمن يقصر نظره على ملاحظة الصحابة والتابعين في — احوال صح
العبادة والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار
والى عبادته بعين الاستحقار وما دام يرى نفسه مقصرا فلا يخلو عن داعية
الاجتهاد في الاستكمال واستتماما للاقتدا ومن نظر الى احوال اهل
الزمان واعراضهم عن الله واقبالهم على الدنيا واعتيادهم للمعاصي استعظم
من نفسه بادنى رغبة في الخير يصادفها في قلبه وذلك هو الهلاك ويكفي
تغير الطبع بمجرد سماع الخير والشر فضلا عن مشاهدته وبهذه تعرف سر قوله
عليه الصلاة والسلام عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة وانما الرحمة دخول الجنة ولقا الله
وليس ينزل عند الذكر عين ذلك ولكن سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة
الحرص على الاقتدا بهم والاستنكاف عما هو ملابس له من القصور والتقصير ومبدا
الرحمة فعل الخير الرغبة ومبدا الرغبة ذكر احوال الصالحين فهذا معنى نزول الرحمة
والمفهوم من فحوى هذا الكلام عند الفطن كالمفهوم من نصه وهو انه عند ذكر
الفاسقين تنزل اللعنة لان كثرة ذكرهم تهون على الطبع امر المعاصي واللعنة هو
البعد ومبدا البعد من الله هو المعاصي والاعراض عن الله بالاقبال على الحظوظ العاجلة
والشهوات الحاضرة لا على الوجه المشروع ومبدا المعاصي سقوط ثقلها وتفاحشها
عن القلب ومبدا سقوطها وقوع الانس بها بكثرة السماع واذا كان هذا حال ذكر الصالحين
والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم بل صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم

حيث قال مثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير ان لم يحرقك بشرره اذاك بدخانه ومثل
الجليس الصالح كمثل العطار ان لم يصبك من طيبه نالك من ريحه فهذا كما ان الريح يعبق
بالثوب ولا يشعر به فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به ولهذا اقول
من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها لعلتين احدهما انها غيبة والثانية وهي
اعظمها ان حكايتها تهون على المستمعين امر تلك الزلة ويسقط من قلوبهم استعظامها
للاقدام عليها فيكون ذلك سببا لتهوين تلك المعصية فانه مهما وقع فيها فاستشهد
ذلك دفع الاستنكار وقال كيف يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون الى مثله حتى العلما والعباد
ولو اعتقد ان مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه موفق معتبر لشق عليه الاقدام فكم
من متكالب على الدنيا وحريص على جمعها ومنهمك على حب الرياسة وتزيينها ويهون
على نفسه قبحها فان الصحابة رضي الله عنهم لم ينزهوا عن حب الرياسة وربما يستشهد
عليه بقتال علي ومعوية رضي الله عنهما ويزعم في نفسه ان ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب
الرياسة فهذا الاعتقاد خطا يهون عليه امر الرياسة ولوازمها من المعاصي والطبع اللئيم
يميل الى اتباع الهفوات والاعراض عن الحسنات بل الى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه
بالتنزيل على مقتضى الشهوة ليتعلل به وهي من دقائق مكايد الشيطان ولذلك وصف الله
المراغمين للشيطان بقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضرب
عليه الصلاة والسلام لذلك مثلا وقال مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يحمل الا شر
ما يسمع كمثل رجل اتى راعيا فقال له يا راعي اجزر لي شاة من غنمك قال اذهب
فخذ خير شاة فيها فذهب فاخذ باذن كلب الغنم وكل من ينقل هفوات الائمة
فهذا مثاله ايضا ومما يدل على سقوط وقع الشي عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته
ان اكثر الناس اذا راوا مسلما افطر في نهار رمضان استبعدوه استبعادا يكاد يفضي
الى اعتقادهم كفره وقد يشاهدون من يخرج الصلوات عن اوقاتها فلا ينفر عنه طباعهم
كنفرتهم عن تاخير الصوم مع ان صلاة واحدة يقتضي تركها الكفر عند قوم وترك صوم
رمضان كله لا يقتضيه ولا سبب له الا ان الصلاة تتكرر والتساهل فيها مما يكثر
فيسقط وقعها بالمشاهدة عن القلب وكذلك لو لبس الفقيه ثوبا من حرير او شرب
من اناء فضة استبعدته النفوس واشتد انكارها وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم
الا بما هو اغتياب الناس ولا يستبعد منه والغيبة اشد من الزنا وكيف لا يكون اشد من
لبس الحرير ولكن كثرة مشاهدة الغيبة والمغتابين اسقط وقعها عن القلوب وهون على
النفوس امرها فتفطن لهذه الدقائق وفر من الناس فرارك من الاسد فانك لا تشاهد
منهم الا ما يزيد حرصك على الدنيا وغفلتك عن الاخرة ويهون عليك المعصية ويضعف
رغبتك

رغبتك في الطاعة فان وجدت جليسا يذكرك بالله صورته وسيرته فالزمه ولا تفارقه
واغتنمه ولا تستحقره فانها غنيمة العاقل وضالة المؤمن وتحقق ان الجليس الصالح خير
من الوحدة وان الوحدة خير من الجليس السوء ومهما فهمت هذه المعاني ولاحظت
طبعك والتفت الى حال من اردت مخالطته لم يخف عليك ان الاولى التباعد عنه
بالعزلة او التقرب اليه بالخلطة فان احدهما اولى في كل منفصل فاطلاق القول فيه بلا
او نعم خلف محض ولا حق في المفصل الا التفصيل الفائدة الثالثة الخلاص من الفتن
والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيه والتعرض لاخطارها وقل ما
تخلو البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات فالمعتزل عنهم في سلامة قال عبد الله بن
عمرو بن العاص لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتن ووصفها فقال اذا رايت
الناس مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وشبك بين اصابعه وكانوا هكذا
فقلت فما تامرني قال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما
تنكر وعليك بامر الخاصة ودع عنك امر العامة وروى ابو سعيد الخدري انه عليه
الصلاة والسلام قال يوشك ان يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال
ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن وروى عبد الله بن مسعود انه عليه الصلاة والسلام
قال سياتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى
قرية ومن شاهق الى شاهق ومن حجر الى حجر كالثعلب الذي يروغ قيل ومتى ذلك
يا رسول الله قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله واذا كان ذلك الزمان حلت
العزوبة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد امرتنا بالتزويج قال اذا كان ذلك
الزمان كان هلاك الرجل على يدي ابويه فان لم يكن له ابوان فعلى يد زوجته
وولده فان لم يكن فعلى يد قرابته قالوا فكيف ذاك يا رسول الله قال يعيرونه
بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده موارد الهلكة وهذا الحديث وان كان
في العزوبة فالعزلة مفهومة منه اذ لا يستغني المتاهل عن المعيشة والمخالطة
ثم لا تنال المعيشة الا بمعاصي الله ولست اقول هذا اوان ذلك الزمان فلقد كان هذا
باعصار قبل هذا العصر ولاجله قال سفيان الثوري والله لقد حلت العزلة وقال
ابن مسعود ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتنة وايام الهرج قلت وما الهرج
قال حين لا يامن الرجل جليسه قلت فما تامرني ان ادركت ذلك الزمان قال
كف نفسك ويدك وادخل دارك قال قلت ارايت يا رسول الله ان دخل علي داري

قال فادخل بيتك قلت ان دخل علي بيتي قال فادخل مسجدك واصنع هكذا وقبض
على الكوع وقل ربي الله حتى تموت وقال سعد لما دعي الى الخروج ايام معاوية قال لا الا
ان تعطوني سيفا له عينان بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فاقتله وبالمؤمن فاكف
عنه وقال مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجة بيضا فبينما هم كذلك يسيرون
اذ هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق والتبس عليهم فقال بعضهم الطريق ذات اليمين
فاخذوا فيها وضلوا وقال بعضهم الشمال فاخذوا فيها وتاهوا واناخ اخرون وتوقفوا
حتى ذهبت الريح وتبين لهم الطريق فسعد جماعة فارقوا الفتن ولم يخالطوا الا بعد زوال
الفتن وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه لما بلغه ان الحسين رضي الله عنه توجه الى العراق
فلحقه ثلاثة ايام فقال اين تريد فقال العراق فاذا معه طوامير وكتب فقال هذه كتبهم
وبيعتهم فقال لا تنظر الى كتبهم ولا تأتهم فابى فقال اني محدثك حديثا ان جبريل اتى النبي
عليه الصلاة والسلام فخيره بين الدنيا والاخرة فاختار الاخرة على الدنيا وانك بضعة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يليها احد منكم ابدا وما صرفها عنكم الا للذي
هو خير لكم فابى ان يرجع فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال استودعك الله من قتيل وكان في
الصحابة عشرة آلاف فما خف ايام الفتن اكثر من اربعين رجلا وجلس طاوس
في بيته فقيل له في ذلك فقال فساد الزمان وحيف الائمة ولما بنى عروة قصره
بالعقيق لزمه فقيل له لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رايت مساجدكم لاهية واسواقكم لاغية والفاحشة في فجاجكم عالية وفيما
هنالك عما انتم فيه عافية فاذا الحذر من الخصومات ومثارات الفتن احدى فوائد
العزلة. الفائدة الرابعة الخلاص من شر الناس فانهم يؤذونك مرة بالغيبة ومرة
بسوء الظن والتهمة ومرة بالاقتراحات والاطماع الكاذبة التي يعسر الوفا
بها ~~والاطماع الكاذبة~~ بالنميمة والكذب فربما يرون منك من الاعمال والاقوال
ما لا يبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت يظهر فيه
فرصة للشر فاذا اعتزلتهم استغنيت عن التحفظ عن جميع ذلك ولذلك قال بعض
الحكما لغيره اعلمك بيتين خير من عشرة آلاف درهم فقال ما هو قال اخفض الصوت
ان نطقت بليل والتفت بالنهار قبل المقال ليس للقول رجعة حين يبدو
بقبيح يكون او بجمال ولا شك ان من اختلط بالناس وشاركهم في اعمالهم لم ينفك
من حاسد وعدو يسيء الظن به ويتوهم انه يستعد لمعاداته ونصب المكيدة

ولدسيه

ولا يمسي غايلة وراه فالناس مهما اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم
الا الحرص عليها امر يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو وقد اشتد حرصهم على الدنيا
فلا يظنون بغيرهم الا الحرص وقال الشاعر ؛ اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ؛ وصدق
ما يعتاده من توهم ؛ وعادى محبيه بقول عداته ؛ واصبح في ليل من الشك مظلم ؛ وقيل
معاشرة الاشرار تورث سوء الظن بالابرار وانواع الشر الذي يلقاه الانسان
فيه او من يخالطه به كثيرة ولسنا نطول بتفصيلها ففيما ذكرناه اشارة الى
مجامعها وفي العزلة خلاص من جميعها والى هذا اشار الاكثر من اختار العزلة قال
ابو الدرداء اخبر تقله وقال الشاعر ؛ من حمد الناس ولم يبلهم ؛ ثم بلاهم ذم من يحمد ؛
وصار بالوحدة مستانسا ؛ يوحشه الاقرب والابعد ؛ وقال عمر بن الخطاب رضي الله
عنه في العزلة راحة من خليط السوء وقيل لعبد الله بن الزبير الا تأتي المدينة فقال ما بقي فيها
الا حاسد نعمة او فرح بنقمة وقال ابن السماك كتب صاحب لنا اما بعد فان الناس كانوا
دواء يتداوى بهم فصاروا داء لا دواء لهم ففر منهم فرارك من الاسد كان بعض الاعراب
يلازم شجرة ويقول في نديم فيه ثلاث خصال ان سمع مني لم ينم علي وان تفلت
في وجهه احتمل وان عربدت معه لم يغضب فسمع الرشيد ذلك فقال هذا ازهد في الندماء
وكان بعضهم يلزم المقابر فقيل له في ذلك فقال لم ار اسلم من وحدة ولا اوعظ من قبر ولا
جليسا امتع من دفتر وقال الحسن اريد الحج فسمع ثابت البناني وهو ايضا من اولياء الله
فقال له بلغني انك تريد الحج فاحببت ان نصطحب فقال له الحسن ويحك دعنا نتعاشر
بستر الله عز وجل فاني اخاف ان نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه
وهذه اشارة الى فائدة اخرى في العزلة وهو بقاء الستر على الدين والمروة وساير
العورات وقد مدح الله سبحانه المستترين فقال يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف
وقد قال الشاعر ؛ ولا عار ان زالت عن الحر نعمة ؛ ولكن عارا ان يزول التجمل ؛ ولا يخلو الانسان
في دينه ودنياه واخلاقه وافعاله من عورات الاولى في الدين والدنيا سترها ولا
تبقى السلامة مع انكشافها وقال ابو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه والناس اليوم
شوك لا ورق فيه واذا كان هذا حكم زمانه وهو في اواخر القرن الاول فلا ينبغي
ان يشك في ان الاخير شر وقال سفيان بن عيينة قال لي سفيان الثوري في
اليقظة في حياته وفي النوم بعد مماته اقلل من معرفة الناس فان التخلص منهم شديد
ولا احسب اني رايت ما اكره الا ممن عرفت وقال بعضهم جئت الى مالك بن دينار وهو قاعد

المنام

وحده واذا الكلب قد وضع حنكه على ركبته فذهبت اطرده فقال دعه فان هذا لا يضر
ولا يوذي وهو خير من الجليس السوء وقيل لبعضهم ما حملك على ان تعتزل الناس قال
خشيت ان اسلب ديني ولا اشعر وهذه اشارة الى مسارقة الطبع من اخلاق القرين
السوء وقال ابو الدردا اتقوا الله واحذروا الناس فانهم ما ركبوا ظهر بعير الا ادبروه
ولا ظهر جواد الا عقروه ولا قلب مومن الا خربوه وقال بعضهم اقلل المعارف فانه اسلم لدينك
وقلبك واخف لسقوط الحقوق عنك لانه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام
بالجميع وقال بعضهم انكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف الفائدة الخامسة
ان ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس فاما انقطاع طمع الناس
ففيه كل الفوايد فان رضى الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء باصلاح نفسه اولى
ومن اهون الحقوق وايسرها حضور الجنازة وعيادة المريض وحضور الولايم
والاملاكات وفيها تضييع الاوقات والتعرض للافات ثم قد يعوق عن بعضها العوايق
ويستقبل فيها المعاذير ولا يمكن اظهار كل الاعذار فيقولون قمت بحق فلان وقصرت
في حقنا ويصير ذلك سبب عداوة فقد قيل من لم يعد مريضا في وقت العيادة
اشتهى موته خيفة من تخجيله اذا صح على تقصيره ومن عم الناس كلهم بالحرمان
رضوا عنه ولو خصص استوحشوا وتعميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه المتجرد له
طول الليل والنهار فكيف من له مهم يشغله في دين او دنيا قال عمرو بن العاص
كثرة الاصدقا كثرة الغرما وقال ابن الرومي ۞ عدوك من صديقك مستفاد ۞
فلا تستكثرن من الصحاب ۞ فان الدا اكثر ما تراه ۞ يكون من الطعام او الشراب ۞
قال الشافعي رضي الله عنه اصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام واما انقطاع
طمعك عنهم فهو ايضا فايدة جزيلة فان من نظر الى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه
وانبعث بقوة الحرص طمعه ولا يرى الا الخيبة في اكثر الاطماع فيتاذى به ومهما
اعتزل لم يشاهد واذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع ولذلك قال تعالى ولا تمدن عينيك الى
ما متعنا به ازواجا منهم وقال عليه الصلاة والسلام انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا
الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وقال عون بن عبد الله كنت اجالس
الاغنيا فلم ازل مغموما كنت ارى ثوبا احسن من ثوبي ودابة افره من دابتي فجالست الفقرا
واسترحت وحكي ان المزني رحمه الله خرج من باب جامع الفسطاط وقد اقبل ابن عبد
الحكم في موكبه فبهره ما راى من حاله وحسن هيئته فتلا قوله تعالى وجعلنا بعضكم
لبعض

الخصما

لبعض فتيته اتصبرون ثم قال بلى اصبر وارضى وكان رحمه الله فقيرا مقلا فالذي
في بيته لا يبتلى بمثل هذه الفتن فان من تشاهد زينة الدنيا فاما ان يقوى دينه ويقينه
فيصبر ويحتاج ان يتجرع مرارة الصبر وهو امر من الصبر او تنبعث رغبته فيحتال
في طلب الدنيا فيهلك هلاكا مؤبدا اما في الدنيا فبالطمع الذي يخيب في اكثر الاوقات
فليس كل من طلب الدنيا تيسر له واما في الاخرة فبايثاره متاع الدنيا على ذكر الله
تعالى والتقرب اليه ولذلك قال ابن الاعرابي اذا كان باب الذل من جانب الغنى
سموت الى العليا من جانب الفقر اشار الى ان الطمع يوجب في الحال ذلا الفائدة السادسة
الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ومقاساة حمقهم واخلاقهم فان رؤية
الثقيل هو العمى الاصغر قيل للاعمش لم عمشت عيناك فقال من النظر الى الثقلاء ويحكى
انه دخل عليه ابو حنيفة رحمه الله عليه فقال له في الخبر ان من سلبه الله كريمتيه
عوضه ما هو خير منهما فما الذي عوضك فقال في معرض المطايبة عوضني عنهما ان
كفاني رؤية الثقلاء وانت منهم وقال ابن سيرين سمعت رجلا يقول نظرت الى ثقيل
مرة فغشي علي وقال جالينوس لكل شيء حمى وحمى الروح النظر الى الثقلاء وقال الشافعي
ما جالست ثقيلا الا وجدت الجانب الذي يليه من بدني كانه اثقل علي من الجانب الاخر
وهذه الفوائد ما سوى الاولى وان كانت متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها
تتعلق ايضا بالدين فان الانسان مهما تأذى برؤية ثقيل لم يلبث ان يغتابه وان
يستنكر ما هو صنع الله واذا تأذى من غيره بغيبة او سوء ظن او محاسدة او نميمة
او غيره لم يصبر عن مكافأته وكل ذلك يجر الى فساد الدين وفي العزلة سلامة عن
جميع ذلك فليفهم **آفات العزلة** اعلم ان من المقاصد الدينية والدنيوية ما
يستفاد من الاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك الا بالمخالطة فكلما يستفاد بالمخالطة
يفوت بالعزلة وفواتها من آفات العزلة فانظر الى فوائد المخالطة والدواعي
اليها ما هي وهي التعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتأديب والتأدب والا
ستئناس والايناس ونيل الثواب وانالته في القيام بالحقوق واعتياد التواضع
واستفادة التجارب من مشاهدة الاحوال والاعتبار بها فلنفصل ذلك فانها
من فوائد المخالطة وهي سبعة الفائدة الاولى التعليم والتعلم وقد ذكرنا فضلهما
في كتاب العلم وهما اعظم العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك الا بالمخالطة الا
ان العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة وبعضها ضروري في الدنيا فالمحتاج الى

التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة وان تعلم الفرض وكان لا يتأتى منه الخوض
في العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة فليعتزل وان كان يقدر على التبرز في علوم الشرع
والعقل فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الخسران ولهذا قال النخعي تفقه ثم اعتزل
ومن اعتزل قبل التعلم فهو في الاكثر يضيع اوقاته بنوم او فكر في هوس وغايته ان
يستغرق الاوقات باوراد يستوعبها فلا ينفك في اعماله بالبدن والقلب عن انواع
من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله بحيث لا يدري ولا ينفك في اعتقاده في
الله وصفاته من اوهام يتوهمها ويأنس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها
فيكون في اكثر احواله ضحكة الشيطان وهو يرى نفسه من العباد فالعلم هو
اصل الدين فلا خير في عزلة العوام والجهال فمثال النفس مثال مريض يفتقر الى طبيب
متلطف ليعالجه فالمريض الجاهل اذا خلا بنفسه عن الطب قبل ان يتعلم الطب تضاعف
لا محالة مرضه فلا تليق العزلة الا بالعالم واما التعليم ففيه ثواب عظيم مهما صحت
نية المتعلم والمعلم ومهما كان القصد اقامة الجاه والاستكثار بالاصحاب والاتباع فهو
هلاك للدين وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم وحكم العالم في هذا الزمان ان يعتزل
ان اراد سلامة دينه فانه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه بل لا طالب الا لكلام
مزخرف يستميل به العوام في معرض الوعظ او لجدل معقد يتوصل به الى افحام
الاقران ويتقرب به الى السلطان ويستعمل في معرض المنافسة
والمباهاة واقرب علم مرغوب فيه المذهب ولا يطلب غالبا الا للتوصل
الى التقدم على الامثال وتولي الولايات واجتلاب الاموال وهؤلاء
كلهم يقتضي الدين والحزم الاعتزال عنهم فان صودف طالب لله ومتقرب
بالعلم الى الله فاكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتمان العلم منه وهذا لا يصادف
في بلد كبير اكثر من واحد واثنين ان صودف ولا ينبغي ان يغتر الانسان
بقول سفيان تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم ان يكون الا لله وان الفقها
يتعلمون لغير الله ثم يرجعون الى الله وانظر الى اواخر اعمار الاكثرين منهم
واعتبرهم انهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبين عليها وراغبين
فيها وليس الخبر كالمعاينة واعلم ان العلم الذي اشار اليه سفيان هو علم
الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الانبياء والصحابة فان فيها التخويف
والتحذير وهي سبب لاثارة الخوف من الله فان لم يؤثر في الحال اثر

في المآل

في المال فأما الكلام والفقه المجرد الذي يتعلق بفتاوى المعاملات
وفصل الخصومات المذهب منه والخلاف لا يرد الراغب للدنيا
إلى الله تعالى بل لا يزال متمادياً في حرصه إلى آخر عمره ولعل ما أودعناه
هذه الكتب إن يتعلمه المتعلم رغبة في الدنيا فيجوز أن يرخص فيه
إذ يرجى أن ينزجر في آخر عمره فإنه مشحون بالتخويف بالله والترغيب
في الآخرة والتحذير من الدنيا وذلك مما يصادف في الأحاديث وتفسير
القرآن ولا يصادف في كلام ولا في خلاف فإن المقتصر العالم بتقصيره
أسعد حالاً من الجاهل المغرور أو المتجاهل المغبون وكل عالم اشتد
حرصه على التعليم يوشك أن يكون غرضه القبول والجاه وحظه للذة
النفس في الحال استشعار الإدلال على الجهال والتكبر عليهم فآفة
العلم الخيلاء كما قال عليه الصلاة والسلام ولذلك حكي عن بشر أنه دفن
سبعة عشر قمطراً من كتب الأحاديث التي سمعها وكان لا يحدث ويقول
إني أشتهي أن أحدث فلذلك لا أحدث ولو اشتهيت أن لا أحدث
لحدثت ولذلك قال حدثنا باب من الدنيا وإذا قال الرجل حدثنا فإنما
يقول أوسعوا لي وقالت رابعة العدوية لسفيان الثوري نعم الرجل
أنت لولا رغبتك في الدنيا قال وفيما ذا رغبت قالت في الحديث ولذلك
قال أبو سليمان الداراني من تزوج أو كتب الحديث أو اشتغل بالسفر فقد
ركن إلى الدنيا وهذه آفات قد نبهنا عليها في كتاب العلم والحزم الاحتراز
بالعزلة وترك الاستكثار من الأصحاب ما أمكن بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه
وتعليمه فالصواب له إن كان عاقلاً في هذا الزمان أن يتركه فلقد صدق
أبو سليمان الخطابي حيث قال دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس
لك منهم مال ولا جمال إخوان العلانية أعداء السر إذا لقوك ملقوك وإن
غبت عنهم سلقوك من أتاك منهم كان عليك رقيباً وإذا خرج كان عليك
خطيباً أهل نفاق ونميمة وغل وحسد فلا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم
العلم بل الجاه والمال وأن يتخذوك سلماً إلى أوطارهم وحماراً في حاجاتهم إن قصرت
في غرض من أغراضهم كانوا أشد أعدائك ثم يعدون ترددهم إليك دالة عليك
ويرونه حقاً واجباً لديك ويفرضون عليك أن تبذل عرضك وجاهك ودينك

فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم وتنتهض لهم سيفا وقد كنت
فقيها ويكون لهم تابعا خسيسا ولذلك قيل اعتزال العوام مروة تامة فهذا
معنى كلامه وان خالف بعض الفاظه وهو حق وصدق فانك ترى المدرسين في
ذل دايم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد اليه وكانه يهدي تحفة
الله فيرى حقه واجبا عليه وربما لا يختلف اليه ما لم يتكفل برزق له على الادرار
ثم المدرس المسكين قد يعجز عن القيام به لكن من ماله فلا يزال يتردد الى ابواب
السلاطين ويقاسي الذل والشدايد مقاساة المهين حتى يكتب على بعض وجوه
السحت مال حرام ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتهنه ويستذله
الى ان يسلم اليه ما يقدره نعمة مستانفة من عنده عليه ثم يبقى في مقاساة القسمة
على اصحابه ان سوى بينهم مقته المبرزون ونسبوه الى الحمق وقلة التمييز والقصور
عن درك مصادفات الفضل والقيام في مقادير الحقوق بالعدل وان فاوت بينهم سلقه
السفها بالسنة حداد وثاروا عليه ثوران الاساود والاساد فلا يزال في مقاساتهم
في الدنيا وفي مطالبة ما ياخذه ويفرقه في العقبى والعجب انه مع هذا البلا كله
يمني نفسه بالاباطيل ويدليه بحبل الغرور ويقول له لا تفتر عن صنيعك فانما انت
بما تفعله تريد وجه الله تعالى ونشر شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشر علم
الدين وقيام بكفاية طلاب العلم من عباد الله واموال السلاطين لا مالك لها
وهي مرصدة للمصالح واي مصلحة اكبر من تكثير اهل العلم فبهم يظهر
الدين ويتقوى اهله ولو لم يكن ضحكة الشيطان لعلم بادنى تامل ان فساد الزمان
لا سبب له الا كثرة امثال اوليك الفقها الذين ياكلون ما يجدون ولا يميزون
بين الحلال والحرام فتلحظهم اعين الجهال ويستجري على المعاصي باستجرايهم
اقتدا بهم واقتفا لاثارهم ولذلك قيل ما فسدت الرعية الا بفساد الملوك وما
فسدت الملوك الا بفساد العلما فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الدا الذي
ليس له دوا الفايدة الثانية النفع والانتفاع واما الانتفاع بالناس فبالكسب
والمعاملة وذلك لا يتاتى الا بالمخالطة والمحتاج اليه مضطر الى ترك العزلة فيقع
في جهاد من المخالطة ان طلب موافقة الشرع فيه كما ذكرناه في كتاب الكسب
وان كان معه مال لو اكتفى به قانعا لاقنعه فالعزلة افضل له اذا انسدت طرق الكسب
في الاكثر الا ان يكون غرضه الكسب للصدقة فاذا اكتسب من وجهه وتصدق فهو
افضل من العزلة للاشتغال بالنافلة وليس بافضل من العزلة للاشتغال بالتحقق
في معرفة

في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ولا يتأتى الا بالاقبال بكنه الهمة على الله والتجرد به لذكر
الله اعني من حصل له انس بمناجاة الله عن كشف وبصيرة لا عن اوهام وخيالات فاسدة
واما النفع فهو ان ينفع الناس اما بماله فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة ففي النهوض بقضا
حوايج المسلمين ثواب ولكن لا ينال الا بالمخالطة ومن قدر عليه مع القيام بحدود الشرع
فهو افضل من العزلة ان كان لا يشتغل في عزلته الا بنوافل الصلوات والاعمال البدنية
وان كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر او فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة
الفايدة الثالثة التأديب والتأدب ونعني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة
في تحمل اذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات وهذه من الفوايد التي تستفاد بالمخالطة
وهو افضل من العزلة في حق من لم تتهذب اخلاقه ولم تذعن لحدود الشرع شهواته
ولهذا التدرب خدام الصوفية في الرباطات فيخالطون الناس بخدمتهم واهل السوق
للسؤال منهم كسرا لرعونة النفس واستمدادا من بركة دعاء الصوفية المنصرفين بهممهم
الى الله كان هذا هو المبتدأ في الاعصار الخالية والآن فقد خالطته الاغراض الفاسدة
ومال ذلك عن القانون كما مال ساير شعاير الدين فصار يطلب من التواضع للخدمة
التكثر بالاستتباع والتذرع الى جمع المال والاستظهار بكثرة الاتباع فان كانت النية
هذا فالعزلة خير منه ولو الى القبر وان كانت النية رياضة النفس فهي خير من العزلة
في حق المحتاج الى الرياضة وذلك مما يحتاج اليه في بداية الارادة فبعد حصول الارتياض
ينبغي ان يفهم ان الدابة لا يطلب من رياضتها عين رياضتها بل المراد منها ان يتخذ
مركبا يقطع به المراحل ويطوى على ظهره الطريق والبدن مطية للقلب يركبها
ليسلك بها طريق الآخرة وفيها شهوات ان لم يكسرها جمحت به في الطريق فمن اشتغل
طول العمر بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها فلم يستفد منها
الا الخلاص في الحال من عضها ورفسها ورمحها وهي لعمري فايدة مقصودة ولكنها
حاصلة من البهيمة الميتة وتراد الدابة لفايدة تحصل من حياتها فكذلك الخلاص من
الم الشهوات في الحال يحصل بالموت والنوم فلا ينبغي ان يقنع بها كالراهب الذي
قيل له يا راهب فقال ما انا راهب انما انا كلب حبست نفسي حتى لا اعقر الناس
وهذا حسن بالاضافة الى من يعقر ولكن لا ينبغي ان يقتصر عليه فان من قتل نفسه ايضا لم
يعقر الناس بل ينبغي ان يتشوف الى الغاية المقصودة بها ومن فهم ذلك واهتدى
الى الطريق وقدر على السلوك استبان ان العزلة اعون عليه من المخالطة فالافضل لمثل

هذا الشخص المخالطة اولا والعزلة آخرا واما التاديب فانما يعني ان يروض غيره وهو
حال شيخ المتصوفة معهم فانه لا يقدر على تهذيبهم الا بمخالطتهم وحاله حال المعلم وحكمه
حكمهم ويتطرق اليه من دقايق الافات والريا ما يتطرق الى نشر العلم الا ان مخايل
طلب الدنيا من المريدين الطالبين للارتياض ابعد منها من طلبة العلم ولذلك
نرى فيهم قلة وفي طلبة العلم كثرة فينبغي ان يقيس ما تيسر له من الخلوة ما تيسر له
من المخالطة وتهذيب القوم وليقابل احدهما بالآخر وليوثر الافضل وذلك يدرك بدقيق
الاجتهاد ويختلف بالاحوال والاشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفي ولا اثبات والله
اعلم الفايدة الرابعة الاستيناس والايناس وهو غرض من يحضر الولايم والدعوات
ومواضع المباسطة والانس وهذا يرجع الى حظ النفس في الحال وقد يكون ذلك على
وجه حرام بموانسة من لا يجوز موانسته او على وجه مباح وقد يستحب ذلك لامر الدين وذلك
فيمن يستانس بمشاهدة احواله واقواله في الدين كالانس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى
وقد يتعلق بحظ النفس ويستحب اذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعي النشاط في
العبادة فان القلوب اذا اكرهت عميت ومهما كان في الوحدة وحشة وفي المخالطة انس
يروح القلب فهي اولى اذ الرفق في العبادة من حزم العبادة ولذلك قال عليه الصلاه
والسلام ان الله لا يمل حتى تملوا وهذا امر لا يستغنى عنه فان النفس لا تالف الحق على الدوام
ما لم تروح وفي تكليفها الملازمة تنفير ومن يشاد هذا الدين يغلبه فان الدين متين
والايغال فيه برفق داب المستبصرين ولذلك قال ابن عباس لولا مخافة الوسواس لم
اجالس الناس وقال مرة لدخلت بلادا لا انيس بها وهل يفسد الناس الا الناس فلا
يستغني المعتزل عن رفيق يستانس بمشاهدته ومحادثته في اليوم والليلة ساعة
فليجتهد في طلب من لا يفسد في ساعته تلك عليه سائر ساعاته وقد قال عليه الصلاه
والسلام المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وليحرص ان يكون حديثه عند
اللقا في امور الدين وحكاية احوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاهتدا
الى الرشد ففي ذلك متنفس ومتروح للنفس وفيه مجال رحب لكل مشغول باصلاح
نفسه فانه لا ينقطع شكواه ولو عمر اعمارا طويلة والراضي عن نفسه مغرور
قطعا فهذا النوع من الاستيناس في بعض اوقات النهار ربما يكون افضل من
العزلة في حق بعض الاشخاص وليتفقد فيه احوال القلب واحوال الجليس اولا

ثم يجالس

ثم ليعاين الفايدة الخامسة في نيل الثواب وانالته اما النيل فبحضور الجنايز وعيادة
المريض وحضور العيدين اما حضور الجمعة فلا بد منها وحضور الجماعة في ساير الصلوات
ايضا لا رخصة في تركها الا لخوف ضرر ظاهر يقاوم ما يفوت من فضيلة الجماعة ويزيد
عليه وذلك لا يتفق الا نادرا وكذلك في حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث
انه ادخال سرور على قلب مسلم واما انالته فهو ان يفتح الباب ليعوده الناس او يعزوه
في المصايب او يهنوه على النعم فانهم ينالون به ثوابا وكذلك اذا كان من اهل العلم واذن
لهم في الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو بالتمكين سببا فيه فينبغي ان يزن ثواب
هذه المخالطات بافاتها التي ذكرناها فعند ذلك قد ترجح العزلة وقد ترجح المخالطة
فقد حكي عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك اجابة الدعوات وعيادة المرضى والجنايز
بل كانوا احلاس بيوتهم لا يخرجون الا الى الجمعة وزيارة القبور وبعضهم فارق الامصار
وانحاز الى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل الفايدة السادسة
من المخالطة التواضع فانه من افضل المقامات ولا يقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببا
في اختيار العزلة فقد روي في الاسرايليات ان حكيما من الحكما صنف ثلاثمائة وستين
مصحفا في الحكمة حتى ظن انه قد نال عند الله منزلة فاوحى الى نبيه قل لفلان قد ملات الارض
نفاقا واني لا اقبل من نفاقك شيا قال فتخلى وانفرد في سرب تحت الارض قال الان قد بلغت
محبة ربي فاوحى الله الى نبيه قل له انك لن تبلغ رضاي فدخل الاسواق وخالط العامة
وجالسهم وكلمهم واكل الطعام بينهم ومشى في الاسواق معهم فاوحى الله عليه الان قد بلغت
فكم من معتزل في بيته وباعثه التكبر ومانعه عن المحافل ان لا يوقر او لا يقدم او يرى الترفع
عن مخالطتهم ارفع لمحله وابقى لطراوة ذكره بين الناس وقد يعتزل خيفة من ان تظهر
مقابحه لو خالط فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ البيت سترا
على مقابحه ابقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبده من غير استغراق وقت في الخلوة بذكر او
بفكر وعلامة هولا انهم يحبون ان يزاروا ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين اليهم
واجتماعهم على بابه وطرقه وتقبيلهم يده على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه
هو الذي بغض اليه المخالطة وزيارة الناس لبغض اليه زيارتهم كما حكيناه عن الفضيل
حيث قال وهل جيتني الا لاتزين لك وتتزين لي وعن حاتم الاصم اذ قال للامير الذي زاره
حاجتي ان لا اراك ولا تراني فمن ليس مشغولا مع نفسه بذكر الله فاعتزاله عن الناس
سببه شدة اشتغاله بالناس لان قلبه متجرد للالتفات الى نظرهم اليه بعين الوقار

والاحترام والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه احدها ان التواضع والمخالطة لا تنقص
من منصب من هو كبير بعلمه او دينه اذ كان علي رضي الله عنه يحمل التمر والملح في ثوبه
وبيده ويقول لا ينقص الكامل من كماله ما جر من نفع الى عياله وكان ابو هريرة رضي
الله عنه وحذيفة وابي وابن مسعود رضي الله عنهم كانوا يحملون حزمة الحطب
وجراب الدقيق وغيره على اكتافهم وكان ابو هريرة وهو والي يحمل الحطب على
راسه ويقول اطرقوا لاميركم وكان سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام
يشتري الشي فيحمله الى بيته بنفسه فيقول صاحبه اعطني احمله فيقول صاحب الشي
احق بحمله وكان الحسين بن علي رضي الله عنهما يمر بالسوال وبين ايديهم كسيرات فيقولون
هلم الى الغدا يا ابن رسول الله فكان ينزل فيجلس على الطريق وياكل معهم ثم يركب ويقول
ان الله لا يحب المستكبرين الوجه الثاني ان الذي شغل نفسه بطلب رضى الناس عنه
وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لانه لو عرف حق المعرفة علم ان الخلق لا تغني عنه من الله
شيا وان ضرره ونفعه من الله فلا نافع ولا ضار سواه وان من طلب رضى الناس
ومحبتهم بسخط الله سخط الله عليه واسخط الناس عليه بل رضى الناس غاية
لا تنال فرضى الله اولى بالطلب ولذلك قال الشافعي ليونس بن عبد الاعلى
والله ما اقول لك الا نصحا انه ليس الى السلامة من الناس سبيل فانظر ما يصلحك
فافعله ولذلك قيل من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور ونظر سهل
الى واحد من اصحابه فقال اعمل كذا وكذا فقال يا استاذ لا اقدر عليه لاجل الناس فالتفت
الى اصحابه وقال لا ينال العبد حقيقة من هذا الامر حتى يكون باحد وصفين عبد يسقط
الناس من عينه فلا يرى في الدنيا الا خالقه وان احدا لا يقدر ان يضره وينفعه
وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي باي حال يرونه وقال الشافعي رضي الله عنه
ليس احد الا له محب ومبغض فاذا كان كذلك فكن مع اهل طاعة الله وقيل
للحسن يا ابا سعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الا تتبع سقطات
كلامك وتعنيتك في السوال فتبسم وقال هون على نفسك فاني حدثت نفسي بسكنى
الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس فاني
علمت ان خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم وقال موسى عليه
الصلاة والسلام يا رب احبس عني السنة الناس فقال هذا شي لم افعله لنفسي
فكيف

فكيف افعل بك واوحى الله تعالى الى عزير ان لم تطب نفسا بان اجعلك علكا في
افواه الماضغين فلست من المتواضعين فاذا من حبس نفسه في البيت لتحسين
اعتقادات الناس فيه واقوالهم فيه فهو في عناء حاضر في الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر
لو كانوا يعلمون فاذا لا تستحب العزلة الا للمستغرق الاوقات بربه ذكرا وفكرا وعبادة
وعلما بحيث لو خالط الناس لضاعت اوقاته وكثرت افاته ولتشوشت عليه عباداته
فهذه غوائل خفية في اختيار العزلة ينبغي ان تتقى فانها مهلكات في صور منجيات
الفائدة السابعة التجارب فانها تستفاد من مخالطة الخلق ومجاري احوالهم :.
والعقل الغريزي ليس كافيا في مصالح احوال الدين والدنيا وانما تفيدها التجربة
والممارسة فلا خير في عزلة من لم تحنكه التجارب فالصبي اذا اعتزل بقي غمرا جاهلا بل
ينبغي ان يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج اليه من التجارب ويكفيه
ذلك ويحصل له بقية التجارب بسماع الاحوال فلا يحتاج الى المخالطة ومن اهم التجارب ان
يجرب نفسه واخلاقه وصفات باطنه وذلك لا يقدر عليه في الخلوة فان كل مجرب بالخلا
يسير وكل غضوب او حقود او حسود اذا خلى بنفسه ولم يترشح منه خبثه وهذه الصفات
مهلكات في انفسها يجب اماطتها او قهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحركها فمثال
القلب المشحون بهذه الخبائث مثال دمل ممتلي بالصديد والمدة وقد لا يحس صاحبه
بالمه ما لم يتحرك او يمسه غيره فان لم يكن له يد تمسه او عين تبصر بها صورته
ولم يكن معه من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل في نفسه واعتقد
فقده ولكن لو حركه محرك او اصابه مشرط حجام تفجر منه الصديد وفار فوران الشي
المختنق اذا حبس عن الاسترسال فكذلك القلب المشحون بالبخل والحقد والغضب
والحسد وسائر الاخلاق الذميمة انما يتفجر منه خبائثه اذا حرك وعن هذا
كان السالكون طريق الاخرة الطالبون لتزكية القلوب يجربون انفسهم فمن كان يستشعر
في نفسه كبرا كان يحمل قربة ماء على ظهره بين الناس او حزمة حطب على راسه ويتردد
في الاسواق ليجرب به نفسه فان غوائل النفس ومكائد الشيطان خفية قل من يتفطن
لها ولذلك حكي عن بعضهم انه قال اعدت صلاة ثلاثين سنة مع اني كنت اصليها في
الصف الاول ولكن تخلفت يوما بعذر فما وجدت موضعا في الصف الاول فوقفت
في الصف الثاني فوجدت نفسي تستشعر خجلة من نظر الناس الي ورؤيتهم اياي في
زمرة السابقين الى الخير فالمخالطة لها فائدة ظاهرة في استخراج الخبائث واظهارها

ولذلك قيل السفر يسفر عن الاخلاق فانه نوع من المخالطة دائمة وسياتي غوائل
هذه المعاني ودقائقها في ربع المهلكات فان الجهل بها يحبط العمل الكثير وبالعلم
بها يزكو العمل القليل ولولا ذلك لما فضل العلم على العمل اذ يستحيل ان يكون العلم
بالصلاة ولا يراد الا للصلاة افضل من الصلاة فانا نعلم انما يراد لغيره فذلك الغير
اشرف منه وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد حتى قال عليه الصلاة والسلام
فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فمعنى تفضيل العلم يرجع الى
ثلاثة اوجه احدها ما ذكرناه والثاني عموم نفعه اذ يتعدى فائدته والعمل لا يتعدى
والثالث ان يراد به العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله فذلك افضل من كل عمل بل مقصود
الاعمال صرف القلوب عن الخلق الى الخالق لينبعث بعد الانصراف اليه لمعرفته
ومحبته فالعمل وعلم العمل يراد لهذا العلم وهذا العلم غاية المريدين والعمل كالشرط
واليه الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فالكلم الطيب
هو سر هذا العلم والعمل كالحمال الرافع له الى مقصده فيكون المرفوع افضل من الرافع
وهذا الكلام معترض لا يليق بهذا الكلام فلنرجع الى المقصود ونقول اذا عرفت فوائد
العزلة وغوائلها تحققت ان الحكم عليها مطلقا نفيا واثباتا خطا بل ينبغي ان ينظر
الى الشخص وحاله والى الخليط وحاله والى الباعث الى مخالطته والى الفائت بسبب
مخالطته من هذه الفوائد المذكورة ويقاس الفائت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق
ويتضح الافضل وكلام الشافعي هو فصل الخطاب اذ قال يا يونس الانقباض عن الناس
مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط
فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالاحوال وبملاحظة الفوائد والآفات
من الافضل هذا هو الحق الصراح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وانما هو اخبار كل واحد
عن حالة خاصة هو فيها فلا يجوز ان يحكم بها على غيره المخالف له في الحال والفرق بين العالم
والصوفي في ظاهر العلم يرجع الى هذا وهو ان الصوفي لا يتكلم الا عن حاله فلا جرم تختلف
اجوبتهم في المسائل والعالم هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر الى حال نفسه فيكشف
الحق فيه وذلك مما لا يختلف فيه فان الحق واحد ابدا والقاصر عن الحق كثير لا ينحصر ولذلك
سئل الصوفية عن الفقر فما من واحد الا واجاب بجواب آخر وكل ذلك حق بالاضافة الى
حاله وليس بحق في نفسه اذ الحق لا يكون الا واحدا ولذلك قال ابو عبد الله الجلاء وقد سئل
عن الفقر فقال اضرب بكمك الحائط وقل ربي الله فهو الفقر وقال الجنيد الفقير هو الذي

بالتصيد

لا يسال

لا يسأل فلا يعارض وان عورض سكت وقال سهل بن عبد الله الفقير الذي لا يسال ولا يدخر
وقال اخر هو ان لا تكون لك فاذا كان لك لا يكون لك من حيث لم يكن لك وقال ابراهيم الخواص هو ترك
الشكوى واظهار اثر البلوى والمقصود انه لو سيل منهم مائة لسمع منهم مائة جواب مختلف قل
ما اتفق منها اثنان وذلك كله حق من وجه فانه خبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه ولذلك
لا ترى اثنين منهم يثبت احدهما لصاحبه قدما في التصوف او يثني عليه بل كل واحد يدعي انه
الواصل الى الحق والواقف عليه لان اكثر ترددهم على الاحوال التي تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون الا
بانفسهم ولا يلتفتون الى غيرهم ونور العلم اذا اشرق احاط بالكل وكشف الغطا ورفع
الاختلاف ومثال نظرهم ما رايته من نظر قوم في ادلة الزوال بالنظر في الظل فقال بعضهم
هو في الصيف قدمان وحكي عن اخر انه نصف قدم واخر يرد عليه وانه في الشتا سبعة اقدام
وحكي عن اخر انه خمسة اقدام واخر يرد عليه فهذا يشبه اجوبة الصوفية
واختلافهم فان كل واحد منهم اخبر عن الظل الذي راه ببلد نفسه
فصدق في قوله واخطا في تخطيته صاحبه اذ ظن ان العالم كله بلدة واحدة
او مثل بلده كما ان الصوفي لا يحكم على العالم الا بما حال نفسه والعالم بالزوال
هو الذي يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه في البلاد فيخبر باحكام
مختلفة في بلاد مختلفة وينفي في بعضها الظل وفي بعضها يطول وفي بعضها
يقصر فهذا ما اردنا ان نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة فان قلت
فمن اثر العزلة وراها افضل له واسلم فما ادابه في العزلة فنقول انما يطول
النظر في اداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب اداب الصحبة واما اداب العزلة
فلا تطول فينبغي للمعتزل ان ينوي بعزلته كف شره عن الناس اولا ثم طلب
السلامة عن شر الاشرار ثانيا ثم الخلاص من افة القصور عن القيام بحقوق
المسلمين ثالثا ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعا فهذه اداب نيته
ثم ليكن في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتني ثمرة العزلة
وليمنع الناس عن ان يكثروا غشيانه وزيارته فيتشوش اكثر وقته وليكف
عن السوال عن اخبارهم وعن الاصغا الى اراجيف البلد وعما الناس مشغولون
به فان ذلك ينغرس في القلب حتى ينبعث في اثنا الصلوة او الفكر من
حيث لا يحتسب فوقوع الاخبار في السمع كوقوع البذر في الارض فلا
بد ان ينبت ويتفرع عروقها واغصانها ويتداعى بعضها الى بعض والعكس

مهمات المعاملة وقطع الوساوس الصارفة عن ذكر الله تعالى والاخبار ينابيع
الوساوس واصولها وليقنع باليسير من المعيشة والا اضطره التوسع
الى الناس واحتاج الى مخالطتهم وليكن صبورا على ما يلقاه من اذى الجيران
وليسد سمعه عن الاصغا الى ما يقال فيه من ثنا عليه بالعزلة او قدح فيه
بترك الخلطة فان كل ذلك يوثر في القلب ولو مدة يسيرة وحال اشتغال
القلب به لا بد ان يكون واقفا عن سيره في طريق الاخرة فان السير اما بالمواظبة
على ورد وذكر مع حضور القلب واما بالفكر في جلال الله وصفاته وافعاله
وملكوت سماواته واما بالتامل في دقايق الاعمال ومفسدات القلوب
وطلب طرق التحصن منها وكل ذلك يستدعي الفراغ والاصغا الى جميع
ذلك مما يشوش القلب في الحال وقد يتجدد ذكره في دوام الذكر من حيث
لا ينتظر وليكن له اهل صالحة او جليس صالح لتستريح نفسه في اليوم ساعة
عن كد المواظبة ففيه عون على بقية الساعات ولا يتم له الصبر في العزلة الا
بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه ولا ينقطع طمعه الا بقصر الامل
بان لا يقدر لنفسه عمرا طويلا بل يصبح على انه لا يمسي ويمسي على انه لا يصبح
فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر
تراخي الاجل وليكن كثير التفكر بخلوته ووحدة القبر مهما ضاق قلبه عن الوحدة
وليتحقق ان من لم يحصل في قلبه من ذكر الله تعالى ومعرفته ما يانس به فلا يطيق
وحشة الوحدة بعد الموت وان من انس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت انسه
اذ لا يهدم الموت محل الانس والمعرفة بل يبقى حيا بمعرفته وانسه فرحا
بفضل الله عليه كما قال الله تعالى في الشهدا اذ قال ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله
وكل متجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيد مهما ادركه الموت فالمجاهد من
جاهد نفسه وهواه كما صرح النبي صلى الله عليه وسلم والجهاد الاكبر جهاد
النفس كما قال الصحابة رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر

هذا اخر كتاب العزلة والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد واله
وصحبه وسلم يتلوه ان شا
الله تعالى كتاب اداب السفر

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم **كتاب اداب السفر** الحمد لله الذي
فتح بصائر اوليائه بالحكم والعبر واستخلص همهم بمشاهدة عجائب
صنعه في الحضر والسفر فاصبحوا راضين لمجاري القدر منزهين قلوبهم
عن التلفت الى متنزهات البصر الا على سبيل الاعتبار بما يسبح في مسارح
النظر ومجاري الفكر فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو
والحضر والصلاة والسلام على محمد خير البشر وعلى اله واصحابه المقتفين
لاثاره في الاخلاق والسير وسلم كثيرا **اما بعد** فان السفر وسيلة الى
الخلاص عن مهروب او الوصول الى مطلوبه والسفر سفران سفر بظاهر
البدن عن المستقر والوطن الى الصحاري والفلوات وسفر بسير القلب
عن اسفل السافلين الى ملكوت السموات واشرف السفرين السفر
بالباطن فان الواقف عن الحالة التي نشا عليها عقيب الولادة الجامد على ما تلقفه
بالتقليد من الاباء والاجداد لازم درجة القصور وقانع برتبة النقص ومستبدل
بمتسع فضاء جنة عرضها السموات والارض ظلمة السجن وضيق الحبس كما قيل :.
ولم ار في عيوب الناس عيبا :. كنقص القادرين على التمام الا ان هذا السفر مقتحمه
في خطر لم يستغن فيه عن دليل وخفير فاقتضى غموض السبيل وفقد الخفير
والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل اندراس مسالكه
وانقطع فيه الرفاق وخلى عن الطائفين متنزهات الانفس والملكوت والافاق
واليه دعا الله سبحانه بقوله سنريهم اياتنا في الافاق وبقوله وفي الارض ايات
للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وعلى القعود عن هذا السفر وقع الانكار بقوله
تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وبقوله تعالى وكاين
من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فمن يسر له هذا
السفر لم يزل في سيره متنزها في جنة عرضها السموات والارض وهو ساكن ومستقر
في الوطن وهو السفر الذي لا يضيق فيه المناهل والمولود ولا يضر فيه التزاحم والتوارد
بل تزيد بكثرة المسافرين غنائمه وتتضاعف ثمراته وفوائده فغنائمه دائمة غير
ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة الا اذا بدا للمسافر فترة في سفره ووقفة في
حركته فان الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا زاغوا ازاغ الله
قلوبهم وما الله بظلام للعبيد ولكنهم يظلمون انفسهم ومن لم يؤهل للجولان في هذا

الميدان والطواف في متنزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه
في مدة مديدة فراسخ معدودة مغتنما بها تجارة الدنيا وربح الاخرة
فان كان مطلبه العلم والدين والكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكي
سبيل الاخرة وكان له في سفره شروط وآداب ان اهملها كان من عمال الدنيا
واتباع الشيطان وان واظب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بعمال الاخرة
ونحن نذكر آدابه وشروطه في بابين الباب الاول في الآداب من اول النهوض
الى اخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان الفصل الاول في فوائد
السفر وفضله ونيته اعلم ان السفر نوع حركة ومخالطة وفيها فوائد وله
آفات كما ذكرناه في كتاب الصحبة والعزلة والفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب
او طلب فان المسافر اما ان يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد
يسافر اليه واما ان يكون له مقصد ومطلب والمهروب عنه اما امر له نكاية في
الامور الدنيوية كالطاعون والوباء اذا ظهر ببلد او خوف سببه فتنة وخصومة
او غلاء سعر وهو اما عام كما ذكرناه او خاص كمن يقصد باذية في بلد فيهرب منها
واما امر له نكاية في الدين كمن ابتلي في بلده بجاه او مال واتساع اسباب تصده
عن التجرد لله فيؤثر الغربة والخمول ويجتنب السعة والجاه او كمن يدعى الى بدعة
قهرا او الى ولاية عمل لا تحل مباشرته فيطلب الفرار منه واما المطلوب فهو اما
دنيوي كالمال والجاه او ديني والديني اما علم او عمل والعلم اما علم من العلوم الدينية
واما علم باخلاقه وصفاته على سبيل التجربة واما علم بآيات الارض وعجائبها كسفر
ذي القرنين وطوافه في نواحي الارض والعمل اما عبادة واما زيارة والعبادة كالحج هو
الحج والجهاد والزيارة ايضا من القربات وقد يقصد بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس
والثغور فان الرباط بها قربة وقد يقصد بها الاولياء والعلماء وهم اما موتى فتزار
قبورهم واما احياء فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر الى احوالهم قوة الرغبة
في الاقتداء بهم فهذه هي اقسام الاسفار ويخرج من هذه القسمة اقسام القسم الاول
السفر في طلب العلم وهو اما واجب او نفل وذلك بحسب كون العلم واجبا او نفلا
وذلك العلم اما علم بامور دينه او باخلاقه في نفسه او بآيات الله في ارضه وقد قال
عليه الصلاة والسلام من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله تعالى
حتى يرجع وفي خبر آخر من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا للجنة

وكان

وكان سعيد بن المسيب يسافر الايام في طلب الحديث الواحد وقال الشعبي
لو سافر رجل من الشام الى اقصى اليمن في كلمة تدل على هدى ما كان سفره ضايعا
ورحل [جابر بن] عبد الله من المدينة الى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا في حديث بلغه
عن عبد الله بن انيس الانصاري يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعوه
وقل ما يذكر في العلم محصل من زمان الصحابة الى زماننا الا وحصل العلم بالسفر وسافر
لاجله واما علمه بنفسه واخلاقه فذلك ايضا مهم فان طريق الاخرة لا يمكن سلوكها
الا بتحسين الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع على اسرار باطنه وخبايث صفاته لا يقدر
على تطهير القلب منها وانما السفر هو الذي يسفر عن الاخلاق ولذلك قال عمر للذي
كان يعرف بعض الشهود هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق
فقال لا فقال ما اراك تعرفه وكان بشر يقول يا معاشر القرا سيحوا تطيبوا فان الما
اذا كثر مقامه في موضع تغير والجملة فالنفس في الوطن مع مواتاة الاسباب لا تظهر
خبايث اخلاقها لاستيناسها بما يوافق طبعها من المالوفات المعهودة فاذا حملت
وعثا السفر وصرفت عن مالوفاتها المعتادة وامتحنت بمشاق الغربة انكشفت غوايلها
ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها وقد ذكرنا في كتاب العزلة فوايد
المخالطة والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق واما ايات الله في ارضه
ففي مشاهدتها فوايد للمستبصر ففيها قطع متجاورات وفيها الجبال والبراري
والبحار وانواع الحيوان والنبات وما من شي منها الا وهو شاهد لله بالوحدانية ومسبح
له بلسان ذلق لا يدركه الا من القى السمع وهو شهيد واما الجاحدون والغافلون
والمغترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فانهم لا يبصرون ولا يسمعون لانهم عن
السمع لمعزولون وعن ايات ربهم لمحجوبون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم
عن الاخرة هم غافلون وما اريد بالسمع السمع الظاهر فان الذين اريدوا به
ما كانوا معزولين عنه وانما اريد به السمع الباطن فيدرك بالسمع الظاهر الاصوات
ويشارك فيه الانسان ساير الحيوانات فاما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال
وهو نطق وراء النطق بالمقال يشبه قول القايل حكاية لكلام الوتد والحايط قال
الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فلم يتركني ورا الحجر الذي ورائي وما
من ذرة في السموات والارض الا ولها انواع شهادات لله بالوحدانية هو توحيدها
وانواع شهادات لصانعها بالتقديس هو تسبيحها ولكن لا تفقهون تسبيحهم

لانهم لم يسافروا وأمن محض سمع الظاهر الى فهم سمع الباطن ومن ذكائه لسان
المقال الى فصاحة لسان الحال ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السمع لما كان
سليمان عليه الصلاة والسلام مختصا بفهم منطق الطير ولما كان موسى
عليه الصلاة والسلام مختصا بسمع كلام الله الذي يجب تقديسه عن مشابهة
الحروف والاصوات ومن يسافر ليستقرئ هذه الشهادات من الاسطر المكتوبة
بالخطوط الالهية على صفحات الجمادات لم يطل سفره بالبدن بل يستقر في موضع
ويفرغ قلبه للتمتع بسماع نغمات التسبيحات من آحاد الذرات فما له وللتردد في
الفلوات وله غنية في ملكوت السموات كالشمس والقمر والنجوم مسخرات وهي
التي لابصار ذوي البصائر مسافرات في الشهر والسنة مرات بل هي دائبة في الحركة
على توالي الاوقات فمن الغرائب ان يدأب في الطواف بآحاد المساجد من امرت الكعبة
ان تطوف في اقطار السماء والارض ثم ما دام المسافر مفتقرا الى ان يبصر عالم الملك
والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد في المنزل الاول من منازل السائرين الى
الله سبحانه وتعالى والمسافر الى حضرته وكانه معتكف على باب الوطن لم يفض به
السير الى متسع الفضاء ولا سبب لطول المقام في هذا المنزل الا الجبن والقصور
ولذلك قال بعض ارباب القلوب ان الناس ليقولون افتحوا اعينكم حتى تبصروا
وكل واحد من القولين حق الا ان الاول خبر من المنزل الاول القريب من الوطن والثاني
خبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التي لا يطأها الا مخاطر بنفسه والمجاوز
اليها ربما يتيه فيها سنين وربما ياخذ التوفيق بيده فيرشده الى سواء السبيل
والهالكون في التيه هم الاكثرون من ركاب هذه الطرق ولكن السالكين
بنور التوفيق فازوا بالنعيم والملك المقيم وهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى واعتبر
هذا الملك بملك الدنيا فانه يقل بالاضافة الى كثرة الخلق طلابه ومهما عظم المطلوب قل
المساعد ثم الذي يهلك اكثر من الذي يملك ولا يتصدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظم
الخطر وطول التعب كما قيل وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام
وما اودع الله العز والملك في الدين والدنيا الا في حيز الخطر وقد يسمى الجبن
والقصور باسم الحزم والحذر يرى الجبناء ان الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم
فهذا حكم السفر الظاهر اذا اريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الارض فلنرجع
الى الغرض الذي قصدناه ولنبين القسم الثاني وهو ان يسافر لاجل العبادة اما لجهاد

او حج

او حج وقد ذكرنا فضل ذلك واداته واعماله الظاهرة والباطنة في كتاب اسرار الحج:
ويدخل في جملته زيارة قبور الانبيا وزيارة قبور الصحابة والتابعين وساير العلما والاوليا
وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض
ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاث مساجد مسجدي هذا
والمسجد الاقصى والمسجد لان ذلك في المساجد لانها متماثلة بعد هذه المساجد والا فلا
فرق بين زيارة قبور الانبيا والعلما والاوليا في اصل الفضل وان كان
يتفاوت في الدرجات تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله
وبالجملة زيارة الاحيا اولى من زيارة الاموات والفايدة من زيارة
الاحيا طلب الدعا وبركة النظر فان النظر الى وجه العلما والصلحا
عبادة وفيه ايضا حركة الرغبة في الاقتدا بهم والتخلق باخلاقهم
وادابهم هذا سوى ما ينتظر من الفوايد العلمية المستفادة من انفاسهم
وافعالهم كيف ومجرد زيارة الاخوان في الله فيه فضل كما ذكرناه في كتاب
الصحبة وفي التورية سر اربعة اميال زر اخا في الله واما البقاع فلا
معنى لزيارتها سوى المساجد الثلاثة وسوى الثغور للرباط بها
فالحديث ظاهر في انه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع الا للمساجد
الثلاث وقد ذكرنا فضايل الحرمين في كتاب الحج وبيت المقدس
ايضا له فضل كبير خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المدينة قاصدا
بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعا من الغد
الى المدينة وقد سال سليمان ربه عز وجل ان من قصد هذا المسجد
لا يعنيه الا الصلاة فيه ان لا تصرف نظرك عنه ما دام مقيما فيه
حتى يخرج منه وان تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته امه فاعطاه الله
ذلك القسم الثالث ان يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين
وذلك ايضا حسن فالفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين ومما
يجب الهرب منه الولاية والجاه وكثرة العلايق والاسباب فان ذلك
يشوش فراغ القلب والدين لا يتم الا بقلب فارغ عن غير الله فان
لم يتم فراغه فبقدر فراغه يتصور ان يشتغل بالدين ولا يتصور
فراغ القلب في الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية ولكن

بتصور تحقيقها وتغليبها وقد نجا المخفون وهلك المثقلون والحمد لله
الذي لم يعلق النجاة بالفراغ المطلق عن جميع الاوزار والاعباء بل قبل
المخف بفضله وشمله بسعة رحمته والمخف هو الذي ليس الدنيا اكبر همه
وذلك لا يتيسر في الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علايقه فلا يتم مقصوده
الا بالغربة والخمول وقطع العلايق التي لا بد منها حتى يروض نفسه مدة
ثم ربما يمده الله تعالى بمعونته فينعم عليه بما يقوي به نفسه ويطمئن به قلبه
فيستوي عنده الحضر والسفر ويتقارب عنده وجود الاسباب والعلايق
وعدمها فلا يصده شي منها عما هو بصدده من ذكر الله وذلك مما يعز
وجوده جدا بل الغالب على القلوب الضعف والقصور عن الاتساع للخلق
والخالق وانما يسعد بهذه القوة الانبيا والاوليا والوصول اليها بالكسب
شديد وان كان للاجتهاد والكسب فيه مدخل ايضا ومثال تفاوت القوة
الباطنة فيه تفاوت القوة الظاهرة في الاعضا فرب رجل قوي ذي مرة
سوي مشتد الاعضا محكم البنية يستقل بحمل ما وزنه الف رطل مثلا
فلو اراد الضعيف المريض ان ينال رتبته بممارسة الحمل والتدريج فيه قليلا
قليلا لم يقدر عليه ولكن الممارسة والجهد تزيد في قوته زيادة ما وان كان
لا تبلغه درجته فلا ينبغي ان يترك الجهد عند الياس عن الرتبة العليا فان
ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال وقد كان من عادة السلف مفارقة
الوطن خيفة من الفتن قال سفيان الثوري هذا زمان سو لا يومن فيه
على الخامل فكيف على المشهورين هذا زمان ينتقل الرجل من بلد الى بلد
كلما عرف بموضع تحول الى غيره وقال ابو نعيم رايت سفيان الثوري
وقد علق قلته بيده ووضع جرابه على ظهره فقلت الى اين يا ابا عبد الله
فقال قد بلغني عن قرية فيها رخص فاقيم بها فانه اسلم لديني واقل لهمي
وهذا هرب من غلا السعر وكان سري السقطي يقول للصوفية اذا خرج
الشتا فقد خرج اذار واورقت الاشجار وطاب الانتشار فانتشروا
وكان الخواص لا يقيم في بلد اكثر من عشرين يوما وكان من المتوكلين
ويرى الاقامة اعتمادا على الاسباب قادحا في التوكل وسياتي اسرار الا
عتماد على الاسباب في كتاب التوكل القسم الرابع السفر هربا مما يقدح

في البدن

في البدن كالطاعون والمال كغلا السعر او ما يجري مجراه ولا حرج في ذلك
بل ربما يجب الفرار من بعض المواضع وربما يستحب في بعض بحسب وجوب
ما يترتب عليه من الفوايد واستحبابه ولكن يستثنى عنه فلا ينبغي ان يفر
منه لوروده النهي فيه قال اسامة بن زيد رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه
وسلم ان هذا الوجع او السقم رجز عذبت به بعض الامم قبلكم ثم بقي
بعد في الارض فيذهب المرة ويأتي الاخرى فمن سمع به في ارض فلا يقد
من عليه ومن وقع بارض وهو بها فلا يخرجنه الفرار منه وقالت عايشه
رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فنا امتي بالطعن والطاعون
فقلت الطعن قد عرفناه فما الطاعون قال غدة مثل غدة البعير تاخذهم في اجوافهم المسلم
الميت منه شهيد والمقيم عليه المحتسب كالمرابط في سبيل الله تعالى والفار منه كالفار
من الزحف وعن مكحول عن ام ايمن قالت اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض اهله لا تشرك
بالله شيا وان خوفت او عذبت واطع والديك وان امراك ان تخرج من كل شي هو لك فاخرج منه
ولا تترك الصلاة عمدا فانه من ترك الصلاة عمدا فقد بريت منه ذمة الله اياك والخمر فانها مفتاح
كل شر اياك والمعصية فانها تسخط الله لا تفر من الزحف وان اصاب الناس موتان
وانت فيهم فاثبت فيهم انفق من طولك على اهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم اخفهم بالله
الاحاديث تدل على ان الفرار من الطاعون منهي عنه وكذا القدوم عليه وسياتي شرح ذلك
في كتاب التوكل فهذه اقسام الاسفار وقد خرج منه ان السفر ينقسم الى محمود ومذموم
والى مباح والمذموم ينقسم الى حرام كاباق العبد وسفر العاق والى مكروه كالخروج من
بلد الطاعون والمحمود ينقسم الى واجب كالحج وطلب العلم الذي هو فريضة على كل مسلم
والى مندوب اليه كزيارة العلما وزيارة مشاهدهم ومن هذه الاسباب تبين النية
في السفر فان معنى النية الانبعاث للسبب الباعث والانتهاض لاجابة الداعية ولتكن
نية الاخرة في جميع اسفاره وذلك ظاهر في الواجب والمندوب ومحال في المكروه والمحظور
واما المباح فمهما كان قصده بطلب المال مثلا التعفف عن السوال ورعاية ستر المروة
على الاهل والعيال والتصدق بما فضل من مبلغ الحاجة صار هذا المباح بهذه
النية من اعمال الاخرة ولو خرج الى الحج وباعثه الريا والسمعة خرج عن كونه من
اعمال الاخرة فقوله عليه الصلاة والسلام الاعمال بالنيات عام في الواجبات والمباحات
دون المحظورات فان النية لا تؤثر في اخراجها عن كونها محظورة وقد قال بعض السلف

ان الله قد وكل بالمسافرين ملايكة ينظرون الى مقاصدهم فيعطي كل واحد على نحو نيته
فمن كانت نيته الدنيا اعطي منها ونقص من اخرته اضعافه وفرق عليه همه وكثر بالحرص
والرغبة شغله ومن كانت نيته الاخرة اعطي من البصيرة والفطنة وفتح له من التذكرة
والعبرة بقدر نيته وجمع له همه ودعت له الملايكة واستغفرت واما النظر في ان السفر
هو الافضل او الاقامة فذلك يضاهي النظر في ان الافضل هو العزلة او المخالطة وقد ذكرنا منهاجه
في كتاب العزلة فليفهم هذا منه فان السفر نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة تفرق
الهم وتشتت القلب في حق الاكثرين والافضل ما هو الاعون على الدين ونهاية
ثمرة الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله وتحصيل الانس بذكر الله والانس يحصل بدوام
الذكر والمعرفة ومن لم يتعلم طريق الذكر والفكر لم يتمكن منهما والسفر هو المعين
على التعليم والاقامة هي المعينة على العمل بالعلم في الانتها واما السياحة في الارض
على الدوام فمن المشوشات للقلب الا في حق الاقويا فان المسافر وماله لعلى قلت الا ما وقى
الله فلا يزال المسافر مشغول القلب تارة بالخوف على نفسه وماله وتارة بمفارقة ما الفه
واعتاده في اقامته وان لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع والاستشراف الى الخلق
فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر وتارة يقوى باستحكام اسباب الطمع ثم شغل الحط
والترحال مشوش لجميع الاحوال فلا ينبغي ان يسافر المريد الا في طلب علم او مشاهدة
شيخ يقتدى به في سيرته ويستفيد الرغبة في الخير من مشاهدته فان اشتغل بنفسه
واستبصر وانفتح له طريق الفكر والعمل فالسكون اولى به الا ان اكثر متصوفة هذه الاعصار
لما خلت بواطنهم عن لطايف الافكار ودقايق الاعمال ولم يحصل لهم انس بالله تعالى وبذكره
في الخلوة وكانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين قد الفوا البطالة واستثقلوا العمل
واستوعروا طريق الكسب واستلانوا جانب السوال والكدية واستطابوا الرباطات
المبنية لهم في البلاد واستسخروا الخدم المنتصبين للقيام بخدمة القوم واستخفوا
عقولهم واديانهم من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة الا الريا والسمعة وانتشار الصيت واقتناص
الاموال بطريق السوال تعللا بكثرة الاتباع فلم يكن في الخانقاه حكم نافذ ولا تاديب
للمسافرين نافع ولا حجر عليهم قاهر فلبسوا المرقعات واتخذوا في الخانقاه هيات
متنزهات وربما تلقفوا الفاظا مزخرفة من الطامات فينظرون الى انفسهم وقد تشبهوا
بالقوم في خرقتهم وفي سياحتهم وفي لفظهم وعبارتهم وفي اداب ظاهرة من سيرتهم فيظنون
بانفسهم خيرا ويحسبون ان كل سودا تمرة ويتوهمون ان المشاركة في الظواهر توجب المساهمة
في الحقايق

في الخوانق فيما اعتقده من لا يميز بين الشحم والورم فيها ولا يبغضها الله تعالى فان الله
يبغض الشاب الفارغ ولم يحملهم على السياحة الا الشباب والفراغ الا من سافر لحج
وعمرة في غير ريا ولا سمعة او سافر لمشاهدة شيخ يقتدى به في علمه وسيرته وقد خلت
البلاد عنه الان والامور الدينية كلها قد فسدت وضعفت الا ان التصوف فانه قد انمحق
بالكلية وبطل لان العلوم لم تندرس بعد والعالم وان كان عالم سوء فانما فساده في
سيرته لا في علمه فيبقى عالما غير عامل بعلمه والعمل غير العلم واما التصوف فانه عبارة عن تجرد القلب
لله تعالى واستحقار ما سوى الله وحاصله يرجع الى عمل القلب والجوارح ومهما فسد
العمل فات الاصل وفي اسفارهم ولا نظر للفقهاء من حيث انه اتعاب نفس بلا فائدة وقد
يقال ان ذلك ممنوع ولكن الصواب عندنا ان نحكم بالاباحة فان حظوظهم التفرج عن
كرب البطالة في مشاهدة هذه البلاد المختلفة وهذه الحظوظ وان كانت خسيسة فنفوس
المتحركين ايضا بهذه الحظوظ خسيسة ولا باس باتعاب حيوان خسيس لحظ خسيس يليق
به ويعود اليه فهو المتأذي وهو المتلذذ والفتوى تقتضي تحسيس العوام في المباحات التي
لا نفع فيها ولا ضر فالسائحون من غير مهم في الدين والدنيا بل لمحض التفرج في البلاد كالبهائم
المترددين في الصحارى فلا باس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ولم يلبسوا على الخلق
حالهم وانما عصيانهم في التلبيس والسؤال على اسم التصوف والاكل من الاوقاف التي وقفت
على الصوفية لان الصوفي عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات اخرى وراء الصلاح
ومن اقل احوالهم الا ياكلوا اموال السلاطين فلا تبقى معه العدالة والصلاح ولو تصور صوفي
فاسق لتصور صوفي كافر وفقيه يهودي وانما الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص والصوفي عبارة
عن عدل مخصوص لا يقتصر في دينه على القدر الذي يحصل به العدالة ولذلك من نظر الى ظواهرهم
ولم يعرف بواطنهم واعطاهم من ماله على سبيل التقرب الى الله حرم عليهم الاخذ وكان
سحتا واعني به اذا كان المعطي بحيث لو عرف بواطن احوالهم لما اعطاهم واخذ المال باظهار التصوف
من غير اتصاف بحقيقته كاخذه باظهار نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى
ومن زعم انه علوي وهو كاذب فاعطاه مسلم مالا لحب اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولو علم انه كاذب لم يعطه فاخذه عليه حرام وكذلك الصوفي ولهذا احترز المحتاطون عن
الاكل بالدين فان المبالغ في الاحتياط لدينه لا ينفك في باطنه عن عورات لو انكشفت للراغب
في مواساته لفترت رغبته عن المواساة فلا جرم كانوا يشترون شيئا بانفسهم مخافة ان يسامحوا
لاجل دينهم فيكونوا اكلين بالدين وكانوا يوكلون ويشترطون على الوكيل ان لا يظهر انه لمن يشتري

نعم إنما يحل أخذ ما يعطى لأجل الدين إذا كان الآخذ بحيث لو علم المعطي من باطنه ما يعلمه الله
لم يقتض ذلك فتور رأيه والعاقل المنصف يعلم من نفسه أن ذلك ممتنع أو عزيز والمغرور
الجاهل بنفسه أحرى بأن يكون جاهلا بأمور دينه فإن أقرب الأشياء إليه قلبه فإذا التبس
عليه أمر قلبه فكيف ينكشف له غيره ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لا محالة أن لا يأكل
إلا من كسبه ليأمن هذه الغائلة أو لا يأكل إلا من مال من يعلم قطعا أنه لو انكشفت له عورات
باطنه لم يمنعه ذلك عن مواساته فإن اضطر طالب الحلال ومريد طريق الآخرة إلى أخذ مال
غيره فليصرح له وليقل إنك إن كنت تعطيني لما تعتقده في الدين فلست مستحقا لذلك
ولو كشف الله سترك لم ترني بعين التوقير بل اعتقدت بل اعتقدت أني شر الخلق أو من شرارهم
فإن أعطاه مع ذلك فليأخذ فإنه ربما يرضى منه هذه الخصلة وهو اعترافه على نفسه بركاكة
الدين وعدم استحقاقه لما يأخذه ولكن ههنا مكيدة للنفس ومخادعة فليتفطن لها وهو
أنه قد يقول ذلك مظهرا أنه متشبه بالصالحين في ذمهم نفوسهم واستحقارهم لها
ونظرهم إليها بعين المقت والازدراء فيكون صورة الكلام صورة القدح والازدراء
وباطنه وروحه هو المدح والإطراء فكم من ذام نفسه وهو لها مادح بعين ذمه فذم النفس
في الخلوة مع النفس هو المحمود فأما الذم في الملأ فهو عين الرياء إلا إذا أورده إيرادا يحصل
للمستمع يقينا بأنه مقترف للذنوب ومعترف بذلك بما يمكن تفهيمه بقرائن الأحوال.
والصادق بينه وبين الله يعلم أن مخادعته لله ومخادعته لنفسه محال فلا يتعذر عليه
الاحتراز عن أمثال ذلك فهذا هو القول في أقسام السفر ونية المسافر وفضيلته

الفصل الثاني في آداب المسافر من أول نهوضه إلى آخر رجوعه وهي إحدى عشرة الأولى
أن يبدأ برد المظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته ويرد الودائع إن
كانت عنده ولا يأخذ لزاده إلا الطيب الحلال وليأخذ قدرا يوسع به على رفقائه قال ابن
عمر رضي الله عنهما من كرم الرجل طيب زاده في السفر ولا بد في السفر من طيب الكلام وإطعام
الطعام ومن إظهار مكارم الأخلاق فإن السفر يظهر خبايا الباطن ومن يصلح لصحبة
السفر يصلح لصحبة الحضر وقد يصلح في الحضر من لا يصلح في السفر ولذلك قيل إذا أثنى على الرجل
معاملوه في الحضر ورفقاؤه في السفر فلا تشكوا في صلاحه والسفر أسباب الضجر ومن
أحسن خلقه في الضجر فهو الحسن الخلق وإلا فعند مساعدة الأمور على وفق الغرض قل
ما يظهر سوء الخلق وقد قيل ثلاث لا يلامون على الضجر الصائم والمريض والمسافر وتمام خلق
المسافر بالإحسان إلى المكاري ومعاونة الرفقة بكل ممكن وبالرفق بكل منقطع بأن لا يجاوزه

إلا بإعانة

الا باعانة من مركوب او زاد او يوقف لاجله وتمام ذلك مع الرفقا بمزاح ومطايبة في بعض
الاوقات من غير فحش ومعصية ليكون ذلك شفا لضجر السفر ومشاقه الثالثة
ان يختار رفيقا ولا يخرج وحده فالرفيق ثم الطريق وليكن رفيقه ممن يعينه على
الدين فيذكره اذا نسي ويعينه ويساعده اذا ذكر فان المرء على دين خليله ولا يعرف
الرجل الا برفيقه وقد نهى عليه الصلاة والسلام ان يسافر الرجل وحده وقال الثلاثة
ركب وقال اذا كنتم ثلاثة في سفر فامروا احدكم وكانوا يفعلون ذلك ويقولون هذا امير
امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليومروا احسنهم اخلاقا وارفقهم بالاصحاب
واسرعهم الى الايثار وطلب الموافقة وانما يحتاج الى الامير لان الارا تختلف في تعيين المنازل
والطرق ومصالح السفر ولا نظام الا في الوحدة ولا فساد الا في الكثرة وانما انتظم امر
العالم لان مدبر الكل واحد ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ومهما كان المدبر واحدا
انتظم التدبير واذا كثرت المدبرون فسدت الامور في الحضر والسفر الا ان مواطن
الاقامة لا تخلو عن امير عام كامير البلد وعن امير خاص كرب الدار واما السفر فلا
يتعين له امير الا بالتامير فلهذا وجب التامير ليجمع شتات الارا ثم على الامير ان لا
ينظر الا لمصلحة القوم وان يجعل نفسه وقاية لهم كما نقل عن عبد الله
المروزي انه صحبه ابو علي الرباطي فقال على ان تكون انت الامير ام انا
فقال بل انت فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولابي علي على ظهره وامطرت
السما ليلة فقام عبد الله طول الليل على راس رفيقه وفي يده كسا يمنع
المطر منه فكلما قال له عبد الله لا تفعل يقول الم تقل ان الامارة مسلمة
لي فلا تتحكم علي ولا ترجع عن قولك حتى قال ابو علي وددت اني لو مت ولم اقل
له انت الامير فهكذا ينبغي ان يكون الامير وقد قال صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب
اربعة وتخصيص الاربعة من بين سائر الاعداد لا بد وان يكون له فائدة
والذي ينقدح فيه ان المسافر لا يخلو عن رحل يحتاج الى حفظه وعن حاجة
يحتاج الى التردد فيها ولو كانوا ثلاثة لكان المتردد في الحاجة واحدا فيتردد في السفر
بلا رفيق فلا يخلو عن خطر وعن ضيق قلب لفقد انس الرفيق ولو تردد
في الحاجة اثنان كان الحافظ للرحل وحده فلا يخلو عن الخطر وعن ضيق
القلب فما دون الاربعة لا يفي بالمقصود وما فوق الاربعة يزيد فلا
يجمعهم رابطة واحدة فلا ينعقد بينهم الترافق لان الخامس زيادة

بعد الحاجة ومن يستغنى عنه لا ينصرف في الجملة الا به ولا يتم الموافقة معه نعم
نعم في كثرة الرفاق فايدة الامن من التخاوف ولكن الاربعة خير للرفاقة الخاصة
هذا لا للرفاقة العامة وكم من رفيق في الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلم ولا
يخالط الى اخر الطريق للاستغنا عنه السابعة ان يودع رفقا الحضر
والاهل والاصدقا وليدع عند الوداع بدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بعضهم صحبت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من مكة الى المدينة فلما اردنا ان
افارقه شيعني وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال لقمان
ان الله تعالى اذا استودع شيا حفظه واني استودع الله دينك وامانتك وخواتيم
عملك وروى زيد بن ارقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اراد احدكم
سفرا فليودع اخوانه فان الله تعالى جاعل له في دعايهم البركة وعن عمرو بن
شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ودع رجلا قال
زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث توجهت فهذا دعا المقيم
المودع وقال موسى بن وردان اتيت ابا هريرة اودعه لسفر اردته فقال
الا اعلمك يا ابن اخي شيا علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الوداع
فقلت بلى قال قل استودعك الله الذي لا تضيع ودايعه وعن انس بن
مالك ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اني اريد سفرا فاوصني فقال
له في حفظ الله وفي كنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير
حيث كنت او اين ما كنت شك فيه الراوي وينبغي اذا استودع الله
ما يخلفه ان يستودع الجميع ولا يخصص فقد روي ان عمر رضي الله عنه كان
يعطي الناس عطاياهم اذ جاءه رجل معه ابن له فقال له عمر ما رايت احدا
اشبه باحد من هذا بك فقال الرجل احدثك عنه يا امير المومنين بامر اردت
ان اخرج الى سفر وامه حامل به فقالت تخرج وتدعني على هذه الحالة فقلت
استودع الله ما في بطنك فخرجت ثم قدمت فاذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث
فاذا نار على قبرها فقلت للقوم ما هذه فقالوا هذه من قبر فلانة نراها
كل ليلة فقلت والله انها لكانت صوامة قوامة فاخذت المعول حتى انتهينا
الى القبر فحفرنا فاذا بسراج واذا هذا الغلام يدب فقيل ان هذه وديعتك
ولو كنت استودعت امه لوجدتها فقال عمر رضي الله عنه لهو اشبه بك من الغراب
بالغراب

بالغراب الرابع ان يصلي قبل السفر صلاة الاستخارة كما وصفناها
في كتاب الصلاة ووقت الخروج يصلي لاجل السفر فقد روى انس بن مالك
رضي الله عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني نذرت سفرا وقد
كتبت وصيتي فالى اي الثلاثة ادفعها الى ابني ام اخي ام ابي فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ما استخلف عبد في اهله من خليفة احب الى الله من اربع ركعات يصليهن
في بيته اذا شد عليه ثياب سفره يقرا فيهن بفاتحة الكتاب وقل هو الله
احد ثم يقول اللهم اني اتقرب بهن اليك فاخلفني بهن في اهلي ومالي فهي
خليفته في اهله وماله ودور حول داره حتى يرجع الى اهله الخامس اذا
حصل على باب الدار فليقل بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله
رب اعوذ بك ان اضل او اضل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي فاذا
مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت
اللهم انت ثقتي وانت رجائي فاكفني ما اهمني وما لم اهتم به وما انت اعلم
به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر
لي ذنبي ووجهني للخير اينما توجهت وليدع بهذا الدعاء في كل منزل يرحل
عنه فاذا ركب الدابة فليقل بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن
سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون فاذا
استوت الدابة تحته فليقل الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا ان هدانا الله اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان على الامور
السادس ان يرحل من المنزل بكرة روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم
رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك وبكر وقال اللهم بارك لامتي في بكورها
ويستحب ان يبتدي بالخروج يوم الخميس فقد روى كعب بن مالك رضي الله
عنه عن ابيه قال قل ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى سفر الا يوم
الخميس وروى انس انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك لامتي في بكورها
يوم السبت وكان عليه الصلاة والسلام اذا بعث سرية بعثها اول
النهار وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك لامتي
في بكورها يوم خميسها وقال عبد الله بن عباس اذا كان لك على رجل

بكورها

حاجة فاطلبها اليه نهارا ولا تطلبها ليلا واطلبها بكرة فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم بارك لامتي في بكورها ولا ينبغي ان
يسافر بعد طلوع الفجر من يوم الجمعة فيكون عاصيا بترك الجمعة واليوم منسوب
اليها فكان اوله من اسباب وجوبها والتشييع للوداع بسنة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لان اشيع مجاهدا في سبيل الله فاكنفه على رحله غدوة او روحة احب الي من
الدنيا وما فيها السابع ان لا ينزل حتى يحمى النهار فهو السنة ويكون اكثر سيره
في الليل قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار
ومهما اشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين
السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار
وما جرين اسالك خير هذا المنزل وخير اهله واعوذ بك من شره وشر اهله اصرف
عني شرارهم فاذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين ثم ليقل اللهم اني اعوذ بكلمات
الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل يقول
يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك اعوذ بالله
من شر كل اسد واسود وحية وعقرب ومن ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما
سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ومهما علا نشزا من الارض في وقت
السير ينبغي ان يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما
هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان الملك القدوس رب
الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت الثامن ان يحتاط بالنهار
فلا يمشي منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال او ينقطع ويكون بالليل متحفظا
عند النوم كان صلى الله عليه وسلم اذا نام في ابتدا الليل في السفر افترش ذراعه وان نام في اخر
الليل نصب ذراعه نصبا وجعل راسه في كفه والغرض ان لا يستثقل النوم فتطلع
الشمس ولا يدري ويكون ما يفوته من الصلاة افضل مما يطلبه بسفره والمستحب
بالليل ان يتناوب الرفقا في الحراسة فاذا نام واحد حرس اخر فهو السنة ومهما قصده
عدو او سبع في ليل او نهار فليقرا اية الكرسي وشهد الله والاخلاص والمعوذتين وليقل
بسم الله ما شا الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شا الله لا ياتي
بالخيرات الا الله ما شا الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن
دعا ليس ورا الله منتهى ولا دون الله ملجا كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله
قوي

قوي عزيز تحصنت بالله العلي العظيم واستغثت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا
بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت
ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وامائك برأفة ورحمة انك ارحم
الراحمين التاسع ان يرفق بالدابة ان كان راكبا فلا يحملها ما لا تطيق ولا يضربها في وجهها
فانه منهي عنه ولا ينام عليها فانه يثقل بالنوم وتتأذى به الدابة كان اهل الورع
لا ينامون على الدابة الا غفوة وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي
ويستحب ان ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه آثار عن
السلف وكان بعض السلف يكتري ويشترط ان لا ينزل ويوفي الاجرة ثم كان
ينزل بعد ذلك ليكون بذلك محسنا الى الدابة فيوضع في ميزان حسناته لا في ميزان
المكاري ومن آذى البهيمة بضرب او حمل ما لا تطيق طولب به في القيامة اذ لكل كبد
حرى اجر وقال ابو الدرداء لبعير له عند الموت ايها البعير لا تخاصمني الى ربك فاني
لم اكن احملك ما لا تطيق وفي النزول ساعة صدقتان احداهما ترويح الدابة والاخرى
ادخال السرور على قلب المكاري وفيه فائدة اخرى وهي رياضة البدن وتحريك الرجل
والحذر من خدر الاعضاء بطول الركوب وينبغي ان يقرر مع المكاري ما يحمله شيئا شيئا
ويعرضه عليه ويستأجر الدابة بعقد صحيح لئلا يثير نزاعا يؤذي القلب ويحمل على الزيادة
فما يلفظ العبد من قول الا لديه رقيب عتيد فليحترز عن كثرة الكلام واللجاج مع المكاري
ولا ينبغي ان يحمل فوق المشروط شيئا وان خف فان القليل يجر الى الكثير ومن حام حول الحمى
يوشك ان يقع فيه قال رجل لابن المبارك وهو على دابته احمل لي هذه الرقعة الى فلان
فقال حتى استأذن الجمال فاني لم اشارطه على هذه الرقعة فانظر كيف لم يلتفت الى قول
الفقهاء ان هذا مما يتسامح به ولكن سلك طريق الورع العاشر ينبغي ان يستصحب
ستة اشياء قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر
حمل معه خمسة اشياء المرآة والمكحلة والمدرى والسواك والمشط وفي رواية اخرى
عنها ستة المرآة والقارورة والمقراض والسواك والمكحلة والمشط وقالت ام سعد
الانصارية كان صلى الله عليه وسلم لا يفارقه في السفر المرآة والمكحلة وقال صهيب قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ~~لا يفارقه في السفر~~ عليكم بالاثمد عند مضجعكم فانه مما
يزيد في البصر وينبت الشعر وروي انه كان يكتحل ثلاثا ثلاثا وفي رواية انه كان يكتحل
لليمنى ثلاثا ولليسرى ثنتين وقد زادت الصوفية الركوة والحبل فقال بعض الصوفية

اذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه وانما ارادوا هذا لما ارادوه
من الاحتياط في طهارة الما وغسل الثياب فالركوة لحفظ الما الطاهر والحبل لتجفيف
الثوب المغسول ولنزح الما كان الاولون يكتفون بالتيمم ويغنون انفسهم عن
نقل الما ولا يبالون بالوضوء من الغدران ومن المياه كلها ما لم يتيقنوا نجاستها
حتى توضا عمر من ما في جرة نصرانية وكانوا يكتفون بالارض والجبال عن الحبل فيفرشون
الثياب المغسولة عليها فهذه بدعة الا انها بدعة حسنة وانما البدعة المذمومة ما
تضاد السنن الثابتة اما ما يعين على الاحتياط في الدين فمستحسن وقد ذكرنا احكام
المبالغة في الطهارات في كتاب الطهارة وان المتجرد لامر الدين لا ينبغي ان يوثر طريق
الرخصة بل يحتاط في الطهارة ما لم يمنعه ذلك عن عمل افضل منه وقيل كان الخواص من
المتوكلين وكان لا تفارقه اربعة في السفر والحضر الركوة والحبل والابرة وخيوطها
والمقراض وكان يقول هذه ليست من الدنيا الحادي عشر في اداب الرجوع من السفر
كان صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو او حج او عمرة يكبر على كل شرف من الارض ثلاث
تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي
قدير ايبون تايبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر
عبده وهزم الاحزاب وحده واذا اشرف على المدينة قال اللهم اجعل لنا بها قرارا
ورزقا حسنا ثم ارسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كي لا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكره
ولا ينبغي ان يطرقهم ليلا فقد ورد النهي عنه وكان صلى الله عليه وسلم اذا قدم دخل المسجد
اولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت واذا دخل قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر علينا
حوبا وينبغي ان يحمل لاهل بيته واقاربه تحفة من مطعوم او غيره على قدر امكانه فهو
سنة وقد روي انه اذا لم يجد شيا فليضع في مخلاته حجرا وكان هذا مبالغة في الاستحثاث
على هذه المكرمة لان الاعين تمتد الى القادم من السفر والقلوب تفرح به فيتاكد
الاستحباب في تاكيد فرحهم واظهار التفات القلب في السفر الى ذكرهم بما يستصحبه
في الطريق لهم فهذه جملة من الاداب الظاهرة فاما الاداب الباطنة ففي الفصل الاول
بيان جملة منه وجملته ان لا يسافر الا اذا كان زيادة دينه في السفر ومهما وجد قلبه
متغيرا الى نقصان فليقف ولينصرف ولا ينبغي ان يجاوز همه منزله بل ينزل حيث ينزل
قلبه وينوي في دخول كل بلد ان يرى شيوخها ويجتهد ان يستفيد من كل واحد ادبا
او كلمة لينتفع بها لا ليحكي ذلك ويظهر انه لقي الشيوخ ولا يقيم ببلدة اكثر من اسبوع

الشيوخ

او عشرة

او عشرة ايام الا ان يامره الشيخ المقصود بذلك ولا يجالس في مدة الاقامة
الا الفقرا الصادقين وان كان قصده زيارة اخ فلا يزيد على ثلاثة ايام فهو
حد الضيافة الا اذا يشق على اخيه مفارقته واذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده
اكثر من يوم وليلة ولا يشتغل بالعشرة فان ذلك يقطع بركة سفره وكما يدخل
البلد فلا يشتغل بشي سوى زيارة الشيخ بزيارته في منزله فان كان في بيته فلا يدق
عليه بابه ولا يستاذن عليه الا ان يخرج فاذا خرج تقدم بادب ولا يتكلم بين يديه
الا ان يساله فان ساله اجاب بقدر السوال ولا يساله عن مسالة ما لم يستاذن اولا
واذا كان في السفر فلا يكثر ذكر اطعمة البلدان واسخيائهم ولا اصدقائه فيها وليذكر
مشايخهم وفقراها ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقدها في كل قرية
وبلدة ولا يظهر حاجته الا بقدر الضرورة مع من يقدر على ازالته ويلازم في الطريق الذكر
وقراءة القران بحيث لا يسمع غيره واذا كلمه انسان فليترك الذكر وليجبه ما دام يحدثه
ثم ليرجع فان تبرمت نفسه بالسفر او بالاقامة فليخالفها فالبركة في مخالفة النفس واذا
تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغي ان يسافر تبرما بالخدمة فذلك كفران نعمة ومهما
وجد نفسه في نقصان عما كان في الحضر فليعلم ان سفره معلول وليرجع اذ لو كان لحق لظهر
اثره قال رجل لابي عثمان المغربي خرج فلان مسافرا فقال السفر غربة والغربة ذلة
وليس للمومن ان يذل نفسه واشار به الى من ليس له في السفر زيادة دين والا فمن الدين
لا ينال الا بعد الغربة فليكن سفر المريد من وطن هواه ومراده وطبعه حتى يعز في هذه
الغربة ولا يذل فان من اتبع هواه في سفره ذل لا محالة اما عاجلا واما اجلا **الباب**
الثاني فيما لابد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وادلة القبلة والاوقات اعلم ان
المسافر يحتاج في اول سفره الى ان يتزود لدنياه ولاخرته اما زاد الدنيا فالطعام
والشراب وما يحتاج اليه من النفقة فان خرج متوكلا من غير زاد فلا باس به اذا كان
سفره في قافلة او يرى قرى متواصلة وان ركب البادية وحده او مع قوم لا طعام معهم
ولا شراب فان كان ممن يصبر على الجوع اسبوعا او عشرا او قدر على ان يجتزي بالحشيش فله
ذلك وان لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجتزا بالحشيش فخروجه من
غير زاد معصية فانه القى نفسه الى التهلكة ولهذا سر سنبينه في كتاب التوكل
وليس معنى التوكل التباعد عن الاسباب بالكلية ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو
ونزع الماء من البير والواجب ان يصبر حتى يسخر الله ملكا او شخصا اخر حتى يصب الما في فيه فان

كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح في التوكل وهو آلة الوصول الى المشروب فحمل عين المطعوم
والمشروب حيث لا ينتظر له وجود اولى بان لا يقدح فيه وسياتي حقيقة التوكل في موضعه
فانه ملتبس الا على المحققين من علماء الدين واما زاد الآخرة فهو العلم الذي يحتاج اليه
في طهارته وصومه وصلاته وعباداته فلا بد وان يتزود منه اذ السفر يخفف عليه
امورا فيحتاج الى معرفة القدر الذي يخففه السفر كالقصر والجمع والفطر وتارة يشدد
عليه امورا كان مستغنيا عنها في الحضر كالعلم بالقبلة واوقات الصلاة فانه في البلد يكتفي
بغيره من محاريب المساجد واذان المؤذنين وفي السفر قد يحتاج الى ان يتعلم بنفسه
فاذا ما يفتقر الى تعلمه ينقسم الى قسمين القسم الاول العلم برخص السفر والسفر يفيد
في الطهارة رخصتين مسح الخف والتيمم وفي صلاة الفرض رخصتين القصر والجمع وفي النفل
رخصتين اداؤه على الراحلة واداؤه ماشيا وفي الصوم رخصة واحدة وهو الفطر فهذه
سبع رخص الاولى المسح على الخفين قال صفوان بن عسال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا كنا مسافرين او سفرا ان لا ننزع خفافنا ثلاثة ايام ولياليهن فكل من لبس الخف على طهارة
مسح للصلاة ثم احدث فله ان يمسح على خفه من وقت حدثه ثلاثة ايام ولياليهن ان كان
مسافرا ويوما وليلة ان كان مقيما ولكن بخمس شرائط الاول ان يكون اللبس بعد كمال الطهارة
ولو غسل الرجل اليمنى وادخلها الخف لم يجز له المسح عند الشافعي رضي الله عنه حتى ينزع خفه اليمنى
ويعيد لبسه الثاني ان يكون الخف قويا يمكن المشي عليه ويجوز المسح على الخف وان لم يكن
منعلا اذا كان تعتاد تجارته بالتردد عليه في المنازل لا فيه قوة على الجملة بخلاف جورب الصوفية
فانه لا يجوز المسح عليه وكذا الجرموق الضعيف الثالث ان لا يكون في موضع فرض الغسل خرق
فان تخرقت بحيث انكشف محل الفرض لم يجز المسح وللشافعي قول قديم انه يجوز ما دام
يستمسك على الرجل وهو مذهب مالك ولا باس به لمسيس الحاجة اليه وتعذر الخرز في السفر
كل وقت والمداس المنسوج يجوز المسح عليه مهما كان ساترا الكعب واستتر القدم من نعوته
وكذا المشقوق الذي يرد على محل الشق بسيور لان الحاجة تمس الى جميع ذلك ولا يعتبر الا ان
يكون ساترا للقدم الى الكعبين كيفما كان فاما اذا استتر بعض ظهر القدم وستر الساق بالقابل
لم يمسح الرابع ان لا ينزع الخف بعد المسح عليه فان نزع فالاولى له استئناف الوضوء وان اقتصر
على غسل القدمين جاز الخامس ان يمسح على الموضع المحاذي لمحل فرض الغسل لا على الساق
واقل ما يسمى مسحا على ظهر القدم من الخف فاذا مسح بثلاثة اصابع خرج من شبهة الخلاف
واكمله

والكمال ان يمسح اعلاه واسفله دفعة واحدة من غير تكرار كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووجهه ان يبل اليدين ويضع رؤس اصابع اليمنى من يديه على رؤس اصابع اليمنى من رجليه ويمسحه
بان يجره الى جهة نفسه ويضع رؤس الاصابع من يده اليسرى على العقب من اسفل الخف ويجره
الى راس القدم ومهما مسح مقيما ثم سافر او مسافرا ثم اقام غلب حكم الاقامة فليقتصر
على يوم وليلة وعدد الايام الثلاثة محسوب من وقت حدثه بعد المسح على الخف فلو لبس الخف
في الحضر ثم خرج واحدث في السفر وقت الزوال مثلا مسح ثلاثة ايام ولياليهن من وقت
الزوال من اليوم الرابع فاذا زالت الشمس اليوم الرابع لم يكن له ان يصلي الا بعد غسل الرجل
فليغسل رجله وليعيد لبس الخف وليراعي وقت الحدث وليستانف الحساب من وقت الحدث
ولو احدث بعد لبس الخف في الحضر ثم خرج بعد الحدث فله ان يمسح ثلاثة ايام لان العادة قد
تقتضي اللبس قبل الخروج ولا يمكن الاحتراز من الحدث فاما اذا مسح في الحضر ثم سافر اقتصر على
مدة المقيمين ويستحب لكل من يريد لبس الخف في حضر او سفر ان ينكس الخف وينفض ما فيه
حذرا من عقرب او حية او شوكة فقد روي عن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه انه قال دعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بخفيه فلبس احدهما فجاء غراب فاحتمل الاخر ثم رمى
به فخرجت منه حية فقال النبي صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يلبس
خفه حتى ينفضها الرخصة الثالثة التيمم والتراب بدل عن الماء عند العجز وانما يتعذر
الماء بان يكون بعيدا عن المنزل بعدا لو مشى اليه لم يلحقه غوث القافلة ان صاح
واستغاث وهو البعد الذي لا يعتاد اهل المنزل في ترددهم لقضاء الحاجة التردد
اليه وكذا ان نزل على الماء عدو او سبع فيجوز التيمم وان كان الماء قريبا وكذا ان احتاج اليه
لعطشه في يومه او بعض يومه او لعطش ما بين يديه فله التيمم وكذا ان احتاج لعطش
احد رفقائه فلا يجوز له الوضوء ويلزمه التسليم اما بثمن او بغير ثمن ولو كان يحتاج اليه
للعقد حتى يطبخ به مرقة او احتاج اليه ليجمع به الكعك ويطبخ به اللحم لم يجز له التيمم
بل عليه بالكعك اليابس ويترك تناول المرقة ومهما وهب منه الماء وجب قبوله
وان وهب ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من المنة وان بيع بثمن المثل لزمه الشراء وان بيع
بغبن لم يلزمه فاذا لم يكن معه ماء واراد ان يتيمم فاول ما يلزمه طلب الماء مهما جوز الوصول
اليه بالطلب وذلك بالتردد حوالي المنزل والتردد حوالي الرحل وطلب البقايا من الاواني
والمطاهر فان نسي الماء في رحله ونسي بيرا بالقرب منه لزمه اعادة الصلاة لتقصيره

ان يكتفي صح

في الطلب وان علم انه سيجد الما في اخر الوقت فالاولى ان يصلي بالتيمم في اول الوقت فان
العمر لا يوثق به واول الوقت رضوان الله تيمم ابن عمر رضي الله عنهما فقيل له اتتيمم وجدران
المدينة تنظر اليك فقال او ابقى الى ان ادخلها ومهما وجد الما بعد الشروع في الصلاة
لزمه الوضوء ومهما طلب فلم يجد فليقصد صعيدا طيبا عليه تراب يثور منه غبار وليضرب
كفيه عليه بعد ضم اصابعه ضربة فيمسح بها وجهه ويضرب ضربة اخرى بعد نزع الخاتم
وتفريج الاصابع ويمسح بها يديه الى مرفقيه فان لم يستوعب بضربة واحدة جميع ساعديه
ضرب ضربة اخرى وكيفية التلطف فيه ذكرناه في كتاب الطهارة فلا نعيده ثم اذا صلى به
فريضة واحدة فله ان يتنفل ما شا بذلك التيمم وان اراد الجمع بين فريضتين فعليه
ان يعيد التيمم للصلاة الثانية فلا يصلي فريضتين الا بتيممين ولا ينبغي ان يتيمم لصلاة قبل
دخول وقتها فان فعل فعليه اعادة التيمم ولينو عند المسح استباحة الصلاة ولو وجد
من الما ما يكفيه لبعض طهارته فليستعمله ثم ليتيمم بعده تيمما تاما الرخصة الثالثة
في الصلاة الفريضة القصر له ان يقتصر في كل واحدة من الظهر والعصر والعشا على
ركعتين ولكن بشروط ثلاثة الاول ان يؤديها في اوقاتها فلو صار قضا فالاظهر لزوم
الاتمام الثاني ان ينوي القصر فلو نوى الاتمام لزمه الاتمام ولو شك في انه نوى القصر او
الاتمام لزمه الاتمام الثالث ان لا يقتدي بمقيم ولا بمسافر متم فان فعل لزمه الاتمام
بل ان شك في ان امامه مسافر او مقيم لزمه الاتمام وان تيقن بعد انه مسافر لان شعار
المسافر لا يخفى فليكن متحققا عند النية وان شك في ان امامه هل نوى القصر ام لا بعد ان
عرف انه مسافر لم يضره ذلك لان النيات لا يطلع عليها وهذا كله اذا كان في سفر طويل مباح
وحد السفر من جهة البداية والنهاية فيه اشكال فلا بد من معرفته والسفر هو الانتقال من
موضع الاقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم فالهائم وراكب التعاسيف ليس له الترخص
وهو الذي لا يقصد موضعا معينا ولا يصير مسافرا ما لم يفارق عمران البلد ولا يشترط
ان يجاوز خرابها وبساتينها التي قد يخرج اهل البلد للتنزه واما القرية فالمسافر منها
ينبغي ان يجاوز البساتين المحوطة دون التي ليست محوطة ولو رجع المسافر الى البلد
لاخذ شي نسيه لم يترخص ان كان ذلك وطنه ما لم يجاوز العمران وان لم يكن ذلك هو الوطن
فله الترخص اذ صار مسافرا بالانزعاج والخروج واما نهاية السفر فباحد امور ثلاثة الاول
الوصول الى عمران البلد الذي عزم على الاقامة فيه الثاني العزم على الاقامة ثلاثة ايام
فصاعدا اما في بلد او صحرا الثالث صورة الاقامة وان لم يعزم كما اذا اقام على موضع آخر
ثلاثة ايام

ثلاثة ايام سوى يوم الدخول لم يكن له الترخص بعده وان لم يعزم على الاقامة وكان
له شغل وهو يتوقع كل يوم ان يتنجز ولكنه كان يتعوق ويتأخر فله ان يترخص وان طالت المدة
على اقيس القولين لانه متوقع للنقلة ومسافر عن الوطن بصورته ولا مبالاة بصورة الثبوت
على موضع واحد مع انزعاج القلب ولا فرق بين ان يكون هذا الشغل قتالا او غيره ولا بين
ان تطول المدة او تقصر ولا بين ان يتأخر الخروج لمطر لا يعلم بقاؤه ثلاثة ايام او غيره اذ ترخص
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصر في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد
فظاهر الظن انه لو تمادى القتال لتمادى ترخصه اذ لا معنى للتقدير بثمانية عشر يوما. ثم
والظاهر انه قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا هذا معنى السفر واما معنى
الطويل فهو ان يكون مرحلتين كل واحدة ثمانية فراسخ وكل فرسخ ثلاثة اميال وكل ميل
اربعة آلاف خطوة ومعنى المباح ان لا يكون عاقا لوالديه هاربا منهما ولا هاربا من مالكه
ولا تكون المرأة هاربة من زوجها ولا ان يكون عليه الدين هاربا من المستحق مع اليسار ولا
يكون متوجها في قطع طريق او قتل انسان او طلب ادرار حرام من سلطان او يسعى بالفساد
بين المسلمين ولا يسافر الانسان الا في غرض والغرض هو المحرك فان كان تحصيل ذلك
الغرض حراما ولولا ذلك الغرض لكان لا ينبعث للسفر فسفره معصية ولا يجوز فيه الترخص
واما الفسق في السفر بشرب الخمر وغيره لا يمنع الرخصة بل كل سفر نهى الشرع عنه فلا
يعين عليه بالرخصة ولو كان له باعثان احدهما مباح والاخر محظور وكان بحيث لو لم يكن الباعث
المحظور لكان المباح مستقلا بتحريكه ولكان لا محالة يسافر لاجله فله الترخص والمتصوفة الطوافون
في البلاد من غير غرض صحيح سوى التفرج بمشاهدة البقاع المختلفة في ترخصهم خلاف والمختار
ان لهم الترخص الرخصة الرابعة الجمع بين الظهر والعصر في وقتهما وبين المغرب
والعشاء في وقتهما فذلك ايضا جائز في سفر طويل مباح وفي جوازه في السفر القصير
قول ثم ان قدم العصر الى الظهر فلينو الجمع قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليقم
وعند الفراغ يقيم للعصر ويجدد التيمم ان كان متيمما ولا يفرق بينهما باكثر من تيمم واقامة
فان قدم العصر لم يجز وان نوى الجمع عند التحرم بصلاة العصر جاز عند المزني وله
وجه في القياس اذ لا مستند لايجاب تقديم النية بل الشرع جواز الجمع وهذا جمع واما
الرخصة في العصر فتكفي النية فيه واما الظهر في رعاية الترتيب ثم اذا فرغ من الصلاتين فينبغي
ان يجمع بين سنن الصلاتين اما العصر فلا سنة بعدها ولكن السنة التي بعد الظهر
يصليها بعد الفراغ اما راكبا او نازلا لانه لو صلى راتبة الظهر قبل العصر انقطعت الموالاة وفي

وبالجملة فلا

الصلاة

واجبة وان اراد ان يقيم الاربعة المسنونة قبل الظهر والاربعة المسنونة قبل العصر
فليجمع بينهما قبل الفريضتين فيصلي سنة الظهر ركعتان اللتان بعد الفرض ولا
ينبغي ان يهمل النوافل في السفر فما يفوته من ثوابها اكثر مما يناله من الربح لاسيما وقد
خفف الشرع عليه وجوز له اداها على الراحلة كي لا يتعوق عن القافلة بسببه واما اخر الظهر
الى العصر فيجري على هذا الترتيب ولا يبالي بوقوع راتبة الظهر بعد العصر في الوقت المكروه
لان ما له سبب لا يكره في هذا الوقت وكذلك يفعل في المغرب والعشا والوتر اذا قدم
او اخر فبعد الفراغ من الفرض يشتغل بجمع الرواتب ويختم الجميع بالوتر واذا حضر له
ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على ادايه مع العصر جمعا فهو نية الجمع لانه انما يخلو عن
هذه النية اما بنية الترك ونية التاخير عن وقت العصر وذلك حرام والعزم عليه
حرام وان لم يتذكر الظهر حتى خرج وقته اما لنوم او لشغل فله ان يودي مع العصر ولا
يكون عاصيا لان السفر كما يشغل عن فعل الصلاة فقد يشغل عن ذكرها ويحتمل
ان يقال ان الظهر انما يقع اداء اذا عزم على فعلها قبل خروج وقتها لكن الاظهر ان وقت
الظهر والعصر صار مشتركا في السفر بين الصلاتين ولذلك يجب على الحائض قضاء الظهر
اذا طهرت قبل الغروب وذلك يشعر بان لا يشترط الموالاة ولا الترتيب بين الظهر والعصر
عند تاخير الظهر اما اذا قدم العصر على الظهر لم يجز لان ما بعد الفراغ من الظهر هو الذي جعل
وقتا للعصر اذ يبعد ان يشتغل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر وتاخيره وعذر المطر مجوز
الجمع كعذر السفر وترك الجمعة ايضا من رخص السفر وهي متعلقة بفرايض الصلوات
ولو نوى الاقامة بعد ان صلى العصر فادرك وقت العصر في الحضر فعليه ادا العصر
وما مضى انما كان مجزيا بشرط ان يبقى العذر الى خروج وقت العصر الرخصة الخامسة
في التنفل راكبا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته ايما توجهت به
راحلته واوتر صلى الله عليه وسلم على الراحلة وليس على المتنفل الراكب في الركوع والسجود
الا الايما وينبغي ان يجعل سجوده اخفض من ركوعه ولا يلزمه الانحنا الى حد يتعرض لخطر
بسبب الدابة فان كان في مرقد فليتمم الركوع والسجود فانه قادر عليه واما استقبال
القبلة فلا يجب لا في ابتدا الصلاة ولا في دوامها ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة
فليكن في جميع صلاته اما مستقبلا للقبلة او متوجها في صوب الطريق ليكون له جهة يثبت
فيها فلو حرف دابته عن الطريق قصدا بطلت صلاته الا اذا حرفها الى القبلة ولو
حرف ناسيا وقصر الزمان لم تبطل وان طال ففيه خلاف وان جمحت الدابة

ان   فانحرفت

فانحرفت لم تبطل لان ذلك مما يكثر وقوعه وليس عليه سجود سهو اذ الجماح
منسوب اليه بخلاف ما لو انحرف ناسيا فانه يسجد للسهو بالايما الرخصة
السادسة التنفل للماشي جائز في السفر يومى بالركوع والسجود ولا يقعد
للتشهد لان ذلك يبطل فائدة الرخصة وحكمه حكم الراكب لكن ينبغي
ان يتحرم بالصلاة مستقبلا للقبلة لان الانحراف في لحظة لا عسر فيه
بخلاف الراكب فان في تحريفها وان كان العنان بيده نوع عسر وربما
يكثر الصلاة فيطول عليه ذلك ولا ينبغي ان يمشي في نجاسة رطبة عمدا
فان فعل بطلت صلاته بخلاف ما لو وطئت دابة الراكب نجسة وليس
عليه ان يشوش المشي على نفسه بالاحتراز من النجاسات التي لا يخلو
عنها الطريق غالبا وكل هارب من عدو او سيل او سبع فله ان يصلي الفريضة
راكبا وماشيا كما ذكرناه في التنفل الرخصة السابعة الفطر وهي في الصوم
فللمسافر ان يفطر الا اذا اصبح مقيما ثم سافر فعليه اتمام ذلك اليوم
وان اصبح مسافرا صائما ثم اقام فعليه الاتمام وان اقام مفطرا فليس
عليه الامساك بقية نهاره وان اصبح مسافرا على عزم الصوم لم يلزمه بل
له ان يفطر والصوم افضل من الفطر والقصر افضل من الاتمام للخروج عن
شبهة الخلاف ولانه ليس في عهدة القضا بخلاف الفطر فانه في عهدة القضا
وربما يتعذر عليه ذلك بعائق فيبقى في ذمته الا اذا كان الصوم يضر به
فالافطار افضل فهذه سبع رخص تتعلق ثلاثة منها بالسفر الطويل
وهو القصر والفطر والمسح ثلاثة ايام ويتعلق اثنان بالسفر طويلا كان
او قصيرا وهو سقوط الجمعة وسقوط القضا عند ادا الصلاة بالتيمم
واما الصلاة النافلة ماشيا وراكبا ففيه خلاف والاصح جوازه في القصير
والجمع بين الصلاتين فيه خلاف والاظهر اختصاصه بالطويل واما صلاة
الفرض راكبا وماشيا للخوف فلا يتعلق بالسفر وكذا اكل الميتة وكذا ادا
الصلاة في الحال بالتيمم عند فقد الما بل يشترك فيهما الحضر والسفر
ونحو اسبابها فان قلت فالعلم بهذه الرخص هل يجب على المسافر
تعلمه قبل السفر ام يستحب له ذلك فاعلم انه اذا كان عازما على ترك المسح
والقصر والجمع والفطر وترك التنفل ماشيا لم يلزمه علم شروط الترخص لان

الترخص ليس بواجب واما علم رخصة التيمم فيلزمه لان فقد الما ليس اليه
الا ان يسافر على شط نهر يوثق ببقا مايه او يكون معه في الطريق عالم
يقدر على استفتائه عند الحاجة فله ان يوخر الى وقت الحاجة اما اذا كان
يظن عدم الما ولم يكن معه عالم فيلزمه التعلم لا محالة فان قلت التيمم
يحتاج اليه لصلاة بعد وقتها فكيف يجب علم الطهارة لصلاة بعد لم
تجب وربما لم تجب فاقول من بينه وبين الكعبة مسافة لا تقطع الا في سنة
فيلزمه قبل اشهر الحج ابتدا السفر ويلزمه تعلم المناسك لا محالة اذا كان
يظن انه لا يجد في الطريق من يتعلم لان الاصل الحياة واستمرارها وما لا
يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب وكلما يتوقع وجوده توقعا ظاهرا غالبا
في الظن وله شرط لا يتوصل اليه الا بتقديم ذلك الشرط على وقت الوجوب
فيجب تقديم الشرط لا محالة كتعلم المناسك قبل وقت الحج وقبل مباشرته فلا يحل
اذا للمسافر ان ينشي السفر ما لم يتعلم هذا القدر من علم التيمم وان كان عازما
على ساير الرخص فعليه ايضا ان يتعلم القدر الذي ذكرناه من شكل الرخص فانه
اذا لم يعرف القدر الجايز من رخصة السفر لم يمكنه الاقتصار عليه فان قلت ان
لم يتعلم كيفية التنفل راكبا وماشيا ماذا يضره وغايته اذا صلى ان تكون صلاته
فاسدة وهي غير واجبة فيكون علمه بها واجبا فاقول من الواجب انه لا يصلي النفل
على نعت الفساد فالتنفل مع الحدث والنجاسة والى غير القبلة ومن غير شروط
اتمام الصلاة واركانها حرام عليه فعليه ان يتعلم ما يحترز به عن النافلة الفاسدة
حذرا على الوقوع في المحظور فهذا بيان ما خفف عن المسافر في سفره القسم الثاني
ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر وهو علم القبلة والاوقات وذلك ايضا واجب
في الحضر ولكن في الحضر من يكفيه من محراب متفق عليه يغنيه عن طلب علم الوقت
والمسافر قد تشتبه عليه القبلة وقد يلتبس عليه الوقت فلا بد له من العلم بادلة
القبلة والمواقيت اما ادلة القبلة فهي ثلاثة اقسام ارضية كالاستدلال بالجبال والقرى
والانهار وهوائية كالاستدلال بالرياح شمالها وجنوبها وصباها ودبورها و
سماوية وهي النجوم فاما الارضية والهوائية فتختلف باختلاف البلاد فرب طريق فيها
جبل مرتفع يعلم انه على يمين المستقبل او شماله او وراه او قدامه فليتعلم ذلك
وليفهمه وكذلك الرياح قد تدل في بعض البلاد فليفهم ذلك ولسنا نقدر على استقصا ذلك

من هنا ٢

اذ لكل

اذ لكل بلد واقليم حكم اخر واما السماوية فادلتها تنقسم الى نهارية والى ليلية اما النهارية
فالشمس فلا بد وان يراعي قبل الخروج من البلد ان الشمس عند الزوال اين تقع منه اهي
بين الحاجبين او هي على العين اليمنى او اليسرى او تميل الى الجبين ميلا اكثر من ذلك فان
الشمس لا تعدو في البلاد الشمالية هذه المواقع فاذا حفظ ذلك فمهما عرف الزوال بدليله
الذي سنذكره عرف القبلة وكذلك يراعي موقع الشمس منه وقت العصر فانه في هذين الوقتين
يحتاج الى القبلة بالضرورة وهذا ايضا لما كان يختلف بالبلاد فلا يمكن استقصاؤه واما
القبلة وقت المغرب فانها تدرك بموضع الغروب وذلك بان يحفظ ان الشمس تغرب عن يمين المستقبل
او هي مائلة الى وجهه او قفاه وبالشفق ايضا تعرف القبلة للعشاء الاخرة وبمشرق الشمس
تعرف القبلة لصلاة الصبح فكان الشمس تدل على القبلة في الصلوات الخمس ولكن يختلف
ذلك بالشتاء والصيف فان المشارق والمغارب كثيرة وان كانت محصورة في جهتين فلا بد
من تعلم ذلك ايضا ولكن قد يصلي المغرب والعشاء بعد غيبة الشفق فلا يمكنه ان يستدل
على القبلة به فعليه ان يراعي موضع القطب وهو الكوكب الذي يقال له الجدي فانه كوكب كالثابت
لا تظهر حركته عن موضعه وذلك اما ان يكون على قفا المستقبل او على منكبه الايمن من قفاه
او منكبه الايسر في البلاد الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية كاليمن وما والاها فيقع في
مقابلة المستقبل فليتعلم ذلك وما عرفه في بلده فليعول عليه في الطريق كله الا اذا طال
السفر فان المسافة اذا بعدت اختلف موقع الشمس وموقع القطب وموقع المشارق
والمغارب الا انه ينتهي في اثنا سفره الى بلاد فينبغي ان يسال اهل البصيرة او يراقب
هذه الكواكب وهو مستقبل جامع البلد حتى يتضح له ذلك فمهما تعلم هذه الادلة فله
ان يعول عليها فان بان له انه اخطا من جهة القبلة الى جهة اخرى من الجهات الاربع فينبغي
ان يقضي وان انحرف عن حقيقة محاذاة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضا وقد
اورد الفقها خلافا في ان المطلوب جهة الكعبة او عينها واشكل معناه على قوم اذ قالوا
ان قلنا المطلوب العين فمتى يتصور هذا مع بعد الديار وان قلنا المطلوب الجهة فالواقف
في المسجد ان استقبل جهة الكعبة وهو خارج ببدنه عن موازاة الكعبة لا خلاف في انه لا تصح
صلاته وقد طولوا في تاويل معنى الخلاف في الجهة والعين ولا بد اولا من فهم معنى مقابلة
العين ومقابلة الجهة ومعنى مقابلة العين ان يقف موقفا لو اخرج خط مستقيم من
بين عينيه الى جدار الكعبة لاتصل به وحصل من جانبي الخط زاويتان وهذه صورته

الكعبة
مقابلة الجهة
مقابلة العين
موقف الامام

والخط الخارج من موقف المصلي قدرانه خارج من بين عينيه فهذه صورة مقابلة العين
فاما مقابلة الجهة فيجوز فيها ان يتصل طرف الخط الخارج بين العينين الى الكعبة من
غير ان يتساوى الزاويتان عن جنبتي الخط بل لا تتساوى الزاويتان الا اذا انتهى الخط
الى نقطة معينة هي واحدة فلو مد هذا الخط على الاستقامة الى سائر النقط التي
بيمينها او شمالها لكانت احدى الزاويتين اضيق فيخرج عن مقابلة العين ولكن لا يخرج عن
مقابلة الجهة فالخط الذي يكتفى عليه مقابلة الجهة فانه لو قدر الكعبة على طرف ذلك
الخط لكان الواقف مستقبلا لجهة الكعبة لا لعينها وحد تلك الجهة ما يقع بين خطين
يتوهمهما خارجين من العينين يلتقي طرفاهما في داخل الراس بين العينين على زاوية
قائمة فما يقع بين الخطين الخارجين من العينين فهو داخل في الجهة وسعة ما بين الخطين
وبالبعد عن الكعبة وهذه صورته

الكعبة
جهة العين اليمنى
جهة العين اليسرى
المغرب
المشرق

وان كان يحتاج الى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها

فاذا فهم معنى الجهة والعين فاقول الذي يصح عندنا في الفتوى ان المطلوب العين ان كانت
الكعبة مما يمكن رؤيتها فيكفي استقبال الجهة فاما طلب العين عند المشاهدة فمجمع عليه فاما
الاكتفاء بالجهة عند تعذر المعاينة فيدل عليه الكتاب والسنة وفعل الصحابة والقياس
اما الكتاب فقوله تعالى وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره اي نحوه ومن قابل جهة الكعبة
يقال قد ولى وجهه شطره واما السنة فما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لاهل المدينة ما بين المشرق والمغرب قبلة والمغرب يقع على يمين اهل المدينة والمشرق
على يسارهم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع ما يقع بينهما قبلة ومساحة الكعبة
لا تفي بما بين المشرق والمغرب وانما تفي جهتها وروي هذا اللفظ ايضا عن عمر وعن ابن عمر
رضي الله عنهما فاما روي ان اهل قبا كانوا في صلاة الصبح بالمدينة مستقبلين بيت
المقدس مستدبرين الكعبة لان المدينة بينهما فقيل لهم قد حولت القبلة الى الكعبة
فاستداروا في اثناء الصلاة من غير طلب دلالة ولم ينكر عليهم وسمي مسجدهم ذا
القبلتين ومقابلة العين من المدينة الى مكة لا تعرف الا بادلة هندسية يطول النظر
فيها

فيهما فكيف ادركوه على البديهة في اثناء الصلاة وفي ظلمة الليل ويدل ايضا من فعلهم انهم
بنوا المساجد حوالي مكة وسائر بلاد الاسلام ولم يحضروا قط مهندسا عند تسوية
المحراب ومقابلة العين لا تدرك الا بدقيق النظر الهندسي واما القياس فهو ان الحاجة
تمس الى الاستقبال وبناء المساجد في جميع اقطار الارض ولا يمكن مقابلة العين الا بعلوم
هندسية لم يرد الشرع بالنظر فيها بل ربما يزجر عن التعمق في علمها فكيف ينبني امر
الشرع عليها فيجب الاكتفاء بالجهة للضرورة واما دليل صحة الصورة التي
صورناها وهو حصر جهات العالم في اربعة فقوله صلى الله عليه وسلم في قضاء الحاجة لا تستقبلوا
القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا او غربوا وقال هذا بالمدينة والمشرق عن يسار
المستقبل بها والمغرب على يمينها فنهى عن جهتين ورخص في جهتين ومجموع ذلك اربع
جهات ولم يخطر ببال احد ان جهات العالم يمكن ان تفرض ستة وسبعة وعشرة وكيف
ما كان فما حكم الباقي بل الجهات تثبت في الاعتقادات بناء على خلقة الانسان وليس له الا
اربع جهات قدام وخلف ويمين وشمال وهي اربعة فكانت الجهات بالاضافة الى الانسان
في ظاهر النظر اربعة والشرع لا ينبني الا على مثل هذه الاعتقادات فظهر ان المطلوب
ان المطلوب الجهة وذلك يسهل امر الاجتهاد ويعلم ادلة القبلة فاما مقابلة العين
فانما يعرف بمعرفة مقدار عرض مكة عن خط الاستواء ومقدار درجات طولها وهو
بعدها عن اول عمارة في المشرق ثم يعرف ذلك في موقف المصلي ثم يقابل احدهما بالآخر
ويحتاج فيه الى آلات واسباب طويلة والشرع غير مبني عليها فاذا القدر الذي لا بد من تعلمه
من ادلة القبلة موقع المشرق والمغرب والزوال وموقع الشمس وقت العصر فبهذا
يسقط الوجوب فان قيل فلو خرج المسافر من غير تعلم ذلك هل يعصي فاقول ان كان طريقه
على قرى متصلة فيها محاريب او كان معه في الطريق بصير بادلة القبلة موثوق بعدالته
وبصيرته يقدر على تقليده فلا يعصي وان لم يكن شيء من ذلك عصى لانه يستعرض لوجوب
الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره فان لم يتعلم هذه الادلة
واشتبه عليه الامر بغيم مظلم او ترك التعلم لم يجد في الطريق من يقلده فعليه ان يصلي في
الوقت على حسب حاله ثم عليه القضاء سواء اصاب او اخطا والاعمى ليس له الا التقليد
فليقلد من يوثق بدينه وبصيرته ان كان مقلده مجتهدا في القبلة وان كانت القبلة ظاهرة
فله اعتماد قول كل عدل يشير عليه في حضر او سفر وليس للاعمى ولا للجاهل ان يسافر في
قافلة ليس فيها من يعرف ادلة القبلة حيث يحتاج الى الاستدلال كما ان ليس للعامي ان يقيم

٢ الى هنا صح

بلدة ليس فيها فقيه عالم بتفصيل الشرع يلزمه الهجرة الى حيث يجد من يعلمه دينه
وكذا ان لم يكن في البلد الا فقيه فاسق فعليه الهجرة اذ لا يجوز له اعتماد فتوى الفاسق
بل العدالة شرط لجواز قبول الفتوى كما في الرواية فان كان معروفا بالفقه مستور الحال
في العدالة والفسق فله القبول مهما لم يجد من له عدالة ظاهرة لان المسافر في البلاد لا
يقدر ان يبحث عن عدالة المفتين فان راه لابسا للحرير او ما يغلب عليه الابريسم او راكبا
لفرس عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول قوله فليطلب غيره وكذلك
اذا راه ياكل على مائدة سلطان اغلب ماله حرام او ياخذ منه ادرارا او صلة من غير ان يعلم
ان الذي ياخذه من وجه حلال فكل ذلك فسق يقدح في العدالة ويمنع من قبول الفتوى والرواية
والشهادة واما معرفة الاوقات للصلوات الخمس فلا بد منه ووقت الظهر يدخل بالزوال
فان كان شخص يقع له في ابتداء النهار ظل مستطيل في جانب المغرب ثم لا يزال ينقص الى وقت الزوال
ثم ياخذ في الزيادة في جهة المشرق ولا يزال يتزايد الى الغروب فليعلم المسافر في موضع او لينصب
خشبة وليعلم على راس الظل ثم لينظر بعده بساعة فان راه في النقصان فلم يدخل بعد
وقت الصلاة وطريقه ان ينظر في البلد في وقت اذان المؤذن ظل قامته فاذا كانت مثلا
ثلاثة اقدام بقدمه فمهما صار كذلك في السفر واخذ في الزيادة صلى فاذا زاد عليه ستة اقدام
ونصف دخل وقت العصر اذ ظل كل شخص بقدمه ستة اقدام بالتقريب ثم ظل الزوال يزيد
كل يوم ان كان من اول الصيف وان كان من اول الشتاء فينقص كل يوم واحسن ما يعرف
به ظل الزوال الميزان فليستصحبه المسافر وليتعلم اختلاف الظل به في كل وقت وان عرف موضع
الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان في السفر في موضع ظهرت القبلة فيها
بدليل اخر يمكنه ان يعرف الوقت بالشمس بان تصير بين عينيه مثلا ان كان كذلك في البلد
واما وقت المغرب فيدخل بالغروب ولكن قد تحجب الجبال عنه الغروب فينبغي ان
ينظر الى جانب المشرق فمهما ظهر سواد في الافق مرتفع من الارض قيد رمح فقد دخل وقت
المغرب واما العشاء فيعرفه بغيبوبة الحمرة فان كانت محجوبة عنه بجبال فيعرفه بظهور
الكواكب الصغار وكثرتها فان ذلك يكون بعد غيبوبة الحمرة واما الصبح فيبدو في الاول
مستطيلا كذنب السرحان فلا حكم له الا ان ينقضي زمان ثم يظهر بياض معترض لا يعسر
ادراكه بالعين لظهوره فهو اول الوقت قال صلى الله عليه وسلم ليس الصبح هكذا وجمع كفه
وانما الصبح هكذا او رفع احدى سبابتيه على الاخرى وفتحهما واشار به الى انه معترض
وقد يستدل عليه بالمنازل وهو تقريب لا تحقيق فيه بل الاعتماد على مشاهدة انتشار البياض
عرضا

عموما لان فيما ظنوا ان الصبح يطلع قبل الشمس بربع منزل وهذا خطأ فان ذلك هو الصبح
الكاذب والذي ذكره المحققون انه يتقدم على الشمس بمنزلتين وهذا تقريب ولكن لا اعتماد
عليه فان بعض المنازل تطلع معترضة منحرفة فيقصر زمان طلوعها وبعضها منتصبة
فيطول زمان طلوعها نعم يصلح المنازل لان يعلم بها قرب وقت الصبح وبعده فاما حقيقة
اول وقت الصبح فلا يمكن ضبطه بمنزلتين اصلا وعلى الجملة فاول الوقت قريب مما يلتبس
بتحقق طلوع الصبح الصادق وينبغي بين الصبحين قدر تلتبس منزلة بالتقريب
نشك فيها انه من وقت الصبح الصادق او الكاذب وهو مبدا ظهور البياض
وانتشاره قبل انساع عرضه فمن وقت الشك ينبغي ان يترك الصائم السحور ويقدم
القائم الوتر عليه ولا يصلي صلاة الصبح حتى ينقضي مدة الشك فاذا تحقق صلى
ولو اراد مريد ان يقدر على التحقق وقتا مغتنما يشرب فيه مستحرا او يقوم عقيبه
ويصلي الصبح متصلا به فليس يعرف قدر ذلك في قوة البشر اصلا بل لا بد من مهلة
التوقف والشك ولا اعتماد الا على العيان ولا اعتماد في العيان الا على ان يصير
الضوء منتشرا في العرض حتى يبدو اوايل الصفرة وقد غلط في هذا جمع من الناس
كثير يصلون قبل الوقت ويدل عليه ما رواه ابو عيسى الترمذي في جامعه عن طلق
ابن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كلوا واشربوا ولا يهدنكم الساطع
المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الاحمر وهذا تصريح برعاية الحمرة قال
في الباب عن عدي بن حاتم وابي ذر وسمرة وهو حديث حسن والعمل على هذا عند
اهل العلم وقال ابن عباس كلوا واشربوا ما دام الضوء ساطعا قال صاحب الغريبين
اي مستطيلا فاذن ينبغي ان لا يعول الا على ظهور الصفرة وكانها مبادي الحمرة وانما
يحتاج المسافر الى معرفة الاوقات لانه قد يبادر بالصلاة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه
النزول او قبل النوم حتى يستريح فان وطن نفسه على تاخير الصلاة الى ان يتيقن فيسمح
بفوات فضيلة اول الوقت ويتجشم كلفة النزول وكلفة تاخير النوم الى النزول استغنى
عن تعلم علم الاوقات فان المشكل اوايل الاوقات لا اوساطها تم كتاب اداب السفر من ربع
العادات من كتب الاحيا وصلى الله على سيدنا محمد يتلوه ان شا الله تعالى كتاب اداب السماع
والوجد بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم **كتاب السماع والوجد**
الحمد لله الذي احرق قلوب اوليايه بنار محبته واسترق هممهم وارواحهم بالشوق الى لقايه
ومشاهدته ووقف ابصارهم وبصايرهم على ملاحظة جمال حضرته حتى اصبحوا

اليقين

من تنسم روح الوصال سكرى واصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهة
حيرا فلم يروا في الكونين شيئا سواه ولم يذكروا في الدارين الا اياه ان سنحت لابصارهم
صورة عبرت الى المصور بصائرهم وان قرعت اسماعهم نغمة سبقت الى المحبوب سرائرهم
وان ورد عليهم صوت مزعج او مقلق او مطرب او محزن او مبهج او مشوق لم يكن انزعاجهم
الا اليه ولا طربهم الا به ولا قلقهم الا عليه ولا حزنهم الا فيه ولا شوقهم الا الى ما لديه
ولا انبعاثهم الا له ولا ترددهم الا حواليه فمنه سماعهم واليه استماعهم فقد اقفل عن غيره
ابصارهم واسماعهم اولئك الذين اصطفاهم الله لولايته واستخلصهم من بين اصفيائه
وخاصته والصلاة والسلام على محمد المبعوث برسالته وعلى آله واصحابه ائمة
الحق وقادته وسلم كثيرا اما بعد فان القلوب والسرائر خزائن الاسرار ومعادن الجواهر
وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار في الحديد والحجر واخفيت كما اخفي الماء تحت
التراب ولا سبيل الى استثارة خفاياها الا بقوادح السماع فلا منفذ الى القلوب الا من دهليز
فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج ما فيها وتظهر محاسنها او مساويها فلا يظهر من
القلب عند التحريك الا ما يحويه كما لا يترشح الاناء الا بما فيه فالسماع للقلب محك صادق
ومعيار ناطق فلا يصل روح السماع اليه الا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه واذا
كانت القلوب بالطباع مطيعة للاستماع حتى ابدت مواردها مكامنها وكشفت
بها عن مساويها ومحاسنها وجب شرح القول في السماع والوجد وبيان ما فيهما من
الفوائد والآفات وما يستحب فيهما من الآداب والهيئات وما يتطرق اليهما من خلاف العلماء
في انهما من المحظورات او المباحات ونحن نوضح ذلك في بابين الباب الاول في اباحة السماع
الباب الثاني في آدابه وآثاره في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص والزعقة وتمزيق الثياب

الباب الاول في ذكر اختلاف العلماء في اباحة السماع وكشف الحق فيه بيان اقاويل
العلماء ~~في اباحة السماع وكشف الحق فيه~~ والمتصوفة في تحليله وتحريمه اعلم ان السماع هو
اول الامر ويثمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد ويثمر الوجد تحريك الاطراف اما بحركة غير
موزونة فتسمى الاضطراب واما موزونة فتسمى التصفيق والرقص فلنبدا بحكم السماع
وهو الاول وننقل فيه الاقاويل المعربة عن المذاهب فيه ثم نذكر الدليل على اباحته ثم نردفه
بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه فاما نقل المذاهب فقد حكى القاضي ابو الطيب الطبري
عن الشافعي رضي الله عنه ومالك وابي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء رضوان الله عليهم
الفاظا يستدل بها على انهم راوا تحريمه فقال قال الشافعي في كتاب ادب القضا

ان الغنا

ان الغنا لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضي
ابو الطيب استماعه من المراة التي ليست بمحرم له لا يجوز عند اصحاب الشافعي بحال سوا
كانت مكشوفة او من وراء حجاب وسوا كانت حرة او مملوكة وقال قال الشافعي رضي الله
عنه صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وقال حكي الشافعي
انه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القران
وقال الشافعي ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد اكثر ما يكره من اللعب بشي من الملاهي
ولا احب اللعب بالشطرنج واكره كلما لعب به الناس لان اللعب ليس من صنعة اهل الدين
ولا المروة واما مالك رحمه الله فقد نهى عن الغنا وقال اذا اشترى جارية فوجدها
مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر اهل المدينة الا ابراهيم بن سعد وحده واما
ابو حنيفة رحمه الله فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغنا من الذنوب وكذلك سائر
اهل الكوفة سفيان الثوري وحماد وابراهيم النخعي وغيرهم فهذا كله نقله القاضي
ابو الطيب الطبري ونقل ابو طالب المكي اباحة السماع عن جماعة وقال سمع من الصحابة
عبد الله بن جعفر وابن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم وقال قد فعل ذلك
كثير من السلف صحابي وتابعي باحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع
في افضل ايام السنة وهي الايام المعدودات التي امر الله تعالى عباده فيها بذكره كايام
التشريق ولم يزل اهل المدينة مواظبين كاهل مكة على السماع الى زماننا هذا فادركنا ابا مروان
القاضي وله جوار يسمعن التلحين قد اعدهن للصوفية قال وكان لعطا جاريتان يلحنان وكان
اخوانه يستمعون اليهما قال وقيل لابي الحسين بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد
وسري وذو النون يسمعون فقال كيف انكره واجازه وسمعه من هو خير مني ومنهم
وقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وانما انكر اللهو واللعب في السماع وروي عن يحيى
ابن معاذ انه قال فقدنا ثلاثة اشيا فما نراها ولا نراها تزداد الا قلة حسن الوجه مع
الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الاخا مع الوفا ورايت في بعض الكتب هذا
بعينه محكيا عن الحارث المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده
في الدين وتشميره قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة الا ان يكون فيها سماع وحكي عن
بعضهم انه قال اجتمعنا في دعوة ومعنا ابو القاسم بن بنت منيع وابو بكر بن ابي داود
وابن مجاهد في نظائرهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحض ابن بنت منيع على ابن
ابي داود في ان يسمع فقال ابن ابي داود حدثني ابي عن احمد بن حنبل رضي الله عنه

انه كره السماع وكان ابي يكرهه وانا على مذهب ابي فقال ابو القاسم بن بنت منيع اما
جدي احمد حدثني عن صالح بن احمد ان اباه كان يسمع قول ابن الخبازة فقال ابن مجاهد لابن
ابي داود دعني انت من ابيك وقال لابن بنت منيع دعني انت من جدك اي شي تقول يا ابا بكر
فيمن انشد بيت شعر اهو حرام قال ابن ابي داود فقال لا قال فان كان حسن الصوت حرم
عليه انشاده قال لا قال فان انشده وطول وقصر منه الممدود ومد المقصور يحرم عليه
قال انا لم اقوى بشيطان واحد فكيف اقوى بشيطانين قال وكان ابو الحسن العسقلاني
الاسود من الاوليا يسمع ويوله عند السماع وصنف فيه كتابا ورد فيه على منكريه وحكي عن
بعض الشيوخ انه قال رايت ابا العباس الخضر عليه السلام فقلت ما تقول في هذا السماع
الذي اختلف فيه اصحابنا فقال هو الصفا الزلال الذي لا يثبت عليه الا اقدام العلما وحكي
عن ممشاد الدينوري رحمه الله انه قال رايت النبي عليه الصلاة والسلام في النوم فقلت
يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيا قال ما انكر منه شيا ولكن قل لهم يفتتحون
قبله بالقران ويختمون بعده بالقران وحكي عن طاهر بن بلال الهمداني الوراق وكان من
اهل العلم انه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرايت طايفة يوما يقولون في جانب
منه قولا ويسمعون فانكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشعر
قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية والى جنبه ابو بكر
الصديق رضي الله عنه وهو يقول شيا من القول والنبي عليه الصلاة والسلام يستمع اليه ويضع
يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي ان انكر على اوليك الذين يستمعون
وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر يقول فالتفت الي النبي عليه الصلاة والسلام وقال
هذا حق بحق او قال حق من حق انا اشك فيه وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطايفة
في ثلاثة مواضع عند الاكل لانهم لا ياكلون الا عن فاقة وعند المذاكرة لانهم يتحاورون في مقامات
الصديقين وعند السماع لانهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا وعن ابن جريج انه كان يرخص
في السماع فقيل له يوتى به يوم القيامة في جملة حسناتك او سياتك فقال لا في الحسنات ولا في
السيات لانه شبيه باللغو قال الله تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم هذا ما نقل من
الاقاويل ومن طلب الحق من التقليد فمهما استقصى تعارضت عنده الاقاويل فيبقى
متحيرا او مايلا الى بعض الاقوال بالتشهي وكل ذلك قصور بل ينبغي ان يطلب الحق بطريقه وذلك
بالبحث عن مدارك الحظر والاباحة كما سنذكره والله اعلم

بيان الدليل على اباحة السماع

اعلم ان قول القايل السماع حرام معناه ان الله يعاقب عليه وهذا امر لا يعرف بمجرد
العقل

العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة في النص والقياس على المنصوص والمعني
بالنص ما اظهره النبي صلى الله عليه الصلاة والسلام بقوله او فعله وبالقياس المعنى
المفهوم من الفاظه وافعاله فان لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول
بتحريمه بقي فعلا بلا حرج فيه كساير المباحات ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس
ويتضح ذلك في جوابنا عن ادلة المايلين الى التحريم ومهما تم الجواب عن ادلتهم كان ذلك مسلكا
كافيا في اثبات هذا الغرض لكن نستفتح ونقول قد دل القياس والنص جميعا على اباحته
اما القياس فهو ان الغنا اجتمع فيه معاني ينبغي ان يبحث عن افرادها ثم عن مجموعها فان
فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب فالوصف الاعم انه صوت طيب ثم الطيب
ينقسم الى المفهوم كالاشعار والى غير المفهوم كاصوات الجمادات وساير الحيوانات اما سماع
الصوت الطيب من حيث انه طيب فلا ينبغي ان يحرم بل هو حلال بالنص والقياس اما القياس
فانه يرجع الى تلذذ حاسة السمع بادراك ما هو مخصوص به وللانسان عقل وخمس حواس
ولكل حاسة منها ادراك وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلذ فلذة البصر في المبصرات الجميلة
كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن وبالجملة ساير الالوان الجميلة وهي في مقابلة
ما يكره من الالوان الكدرة القبيحة وللشم الروايح الطيبة وهي في مقابلة الانتان
المستكرهة وللذوق الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة وهي في مقابلة
المزازة والمرارة المستبشعة وللمس لذة اللين والنعومة والملاسة وهي في
مقابلة الخشونة والضراسة وللعقل لذة العلم والمعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة
فكذلك الاصوات المدركة بالسمع تنقسم الى مستلذة كصوت العنادل والمزامير ومستكرهة
كصوت الحمير وغيرها فما اظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على ساير الحواس ولذاتها واما النص
فيدل على اباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده اذ قال يزيد في الخلق
ما يشاء قيل هو الصوت الحسن وفي الخبر ما بعث الله نبيا الا حسن الصوت وقال النبي صلى الله
عليه وسلم لله اشد اذنا بالحسن الصوت للقران من صاحب القينة الى قينته وفي الحديث في
معرض المدح لداود انه كان حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان
يجتمع الانس والجن والوحش والطير لسماع صوته وكان يحمل من مجلسه اربعمائة جنازة
وما يقرب منها في الاوقات وقال عليه الصلاة والسلام في مدح ابي موسى لقد اعطي مزمارا
من مزامير ال داود وقول الله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير يدل بمفهومه على مدح الصوت
الحسن ولو جاز ان يقال انما ابيح ذلك بشرط ان يكون في القران للزمه ان يحرم صوت العندليب
لانه لا يقرا القران واذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه

الحكمة والمعاني الصحيحة وان من الشعر لحكمة فهذا نظر في الصوت من حيث انه
طيب حسن الدرجة الثانية النظر في الصوت الموزون فان الموزون وراء الحسن فكم
من صوت حسن خارج عن الوزن وكم من صوت موزون غير مستطاب والاصوات الموزونة
باعتبار مخارجها ثلاثة اما ان تخرج من جماد كصوت المزامير والاوتار وصوت القضيب
والطبل وغيرها واما ان تخرج من حنجرة حيوان وذلك الحيوان اما انسان واما غيره
فصوت العنادل والقماري وذوات السجع من الطيور مع طيبها موزونة متناسبة
المطالع والمقاطع فلذلك تستلذ سماعها والاصل في الاصوات حناجر الحيوان وانما
وضعت المزامير على صوت الحناجر وهو تشبيه للصنعة بالخلقة وما من شيء يتوصل
اهل الصناعات بصناعتهم الى تصويرها الا ولها مثال في الخلقة التي استأثر الله
تعالى به منه يعلم الصناع وبه قصد الاقتدا وشرح ذلك يطول فسماع هذه الاصوات
يستحيل ان تحرم لكونها طيبة وموزونة فلا ذاهب الى صوت العنادل وساير الطيور
ولا فرق بين حنجرة ولا بين جماد وحيوان فينبغي ان يقاس على صوت العندليب
الاصوات الخارجة من ساير الاجسام باختيار الادمي كالذي يخرج من حلقه او من القضيب
والطبل والدف وغيره ولا يستثنى عن هذا الا الملاهي والاوتار والمزامير التي ورد الشرع
بالمنع منها لا للذتها اذ لو كان للذة لقيس عليها كلما يلتذ به الانسان ولكن
حرمت الخمور واقتضت ضراوة الناس بها المبالغة في الفطام عنها حتى انتهى
الامر في الابتدا الى كسر الدنان فحرم معها ما هو شعار اهل الشرب وهي الاوتار
والمزامير فقط وكان تحريمها من قبيل الاتباع كما حرمت الخلوة لانها مقدمة الجماع وحرم
النظر الى الفخذ لاتصاله بالسوءتين وحرم قليل الخمر وان كان لا يسكر لانه يدعو الى المسكر
وما من حرام الا وله حريم يطيف به وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام
ووقاية له وحصنا مانعا حوله كما قال عليه الصلاة والسلام ان لكل ملك حمى وان
حمى الله محارمه فهي محرمة تابعة لتحريم الخمر لثلاث علل احدها انها تدعو الى شرب
الخمر فان اللذة الحاصلة بها انما تتم بالخمر ولمثل هذه العلة حرم قليل الخمر الثانية
انها في حق قريب العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الانس بالشرب فهو سبب الذكر والسبب
ذكر انبعاث الشوق وانبعاث الشوق اذا قوي سبب الاقدام ولهذه العلة نهوا
في الانتباذ عن المزفت والحنتم وهي الاواني التي كانت مخصوصة بها فمعناها
ان مشاهدة صورتها تذكرها وهذه العلة تفارق الاولى اذ ليس فيها اعتبار

اللذة

لذة في المنكر اذ لا لذة في رؤية العيدان واواني الشرب لكن من حيث التذكر
بها فان كان السماع يذكر الشرب وتذكر الشرب يشوق الى الخمر عند من الف
ذلك مع الشرب فهو منهي عن السماع بخصوص هذه العلة الثالث الاجتماع
عليها لما ان صار من عادة اهل الفسق فيمنع التشبه بهم لان من تشبه بقوم
فهو منهم وبهذه العلة نقول بترك السنة مهما صار شعارا لاهل البدعة
خوفا من التشبه بهم وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة وهو طبل مستطيل
دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المخنثين ولولا ما فيه من التشبه
لكان مثل طبل الحجيج والغزو وبهذه العلة نقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلسا
واحضروا الات الشراب واقداحها ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم
فياخذون من الساقي ويشربون ويحيون الجمع ويحيونهم بكلماتهم المعتادة
بينهم حرم ذلك وان كان المشروب حلالا لان فيه تشبها باهل الفساد
بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن حلق الشعر على الراس قزعا في بلاد صار القبا
من لباس اهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد اهل الصلاح
ذلك فيهم فبهذه المعاني يحرم المزمار العراقي والاوتار كلها كالعود والصنج والرباب
والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج
وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منه صوت مستطاب
موزون سوى ما يعتاده اهل الشرب لان كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكرها
ولا يشوق اليها ولا يوجب التشبه باربابها فلم يكن في معناها اقول سماع
الاوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام ايضا وبهذا يتبين
انه ليس العلة في تحريمها مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها
الا ما في تحليلها فساد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده
والطيبات من الرزق فهذه الاصوات لا تحرم من حيث انها اصوات موزونة
وانما تحرم بعارض اخر كما سياتي في العوارض المحرمة الدرجة الثالثة الموزون
المفهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج الا من حنجرة الانسان فيقطع باباحة ذلك
لانه ما زاد الا كونه مفهوما والكلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب الموزون
غير حرام فاذا لم يحرم الاحاد فمن اين يحرم المجموع نعم ينظر فيما يفهم منه فان كان فيه
امر محذور حرم نثره ونظمه وحرم التصويت به سواء كان بالحان او لم يكن والحق

الخمر

فيه ما قاله الشافعي رضي الله عنه اذ قال الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح
ومهما جاز انشاد الشعر بغير صوت والحان جاز مع الالحان فان افراد المباحات
اذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحا ومهما انضم مباح الى مباح لم يحرم الا اذا تضمن
المجموع محذورا لا يتضمنه الاحاد ولا محذور ههنا فكيف ينكر انشاد الشعر وقد
انشد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وقال عليه الصلاة والسلام ان من الشعر لحكمه
وانشدت عايشة رضي الله عنها * ذهب الذين يعاش في اكنافهم * وبقيت في خلف
كجلد الاجرب * وروي عن عايشة رضي الله عنها في الصحيحين انها قالت لما قدم النبي
صلى الله عليه وسلم المدينة وعك ابو بكر وبلال وكان بها وبا فقلت يا ابه كيف تجدك
ويا بلال كيف تجدك فكان ابو بكر رضي الله عنه اذا اخذته الحمى قال * كل امرء مصبح في اهله
والموت ادنى من شراك نعله * وكان بلال اذا اقلع عنه يرفع عقيرته ويقول
* الا ليت شعري هل ابيتن ليلة * بواد وحولي اذخر وجليل * وهل اردن يوما
مياه مجنة * وهل يبدون لي شامة وطفيل * قالت فاخبرت بذلك النبي صلى الله
عليه وسلم فقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة وكان عليه الصلاة والسلام
ينقل اللبن مع القوم في بنيان المسجد وهو يقول * هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا
ابر ربنا واطهر * وقال ايضا صلى الله عليه وسلم * اللهم ان الاجر اجر الاخره *
فاغفر للانصار والمهاجره * وهذان البيتان في الصحيحين وكان عليه الصلاة
والسلام يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قايما يفاخر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وينافح ويقول عليه الصلاة والسلام ان الله يويد حسان
بروح القدس ما نافح او فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما انشده النابغة
شعرا قال له عليه الصلاة والسلام لا يفضض الله فاك وقالت عايشة رضي الله عنها
كان اصحاب النبي عليه الصلاة والسلام يتناشدون الاشعار وهو يتبسم وعن عمرو
ابن الشريد عن ابيه قال انشدت النبي عليه الصلاة والسلام مائة قافية من قول امية
ابن ابي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ثم قال ان كان في شعره ليسلم وعن انس
ان النبي عليه الصلاة والسلام كان يحدى له في السفر وان انجشة كان يحدو في السفر
بالنسا والبراء بن مالك كان يحدو بالرجال فقال عليه الصلاة والسلام يا انجشة
رويدك رفقا بالقوارير ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان النبي صلى الله
عليه وسلم وزمان الصحابة رضي الله عنهم وما هو الا اشعار تودى باصوات طيبة

والحان

والحان موزونة ولم ينقل عن احد من الصحابة انكاره بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك
الجمال وتارة للاستلذاذ فلا يجوز ان يحرم من حيث انه كلام مفهوم مستلذ مودى
باصوات طيبة والحان موزونة الدرجة الرابعة النظر فيه من حيث انه محرك للقلب
ومهيج لما هو الغالب عليه فاقول لله تعالى سر في مناسبة النغمات الموزونة في الارواح
حتى انها لتوثر فيها تاثيرا عجيبا فمن الاصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم ومنها
ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج من الاعضا حركات على وزنها باليد والرجل والراس
ولا ينبغي ان يظن ان ذلك لفهم معاني الشعر بل هي جارية في الاوتار حتى قيل من لم يحركه
الربيع بل هي جارية في الاوتار حتى قيل من لم يحركه الربيع وازهاره والعود واوتاره فهو فاسد المزاج
المزاج ليس له علاج وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتاثيره مشاهد في الصبي في مهده
فكيف يسكته الصوت الطيب عن بكائه ويصرف نفسه عما يبكيه الى الاصغا اليه فالجمل
مع بلادة الطبع يتاثر بالحدا تاثرا يستخف معه الاحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه
في سماعه المسافات الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فتراها اذا طالت
عليها البوادي واعتراها الاعيا تحت المحامل اذا سمع منادي الحدا تمد اعناقها وتصغي
الى الحادي دافعة اذانها وتسرع في سيرها حتى تتزعزع عليها محاملها وربما تتلف نفسها
من شدة السير وثقل الحمل وهي لا تشعر به لنشاطها فقد حكى ابو بكر محمد بن داود الدينوري
المعروف بالرقي قال كنت في البادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فاضافني رجل
منهم وادخلني خباه فرايت في الخبا عبدا اسود مقيدا بقيد ورايت جمالا قد ماتت
بين يدي البيت ورايت جملا قد نحل وهو ذابل كانه ينزع روحه فقال لي الغلام انت
ضيف ولك حق فتشفع في فانه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك فعساه يحل القيد
عني فلما احضروا الطعام امتنعت وقلت لا اكل ما لم اشفع في هذا العبد فقال
ان هذا الغلام قد افقرني واهلك جميع مالي فقلت ماذا فعل فقال ان له صوتا طيبا
وكنت اعيش من ظهور هذه الجمال فحملها احمالا ثقالا وكان يحدو حتى قطعوا مسيرة
ثلاثة ايام في ليلة واحدة من طيب نغمته فلما حطت احمالها ماتت كلها الا هذا الجمل الواحد
ولكن انت ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك قال فاحببت ان اسمع صوته فلما اصبحنا
امره ان يحدو على جمل يستقي الماء من بير هناك فلما رفع صوته هام الجمل وقطع حباله
ووقعت انا على وجهي فما اظن اني سمعت صوتا اطيب منه فاذا تاثير السماع في القلوب
محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مايل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية
زايد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على سائر البهايم فان جميعها

يتأثر بالنغمات الموزونة ولذلك كانت تقف الطيور على رأس داود عليه الصلاة
والسلام لاستماع صوته ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلوب لم
يجز أن يحكم فيه مطلقا بإباحة وتحريم بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص واختلاف
طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب قال أبو سليمان السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه
لكن يحرك ما هو فيه فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة معتاد في مواضع لأغراض
مخصوصة يرتبط بها آثار في القلب وهي سبعة مواضع الأول غناء الحجيج فإنهم يدورون
أولا في البلاد بالطبل والشاهين والغناء وذلك مباح لأنها أشعار نظمت في وصف
الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وسائر المشاعر ووصف البادية وغيرها وأثرها
يهيج الشوق إلى حج بيت الله والاشتعال بنيرانه إن كان ثم شوق حاصل أو استثارة
الشوق واجتلابه إن لم يكن حاصلا وإذا كان الحج قربة والشوق إليه محمودا كان التشويق
إليه بكل ما يشوق محمودا وكما يجوز للواعظ أن ينظم كلامه في الوعظ ويزينه بالسجع
ويشوق الناس إلى الحج بوصف البيت والمشاعر ووصف الثواب عليه جاز لغيره ذلك
على نظم الشعر فإن الوزن إذا انضاف إلى السجع صار الكلام أوقع في القلب فإذا أضيف
إليه صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقعه فإن أضيف إليه الطبل والشاهين وحركات
الإيقاع زاد التأثير وكل ذلك جائز ما لم يدخل فيه المزامير والأوتار التي هي شعار
الأشرار نعم إن قصد به تشويق من لا يجوز له الخروج إلى الحج كالذي أسقط الفرض
عن نفسه ولم يأذن له أبواه في الخروج فهذا يحرم عليه الخروج فيحرم تشويقه إلى
الخروج بالسماع وبكل كلام يشوق إلى الخروج فإن التشويق إلى الحرام حرام وكذا إذا كانت
الطرق غير آمنة وكان الهلاك غالبا لم يجز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق الثاني
ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو وذلك أيضا مباح كما للحاج ولكن ينبغي
أن تخالف أشعارهم وطرق ألحانهم أشعار الحاج لأن استثارة داعية الغزو بالتشجيع
وتحريك الغيظ والغضب فيه على الكفار وتحسين الشجاعة واستحقار النفس والمال
بالإضافة إليه بالأشعار المشجعة مثاله قول المتنبي: فإلا تمت تحت السيوف مكرما
تمت وتقاسي الذل غير مكرم، وقوله أيضا: يرى الجبناء أن الجبن حزم، وتلك خديعة الطبع
اللئيم، وأمثال ذلك وطرق الأوزان المشجعة تخالف الطرق المشوقة فهذا أيضا مباح
في وقت يباح فيه الغزو ومندوب إليه في وقت يستحب فيه الغزو ولكن في حق من يجوز له
الخروج إلى الغزو الثالث الرجزيات التي يستعملها الشجعان في وقت اللقاء
والغرض منها التشجيع للنفس وللأنصار وتحريك النشاط فيه للقتال وفيه التمدح

بالشجاعة

بالشجاعة والنجدة وذلك اذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان اوقع في النفس وذلك مباح
في كل قتال مباح ومندوب في كل قتال مندوب ومحظور في قتال المسلمين واهل الذمة وكل قتال
محظور لان تحريك الدواعي الى المحظور محظور وذلك منقول عن شجعان الصحابة كعلي وخالد رضي الله
عنهما وغيرهما ولذلك نقول يمنع من الضرب بالشاهين في معسكر الغزاة فان صوته
مرقق محزن يحلل عقدة الشجاعة ويضعف ضراوة النفس ويشوق الى الاهل والوطن
ويورث الفتور في القتال وكذا سائر الاصوات والالحان المرققة للقلب فالالحان المرققة المحزنة
تباين الالحان المحركة المشجعة فمن فعل ذلك على قصد تغيير الارا عن القتال المندوب فهو عاص
ومن فعل على قصد التفتير عن القتال المحظور فهو مطيع الرابع اصوات النياحة ونغماتها
وتاثيرها في تهييج الحزن والبكا وملازمة الكابة والحزن قسمان محمود ومذموم اما
المذموم فكالحزن على ما فات قال الله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم والحزن
على الاموات من هذا القبيل فانه تسخط لقضاء الله تعالى وتاسف على ما لا تدارك له فهذا الحزن
لما كان مذموما كان تحريكه بالنياحة مذموما فلذلك ورد النهي الصريح في النياحة واما
الحزن المحمود فهو حزن الانسان على تقصيره في امر دينه وبكاوه على خطاياه والبكا
والتباكي والحزن والتحازن على ذلك محمود وعليه بكا ادم صلوات الله وسلامه عليه
وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لانه يبعث على التشمر للتدارك ولذلك كانت نياحة
داود عليه الصلاة والسلام محمودة اذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكا بسبب
الخطايا والذنوب فقد كان يبكي ويحزن ويحزن ويبكي حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس
نياحته وكان يفعل ذلك بالفاظه والحانه وذلك محمود لان المفضي الى المحمود محمود وعلى
هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت ان ينشد على المنبر بالحانه الاشعار المحزنة المرققة
للقلب ولا ان يبكي ويتباكى ليتوصل به الى تبكية غيره واثارة الحزن الخامس السماع في اوقات
السرور تاكيدا للسرور وتهييجا له وهو مباح ان كان ذلك السرور مباحا كالغنا في ايام
العيد وفي العرس وفي وقت قدوم الغايب وفي وقت الوليمة والعقيقة وذلك عند ولادة
الولد وعند ختانه وعند حفظه للقران فكل ذلك مباح لاجل اظهار السرور ووجه جوازه
ان من الالحان ما يثير الفرح والسرور والطرب فكل ما جاز السرور به جاز اثارة السرور فيه
ويدل على هذا من النقل انشاد النسا على السطوح بالدف والالحان عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم
طلع البدر علينا من ثنيات الوداع ⁕ وجب الشكر علينا ما دعا لله داعي ⁕ فهذا اظهار السرور
بقدومه وهو سرور محمود فاظهاره بالشعر والنغمات والرقص والحركات ايضا محمود

فقد نقل عن جماعة من الصحابة انهم حجلوا في سرور اصابهم كما سياتي في احكام الرقص وهو
جائز في فرحة وكل فادح يجوز الفرح به وفي كل شيء مباح من اسباب السرور ويدل على هذا
ما روي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها انها قالت رايت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني
بردائه وانا انظر الى الحبشة يلعبون في المسجد حتى اكون انا التي اسامه فاقدروا قدر
الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو اشارة الى طول مدة وقوفها وروى مسلم والبخاري
في صحيحيهما حديث عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة ان ابا بكر رضي الله عنه دخل
عليها وعندها جاريتان في ايام منى تدففان وتضربان والنبي عليه الصلاة والسلام
متغش بثوبه فانتهرهما ابو بكر رضي الله عنه فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه
فقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد وقالت عائشة رضي الله عنها رايت النبي صلى الله
عليه وسلم يسترني وانا انظر الى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر
فقال النبي صلى الله عليه وسلم امنا يا بني ارفدة يعني من الامن وفي حديث عمرو بن
الحارث عن ابن شهاب نحوه وفيه تغنيان وتضربان وفي حديث ابي طاهر عن ابن وهب
والله لقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم
في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فيسترني بردائه لكي انظر الى لعبهم ثم يقوم من اجلي حتى
اكون انا التي انصرف وروي عن عائشة قالت كنت العب بالبنات عند النبي عليه الصلاة
والسلام وكان ياتيني صواحبي فكن ينقمعن من النبي عليه الصلاة والسلام قالت
وكان النبي عليه الصلاة والسلام يسربهن الي فيلعبن معي وفي رواية ان النبي عليه الصلاة
والسلام قال لها ما هذا قالت بناتي قال فما هذا الذي في وسطهن قالت فرس قال وما هذا
الذي عليه قالت جناحان قال فرس له جناحان قالت اوما سمعت ان لسليمان
ابن داود خيلا لها اجنحة قالت فضحك حتى بدت نواجذه والحديث محمول عندنا على
عادة الصبيان في اتخاذ الصور من الخرق والرقاع من غير تكميل صورته بدليل ما روي في
بعض الروايات ان الفرس كانت له جناحان من رقاع وقالت عائشة دخل علي النبي
صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه
فدخل ابو بكر فانتهرني وقال مزمارة الشيطان عند النبي صلى الله عليه وسلم فاقبل عليه النبي
صلى الله عليه وسلم وقال دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا وكان يوم عيد يلعب السودان
بالدرق والحراب فاما سالت النبي عليه الصلاة والسلام واما قال تشتهين تنظرين فقلت
نعم فاقامني وراءه وخدي على خده ويقول دونكم يا بني ارفدة حتى اذا مللت قال حسبك قلت

نعم

نعم قال فاذهبي وفي صحيح مسلم فوضعت راسي على منكبه فجعلت انظر الى لعبهم حتى كنت
انا التي انصرف فهذه الاحاديث كلها في الصحيحين وهو نص صريح في ان الغنا واللعب
ليس بحرام وفيها دلالة على انواع من الرخص الاول اللعب ولا يخفى عادة الحبشة في الرقص
واللعب والثاني فعل ذلك في المسجد والثالث قوله عليه الصلاة والسلام دونكم يا بني
ارفدة وهو امر باللعب والتماس له فكيف يقدر كونه محرما والرابع منعه لابي بكر وعمر
من الانكار والتغيير وتعليله بانه يوم عيد اي هو وقت السرور وهذا من اسباب السرور
والخامس وقوفه طويلا في مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة عايشة وفيه دليل على ان حسن
الخلق في تطييب قلب النسا والصبيان بمشاهدة اللعب احسن من خشونة الزهد والتقشف
في الامتناع والمنع منه والسادس قوله عليه الصلاة والسلام ابتدا لعايشة رضي
الله عنها اتشتهين ان تنظرين فلم يكن ذلك عن اضطرار الى مساعدة الاهل خوفا من
غضب او وحشة فان الالتماس اذا سبق ربما كان الرد سبب وحشة وهو محذور
فيقدم محذور على محذور فاما ابتداه بالسوال فلا حاجة والسابع الترخص في الغنا والضرب
بالدف من الجاريتين مع انه شبه ذلك بمزامير الشيطان وفيه بيان ان المزمور المحرم
غير ذلك والثامن ان النبي عليه الصلاة والسلام كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو
مضطجع ولو كان يضرب بالاوتار في موضع لما جوز الجلوس ثم لتقرع صوت الاوتار سمعه
فيدل على ان صوت النسا غير محرم تحريم صوت المزامير بل انما يحرم عند خوف الفتنة
فهذه المقاييس والنصوص تدل على اباحة الغنا والرقص والضرب بالدف واللعب
بالدرق والحراب والنظر الى رقص الحبشة والزنوج في اوقات السرور كلها قياسا
على يوم العيد فانه وقت سرور وفي معناه يوم العرس والعقيقة والوليمة والختان
ويوم القدوم من السفر وسائر اسباب الفرح وهو كلما يجوز الفرح به شرعا ويجوز الفرح
بزيارة الاخوان ولقايهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام او كلام فهي ايضا مظنة
السماع التاسع سماع العشاق تحريكا للشوق وتهييجا للعشق وتسلية للنفس
فان كان في مشاهدة المعشوق فالغرض تاكيد اللذة وان كان مع المفارقة فالغرض تهييج
الشوق والشوق وان كان الما ففيه نوع لذة اذا انضاف اليه رجا الوصال
فان الرجا لذيذ واليا س مولم وقوة الرجا بحسب قوة الشوق والحب للشي المرجو ففي هذا
السماع تهييج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجا المقدر في الوصال مع الاطناب
في وصف شخص المحبوب وهذا حلال ان كان المشتاق اليه ممن يباح وصاله كمن يعشق
زوجته او سريته فيصغي الى غنايها لتتضاعف لذته في لقايها فيحظى منها بالمشاهدة

بالبصر وبالسماع بالاذن ويفهم لطائف معاني الوصال والفراق القلب فيتزايد اسباب
اللذة فهذا نوع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها وما الحياة الدنيا كلها الا لهو ولعب
وهذا منه وكذلك ان غصبت منه جارية او غابت وحيل بينه وبينها بسبب من الاسباب
فله ان يحرك بالسماع شوقه وان يستثير به لذة رجاء الوصال فان باعها او طلقها حرم
عليه ذلك بعده اذ لا يجوز تحريك حيث لا يجوز تحقيق الوصل واللقاء واما من يتمثل
في نفسه صورة صبي او امراة لا يحل له النظر اليها وكان ينزل ما يسمع على ما يتمثل في نفسه فهذا
حرام لانه محرك للفكر في الافعال المحظورة ومهيج للداعية الى ما لا يباح الوصول اليه واكثر الفساق
والسفهاء من الشبان في وقت هيجان الشهوة لا ينفكون عن اضمار شيء من ذلك فذلك ممنوع
في حقهم لما فيهم من الداء الدفين لا لامر يرجع الى نفس السماع ولذلك سئل حكيم عن العشق
فقال دخان يصعد الى دماغ الانسان ويهيجه السابع سماع من احب الله سبحانه وتعالى
وعشقه واشتاق الى لقائه فلا ينظر الى شيء الا رآه فيه ولا يقرع سمعه قارع الا سمعه منه او
فيه والسماع في حقه مهيج شوقه ومؤكد لعشقه وحبه ومورى زناد قلبه ومستخرج
منه احوالا من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها
وينكرها من كل حسه عن ذوقها وتسمى تلك الاحوال عند الصوفية وجدا ماخوذا
من الوجود والمصادفة اي يصادف من نفسه احوالا لم يكن يصادفها قبل السماع ثم تكون
تلك الاحوال اسبابا لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه عن الكدورات
كما تنفي النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات
ومكاشفات وهي غاية مطالب المحبين لله ونهاية ثمرة القربات كلها فالمفضي اليها
من جملة القربات لا من جملة المعاصي والمباحات وحصول هذه الاحوال للقلب بالسماع
سببه سر الله تعالى في مناسبة النغمات الموزونة للارواح وتسخير الارواح لها وتاثرها
بها شوقا وفرحا وحزنا وانبساطا وانقباضا ومعرفة السبب في تاثر الارواح
بالاصوات من دقائق علوم المكاشفات والبليد الجامد القاسي القلب المحروم
عن لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب
البهيمة من لذة اللوزينج وتعجب العنين من لذة المباشرة وتعجب الصبي من لذة الرياسة
واتساع اسباب الجاه وتعجب الجاهل من لذة المعرفة لله تعالى ومعرفة
جلاله وعظمته وعجائب صنعته ولكل ذلك سبب واحد وهو ان اللذة نوع
ادراك والادراك يستدعي مدركا ويستدعي قوة مدركة فمن لم يكمل قوة ادراكه
لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعوم من فقد الذوق فكيف
يدرك

مدرك لذة الالحان من فقد السمع ولذة المعقولات من فقد العقل وكذلك ذوق
السماع بالقلب بعد وصول الصوت الى السمع مدركه بحاسة باطنة في القلب
من فقدها عدم لا محالة لذته ولعلك تقول كيف يتصور العشق في حق الله
تعالى حتى يكون السماع محركا له فاعلم ان من عرف الله احبه لا محالة ومن تأكدت
معرفته تأكدت محبته اذا تأكدت سميت عشقا فلا معنى للعشق الا محبة مؤكدة مفرطة
ولذلك قالت العرب ان محمدا عشق ربه لما رأوه يتخلى للعبادة في جبل حرا فاعلم
ان كل جمال محبوب عند مدرك الجمال والله جميل يحب الجمال ولكن الجمال اذا كان
بتناسب الخلقة وصفا اللون ادرك بحاسة البصر وان كان الجمال بالجلال والعظمة
وعلو الرتبة وحسن الصفات والاخلاق وارادة الخيرات لكافة الخلق وافاضتها
عليهم على الدوام الى غير ذلك من الصفات الباطنة ادرك بحاسة القلب ولفظ الجمال
قد يستعار ايضا لها فيقال ان فلانا جميل وحسن ولا يراد صورته وانما يعني انه جميل
الاخلاق محمود الصفات حسن السيرة حتى قد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة
استحسانا لها كما تحب الصورة الظاهرة وقد تتأكد هذه المحبة فتسمى عشقا
وكم من الغلاة في حب ارباب المذاهب كالشافعي ومالك وابي حنيفة حتى يبذلون اموالهم
وارواحهم في نصرتهم وموالاتهم ويزيدون على كل عاشق في الغلو والمبالغة ومن العجب
ان يعقل عشق شخص لم يشاهد قط صورته اجميل ام قبيح وهو الان ميت ولكن لجمال
صورته الباطنة وصورته المرضية والخيرات الحاصلة من علمه لاهل الدين وغير
ذلك من الخصال ثم لا يعقل عشق من لا خير ولا جمال ولا محبوب في العالم الا وهو حسنة
من حسناته واثر من اثار كرمه وغرفة من بحر جوده بل كل حسن وجمال في العالم ادرك
بالعقول او بالاسماع والابصار وساير الحواس من مبتدا العالم الى منقرضه ومن ذروة
الثريا الى منتهى الثرى فهو ذرة من خزاين قدرته ولمعة من انوار حضرته فليت شعري
كيف لا يعقل حب من هذا وصفه وكيف لا يتأكد عند العارفين باوصافه حبه حتى يجاوز
حدا يكون اطلاق اسم العشق عليه ظلما في حقه لقصوره عن الانبا عن فرط محبته
فسبحان من احتجب عن الظهور بشدة ظهوره واستتر عن الابصار باشراق نوره
ولولا احتجابه بسبعين حجابا من نور لاحرقت سبحات وجهه ابصار الملاحظين
لجمال حضرته ولولا ان ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول ودهشت القلوب
وتخاذلت القوى وتناثرت الاعضا ولولا تركبت القلوب من الحجارة والحديد

لا صبحن تحت مبادي انوار طلعته وكاد كافاني بخلق كنه نور الشمس ابصار الخفافيش
وسياتي تحقيق هذه الاشارة في كتاب المحبة ويتضح ان محبة غير الله جهل وقصور
بل المتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله اذ ليس في الوجود تحقيقا الا الله وصفاته وافعاله
ومن عرف الافعال من حيث انها افعال لم يجاوز معرفة الفاعل الى غيره فمن عرف
الشافعي وعلمه وتصنيفه من حيث انه تصنيفه لا من حيث انه بياض وجلد وحبر
وورق وكلام منظوم ولغة عربية فلم يجاوز معرفته الشافعي الى غيره ولا جاوز
محبته المعنى وكل موجود سوى الله فهو تصنيف الله وفعله بديع افعاله
فمن عرفها من حيث هي صنع الله فراى من الصنع صفات الصانع كما يرى من حسن
التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبته مقصورة على
الله غير مجاوزة الى ما سواه ومن حد العشق انه لا يقبل الشركة وكل ما سوى
هذا العشق فهو قابل للشركة اذ كل محبوب سواه فيتصور له نظير اما في الوجود
او في الامكان فاما هذا الجمال فلا يتصور له ثاني لا في الامكان ولا في الوجود فكان
اسم العشق على حب غيره مجازا محضا لا حقيقة نعم الناقص القريب في نقصانه
من البهيمة قد لا يدرك من لفظ العشق الا طلب الوصال الذي هو عبارة عن تماس ظواهر
الاجسام وقضا شهوة الوقاع فمثل هذا الحمار ينبغي ان لا يستعمل معه لفظ
العشق والشوق والوصال والانس بل يجنب البهيمة النرجس والريحان
ويخصص بالقت والحشيش واوراق القضبان فان الالفاظ انما يجوز اطلاقها
في حق الله تعالى اذا لم يكن موهما معنى يجب تقدس الله عنه والاوهام تختلف باختلاف
الافهام فليتنبه لهذا الدقيق في امثال هذه الالفاظ بل لا يبعد ان ينشا من
مجرد سماع صفة الله وجد غالب يتشوق بسببه نياط القلب فقد روى ابو هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر غلاما في بني اسرائيل كان على جبل فقال
لامه من خلق السما فقالت الله عز وجل قال من خلق الارض قالت الله عز وجل قال
من خلق الجبل قالت الله عز وجل قال من خلق هذا الغيم قالت الله عز وجل فقال اني
اسمع لله شانا ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع فكانه سمع ما دل على جلال الله وتمام
قدرته فرمى نفسه من الوجد وما انزلت الكتب الا ليطربوا بذكر الله تعالى رايت مكتوبا
في الانجيل غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا اي شوقناكم بذكر الله
فلم تشتاقوا فهذا ما اردنا ان نذكره من اقسام السماع وبواعثه ومقتضياته

وقد ظهر

وقد ظهر على القطع اباحته في بعض المواضع والندب اليه في بعض المواضع فان قلت
فهل له حالة يحرم فيها فاقول انه يحرم بخمسة عوارض في المسمع وعارض في آلة
الاسماع وعارض في نظم الصوت وعارض في نفس المستمع او في مواظبته لانه ان كان
السامع هو المسمع واثر الاسماع العارض الاول ان يكون المسمع امراة لا يحل
النظر اليها وتخشى الفتنة في سماعها وفي معناها الصبي الذي تخشى فتنته وهذا حرام
لما فيه من خوف الفتنة وليس ذا لاجل الغنا بل لو كان المراة بحيث تفتتن بصوتها في
المحاورة من غير الحان فلا تجوز محادثتها وسماع صوتها في القران ايضا وكذا الصبي الذي
تخاف فتنته فان قلت فهل تقول ان ذلك حرام بكل حال حسما للباب او لا يحرم الا حيث تخاف
الفتنة فاقول هذه مسالة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها اصلان احدهما ان الخلوة
بالاجنبية والنظر الى وجهها حرام سوا خيف الفتنة او لم تخف لانها مظنة الفتنة على
الجملة فقضى الشرع بحسم الباب من غير التفات الى الصور والثاني ان النظر الى الصبيان
مباح الا عند خوف الفتنة فلا يلحق الصبيان بالنسا في عموم الحسم بل يتبع فيه
الحال وصوت المراة داير بين هذين الاصلين فان قسناه على النظر اليها وجب حسم الباب
وهو قياس قريب ولكن بينهما فرق اذ الشهوة تدعوا الى النظر في اول هيجانها ولا تدعوا الى
الصوت وليس تحريك النظر لشهوة المماسة كتحريك السماع بل هو اشد وصوت المراة في غير
الغنا ليس بعورة فما زالت النسا في زمن الصحابة يكلمن الرجال في السلام والاستفتا
والسوال والمشاورة وغير ذلك ولكن للغنا مزيد اثر في تحريك الشهوة فقياس هذا على
النظر الى الصبيان اولى لانهم لم يومروا بالاحتجاب كما لم تومر النسا بستر الاصوات
فينبغي ان يتبع مثار الفتن ويقصر التحريم عليه هذا هو الاقيس عندي ويتايد بحديث
المغنيتين في بيت عايشة رضي الله عنها اذ يعلم انه عليه الصلاة والسلام كان يسمع
صوتهما ولم يحترز منه ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه فلذلك لم يحترز فاذن يختلف هذا
باحوال المراة واحوال الرجل في كونه شابا وشيخا ولا يبعد ان يختلف الامر في مثل هذا
بالاحوال فانا نقول للشيخ ان يقبل زوجته وهو صايم وليس للشاب ذلك لان القبلة
تدعوا الى الوقاع في الصوم وهو محظور والسماع يدعوا الى النظر والمقاربة وهو حرام
فيختلف ذلك بالاشخاص العارض الثاني في الآلة بان تكون من شعار الشرب او
المخنثين وهي المزامير والاوتار وطبل الكوبة فهذه ثلاثة انواع وما عدا ذلك يبقى على اصل
الاباحة كالدف وان كان فيه الجلاجل وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وساير

الاصلين

الالات العارض الثالث في نظم الصوت وهو الشعر فان كان فيه شي
من الخنا والفحش والهجو او هو كذب على الله او على رسوله صلى الله عليه وسلم
او على الصحابة كما رتبته الروافض في هجا الصحابة وغيرهم فسماع ذلك
حرام بالحان وبغير الحان والمستمع شريك القايل وكذلك ما فيه وصف امراة
بعينها فانه لا يجوز وصف المراة بين يدي الرجال فاما هجا الكفار واهل
البدعة فذلك جايز فقد كان حسان بن ثابت ينافح عن النبي صلى الله عليه وسلم
ويهاجي الكفار وامره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فاما التشبيب وهو الرك
فيه التشبيب بوصف الخدود والاصداغ وحسن القد والقامة وساير
اوصاف النسا فهذا فيه نظر والصحيح انه لا يحرم نظمه وانشاده بصوت
وغير صوت وعلى المستمع ان لا ينزله على امراة بعينها فان نزله فلينزله على
من يحل له من زوجته وجاريته فان نزله على اجنبية فهو العاصي بالتنزيل
واجالة الفكر فيه ومن هذا وصفه فينبغي ان يجتنب السماع راسا فان
من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه عليه سوا كان اللفظ مناسبا له او لم يكن
اذ ما من لفظ الا ويمكن تنزيله على المعاني بطريق الاستعارة فالذي يغلب
على قلبه حب الله يتذكر بظلمة الصدغ سواد الكفر وبنضارة الخد نور
الايمان وبذكر الوصال لقا الله سبحانه وبذكر الفراق الحجاب عن الله في زمرة
المردودين وبذكر الرقيب المشوش لروح الوصال عوايق الدنيا وافاتها
المشوشة لدوام الانس بالله ولا يحتاج في تنزيل ذلك عليه الى استنباط
وتفكر ومهلة بل تسبق المعاني الغالبة على القلب الى فهمه مع اللفظ كما
روي عن بعض الشيوخ انه مر في السوق فسمع قايلا يقول الخيار عشرة
بحبة فغلبه الوجد فسيل عن ذلك فقال اذا كان خيار الناس عشرة بحبة
فما قيمة شرارهم وكان واحد من المتاخرين اجتاز في السوق فسمع انسانا يقول يا سعتر
بري فغلبه الوجد فقيل له ماذا كان وجدك قال سمعته كانه
يقول اسع ترى بري حتى ان العجمي قد يغلب عليه الوجد على الابيات
المنظومة بلغة العرب فان بعض حروفها يوازن حروف العجمية فيفهم
منه معاني اخر انشد بعضهم وما زارني في الليل الا خياله فقلت له اهلا

وسهلا

وسهلا وسهلا ومرحبا ٥ فتواجد العجمي فسئل عنه فقال انه يقول مازاريم
وهو كما يقول فان لفظ زاريم يدل ثم العجمية على المشرف على الهلاك فتوهم
انه يقول كلنا مشرفون على الهلاك واستشعر عنده خطر هلاك الاخرة
والمحترق في حب الله وجده بحسب فهمه وفهمه بحسب تخيله وليس من
شرط تخيله ان يوافق مراد الشاعر ولغته فهذا الوجد حق وصدق ممن
استشعر خطر هلاك الاخرة فجدير بان يتشوش عليه عقله وتضطرب
عليه اعضاوه فاذن ليس في تغيير اعيان الالفاظ كبير فايدة بل الذي يغلب
عليه عشق مخلوق ينبغي ان يحترز من السماع باي لفظ كان والذي غلب عليه
حب الله فلا تضره الالفاظ ولا تمنعه عن فهم المعاني اللطيفة المتعلقة
بمجاري همته الشريفة العارض الرابع في المستمع وهو ان تكون الشهوة
غالبة عليه وكان في غرة الشباب وكانت هذه الصفة اغلب عليه من غيره
فالسماع حرام عليه سوا غلب على قلبه حب شخص معين او لم يغلب فانه
كيف ما كان فلا يسمع الصدغ والخد والوصال والفراق الا حرك ذلك شهوته
وينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها في قلبه فتشتعل فيه نار الشهوة
وتحتد بواعث الشر وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذيل
للعقل المانع منه الذي هو حزب الله والقتال في القلب دايم بين جند الشيطان
وهو الشهوات وبين حزب الله وهو نور العقل الا في قلب قد فتحه احد الجندين
واستولى عليه بالكلية وغالب القلوب قد فتحها جند الشيطان وغلب
عليها فيحتاج ان يستانف اسباب القتال لازعاجها فكيف يجوز تكثير اسلحتها
وتشحيذ سيوفها واسنانها والسماع مشحذ لاسلحة جنود الشيطان في حق
مثل هذا الشخص فليخرج مثل هذا عن مجمع السماع فانه يستضر به العارض
الخامس ان يكون الشخص من عوام الخلق ولم يغلب عليه حب الله ليكون السماع
له محبوبا ولا غلبت عليه الشهوة ليكون في حقه محظورا ولكنه ابيح في حقه كساير
انواع اللذات المباحة الا انه ان اتخذه ديدنه وهجيراه وقصر عليه اكثر اوقاته
فهذا هو السفيه الذي ترد شهادته فان المواظبة على اللهو جناية وكما ان
الصغيرة بالاصرار والمداومة تصير كبيرة فبعض المباحات بالمداومة
تصير صغيرة وهو كالمواظبة على متابعة الزنوج والحبشة والنظر الى

لعبهم على الدوام فهو ممنوع وان لم يكن اصله ممنوعا اذ فعله النبي صلى الله
عليه وسلم ومن هذا القبيل اللعب بالشطرنج فانه مباح ولكن المواظبة مكروهة
كراهية شديدة ومهما كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك انما يباح لما
فيه من ترويح للنفس اذ راحة القلب معالجة له في بعض الاوقات لتنبعث دواعيه
فيشتغل في سائر الاوقات بالجد في الدنيا كالكسب والتجارة او في الدين كالصلوة
والقراءة واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الخال على
الوجه ولو استوعبت الخيلان الوجه لشوهه فما اقبح ذلك فيعود ذلك الحسن
قبحا بسبب الكثرة فما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره بل الخبز
مباح والاستكثار منه حرام فهذا المباح كسائر المباحات فان قيل فقد ادى
مساق الكلام الى انه مباح في بعض الاحوال دون بعض فلم اطلقت القول اولا
بالاباحة اذ اطلاق القول في المفصل بلا او نعم خلف وخطا فاعلم ان هذا غلط
لان الاطلاق انما يمتنع بتفصيل ينشا من عين ما فيه النظر فاما ما ينشا من
الاحوال العارضة المتصلة به من خارج فلا يمنع الاطلاق الا ترى انا اذا
سئلنا عن العسل احلال هو قلنا انه حلال مع انه حرام على المحرور الذي يستضر به
واذا سئلنا عن الخمر قلنا انه حرام مع انه يحل لمن غص بلقمة ان يشربها مهما
لم يجد غيرها ولكن من حيث انه خمر حرام وانما ابيح بعارض الحاجة والعسل
من حيث انه عسل حلال وانما حرم بعارض الضرورة وما يكون بعارض فلا يلتفت
اليه فان البيع حلال ويحرم بعارض الوقوع في وقت الندا يوم الجمعة وامثاله من العوارض
فالسماع من جملة المباحات من حيث انه سماع صوت موزون طيب مفهوم وانما
تحريمه لعارض خارج عن حقيقة ذاته واذا انكشف الغطا عن دليل الاباحة فلا نبالي
بمن خالف بعد ظهور الدليل واما الشافعي فليس من مذهبه تحريم الغنا اصلا وقد
نص الشافعي وقال في الرجل يتخذه صناعة لم تجز شهادته وذلك لانه من اللهو
المكروه الذي يشبه الباطل ومن صنعه كان منسوبا الى السفاهة واسقاط
المروءة وان لم يكن محرما بين التحريم وان كان لا ينسب نفسه الى الغنا ولا يؤتى
لذلك وانما يعرف انه يطرب في الحال فترنم فيها لم يسقط هذا شهادته ويستدل
بحديث الجاريتين كانتا تغنيان عند عايشة وقال يونس بن عبد الاعلى سالت الشافعي
رضي الله عنه عن اباحة اهل المدينة للسماع فقال لا اعلم احدا من علما الحجاز كره السماع
الا ما كان

الا ما كان منه في الاهاجي فاما الحدا وذكر الاطلال والمرابع وتحسين الصوت بالحان
الاشعار فمباح وحيث قال انه لهو مكروه يشبه الباطل فقوله لهو صحيح ولكن
اللهو من حيث انه لهو ليس بحرام فلعب الحبشة ورقصهم لهو وكان النبي عليه
الصلاة والسلام ينظر اليه ولا يكرهه بل اللهو واللغو لا يواخذ الله به ان عنى به انه
فعل لا فايدة فيه فان الانسان لو وظف على نفسه ان يضع اليد على راسه في اليوم
مائة مرة فهذا عبث لا فايدة له ولا يحرم بل قال الله تعالى لا يواخذكم الله باللغو في
ايمانكم فاذا كان اسم الله على الشي والمخالفة فيه مع انه لا فايدة فيه لا يواخذ الله به
فكيف يواخذ بالشعر والرقص واما قوله يشبه الباطل فهذا لا يدل على اعتقاد التحريم
بل لو قال هو باطل صريحا لما دل على التحريم بل يدل على خلوه من الفايدة فالباطل ما لا
فايدة له كقول الرجل لزوجته مثلا بعت نفسي منك وقولها اشتريت عقد باطل مهما
كان القصد اللعب والمطايبة وليس بحرام الا اذا قصدا التمليك المحقق الذي منع الشرع
منه واما قوله مكروه فينزل على بعض المواضع التي ذكرناها او ينزل على التنزه فانه
نص على اباحة لعب الشطرنج وذكر انه لا اكره كل لعب وتعليله يدل عليه فانه قال ليس
ذلك من عادة ذي الدين والمروة فهذا يدل على التنزيه ورد الشهادة بالمواظبة عليه
لا يدل على تحريمه ايضا بل قد ترد الشهادة بالاكل في السوق وما يخرم المروة بل
الحياكة مباحة وليست صنعة ذي مروة وقد ترد شهادة المحترف بالحرفة الخسيسة
فتعليله يدل على انه اراد بالكراهة التنزيه وهذا هو الظن به وفي غيره من كبار الايمة
فان ارادوا التحريم فما ذكرناه حجة عليهم بيان حجة القايلين بتحريم السماع والجواب
عنه احتجوا بقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال ابن مسعود
والحسن البصري والنخعي ان لهو الحديث هو الغنا وروت عايشة رضي الله
عنها ان الله تعالى حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها فنقول اما القينة فالمراد
بها الجارية التي تغني للرجال في مجلس الشرب وقد ذكرنا ان غنا الاجنبية للفساق
ومن يخاف منه الفتنة حرام وهم لا يقصدون بالفتنة الا ما هو محظور فاما غنا الجارية
لمالكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث بل لغير مالكها عند عدم الفتنة بدليل ما روي
في الصحيحين من غنا الجاريتين في بيت عايشة رضي الله عنها واما شرا لهو الحديث
ليضل عن سبيل الله حرام مذموم وليس النزاع فيه وليس كل غنا بدلا عن الدين مشتري
به ومضلا عن سبيل الله ~~حرام مذموم وليس النزاع فيه ولحن~~ وهو المراد في الاية ولو قرا القران

ليضل به عن سبيل الله كان حراما حكي عن واحد من المنافقين انه كان يوم الناس ولا يقرأ الا
سورة عبس لما فيه من العتاب مع النبي صلى الله عليه وسلم فهم عمر بقتله قال لا جدال بالشعر
والغنا اولى بالتحريم احتجوا بقوله تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون
وانتم سامدون قال ابن عباس هو الغنا بلغة حمير اي السامد فيقول فينبغي ان يحرم
الضحك وعدم البكا ايضا لان الاية تشتمل عليه فان قيل ان ذلك مخصوص بالضحك
على المسلمين لاسلامهم فهو ايضا مخصوص باشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزاء بالمسلمين
كما قال تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون واراد به شعراء الكفار ولم يدل على تحريم
نظم الشعر في نفسه احتجوا بما روي عن جابر انه عليه الصلاة والسلام قال كان ابليس
لعنه الله اول من ناح واول من تغنى فقد جمع بين النياحة والغنا قلنا لا جرم كما استثنينا
عنه نياحة داود عليه الصلاة والسلام ونياحة المذنبين على خطاياهم فكذلك
يستثنى الغنا الذي ليس يراد به تحريك السرور والحزن والشوق حيث يباح تحريكه
بل كما استثنى غنا الجاريتين يوم العيد في بيت النبي عليه الصلاة والسلام وغناهم
عند قدومه عليه الصلاة والسلام بقولهم طلع البدر علينا من ثنيات الوداع احتجوا
بما روى ابو امامة عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ما رفع احد صوته بغناء الا بعث
الله تعالى شيطانين على منكبيه يضربان باعقابهما على صدره حتى يمسك قلنا هو منزل
على بعض الغنا الذي قدمناه وهو الذي يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من
الشهوة وعشق المخلوق فاما ما يحرك الشوق الى الله تعالى او السرور بالعيد او حدوث
الولد او قدوم الغايب فهذا كله يضاد مراد الشيطان بدليل قصة الجاريتين الحبشة
والاخبار التي نقلناها من الصحاح فالتجويز في موضع واحد نص في الاباحة والمنع
في المواضع يحتمل التاويل ويحتمل التنزيه اما الفعل فلا تاويل له اذ ما حرم فعله انما يحل
بعارض الاكراه فقط وما ابيح فعله يحرم بعوارض كثيرة حتى النيات والقصود احتجوا
بما روى عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل
الا ثلاثة تاديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته امرأته قلت فقوله باطل لا يدل على التحريم
بل يدل على عدم الفائدة وقد يسلم ذلك على ان التلهي بالنظر الى الحبشة خارج عن
هذه الثلاثة وليس بحرام بل يلحق بالمحصور غير المحصور قياسا كقوله عليه الصلاة
والسلام لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث فانه يلحق به رابع وخامس فلذلك
ملاعبته امرأته لا فائدة له الا التلذذ وفي هذا دليل على ان التفرج في البساتين وسماع اصوات
الطيور

الطنبور وانواع المداعبات مما يلهو به الرجل ولا يحرم شي منها وان جاز وصفه
بانه باطل احتجوا بقول عثمان رضي الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست
ذكري بيميني منذ بايعت النبي عليه الصلاة والسلام فنقول فليكن التمني ومس الذكر باليمين
حراما ان كان هذا دليل التحريم الغنا فمن اين ان عثمان رضي الله عنه كان لا يترك الا الحرام
احتجوا بقول ابن مسعود الغنا ينبت النفاق في القلب وزاد بعضهم كما ينبت الما البقل ورفع
بعضهم ذلك الى النبي عليه الصلاة والسلام وهو غير صحيح ومر على ابن عمر قوم محرمون
وفيهم رجل يتغنى فقال الا لا اسمع الله لكم الا لا اسمع الله لكم وعن نافع انه قال كنت
مع ابن عمر في طريق فسمع زمارة راعي فوضع اصبعه في اذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل
يقول يا نافع اتسمع ذلك حتى قلت لا فاخرج اصبعه وقال هكذا رايت النبي صلى الله عليه
وسلم صنع وقال الفضيل بن عياض الغنا رقية الزنا وقال بعضهم الغنا رائد من رواد
الفجور وقال يزيد بن الوليد اياكم والغنا فانه يزيد الشهوة ويهدم المروة وانه لينوب
عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر فان كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النسا فان الغنا داعية
النسا فنقول قول ابن مسعود ينبت النفاق اراد به في حق المغني فانه في حقه ينبت
النفاق اذ غرضه كله ان يعرض نفسه على غيره ويروج صوته ولا يزال ينافق ويتودد الى الناس ليرغبوا
في غناه وذلك ايضا لا يوجب تحريما فان لبس الثياب الجميلة وركوب الخيول المهملجة وساير
انواع الزينة والتفاخر بالحرث والانعام والزرع يورث الريا والنفاق في القلب ولا يطلق
القول بتحريمها فليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصي فقط بل المباحات التي
هي مواقع نظر الخلق اكثر تاثيرا ولذلك نزل عمر رضي الله عنه عن فرس هملج تحته وقطع
ذنبه لانه استشعر في نفسه الخيلا لحسن مشيه فهذا النفاق من المباحات وقول ابن
عمر الا لا اسمع لكم لا يدل على التحريم من حيث انه غنا بل كانوا محرمين ولا يليق بهم الرفث
وظهر له من مخايلهم ان سماعهم منه لم يكن لوجد وشوق الى زيارة بيت الله بل لمجرد اللهو
فانكر ذلك عليهم لكونه منكرا بالاضافة الى حالهم وحال الاحرام وحكايات الاحوال يكثر
فيها وجوه الاحتمال فاما وضعه الاصبع في اذنيه فيعارضه انه لم يامر نافعا بوضع الاصبع
ولا انكر عليه سماعه وانما وضع الاصبع ولا انكر عليه سماعه وانما وضع الاصبع
لانه راى في الحال انه ينزه سمعه وقلبه عن صوت ربما يحرك اللهو ويمنعه عن فكر كان
فيه وهو اولى منه وكذلك فعل النبي عليه الصلاة والسلام مع انه لم يمنع ابن عمر لا يدل
على التحريم بل يدل على ان الاولى تركه ونحن نرى ان الاولى تركه في اكثر الاحوال بل اكثر مباحات

الدنيا الاولى تركها اذا علم ان ذلك موثر في القلب فقد خلع النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ
من الصلاة ثوب ابي جهم اذ كان عليه اعلام شغلت قلبه افترى ان ذلك يدل على تحريم الاعلام
على الثوب فلعل النبي صلى الله عليه وسلم في حالة كان صوت الحادي مارة الراعي يشغله عن تلك
الحالة كما كان العلم يشغله عن الصلاة بل الحاجة الى استثارة الاحوال الشريفة من القلب
بحيلة السماع قصور بالاضافة الى من هو دايم الشهود للحق وان كان كمالا بالاضافة الى غيره
ولذلك قال الحصري ايش اعمل بسماع ينقطع اذا مات من يسمع منه اشارة الى ان السماع
من الله هو الدايم فالانبيا عليهم الصلاة والسلام في لذة السمع والشهود فلا يحتاجون
الى التحريك بالحيلة وان قول الفضيل هو رايد الزنا وكذلك ما عداه من الاقاويل القريبة
منه فهو منزل على العشاق والمغتلمين من الشباب ولو كان ذلك عاما لما سمع ذلك في بيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم واما القياس فغايته ما يذكرون من قياسه على الاوتار وقد
سبق الفرق او يقال هو لهو ولعب وهو كذلك لكن الدنيا لهو ولعب وقال عمر رضي الله عنه انما
انت لعبة في زاوية البيت وجميع الملاعبة مع النسا لهو الا الحراثة التي هي سبب لوجود
الولد وكذلك المزح الذي لا فحش فيه حلال نقل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة
كما سياتي تفصيله في كتاب افات اللسان واي لهو يزيد على لهو الحبشة والزنوج في لعبهم
وقد ثبت بالنص اباحته على اني اقول اللهو مروح للقلب ومخفف عنه اعبا الفكر والقلوب
اذا اكرهت عميت وترويحها اعانة لها على الجد فالمواظب على التفقه ينبغي ان يتعطل
يوم الجمعة لان عطلة يوم تبعث على النشاط في ساير الايام والمواظب على الصلوات
في ساير الاوقات ينبغي ان يتعطل في بعض الاوقات ولاجله كرهت الصلاة في بعض الاوقات
فالعطلة معونة على العمل واللهو معين على الجد المحض ولا يصبر على الجد المحض والحق
المر الا نفوس الانبيا عليهم الصلاة والسلام فاللهو دوا القلب من دا الاعيا والملال
فينبغي ان يكون مباحا ولكن لا ينبغي ان يستكثر منه كما لا يستكثر من الدوا فاذن اللهو على
هذه النية يصير قربة هذا في حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها
بل ليس له الا اللذة والاستراحة المحضة فينبغي ان يستحب له ذلك ليتوصل به الى المقصود
الذي ذكرناه نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة الكمال فان الكامل هو الذي لا يحتاج ان يروح
نفسه بغير الحق ولكن حسنات الابرار سيئات المقربين ومن احاط بعلم علاج القلوب
ووجوه التلطف بها للسياقة الى الحق علم قطعا ان ترويحها بامثال هذه الامور دوا
نافع لا غنا عنه **الباب الثاني** في اثار السماع وادابه اعلم ان اول

درجة

من الحادي بنا انه

درجة السماع فهم المسموع وتنزيله على معنى يقع للمستمع ثم يثمر الفهم الوجد ويثمر الوجد
الحركة بالجوارح فلينظر في هذه المقامات الثلاث المقام الاول في الفهم وهو يختلف باختلاف
احوال المستمع وللمستمع اربعة احوال احدها ان يكون سماعه بمجرد الطبع اي لاحظ
له في السماع الا استلذاذ الالحان والنغمات وهذا مباح وهو اخس رتب السماع::
والابل شريكة فيه وكذا سائر البهائم بل لا يستدعي هذا الذوق الا الحياة فلكل حيوان
نوع تلذذ بالاصوات الطيبة الحالة الثانية ان يسمع بفهم ولكن ينزله على صورة مخلوق
اما معينا وغير معين وهو سماع الشباب وارباب الشهوة ويكون تنزيلهم للمسموع
على حسب شهواتهم ومقتضى احوالهم وهذه الحالة اخس من ان نتكلم فيها الا ببيان
خستها والنهي عنها والثالثة ان ينزل على احوال نفسه في معاملته مع الله تعالى
وتقلب احواله في التمكن منه مرة وتعذر اخرى وهذا سماع المريدين لا سيما المبتدئين
فان للمريد لا محالة مرادا هو مقصده ومقصده معرفة الله ولقاؤه والوصول اليه بطريق
المشاهدة بالسر وكشف الغطا وله في مقصده طريق هو سالكه ومعاملات هو
مثابر عليها وحالات تستقبله في معاملاته فاذا سمع ذكر عتاب او خطاب او قبول
او رد او وصل او هجر او قرب او بعد او تلهف على فائت او تعطش على منتظر او يأس
او وحشة او استيناس او وفا بالوعد او نقض للعهد او خوف فراق او فرح وصال
او ذكر الفراق او غرة الوصال او غير ذلك مما يشتمل على وصفه الذي يوري زناد قلبه
فيشتعل به نيرانه ويقوى به انبعاث الشوق وهيجانه فيهجم عليه بسببه احوال
مخالفة لعادته ويكون له مجال رحب في تنزيل الالفاظ على احواله وليس على المستمع
مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل كلام وجوه ولكل ذي فهم في اقتباس المعنى
حظ ولنضرب لهذه التنزيلات والمفهوم امثلة كيلا يظن الجاهل ان المستمع
لابيات فيها ذكر الفم والخد والصدغ انما يفهم منها ظواهرها ولا حاجة بنا الى ذكر
كيفية فهم المعاني من الابيات ففي حكايات اهل السماع ما يكشف عن ذلك فقد
حكي انه سمع بعضهم قول القائل يقول شعرا ٥ قال الرسول غدا نزور ٥ فقلت تدري
ما تقول ٥ فاستفزه القول واللحن وتواجد وجعل يكرر ذلك ويجعل مكان التا نونا فيقول
قال الرسول غدا نزور حتى غشي عليه من شدة الفرح واللذة والسرور فلما افاق
سئل عن وجده مم كان فقال ذكرت قول الرسول ان اهل الجنة يزورون ربهم في
كل يوم جمعة مرة وقد حكى الرقي عن ابن الدراج انه قال كنت انا وابن الفوطي مارين على الدجلة

بين البصرة والابلة واذا بقصر حسن له منظرة وعليه رجل بين يديه تغني
وتقول ، كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل ، واذا شاب تحت المنظرة بيده ركوة
وعليه مرقعة يستمع فقال يا جارية بالله وبحياة مولاك الا اعدت هذا البيت
فاعادت وكان الشاب يقول وهذا والله تلوني مع الحق في حالي فشهق
شهقة فمات قال فقلنا قد استقبلنا فرض فوقفنا فقال صاحب القصر
للجارية انت حرة لوجه الله تعالى قال ثم خرج اهل البصرة فصلوا عليه فلما
فرغوا من دفنه قال صاحب القصر اشهدكم ان كل شي لي في سبيل الله وكل
جوار لي احرار وهذا القصر للسبيل قال ثم رمى ثيابه واتزر بازار وارتدى
باخر ومر على وجهه والناس ينظرون اليه حتى غاب عن اعينهم وهم يبكون
فلم يسمع له بعد خبر والمقصود انه كان مستغرق الوقت بحاله مع الله وعجزه
عن الثبوت على حسن الادب في المعاملة وتاسفه على تقلب قلبه وميله
عن سنن الحق فلما قرع سمعه ما يوافق حاله سمعه من الله كانه يخاطبه ويقول
كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل ومن كان سماعه من الله وعلى الله وفيه فينبغي
ان يكون قد احكم قانون العلم في معرفة الله ومعرفة صفاته والا خطر له
في السماع في حق الله ما يستحيل عليه ويكفر به ففي سماع المريد المبتدي خطر
الا اذا لم ينزل الا على حاله من حيث لا يتعلق بوصف الله ومثال الخطا فيه
هذا البيت بعينه لو سمعه في نفسه وهو يخاطب به ربه فيضيف التلون الى الله
فيكفر وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق وقد يكون عن
جهل ساقه اليه نوع من التحقيق وهو ان يرى تقلب احوال قلبه بل تقلب
سائر احوال العالم من الله وهو حق فانه تارة يبسط قلبه وتارة يقبضه
وتارة ينوره وتارة يقسيه وتارة يثبته على طاعته ويقويه عليها وتارة يسلط
الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق وهذا كله من الله ومن تصدر منه افعال
مختلفة في اوقات متقاربة فقد يقال له في العادة انه ذو بدوات وانه متلون
ولعل الشاعر لم يرد الا نسبة محبوبه الى التلون في قبوله ورده وتقريبه وابعاده
وهذا هو المعنى فسماع هذا كذلك في حق الله تعالى كفر محض بل ينبغي ان يعلم انه يلون
ولا يتلون ويغير ولا يتغير بخلاف عباده وذلك العلم يحصل للمريد باعتقاد
تقليدي ايماني ويحصل للعارف البصير بيقين كشفي حقيقي وذلك من اعاجيب

اوصاف

اوصاف الربوبية وهو التغيير من غير تغير ولا يتصور ذلك الا في حق الله تعالى بل كل
من سواه فلا يغير ما لم يتغير ومن ارباب الوجد من تغلب عليه حال مثل السكر المدهش
فيطلق لسانه بالعتاب مع الله ويستكثر اعتقاده للقلوب وقسمته للاحوال الشريفة
بتفاوته فانه المستصفي لقلوب الصديقين والمبعد لقلوب الجاحدين المغرورين فلا
مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدمة ولا امد
الانبياء بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة سابقة ولكن قال الله تعالى ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين وقال ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
وقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون فان خطر ببالك انه لم اختلفت
السابقة وهم في ربقة العبودية مشتركون نوديت من سرادقات الجلال لا تجاوز حد
الادب فانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولعمري تأدب اللسان والظاهر عما يقدر
عليه الاكثرون فاما تأدب السر عن اظهار الاستبعاد لهذا الاختلاف الظاهر في التقريب
والابعاد والاشقاء والاسعاد مع بقاء السعادة والشقاوة ابد الاباد فلا يقوى عليه
الا العلماء الراسخون في العلم ولهذا قال الخضر عليه السلام لما سئل عن السماع في المنام
انه الصفا الزلال الذي لا يثبت عليه الا اقدام العلماء لانه محرك لاسرار القلوب ومكامنها
ومشوش لها تشويش السكر المدهش الذي يحل كل عقدة الادب عن السر الا من عصمه
الله بنور هدايته ولطف عصمته ولذلك قال بعضهم ليتنا نجونا من هذا السماع راسا
براس ففي هذا الفن من السماع خطر يزيد على خطر السماع على مخلوق بالشهوة
فان غاية ذلك معصية وغاية الخطا هاهنا كفر واعلم ان الفهم ثم يختلف باحوال المستمع
فيغلب الوجد على مستمعين بيت واحد مصيب في الفهم والاخر مخطي او كلاهما مصيبان
وقد فهما معنيين متضادين ولكنه بالاضافة الى اختلاف احوالهما لا يتناقض كما حكي عن عتبة
الغلام انه سمع رجلا يقول سبحان جبار السماء ان المحب لفي عنا فقال صدقت وسمعه
رجل اخر فقال كذبت فقال بعض ذوي البصائر اصابا جميعا وهو الحق فالتصديق كلام
محب غير ممكن من المراد بل مصدود ومتعب بالصد والتأديب والثاني كلام مستأنس
بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متأثر به او كلام محب غير مصدود
عن موارده في الحال ولا مستشعر لخطر الصد في المآل وذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن
على قلبه فباختلاف هذه الاحوال يختلف الفهم وحكي عن ابي القاسم بن مروان وكان
قد صحب ابا سعيد الخراز وترك حضور السماع سنين كثيرة فحضر في دعوة فقال

بعضهم وانشد ۝ واقف في الما عطشان ولكن ليس يسقى فقام القوم وتواجدوا فلما سكنوا
سالهم عن معنى ما وقع لهم من معنى البيت فاشاروا الى التعطش الى الاحوال الشريفة والحرمان
عنها مع حضور اسبابها فلم يقنعه ذلك فقيل له فماذا عندك فيه فقال ان تكون في وسط
الاحوال الشريفة ويكرم بالمكرمات ولا يعطى منها ذرة وهو اشارة الى ان ثبات حقيقة الاحوال
والكرامات الاحوال سوابقها والكرامات تسنح في مباديها والحقيقة بعد لم يقع الوصول
اليها ولا فرق بين المعنى الذي فهمه وبين ما ذكروه الا في تفاوت رتبة التعطش اليه فان المحروم
عن الاحوال الشريفة اولا يتعطش اليها فان مكن منها تعطش الى ما وراءها فليس بين المعنيين
اختلاف في الفهم بل الاختلاف بين الرتبتين وكان الشبلي رحمه الله كثيرا ما يتواجد على هذا
البيت ۝ ودادكم هجر وحبكم قلى ۝ ووصلكم صرم وسلمكم حرب ۝ وهذا البيت يمكن
سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل اظهرها ان يفهم هذا في الخلق بل في
الدنيا باسرها في كل ما سوى الله فان الدنيا مكاره خداعة قتالة لاربابها معادية لهم في الباطن
ومظهرة صورة الود فما امتلأت دار منها حبرة الا امتلأت عبرة كما ورد في الخبر وكما
قال الثعلبي في وصف الدنيا ۝ تنح عن الدنيا ولا تخطبنها ۝ ولا تخطبن قتالة من تناكح ۝
فليس يفي مرجوها بمخوفها ۝ ومكروهها اما تاملت راجح ۝ لقد قال فيها الواصفون فاكثروا ۝
وعندي لها وصف لعمري صالح ۝ سلاف قصاراها ذعاف ومركب ۝ شهي اذا استلذذته فهو جامح ۝
وشخص جميل يونس الناس حسنه ۝ ولكن له اسرار سوء قبائح ۝ المعنى الثاني ان ينزله على
نفسه في حق الله فانه اذا تفكر فمعرفته جهل اذ ما قدروا الله حق قدره وطاعته رياء اذ لا يتقي
الله حق تقاته وحبه معلول اذ لا يدع شهوة من شهواته في حبه ومن اراد الله به خيرا بصره
بعيوب نفسه فيرى مصداق هذا البيت في نفسه وان كان على الرتبة بالاضافة
الى الغافلين ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال
اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة وانما استغفر عن احوال هي درجات قرب بالاضافة الى
ما قبلها ولكنها بعد بالاضافة الى ما بعدها فلا قرب الا ويبقى وراءه قرب لا نهاية له اذ سبيل
السلوك الى الله تعالى غير متناه والوصول الى اقصى درجات القرب محال المعنى الثالث
ان ينظر في مبادي احواله فيرتضيه ثم ينظر في عواقبه فيزدريه لاطلاعه على خفايا الغرور
فيرى ذلك من الله فيسمع البيت في حق الله شكاية من القضاء والقدر وهذا كفر
كما سبق بيانه وما من بيت الا ويمكن تنزيله على معاني وذلك بقدر غزارة علم المستمع وصفا
قلبه الحالة الرابعة سماع من جاوز الاحوال والمقامات فعزب عن فهم ما سوى الله
حتى عزب

حتى غرب عن نفسه وحسه واحوالها ومعاملاتها وكان المدهوش الغائص في عين الشهود
الذي يضاهي حاله حال النسوة التي قطعن ايديهن في مشاهدة جمال يوسف عليه الصلاة
والسلام حتى بهتن وسقط احساسهن وعن مثل هذه الحالة تعبر الصوفية بانه فني عن نفسه
ومهما فني عن نفسه فهو عن غيره افنى فكانه فني عن كل شيء الا عن الواحد المشهود وفني
ايضا عن المشهود فالمستغرق بالمرئي لا التفات له في حالة استغراقه الى رؤيته والى عينه
التي بها رؤيته والى قلبه الذي به لذته فالسكران لا خبر له من سكره والمتلذذ لا خبر له من
التلذذ وانما خبره من المتلذذ به فقط ومثاله العلم بالشيء فانه مغاير للعلم بالعلم بذلك
الشيء فالعالم بالشيء مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشيء كان معرضا عن الشيء ومثل هذه الحالة
قد تطرأ في حق المخلوقين وتطرأ ايضا في حق الخالق ولكنها في الغالب تكون كالبرق الخاطف
الذي لا يثبت ولا يدوم فان دام لم تطقه القوة البشرية فربما اضطرب تحت اعبائه اضطرابا
تهلك فيه نفسه كما روي عن ابي الحسين النوري انه حضر مجلسا فسمع هذا البيت
ما زلت انزل من ودادك منزلا تتحير الالباب عند نزوله فقام وتواجد وهام على
وجهه فوقع في اجمة قصب قد قطعت وبقي اصولها مثل السيوف فصار يعدو فيها ويعيد
البيت الى الغداة والدم يجري من رجليه حتى ورم قدماه وساقاه وعاش بعده اياما
ومات رحمه الله فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد وهي اعلى الدرجات لان السماع
على الاحوال وهي ممتزجة بصفات البشرية نوع قصور وانما الكمال ان يفنى بالكلية عن
نفسه واحواله اعني انه ينساها فلا يبقى له التفات اليها كما لم يكن للنسوة التفات الى
الايدي والسكاكين فيسمع بالله ولله وفي الله ومن الله فهذه رتبة من خاض لجة الحقائق
وعبر ساحل الاحوال والاعمال واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص فلم يبق
فيه شيء منه اصلا بل خمدت بالكلية بشريته وفني التفاته الى صفات البشرية اصلا
ولست اعني بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه ولست اعني بالقلب اللحم والدم بل سر لطيف
له الى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذي هو من امر الله عرفها من عرفها
وجهلها من جهلها ولذلك السر وجود وصورته وذلك الوجود ما يحضر فيه فاذا
حضر فيه غيره فكانه لا وجود الا للحاضر ومثاله المرآة المجلوة اذ ليس لها لون في نفسه
بل لونها لون الحاضر فيها ومثالها الزجاجة فانها على لون قرارها ولونها لون الحاضر
في نفسها وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ولونها هي هيئة الاستعداد
لقبول الالوان ويعبر عن هذه الحقيقة اعني سر القلب بالاضافة الى ما يحضر فيه بقول

فان القلب ان التفت ايضا الى الشهود والى نفسه بانه مشاهد فقد غفل عن المشهود

الشاعر رق الزجاج ورقت الخمر وتشابها فتشاكل الامر فكانما خمر ولا قدح
وكانما قدح ولا خمر وهذه مقامة من مقامات علوم المكاشفة منها نشا خيال
من ادعى الحلول والاتحاد وقال انا الحق وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد
اللاهوت بالناسوت او تدرعها بها او حلولها فيها على ما اختلفت فيه عباراتهم وهو غلط
المراه بصورة الحمرة اذ ظهر فيها لون الحمرة من مقابلها واذا كان هذا غير لايق بعلم المعاملة
فلنرجع الى الغرض فقد ذكرنا تفاوت الدرجات في فهم المسموعات المقام الثاني بعد
الفهم والتنزيل الوجد وللناس كلام طويل في حقيقة الوجد اعني للصوفية والحكما
في وجه مناسبة السماع للارواح فلننقل من اقوالهم الفاظا ثم لنكشف عن الحقيقة
فيه اما الصوفية فقد قال ذو النون المصري في السماع انه وارد حق جا يزعج القلوب
الى الحق فمن اصغى اليه بحق تحقق ومن اصغى اليه بنفس تزندق فكانه عبر عن الوجد بانزعاج
القلوب الى الحق وهو الذي يجده عند ورود وارد السماع اذ سمى السماع وارد حق وقال
ابو الحسين الدراج مخبرا عما وجده في السماع والوجد عبارة عما يوجد عند السماع قال جال
بي السماع في ميادين البها فاوجدني وجود الحق عند العطا فسقاني بكاس الصفا
فادركت به منازل الرضا فاخرجني الى رياض النزهة والفضا وقال الشبلي السماع
ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الاشارة حل له استماع العبرة والا فقد استدعى الفتنة
وتعرض للبلية وقال بعضهم السماع غذا الارواح لاهل المعرفة لانه وصف يدق عن ساير
الاعمال ويدرك برقة الطبع لرقته وصفا السر لصفايه ولطفه عند اهله وقال عمرو
ابن عثمان المكي لا يقع على كيفية الوجد عبارة لانه سر الله عند المومنين الموقنين وقال
بعضهم الوجد مكاشفات من الحق وقال ابو سعيد بن الاعرابي الوجد رفع الحجاب
ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة السر وايناس المفقود
وهو فناوك انت من حيث انت وقال ايضا الوجد اول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق
بالغيب فلما ذاقوه وسطع في قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب وقال ايضا الذي
يحجب عن الوجد رؤية اثار النفس والتعلق بالعلايق والاسباب لان النفس محجوبة
باسبابها فاذا انقطعت الاسباب وخلص الذكر وصحا القلب ورق وصفا ونجعت
الموعظة فيه وحل من المناجاة في محل قريب وخوطب وسمع الخطاب باذن واعية
وقلب شاهد وسر طاهر فشاهد ما كان منه خاليا فذلك هو الوجد لانه وجد ما كان

معدوما

يعدوها عنده وقال الوجد ما يكون عند ذكر مزعج او خوف مقلق او توبيخ على زلة او
محادثة بلطيفة او اشارة الى فائدة او شوق الى غائب او اسف على فائت او ندم على ماض
او استجلاب الى حال او داعي الى واجب او مناجاة بسر وهو مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن
بالباطن والغيب بالغيب والسر بالسر واستخراج ما لك بما عليك مما سبق لك السعي فيه
فيكتب ذلك لك بعد كونه منك فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر اذ كان هو المبتدئ
بالنعم والمتولي واليه يرجع الامر كله فهذا ظاهر علم الوجد واقوال الصوفية في هذا
الجنس في الوجد كثيرة واما الحكماء فقال بعضهم في القلب فضيلة شريفة تعذر
على قوة النطق اخراجها باللفظ فاخرجتها النفس بالالحان فلما ظهرت سرت
وطربت اليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظاهر وقال
بعضهم نتائج السماع استنهاض العاجز من الرأي واستجلاب العازب من الافكار
وحدة الكال من الافهام والاراء حتى يثوب ما عزب وينهض ما عجز ويصفو ما
كدر ويمرح كل رأي ونية فيصيب ولا يخطئ ويأتي ولا يبطئ وقال اخر كما ان الفكر يطرق
العلم الى المعلوم فالسماع يطرق القلب الى العالم الروحاني وقال بعضهم وقد سئل
عن سبب حركة الاطراف بالطبع على وزن الالحان والايقاعات فقال ذلك عشق
عقلي والعاشق العقلي لا يحتاج ان يناغي معشوقه بالمنطق الحرفي بل يناغيه ويناجيه
بالتبسم واللحظ والحركة اللطيفة بالحاجب والجفن والاشارة وهذه نواطق اجمع
الا انها روحانية واما العاشق البهيمي فانه يستعمل النطق الحرفي ليعبر عنه دونه
ظاهر شوقه الضعيف وعشقه الداثر وقال اخر من حزن فليسمع الالحان فان النفس
اذا دخلها الحزن خمد نورها واذا فرحت اشتعل نورها وظهر فرحها فيظهر
الحنين بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفائه ونقائه من الغش والدنس والاقاويل
المفرقة في السماع والوجد كثيرة ولا معنى للاستكثار منه فلنشتغل بتفهيم المعنى الذي
في الوجد غاية فيه ونقول انه عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد حق جديد عقيب
السماع يجده المستمع من نفسه وتلك الحالة لا تخلو من قسمين فانها اما ان ترجع الى
مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتنبيهات واما ان ترجع الى تغيرات
واحوال ليست من العلوم بل هي كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والاسف
والندم والقبض والبسط وهذه الاحوال يهيجها السماع او يقويها فان ضعف بحيث
لم يؤثر في تحريك الظاهر او تسكينه او تغير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته او يطرق

ويسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم واجدا وان ظهر على الظاهر سمي
وجدا اما ضعيفا او قويا بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتحريكه بسبب قوته وزوده وحفظ
الظاهر عن التغيير بحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط جوارحه فقد يقوى الوجد في الباطن
ولا يتغير في الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد
التماسك والى المعنى الاول اشار ابو سعيد بن الاعرابي حين قال في الوجد انه مشاهدة الرقيب
وحضور الفهم وملاحظة الغيب ولا يبعد ان يكون السماع سبب الكشف لما لم يكن ملبوسا
فان الكشف يحصل باسباب منها التنبيه والسماع منبه ومنها تجدد الاحوال ومشاهدتها
وادراكها فان ادراكها نوع علم يفيد ايضاح امور لم تكن معلومة قبل الورود ومنها صفا
القلب والسماع موثر في تصفية القلب والصفا سبب الكشف ومنها انبعاث نشاط
القلب بقوة السماع فيقوى به على مساعدة ما كان يقصر عنه قبل قوته كما يقوى البعير على حمل
ما كان لا يقوى عليه قبله وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة اسرار الملكوت كما ان عمل البعير
الحمل فبواسطة هذه الاسباب يكون سببا للكشف بل القلب اذا صفا ربما تمثل له الحق
في صورة مشاهدة او في لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف اذا كان في اليقظة
وبالرؤيا اذا كان في المنام وذلك جزء من النبوة وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة كما
روي عن محمد بن مسروق البغدادي انه قال خرجت ليلة في ايام جاهليتي وانا نشوان وكنت
اغني هذا البيت بطرباناذ ما مررت به • الا تعجبت ممن يشرب الماء فسمعت قايلا
يقول وفي جهنم ماء ما تجرعه حلق فابقى له في الجوف امعاء قال فكان ذلك سبب توبتي
واشتغالي بالعلم والعبادة فانظر كيف الغنا في تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقة الحق
في صفة جهنم في لفظ موزون منظوم وقرع ذلك سمعه الظاهر وعن مسلم العباداني
قال قدم علينا صالح المري وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الاسواري فنزلوا
على الساحل قال فهيات لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم اليه فجاوا فلما وضعت الطعام
بين ايديهم اذا قايلا يقول رافعا صوته • وتلهيك عن دار الخلود مطاعم • ولذة نفس غيها
غير نافع • قال فصاح عتبة الغلام صيحة وخر مغشيا عليه وبكى القوم فرفعنا الطعام وما
ذاقوا والله منه لقمة فكما يسمع صوت الهاتف عند صفا القلب يشاهد ايضا بالبصائر
صورة الخضر عليه الصلاة والسلام فانه يتمثل لارباب القلوب بصور مختلفة وفي مثل
هذه الحالة تمثل الملايكة للانبيا اما على حقيقة صورها واما على مثال يحاكي صورتها
بعض المحاكاة وراى النبي عليه الصلاة والسلام جبريل مرتين في صورته واخبر عنه
بانه كان

بانه كان في سد الافق وهو المراد بقوله تعالى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو
بالافق الاعلى الى اخر هذه الايات وفي مثل هذه الاحوال مع الصفا يقع الاطلاع على ضماير
القلوب وقد يعبر عن ذلك الاطلاع بالتفرس ولذلك قال عليه الصلاة والسلام اتقوا فراسة
المومن فانه ينظر بنور الله وقد حكي ان واحدا من المجوس كان يدور على صورة المسلمين وكان
يقول ما معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام اتقوا فراسة المومن وكان يذكره لنفسه
ولم يقنعه حتى انتهى الى بعض مشايخ الصوفية فقال معناه ان تقطع الزنار الذي على وسطك
تحت ثوبك فقال صدقت هذا معناه واسلم وقال الان عرفت انك مومن وان ايمانك حق وكما
حكي عن ابراهيم الخواص قال كنت ببغداد مع جماعة من الفقرا في الجامع فاقبل شاب
طيب الرايحة حسن الوجه فقلت لاصحابي يقع لي انه يهودي فكلهم كرهوا ذلك فخرجت
وخرج الشاب ثم رجع اليهم وقال ايش قال الشيخ فيّ فاحتشموه فالح عليهم فقالوا قال
انك يهودي قال فجاءني واكب على يدي واسلم وقال نجد في كتبنا ان الصديق لا تخطي
فراسته فقلت امتحن المسلمين فتاملتهم فقلت ان كان فيهم صديق ففي هذه الطايفة
لانهم يقولون حديثه سبحانه فلبست عليكم فلما اطلع على الشيخ وتفرس فيّ علمت
انه صديق وصار الشاب من كبار الصوفية والى مثل هذا الكشف الاشارة بقوله عليه
الصلاة والسلام لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت
السما وانما تحوم الشياطين على القلوب اذا كانت مشحونة بالصفات المذمومة فانها
مرعى الشياطين ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاها لم يطف الشيطان حول
قلبه واليه الاشارة بقوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين وبقوله ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان والسماع سبب لصفا القلب وعلى ذلك يدل ما روي ان ذا النون المصري
دخل بغداد فاجتمع اليه قوم من الصوفية ومعهم قوال فاستاذنوه في ان يقول شيا فاذن
له في ذلك فانشا يقول ۝ صغير هواك عذبني ۝ فكيف به اذا احتنكا ۝ وانت جمعت من قلبي
هوى قد كان مشتركا ۝ فقام ذو النون وسقط على وجهه ثم قام رجل اخر فقال ذو النون
الذي يراك حين تقوم فجلس ذلك الرجل وكان ذلك اطلاعا من ذي النون على قلبه انه متكلف
متواجد فعرفه ان الذي يراه حين يقوم هو الخصم في قيامه لغير الله ولو كان الرجل صادقا
لما جلس فاذا قد رجع حاصل الوجد الى مكاشفات والى حالات واعلم انه ينقسم كل واحد
منهما الى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقة منه والى ما لا يمكن العبارة عنه اصلا ولعلك تستبعد
حالة او علما لا تعلم حقيقته ولا يمكن التعبير عن حقيقته فلا تستبعد فانك تجد في احوالك

القريب لم يشاهد هذا اما العلم فكم من فقيه تعرض عليه مسئلتان متشابهتان في الصورة
فيدرك الفقيه بذوقه ان بينهما فرقا في الحكم واذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده
اللسان وان كان من افصح الناس فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه وادراكه
الفرق علم يصادفه في قلبه بالذوق ولا يشك ان لوقوعه في قلبه سببا وله حقيقة
عند الله ولا يمكنه الاخبار عنه لا لقصور في لسانه بل لدقة المعنى عن ان تنالها العبارة
وهذا مما قد تفطن له المواظبون على النظر في المشكلات واما الحال فكم من انسان
يدرك في باطنه في الوقت الذي يصبح قبضا او بسطا ولا يعلم سببه وقد يتفكر
الانسان في شيء فيؤثر في نفسه وهو يحس به وقد تكون الحالة التي يحسها سرورا
يثبت في نفسه بتفكره في سبب موجب للسرور او حزنا فينسى المتفكر فيه
ويحس بالاثر عقيبه وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة لا يعبر عنها لفظ السرور
والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة مفصحة عن المقصود بل ذوق الشعر الموزون
والفرق بينه وبين غير الموزون يختص به بعض الناس دون بعض وهي حالة يدركها
صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها اعني التفرقة بين الموزون والمزحوف ولا يمكنه التعبير
عنه بما يتضح مقصوده لمن لا ذوق له وفي النفس احوال غريبة هذا وصفها بل المعاني
المشهورة من الخوف والحزن والسرور انما تحصل في السماع عن غناء مفهوم
فاما الاوتار وسائر النغمات التي ليست مفهومة فانها تؤثر في النفس تاثيرا عجيبا ولا
يمكن التعبير عن عجائب تلك الاثار وقد يعبر عنه بالشوق ولكن شوق لا يعرف
صاحبه المشتاق اليه فهو عجيب والذي اضطرب قلبه بسماع الاوتار او الشاهين
ليس يدري الى ماذا يشتاق فيجد في نفسه حالة كانها تتقاضى امرا ليس يدري ما
هو حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه لا حب ادمي ولا حب الله وهذا له سر وهو
ان كل شوق فله ركنان احدهما صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق
اليه والثاني معرفة المشتاق اليه ومعرفة صورة الوصول اليه فان وجدت الصفة
التي بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق اليه كان الامر ظاهرا وان لم يوجد
العلم بالمشتاق ووجدت الصفة المشوقة وحركت تلك الصفة واشتعل نارها
اورث دهشة وحيرة لا محالة ولو نشا ادمي وحده حيث لم ير صورة النساء ولا
عرف صورة الوقاع ثم راهق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه بنار الشهوة
ولا يدري انه يشتاق الى الوقاع لانه ليس يدري صورة الوقاع ولا صورة النساء فكذلك
في النفس

غير صح

في نفس الآدمي مناسبة مع العالم الاعلى واللذات التي وعدت في سدرة المنتهى
والفراديس العلى الا انه لم يتخيل من هذه الامور الا الصفات والاسامي
كالذي سمع لفظ الوقاع والنسا ولم يشاهد صورة امراة قط ولا صورة رجل ولا
صورة نفسه في المراة ليعرف بالمقايسة فالسماع يحرك منه الشوق والجهل المفرط
والاشتغال بالدنيا قد انساه نفسه وانساه ربه وانساه مستقره الذي اليه
حنينه واشتياقه بالطبع فيتقاضاه قلبه امرا ليس يدري ما هو فيدهش
ويتحير ويضطرب ويكون كالمختنق الذي لا يعرف طريق الخلاص فهذا وامثاله من الاحوال
التي لا يدرك تمام حقايقها ولا يمكن المتصف بها ان يعبر عنها فقد ظهر انقسام الوجد
الى ما يمكن اظهاره والى ما لا يمكن واعلم ان الوجد منقسم الى هاجم والى متكلف ويسمى
التواجد والتواجد المتكلف فمنه مذموم وهو الذي يقصد به الريا واظهار الاحوال
الشريفة مع الافلاس عنها ومنه ما هو محمود وهو الذي يتوصل الى استدعا الاحوال
واكتسابها واجتلابها بالحيلة فان للكسب مدخل في جلب الاحوال الشريفة ولذلك امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحضره البكا في قراة القران ان يتباكى ويتحازن
فان هذه الاحوال قد تتكلف مبادئها ثم تتحقق اواخرها وكيف لا يكون التكلف سببا
في ان يصير التكلف بالاخرة طبعا وكل من يتعلم القران اولا يحفظه تكلفا ويقراه
تكلفا مع تمام التامل واحضار الذهن ثم يصير ذلك ديدنا للسان مطردا حتى
يجري به لسانه في الصلاة وهو غافل فيقرا تمام السورة وتثوب نفسه اليه
بعد انتهائها الى اخرها ويعلم انه قراها في حالة غفلته وكذلك الكاتب يكتب بجهد
شديد في الابتدا ثم تتمرن على الكتابة يده فيصير الكتابة له طبعا فيكتب اوراقا وهو
مستغرق القلب بفكر اخر فجميع ما تحتمله النفس والجوارح من الصفات لا سبيل
الى اكتسابها الا بالتكلف والتصنع اولا ثم يصير بالعادة طبعا وهو المراد بقول بعضهم
العادة طبيعة خامسة وكذلك الاحوال الشريفة لا ينبغي ان يياس الناس منها عند
فقدها بل ينبغي ان يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره فلقد شوهد في العادات من
اشتهى ان يعشق شخصا ولم يكن يعشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويديم النظر
اليه ويقرر على نفسه الاوصاف المحبوبة والاخلاق المحمودة فيه حتى عشقه ورسخ ذلك
في قلبه رسوخا خرج عن حد اختياره واشتهى بعد الخلاص منه فلم يتخلص وكذلك
حب الله تعالى والشوق الى لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الاحوال الشريفة

الا فقدها الانسان فينبغي ان يتكلف اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ومشاهدة
احوالهم وتحسين صفاتهم في النفس بالجلوس معهم في السماع وبالدعاء والتضرع الى
الله تعالى في ان يرزقه تلك الحالة بان ييسر له اسبابها ومن اسبابها السماع ومجالسة الصالحين
والخائفين والمحبين والمشتاقين والخاشعين فمن جالس شخصا سرت اليه صفاته من حيث
لا يدري ويدل على امكان تحصيل الحب وغيره من الاحوال بالاسباب قول النبي صلى الله عليه
وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك فقد فزع الى الدعاء
في طلب الحب فهذا بيان انقسام الوجد الى المكاشفات والى الاحوال وانقسامه
الى ما يمكن الافصاح عنه والى ما لا يمكن وانقسامه الى المتكلف والى المطبوع فان قلت
فما بال هؤلاء لا يظهر وجدهم عند سماع القران وهو كلام الله ويظهر على الغنا وهو كلام
الشعراء فان كان ذلك من لطف الله ولم يكن باطلا من غرور الشيطان لكان القران اولى
به من الغنا فنقول الوجد الحق ما ينشا من فرط حب الله وصدق ارادته والشوق الى
لقائه فذلك يهيج بسماع القران ايضا واما الذي لا يهيج بالقران حب الخلق والعشق
للمخلوق ويدل على ذلك قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن وقوله مثاني تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وكلما يوجد عقيب السماع
بسبب السماع في النفس فهو وجد فالطمانينة والاقشعرار والخشية ولين القلب
كل ذلك وجد قال تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقال تعالى لو انزلنا
هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله والوجل والخشوع وجد
من قبيل الاحوال وان لم يكن من قبيل المكاشفات ولكن قد يصير سببا للمكاشفات والتنبيهات
ولهذا قال عليه الصلاة والسلام زينوا القران باصواتكم وقال لابي موسى الاشعري لقد اوتي
مزمارا من مزامير ال داود واما الحكايات الدالة على ارباب القلوب الذين ظهر عليهم الوجد
عند سماع القران فكثيرة فقوله عليه الصلاة والسلام شيبتني هود خبر عن الوجد فان الشيب
يحصل من الوجد والخوف وذلك وجد وروي ان ابن مسعود قرا على النبي صلى الله عليه وسلم (من الحزن)
فلما انتهى الى قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
فقال حسبك وكانت عيناه تذرفان بالدمع وفي رواية انه قرا الاية او قرئ عند عمر بن
الخطاب ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما فصعق وسمع يقول ان
عذاب ربك لواقع ما له من دافع فصاح صيحة وخر مغشيا عليه وحمل الى بيته فلم يزل مريضا
في البيت شهرا وانه عليه الصلاة والسلام قرا ان تعذبهم فانهم عبادك فبكى وكان عليه
الصلاة والسلام اذا مر باية رحمة دعا واستبشر والاستبشار وجد وقد اثنى الله تعالى
على اصحاب الوجد بالقران فقال واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع
مما عرفوا

مما غمره من مواجد الحق وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي ولصدره ازيز كازيز
المرجل واما ما نقل بالوجد من القرآن من الصحابة والتابعين فكثير منهم من صعق ومنهم
من بكى ومنهم من غشي عليه ومنهم من مات في غشيته فكان زرارة بن ابي اوفى من التابعين وكان
يؤم الناس فقرا فاذا نقر في الناقور فصعق ومات في محرابه وكان ابو جهير من التابعين فقرا
عليه صالح المري فشهق ومات وسمع الشافعي قارئا يقرا هذا يوم لا ينطقون فغشي
عليه وسمع علي بن الفضيل بن عياض قارئا يقرا يوم يقوم الناس لرب العالمين فسقط
مغشيا عليه فقال الفضيل شكر الله لك ما قد علمه منك وكذلك جماعة منهم وكذلك الصوفية
فقد كان الشبلي في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي خلف امام له فقرا الامام ولئن
شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك فزعق الشبلي زعقة ظن الناس انه طارت روحه واحمر
وجهه وارتعد وكان يقول بمثل هذا تخاطب الاحباب يردد ذلك مرارا وقال الجنيد دخلت
على سري السقطي فرايت بين يديه رجلا قد غشي عليه فقال لي هذا رجل قد سمع اية من
القران فغشي عليه فقلت اقراوا تلك الاية فقرئت فافاق فقال من اين قلت هذا
فقلت رايت يعقوب كان عماه من اجل مخلوق فبمخلوق ابصر ولو كان عماه من اجل الحق
ما ابصر بمخلوق فاستحسن ويشير الى ما قاله الشاعر وكاس شربت على لذة واخرى
تداويت منها بها وسمع بعض اهل التصوف قارئا يقرا يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي
الى ربك راضية مرضية فاستعادها من القارئ وقال كم اقول لها ارجعي وليست ترجع
وتواجد وزعق زعقة فخرجت روحه وسمع بكر بن معاذ قارئا يقرا وانذرهم يوم الازفة
فاضطرب ثم صاح ارحم من انذرته ولم يقبل اليك بعد النذير بطاعتك ثم غشي عليه وكان
ابراهيم بن ادهم اذا سمع احدا يقرا اذا السماء انشقت اضطربت اوصاله حتى كان يرتعد
وعن محمد بن صبيح قال كان رجل يغتسل في الفرات فمر به رجل على الشط يقرا وامتازوا
اليوم ايها المجرمون فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات وذكر ان سلمان الفارسي
ابصر شابا يقرا فاتى على اية فاقشعر جلده فاحبه وفقده فسال عنه فقيل انه مريض فاتاه
يعوده فاذا هو في الموت فقال يا عبد الله ارايت تلك القشعريرة التي كانت منك فانها اتتني
في احسن صورة فاخبرتني ان الله تعالى قد غفر لي بها كل ذنب وقال بعض الصوفية كنت
اقرا ليلة هذه الاية كل نفس ذائقة الموت فجعلت اردها فاذا هاتف يهتف بي كم
تردد هذه الاية فقد قتلت بها اربعة من الجن لم يرفعوا رؤوسهم الى السماء منذ خلقوا
وقال ابو علي المغازلي للشبلي ربما يطرق سمعي اية من كتاب الله فتجذبني على الاعراض

الانسان

اضطرب

عن الدنيا ثم ارجع الى احوالك والى الناس فلا ابقى على ذلك فقال ما طرق سمعك من القران فاجتذبك
به اليه فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك واذا ردك الى نفسك فهو شفقة منه عليك
فانه لا يصلح لك الا التبري من الحول والقوة في التوجه اليه وبالجملة لا يخلو صاحب القلب عن وجد
عند سماع القران فان كان القران لا يوثر فيه اصلا فمثله كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعا
ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون بل صاحب القلب يوثر فيه الكلمة من الحكمة يسمعها قال جعفر
الخالدي دخل رجل من اهل خراسان على الجنيد وعنده جماعة فقال للجنيد متى يستوي عند
العبد حامده وذامه فقال بعض الشيوخ اذا دخل المارستان وقيد بقيدين فقال
الجنيد ليس هذا من شانك ثم اقبل على الرجل وقال اذا تحقق انه مخلوق فشهق الرجل شهقة
وخرج فان قلت فما كان السماع للقران مفيدا للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع الغنا
من القوالين دون المقريين فكان ينبغي ان يكون سماعهم وتواجدهم في حلق القراء دون حلق
المغنيين وكان ينبغي ان يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قاري لا قوال فان كلام الله افضل من
الغنا لا محالة فاعلم ان الغنا اشد تهييجا للوجد من القران من اوجه الاول ان جميع ايات القران
لا تناسب حال المستمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملابس له فمن استولى عليه حزن
او شوق او ندم فمن اين يناسب حاله قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ
الانثيين وقوله والذين يرمون المحصنات وكذلك جميع الايات التي هي من بيان احكام الميراث
والطلاق والحدود وغيرها وانما المحرك لما في القلب ما يناسبه والابيات انما نظمها الشعرا
اعرابا بها عن احوال القلب فلا يحتاج في فهم الحال منه الى تكلف نعم من يستولي عليه حالة
غالبة قاهرة لم تبق فيه متسع لغيرها ومعه تيقظ وذكا ثاقب يتفطن به المعاني البعيدة
من الالفاظ فقد يخرج وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى يوصيكم الله
في اولادكم حالة الموت المحوج الى الوصية وان كل انسان لا بد وان يخلف ماله وولده وهما
محبوباه من الدنيا فيترك احد المحبوبين للثاني ويهجرهما جميعا فيغلب عليه الخوف والجزع
او يسمع ذكر الله في قوله يوصيكم الله فيدهش بمجرد الاسم عما قبله وبعده او يخطر
له رحمة الله تعالى على عباده وشفقته بان تولى قسم مواريثهم بنفسه نظرا لهم في
حياتهم وموتهم فيقول اذ نظر لاولادنا بعد موتنا فلا نشك انه ينظر لنا فيهيج منه حال
الرجا ويورث ذلك استبشارا وسرورا ويخطر له من قوله مثل حظ الانثيين فان الفضل في
الاخرة لرجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وان من الهاه غير الله عن الله فهو من الاناث
لا من الرجال تحقيقا فيخشى ان يحجب او يوخر في نعيم الاخرة كما اخر في اموال الدنيا وامثال
هذا

سبعة م

هوا قد يحرك الوجد ولكن فيه وصفان احدهما حالة غالبة مستغرقة قاهرة والاخرى
تفطن بليغ وتيقظ كامل للتشبيه بالامور الغريبة العالية البعيدة وذلك مما يعز فلاجل
ذلك يفزع الى الغنا التي هي الفاظ مناسبة للاحوال حتى يتسارع هيجانها روي انه كان
ابو الحسين النوري مع جماعة في دعوة فجرى بينهم مسالة في العلم وابو الحسين ساكت ثم رفع
راسه وانشدهم ٠ رب ورقا هتوف في الضحى ذات شجو صدحت في فنن ٠ فبكاي ربما ارقها ٠
وبكاها ربما ارقني ٠ هو ان تشكوا فلا افهمها ٠ واذا اشكوا فلا تفهمني ٠ غير اني بالجوى
اعرفها ٠ وهي بالجوا تعرفني ٠ ذكرت الفا ودهرا صالحا ٠ فبكت حزنا فهاجت حزني ٠
قال فما بقي في القوم احد حتى قام وتواجد ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا
فيه وان كان العلم الذي خاضوا فيه جدا وحقا الوجه الثاني ان القران محفوظ للاكثرين
ويتكرر على الاسماع والقلوب وكلما سمع اولا عظم اثره وفي الكرة الثانية يضعف اثره
وفي الثالثة يكاد يسقط اثره ولو كلف صاحب الوجد الغالب ان يحضر الوجد على بيت واحد على الدوام
في مرات متقاربة في الزمان في يوم او اسبوع لم يمكنه ذلك وان ابدل ببيت اخر تجدد له
اثر وان كان معربا عن ذلك المعنى ولكن كون اللفظ والنظم غريبا بالاضافة الى الاول
يحرك النفس وان كان المعنى واحدا وليس يقدر القاري على ان يقرا قرانا غريبا في كل وقت
ودعوة لان القران محصور لا يمكن الزيادة عليه وكل محفوظ متكرر والى ما ذكرناه
اشار الصديق رضي الله عنه حيث راى الاعراب يقدمون ويسلمون فيستمعون القران
فيبكون فقال كنا كما انتم ثم قست قلوبنا ولا تظنن ان قلب الصديق كان اقسى من قلب
الاجلاف من العرب وانه كان اخلى عن حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم ولكن
التكرار على قلبه اقتضى المرون عليه وقلة التاثر به لما حصل له بالانس من كثرة سماعه
اذ محال في العادة ان يسمع السامع اية لم يسمعها قبل فيبكي ثم يدوم بكاوه عليها عشرون
سنة يرددها ويبكي ولا يفارق الاول الاخر الا في كونه غريبا ولكل جديد لذة ولكل طاري
صدمة ومع كل مالوف انس يناقض الصدمة ولهذا هم عمر رضي الله عنه بمنع الناس
من كثرة الطواف وقال خشيت ان يتهاون الناس بهذا البيت اي يانسوا به ومن قدم
حاجا فراى بيت الله اولا بكى وزعق وغشي عليه اذا وقع عليه بصره وربما يقيم بمكة شهرا
ولا يحس من ذلك في نفسه تاثرا فاذا المغني يقدر على الابيات الغريبة في كل وقت ولا
يقدر في كل وقت على اية غريبة الوجه الثالث ان لوزن الكلام بذوق الشعر تاثيرا
في النفس فليس الصوت الموزون كالصوت الطيب الذي ليس بموزون وانما يوجد الوزن

في الشعر دون الآيات ولو زحف المغني البيت الذي يقراه او لحن فيه او مال عن حق تلك
الطريقة في اللحن اضطرب قلب المستمع وبطل وجده وسماعه ونفر طبعه لعدم المناسبة
واذا نفر الطبع اضطرب القلب وتشوش فالوزن اذا موثر فلذلك طاب الشعر الوجه الرابع
ان الشعر الموزون يختلف تاثيره في النفس بالالحان التي تسمى الطرق والدستانات
وانما اختلاف تلك الطرق بمد المقصور وقصر الممدود والوقف في اثنا الكلمات والقطع
والوصل في بعضها وهذا التصرف جائز في الشعر ولا يجوز في القران الا التلاوة كما
انزل فقصره ومده والقطع والوصل فيه ما تقتضيه التلاوة حرام او مكروه واذا
رتل القران كما انزل سقط عنه الاثر الذي سببه وزن الالحان وهو سبب مستقل
بالتاثير وان لم يكن مفهوما كما في الاوتار والشاهين وسائر الاصوات التي لا تفهم
الوجه الخامس ان الالحان الموزونة تعضد وتوكد بايقاعات واصوات اخر موزونة
خارج الحلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره لان الوجد الضعيف لا يستثار الا بسبب
قوي وانما يقوى بمجموع هذه الاسباب ولكل واحد منها حظ في التاثير وواجب ان يصان
القران عن مثل هذه القراين لان صورتها عند عامة الخلق صورة اللهو والقران جد
كله عند كافة الخلق فلا يجوز ان يمزج بالحق المحض ما هو لهو عند العامة وصورته صورة
اللهو عند الخاصة وان كانوا لا ينظرون اليها من حيث انها لهو بل ينبغي ان يوقر
القران فلا يقرا على شوارع الطرق بل في مجلس ساكن ولا في حال الجنابة ولا على غير
الطهارة ولا يقدر على الوفا بحق حرمة القران في كل حال فيعدل الى الغنا الذي لا يستحق
هذه المراقبة والمراعاة ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع القران ليلة العرس
وقال اظهروا النكاح ولو بضرب الغربال او بلفظ هذا معناه ويجوز ذلك
مع الشعر دون القران ولذلك لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنت
معوذ وعندها جارية تغني فلما رات النبي عليه الصلاة والسلام قالت وفينا
نبي يعلم ما في غد في معرض الغنا فقال النبي عليه الصلاة والسلام دعي عنك
هذا وقولي ما كنت تقولين وهذه شهادة بالنبوة ثم زجرها عنها وردها الى
الغنا الذي هو لهو لان هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو فاذا يتعذر بسببه
تقوية الاسباب التي بها يصير السماع محركا للقلب فواجب في الاحترام
العدول الى الغنا عن القران كما وجب على تلك الجارية العدول عن شهادة
النبوة الى الغنا الوجه السادس ان المغني قد يغني ببيت لا يوافق
حال المستمع فيكرهه وينهاه عنه ويستدعي غيره فليس كل كلام موافقا
لكل حال

لكل حال فلو اجتمعوا في الدعوات على القارئ فربما يقرأ آية لا توافق حالهم
اذ القرآن شفاء للناس كلهم على اختلاف الاحوال فآيات الرحمة شفاء الخائف
وآيات العذاب شفاء المغرور بالامن وتفصيل ذلك مما يطول فلا يؤمن
ان لا يوافق المقروء الحال فتكرهه النفس فيتعرض به لخطر كراهة كلام الله
من حيث لا يجد سبيلا الى دفعه فالاحتراز عن خطر ذلك حزم بالغ وحتم واجب
اذ لا يجد الخلاص عنه الا بتنزيله على وفق حاله ولا يجوز تنزيل كلام الله
الا على ما اراده الله وقول الشاعر يجوز تنزيله على غير مراده ففيه خطر
الكراهة او خطر التأويل الخطأ لموافقة الحال فيجب توقير كلامه وصيانته
عن ذلك هذا ما انقدح لي في علل انصراف الشيوخ الى سماع الغناء عن القرآن
فههنا وجه سابع ذكره ابو نصر السراج الطوسي في الاعتذار وهو ان القرآن
كلام الله وصفته وهو حق لا تطيقه القوى البشرية لانه غير مخلوق فلا تطيقه
الصفات المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته لتصدعت
ودهشت وتحيرت والالحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة
الحظوظ لا نسبة الحقوق والشعر نسبته نسبة الحظوظ فاذا علقت الاصوات
والالحان بما في الابيات من اللطائف والاشارات شاكل بعضها بعضا فكان
اقرب الى الحظوظ واخف على القلوب لمشاكلة المخلوق المخلوق فما دامت
البشرية باقية ونحن بصفاتنا وحظوظنا نتنعم بالنغمات الشجية والاصوات
الطيبة فانبساطنا بمشاهدة بقاء هذه الحظوظ الى القصائد اولى من
انبساطنا الى كلام الله الذي هو صفته وكلامه الذي منه بدا واليه يعود
هذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره وقد حكي عن ابي الحسن الدراج انه
قال قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد للزيارة والسلام فلما دخلت
الري كنت اسأل عنه فكل من سألته قال ايش تعمل بذلك الزنديق فضيقوا صدري
حتى عزمت على الانصراف ثم قلت في نفسي قد جئت هذا الطريق كله فلا اقل
من ان اراه فلم ازل اسأل عنه حتى دخلت عليه في مسجد وهو قاعد في المحراب
وبين يديه رجل بيده مصحف وهو يقرأ واذا هو شيخ بهي حسن الوجه واللحية
فسلمت فاقبل علي وقال من اين اقبلت من بغداد قال وما الذي جاء بك قال قصدتك
للسلام فقال لو ان في هذه البلدة قال لك انسان تقيم عندنا حتى نشتري لك

[illegible]

واذا وجارية كانت تتعهده فقلت ما تمتحنني الا بشي من ذلك ولو امتحنتني ما كنت
ما كنت ادري كيفما اكون ثم قال لي تحسن ان تقول شيئا فقلت نعم فقال هات وانشدت
اقول رايتك تبني دائما في قطيعتي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني
كاني بكم والليت افضل قولكم الا ليتنا كنا اذا الليت لا يغني قال فاطبق المصحف
ولم يزل يبكي حتى ابتل لحيته وثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه ثم قال يا بني تلوم
اهل الري حيث يقولون يوسف زنديق من صلاة الغداة هو ذا اقرا في المصحف
لم تقطر من عيني قطرة وقد قام علي القيامة بهذين البيتين فاذن القلوب وان
كانت محترقة في حب الله فيهيج منها البيت الغريب ما لا يهيج تلاوة القران وذلك
لوزن الشعر مشاكلة للطباع ولكونه مشاكلا للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر
واما القران فنظمه خارج عن اساليب الكلام ومنهاجه وهو لذلك معجز لا يدخل في قوة
البشر لعدم مشاكلته لطبعه وروي ان اسرافيل استاذ ذي النون دخل عليه رجل فراه
وهو ينكت الارض باصبعه ويترنم ببيت فقال هل تحسن تترنم بشي فقال لا فقال فانت بلا
قلب اشارة الى ان من له قلب وعرف طباعه علم انه يحركه الابيات والنغمات تحريكا لا يصادفه
غيره فيتكلف طريق التحريك اما بصوت نفسه او بغيره فقد ذكرنا حكم المقام الثاني في الوجد
الذي يصادف في القلب فلنذكر اثار الوجد التي يترشح منه الى الظاهر من صعقة وبكاء وحركة
وتمزيق ثوب وغيره فنذكر المقام الثالث من السماع نذكر فيه اداب السماع ظاهرا وباطنا
وما يحمد من اثار الوجد ويذم **باب الاداب** وهي خمس جمل الاولى مراعاة الزمان
والمكان والاخوان قال الجنيد رحمه الله السماع يحتاج الى ثلاثة اشياء والا فلا يسمع
الزمان والمكان والاخوان ومعناه ان الاشتغال به في وقت حضور طعام او خصام او صلاة
او صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لا فائدة فيه فهو معنى مراعاة الزمان فيراعي حالة
فراغ القلب والمكان قد يكون شارعا مطروقا او موضعا كريه الصورة او فيه سبب
يشغل القلب فيجتنب والاخوان فسببه انه اذا احضر غير الجنس من منكر للسماع
متزهد بالظاهر مفلس من لطائف القلوب كان مستثقلا في المجلس واشتغل القلب
به وكذا اذا حضر متكبر من اهل الدنيا يحتاج الى مراقبته ومراعاته او متكلف متواجد
من اهل التصوف يرائي بالوجد والرقص وبتمزيق الثياب فكل ذلك مشوشات فترك السماع
عند فقد هذه الشروط اولى ففي هذه الشروط نظر للمستمع الثاني وهو نظر للحاضرين
ان الشيخ اذا كان حوله مريدون يضرهم السماع فلا ينبغي ان يسمع في حضورهم فان
سمع فليشغلهم بشغل والمريد الذي يستضر بالسماع ثلاثة اولهم درجة هو الذي

الاستاذ

السماع ظاهرا

لم يدرك

لم يبد له من الطريق الا الاعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع فاشتغاله
بالسماع اشتغال بما لا يعنيه فانه ليس من اهل اللهو فيلهو ولا من اهل الذوق
فيتنعم بذوق السماع فليشتغل بذكر او خدمة والا فهو مضيع لزمانه الثاني هو الذي
له ذوق السماع ولكن فيه بعد بقية من الحظوظ والالتفات الى الشهوات والصفات
البشرية ولم ينكسر بعد انكسارا تؤمن غوائله فربما يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة
فيقطع عليه طريقه ويصده عن الاستكمال الثالث ان يكون قد انكسرت شهوته وامنت
غايلته وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى ولكنه لم يحكم ظاهر العلم ولم يعرف
اسما الله وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل فاذا فتح له باب السماع نزل المسموع في حق
الله على ما لا يجوز فيكون ضرره من تلك التي هي كفر اعظم من نفع السماع قال سهل كل واجد
لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل فلا يصلح السماع لمثل هذا ولا لمن قلبه بعد ملوث
بحب الدنيا وشهوة المحمدة والثنا ولا لمن يسمع لاجل التلذذ والاستطابة بالطبع
فيصير ذلك عادة له ويشغله ذلك عن عباداته ومراعاة قلبه وينقطع عليه
طريقه فالسماع مزلة قدم يجب حفظ الضعفا عنه قال الجنيد رايت ابليس في النوم
فقلت له هل تظفر من اصحابنا بشي قال نعم في وقتين وقت السماع ووقت النظر فاني ادخل عليهم
منه فقال بعض القوم لو رايته انا لقلت له ما احمقك من سمع منه اذا سمع ونظر اليه اذا نظر كيف تظفر
به قال الجنيد صدقت والادب الثالث ان يكون مصغيا الى ما يقوله القايل حاضر القلب
قليل الالتفات الى الجوانب محترزا عن النظر الى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من احوال
الوجد مشتغلا بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله له من رحمته في سره متحفظا
عن حركة تشوش على اصحابه قلوبهم بل يكون ساكن الظاهر هادي الاطراف محترزا عن التنحنح
والتثاوب فيجلس مطرقا راسه كجلوسه في فكر مستغرق لقلبه متماسكا عن التصفيق
والرقص وساير الحركات على وجه التصنع والتكلف والمراياة ساكتا عن النطق في اثنا
القول بكل ما عنه بد فان غلبه الوجد وحركه بغير اختياره فهو فيه معذور غير ملوم
ومهما رجع اليه الاختيار فليعد الى هدوه وسكونه فلا ينبغي ان يستديمه حيا من ان يقول
انقطع على القرب وجده ولا ان يتواجد خوفا من ان يقال هو قاسي القلب عديم الصفا
والرقة حكي ان شابا كان يصحب الجنيد فكان اذا سمع شيا من الذكر يزعق فقال له
الجنيد ان فعلت ذلك مرة اخرى لم تصحبني فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شعرة
منه قطرة ما ولا يزعق فحكي انه اختنق يوما لشدة ضبطه لنفسه فشهق شهقة فانشق

وتلفت نفسه وروي ان موسى عليه الصلاة والسلام قص في بني اسرائيل فمزق واحد منهم
ثوبه او قميصه فاوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام قل له مزق لي قلبك ولا تمزق ثيابك
وقال ابو القاسم النصراباذي لابي عمرو بن نجيد انا اقول اذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال
خير من ان يغتابوا فقال ابو عمرو الرياء في السماع وهو ان ترى من نفسك حالا ليست فيك شر
من ان تغتاب ثلاثين سنة او نحو ذلك فان قلت الافضل هو الذي لا يحركه السماع ولا
يؤثر في ظاهره او الذي يظهر عليه فاعلم ان عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من
الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن لكمال القوة على ضبط
الجوارح وهو كمال وتارة يكون لكون الوجد ملازما ومصاحبا في الاحوال كلها فلا
يتبين للسماع مزيد تاثير وهو غاية الكمال فان صاحب الوجد في غالب الاحوال لا يدوم
وجده فمن هو في وجد دائم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود فهذا لا تغيره
طوارق الاحوال ولا يبعد ان تكون الاشارة بقول الصديق رضي الله عنه كنا كما كنتم ثم قست
قلوبنا معناه قويت قلوبنا واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد في كل الاحوال
فنحن في سماع معاني القران على الدوام فلا يكون نراه جديدا في حقنا طاريا علينا حتى
نتاثر بها فاذا قوة الوجد تحرك وقوة العقل والتماسك تضبط الظواهر وقد تغلب
احدهما الاخر اما لشدة قوته واما لضعف ما يقابله ويكون النقصان والكمال بحسب
ذلك فلا تظنن الذي يضطرب بنفسه على الارض اتم وجدا من الساكن بل رب ساكن اتم وجدا
من المضطرب فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقيل له في
ذلك فقال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء
اشارة الى ان القلب مضطرب جائل في الملكوت والجوارح متادبة في الظاهر ساكنة وقال
ابو الحسن محمد بن احمد صحبت سهل بن عبد الله ستين سنة فما رايته تغير عند شيء
كان يسمعه من الذكر او القران فلما كان في اخر عمره قرا رجل بين يديه فاليوم لا يؤخذ
منكم فدية الاية فرايته قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد الى حاله سالته عن ذلك فقال
نعم يا حبيبي قد ضعفنا وكذلك سمع مرة قوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب
فساله ابن سالم وكان من اصحابه فقال قد ضعفت فقيل له فان كان هذا من الضعف
فما قوة الحال فقال ان لا يرد عليه وارد الا وهو يبتلعه بقوة حاله فلا تغيره
الواردات وان كانت قوية وسبب القوة على ضبط الظاهر مع وجود
الوجد استواء الاحوال بملازمة الشهود كما حكي عن سهل انه قال حالي قبل الصلاة
وبعدها واحد لانه كان مراعيا للقلب حاضر الذكر مع الله تعالى في كل حال فكذلك

حال مع

يكون

يكون قبل السماع وبعده ابدا يكون وجده دائما وعطشه متصلا وشربه مستمرا
بحيث لا يؤثر السماع في زيادته كما روي ان ممشاد اشرف على جماعة فيهم قوال
فسكتوا فقال ارجعوا الى ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهي الدنيا في اذني ما شغل همي ولا شفى
بعض ما بي وقال الجنيد لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم اتم من
فضل الوجد فان قلت فمثل هذا لم يحضر السماع فاعلم ان من هؤلاء من ترك السماع
في كبره وكان لا يحضر الا نادرا للمساعدة لاخ من الاخوان وادخالا للسرور على قلبه وربما
حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون انه ليس الكمال بالوجد الظاهر فيتعلمون
منه ضبط الظاهر عن التكلف وان لم يقدروا على الاقتداء به في صيرورته طبعا لهم
وان اتفق حضورهم مع غير ابناء جنسهم فيكونون معهم بابدانهم نائين عنهم بقلوبهم
وبواطنهم كما يجلسون من غير سماع مع غير جليسهم باسباب عارضة تقتضي
الجلوس وبعض من نقل عنه ترك السماع ويظن انه كرهه كان سبب تركه استغناؤه
عن السماع بما ذكرنا وبعضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني في السماع ولا كان
من اهل اللهو فتركه لئلا يكون مشغولا بما لا يعنيه وبعضهم تركه لفقد الاخوان
قيل لبعضهم لم لا تسمع فقال ممن ومع من الرابع ان لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء
وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن ان رقص او تباكى فهو مباح اذا لم يقصد به المراءاة
لان التباكي استجلاب للحزن والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط فكل سرور
مباح فيجوز تحريكه ولو كان حراما لما نظرت عائشة رضي الله عنها الى الحبشة مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يرقصون هذا لفظ عائشة في بعض الروايات
وقد روي عن جماعة من الصحابة انهم حجلوا لما اصابهم سرور وذلك في قصة ابنة
حمزة لما اختصم فيها علي بن ابي طالب واخوه جعفر وزيد بن حارثة فتشاحوا
في تربيتها فقال لعلي عليه الصلاة والسلام انت مني وانا منك فحجل علي وقال
لجعفر اشبهت خلقي وخلقي فحجل وراء حجل علي وقال لزيد انت اخونا ومولانا
فحجل وراء حجل جعفر ثم قال عليه الصلاة والسلام هي لجعفر لان خالتها تحته
والخالة والدة وفي بعض الروايات انه قال لعائشة اتحبين ان تنظري الى زفن
الحبشة والزفن والحجل هو الرقص وذلك يكون لفرح او شوق فحكمه حكم مهيجه
ان كان فرحه محمودا والرقص يزيده ويؤكده فهو محمود وان كان مباحا فهو مباح
وان كان مذموما فهو مذموم نعم لا يليق اعتياد ذلك بمناصب الاكابر واهل القدوة

لانه في الاكثر يكون عن لهو ولعب ومثاله صورة اللعب في اعين الناس ان يجتنب المقتدى
به كيلا يصغر في اعين الناس فيترك الاقتدا به واما تمزيق الثوب فلا رخصة فيه الا
عند خروج الامر فيه عن الاختيار ولا يبعد ان يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري
لغلبة سكر الوجد عليه او يدري ولكن يكون كالمضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه
ويكون صورته صورة المكره اذ يكون له في الحركة والتمزيق متنفس فيضطر اليه اضطرار
المريض الى الانين ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع انه فعل اختياري فليس كل فعل
حصوله بالارادة يقدر الانسان على تركه فالتنفس فعل يحصل بالارادة ولو كلف الانسان
نفسه ان يمسك التنفس ساعة لاضطر من باطنه الى ان يختار التنفس فكذلك الزعقة
وتمزيق الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم فقد ذكر عند السري حديث الوجد الحاد
الغالب فقال نعم يضرب وجهه بالسيف ولا يدري فروجع فيه واستبعد ان ينتهي الى
هذا الحال فاصر عليه اي قد ينتهي الى هذا الحال فاصر عليه اي قد ينتهي الى هذا الحد فان
قلت فما تقول في تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع
فانهم يمزقونها قطعا صغيرة ويفرقونها على القوم ويسمونها الخرقة فاعلم ان ذلك مباح
اذا مزق قطعا مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات فان الكرباس يمزق حتى يخاط
منه القميص ولا يكون ذلك تضييعا لانه تمزيق لغرض وكذلك ترقيع الثياب لا يمكن
الا بالقطع الصغار وذلك مقصود والتفرقة على الجمع ليعم ذلك الخير مقصود فهو مباح
ولكل مالك ان يقطع كرباسه مائة قطعة ويسلمه الى مائة مسكين ولكن ينبغي ان تكون
القطع بحيث يمكن ان ينتفع به في الرقاع وانما منعنا في السماع التمزيق المفسد للثوب
الذي يهلك بعضه بحيث لا يبقى منتفعا به فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار الادب الخامس
موافقة القوم في القيام اذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف او قام باختيار
من غير اظهار وجد وقام له الجماعة فلا بد من الموافقة فذلك من اداب الصحبة وكذلك
ان جرت عادة طايفة بتنحية العمامة على موافقة صاحب الوجد اذا سقطت عمامته او
خلع الثياب اذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق فالموافقة في هذه الامور من حسن الصحبة
والعشرة اذ المخالفة توحش ولكل قوم رسم ولا بد من مخالقة الناس باخلاقهم كما ورد في
الخبر لا سيما اذا كانت اخلاقا فيها حسن العشرة والمجاملة وتطييب القلب بالمساعدة
وقول القايل ان ذلك بدعة لم يكن في الصحابة فليس كلما يحكم باباحته منقولا عن الصحابة
وانما المحذور بدعة تراغم سنة ماثورة ولم ينقل النهي عن شيء من هذا والقيام عند الدخول
للداخل لم يكن من عادة العرب بل كان الصحابة لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في
بعض الاحوال كما رواه انس ولكن اذا لم يثبت فيه نهي عام فلا نرى به باسا في البلاد

التي جرت

التي جرت العادة باكرام الداخل بالقيام فيه فان المقصود منه الاحترام والاكرام
وتطييب القلب به فكذلك سائر انواع المساعدة اذا قصد بها تطييب القلب واصطلح
عليها جماعة فلا باس بمساعدتهم عليها بل الاحسن المساعدة الا فيما ورد فيه نهي لا
يقبل التاويل ومن الاداب ان لا يقوم للرقص مع القوم ان كان يستثقل رقصه ولا يشوش
عليهم احوالهم اذ الرقص من غير اظهار التواجد مباح والتواجد هو الذي يلوح للجمع منه
اثر التكلف ومن يقوم عن صدق لا يستثقله الطباع وقلوب الحاضرين اذا كانوا ارباب القلوب
محك للصدق والتكلف سيل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال صحته قبول قلوب الواجدين له
اذا كانوا اشكالا غير اضداد فان قلت فما بال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق الى الاوهام
انه باطل ولهو ومخالف للدين فلا يراه ذو جد في الدين الا وينكره فاعلم ان الجد لا يزيد
على جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وراى الحبشة يرقصون في المسجد وما انكره لما كان
في وقت لايق به وهو العيد ومن شخص لايق به وهم الحبشة نعم نفرة الطباع عنه لانه يرى غالبا
مقرونا باللهو واللهو واللعب مباح ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ولكنه مكروه
لذوي المناصب لانه لا يليق بهم وما كره لكونه غير لايق بمنصب ذي المنصب فلا يجوز ان يوصف
بالتحريم فمن سال فقيرا شيا فاعطاه رغيفا او رطلا من خبز كان ذلك منكرا عند الناس كافة
ومكتوبا في تواريخ الاخبار من جملة مساويه يعير به اعقابه واشياعه ومع هذا فلا يجوز ان
يقال ما فعله حرام لانه من حيث انه اعطى خبز الفقير حسن ومن حيث انه بالاضافة الى منصبه كالمنع
بالاضافة الى الفقير مستقبح فكذلك الرقص وما يجري مجراه من المباحات ومباحات العوام سيات
الابرار وحسنات الابرار سيات المقربين ولكن هذا من حيث الالتفات الى المناصب فاما اذا
نظر اليه في نفسه وجب الحكم بانه في نفسه لا تحريم فيه فقد خرج من جملة التفصيل السابق ان
السماع قد يكون حراما محضا وقد يكون مباحا وقد يكون مستحبا وقد يكون مكروها اما
الحرام فهو لاكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك السماع منهم
الا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة واما المكروه فهو لمن لا ينزله على صورة
المخلوقين ولكن يتخذه عادة له في اكثر الاوقات على سبيل اللهو واما المباح فهو لمن لا حظ
له الا التلذذ بالصوت الحسن واما المندوب فهو لمن غلب عليه حب الله تعالى ولم يحرك السماع
منه الا الصفات المحمودة والله اعلم بالصواب تم كتاب السماع والوجد من كتب احيا علوم
الدين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم
تسليما ويتلوه كتاب الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر

الحاضرين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمد لله الذي لا تستفتح الكتب الا بحمده ولا تستمنح النعم الا بواسطة كرمه ورفده والصلوة على سيد الانبيا محمد رسوله وعبده وعلى اله الطيبين واصحابه الطاهرين من بعده اما بعد فان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الاعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين اجمعين ولو طوي بساطه واهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد ولم يشعروا بالهلاك الى يوم التناد وقد كان الذي خفنا ان يكون انا لله وانا اليه راجعون اذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانمحى بالكلية حقيقته ورسمه واستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم وعز على بساط الارض مومن صادق لا تاخذه في الله لومة لائم فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة اما متكفلا بعملها او متقلدا لتنفيذها مجددا لهذه السنة ناهضا باعبائها ومتشمرا في احيائها كان مستاثرا من بين الخلق باحياء سنة افضى الزمان الى اماتتها ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها وها نحن نشرح علمه في اربعة ابواب الباب الاول في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته الباب الثاني في اركانه وشروطه الباب الثالث في مجاريه وبيان المنكرات المالوفة في العادات الباب الرابع في امر السلاطين ونهيهم عن المنكر

الباب الاول

في وجوب الامر بالمعروف وفضيلته والمذمة في اهماله ويدل على ذلك بعد اجماع الامة عليه واشارات العقول السليمة اليه الايات والاخبار والاثار اما الايات فقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ففي الاية بيان الايجاب فان قوله ولتكن امر وظاهر الامر الايجاب وفيها بيان ان الفلاح منوط به اذ حصر وقال واولئك هم المفلحون وفيها بيان انه فرض كفاية لا فرض عين وانه اذا قام به امة سقط عن الاخرين اذ لم يقل كونوا كلكم امرين بالمعروف بل قال ولتكن منكم امة فاذا مهما قام به واحد او جماعة سقط الحرج عن الاخرين واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين وان تقاعد عنه الخلق اجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة وقال تعالى من اهل الكتاب امة قائمة يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر

ويسارعون

ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الايمان
بالله واليوم الآخر حتى اضاف اليه الامر بالمعروف وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة فقد نعت
المؤمنين بانهم يأمرون بالمعروف والذي هجر الامر بالمعروف خارج عن هؤلاء
المؤمنين المنعوتين في هذه الآية وقال تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان
داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن
منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وهذا غاية التشديد اذ علق استحقاقهم
للعنة بتركهم النهي عن المنكر وقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وهذا يدل على فضيلة الامر بالمعروف اذ بين
انهم كانوا خير امة به وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن
السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فبين انهم استفادوا
النجاة بالنهي عن المنكر ويدل ذلك على الوجوب ايضا وقال تعالى الذين ان مكناهم
في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقرن ذلك
بالصلاة والزكاة في نعت الصالحين والمؤمنين وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وهو امر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل
طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب الامكان وقال تعالى لولا ينهاهم
الربانيون عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون فبين انهم اثموا بترك
النهي وقال تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في
الارض وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو
على انفسكم او الوالدين والاقربين وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من
امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله
فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما
الآية والاصلاح نهي عن البغي واعادة الى الطاعة فان لم يفعل فقد امر الله تعالى
بقتاله فقال فقاتلوا التي تبغي وذلك هو النهي عن المنكر واما الاخبار فمنها ما روي عن
ابي بكر رضي الله عنه انه قال في خطبة خطبها ايها الناس انكم تقرؤون هذه الآية وتؤولونها
على غير تأويلها يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من

يقدر على ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده وروي
عن ابي ثعلبة الخشني انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله لا
يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال يا ابا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رايت
شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك
بنفسك ودع العوام ان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيه بمثل الذي
انتم عليه اجر خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال لا بل منكم لانكم تجدون على
الخير ولا يجدون عليه اعوانا وسئل ابن مسعود عن تفسير هذه الاية فقال ان هذا
ليس زمانها انها اليوم مقبولة ولكن قد اوشك ان ياتي زمانها تامرون بالمعروف
فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا
اهتديتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر
او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم معناه تسقط مهابتهم
عن اعين الاشرار فلا يخافونهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الله يقول
لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل ان تدعوا فلا يستجاب لكم وقال صلى الله
عليه وسلم ما اعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لجي وقال صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى ليسال العبد ما منعك اذ رايت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله العبد
حجته قال رب وثقت بك وفرقت من الناس وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والجلوس
على الطرقات قالوا ما لنا بد انما هي مجالسنا نتحدث فيها قال فاذا ابيتم الا ذلك
فاعطوا الطريق حقها قالوا وما حق الطريق قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال صلى الله عليه وسلم كلام ابن ادم كله عليه لا له الا امر
بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يعذب
الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين اظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا
ينكروه وروى ابو امامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كيف انتم اذا طغى
نساؤكم وفسق شبابكم وتركتم جهادكم قالوا وان ذلك لكائن يا رسول الله قال نعم
والذي نفسي بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف انتم اذا لم
تامروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي
نفسي بيده واشد منه قالوا وما اشد منه قال كيف انتم اذا رايتم المعروف
منكرا والمنكر معروفا قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي

بيده

بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف بكم اذا امرتم بالمنكر
ونهيتم عن المعروف قالوا وكاين ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون
يقول الله تعالى بي حلفت لاتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران وعن عكرمة عن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فان اللعنة
تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فان اللعنة تنزل
على من حضره قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لامرئ يشهد مقاما فيه حق الا تكلم
فانه لن يقدم اجله ولم يحرمه رزقا هو له وهذا الحديث يدل على انه لا يجوز دخول دور الظلمة
والفسقة وحيث يشاهد المنكر ولا يقدر على تغييره فانه قال اللعنة تنزل على من حضره
فلا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذارا بانه عاجز ولهذا اختار جماعة من السلف
العزلة لمشاهدتهم المنكرات في الاسواق والاعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير وهذا
يقتضي لزوم الهجرة ولهذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله ما ساح السواح وخلوا دورهم
واولادهم الا بمثل ما نزل بنا حين رأوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس ورأوا انه لا يقبل ممن
تكلم ورأوا الفتن ولم يأمنوا ان تعتريهم وان ينزل العذاب باولئك القوم فلا يسلمون
منه فرأوا ان مجاورة السباع واكل البقول خير من مجاورة هؤلاء في نعيمهم وقرأ ففروا الى
الله اني لكم منه نذير مبين قال ففر قوم فلولا ما جعل الله جل ثناؤه في النبوة لقلنا
ما هم بافضل من هؤلاء فيما بلغنا ان الملائكة لتلقاهم وتصافحهم والسحاب والسباع
تمر باحدهم فيناديها فتجيبه ويسألها اين امرت فتخبره وليس بنبي وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حضر معصية فكرهها فكانه غاب عنها ومن
غاب عنها فاحبها فكانه حضرها ومعنى الحديث ان يحضر لحاجة او يتفق جريانها
بين يديه فاما الحضور قصدا فممنوع بدليل الحديث الاول وقال ابن مسعود قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله عز وجل نبيا الا وله حواري فيمكث النبي صلى الله عليه
وسلم بين اظهرهم ما شاء الله يعمل فيهم بكتاب الله وبامره حتى اذا قبض الله نبيه
مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وامره وسنة نبيهم فاذا انقرضوا كان من بعدهم
قوم يركبون رؤوس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فاذا رأيتم ذلك
فحق على كل مؤمن جهادهم بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه
فليس وراء ذلك اسلام وقال ابن مسعود كان اهل قرية يعملون بالمعاصي
وكان فيهم اربعة نفر ينكرون ما يعملون فقام احدهم فقال انكم تعملون كذا

وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح ما يصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يرعوون
عن اعمالهم فسبهم فسبوه وقاتلهم فقاتلوه فاعتزل ثم قال اللهم اني قد نهيتهم
فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني وقاتلتهم فقاتلوني ثم ذهب ثم قام الاخر فنهاهم
فلم يطيعوه فسبهم فسبوه فاعتزل ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم
فسبوني ولو قاتلتهم لقاتلوني ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل ثم قال اللهم
قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني ثم ذهب ثم قام
الرابع فقال اللهم اني لو نهيتهم عصوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني قال ابن
مسعود كان الرابع ادناهم منزلة وقليل فيكم مثله وقال ابن عباس قيل يا رسول الله
انهلك وفينا الصالحون قال نعم قيل بم قال بتهاونهم وسكوتهم عن معاصي الله تعالى وقال
جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله تبارك وتعالى الى ملك ان اقلب
مدينة كذا وكذا على اهلها قال فقال يا رب ان فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين
قال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتمعر في ساعة قط وقالت عايشة رضي الله
عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الفا عملهم
عمل الانبيا قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يامرون بالمعروف
ولا ينهون عن المنكر وعن عروة بن اسيد قال قال موسى صلى الله عليه وسلم يا رب اي عبادك
احب اليك قال الذي يتسرع الى هواي كما يتسرع النسر الى هواه والذي يكلف
بعبادي الصالحين كما يكلف الصبي بالثدي والذي يغضب اذا اوتيت محارمي
كما يغضب النمر لنفسه فان النمر اذا غضب لنفسه لم يبال اقل الناس ام كثروا
وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف وقال ابو ذر الغفاري قال ابو بكر
الصديق رضي الله عنه يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم نعم يا ابا بكر ان لله تعالى مجاهدين في الارض افضل من الشهدا
احيا مرزوقين يمشون على الارض يباهي الله بهم ملائكة السما وتزين لهم الجنة
كما تزينت ام سلمة لرسول الله فقال ابو بكر يا رسول الله ومن هم قال هم الامرون
بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله ثم قال والذي
نفسي بيده ان العبد منهم ليكون في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهدا للغرفة
منها ثلاثمائة الف باب منها الياقوت والزمرد الاخضر على كل باب نور وان الرجل منهم
ليزوج مائة الف حورا قاصرات الطرف عين كلما التفت الى واحدة منهن فنظر اليها
فتقول

فتقول اتذكر يوم كذا وكذا امرت بالمعروف ونهيت عن المنكر فكلما التفت الى واحدة
منهن ذكرت له كل مقام امر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر وقال ابو عبيدة بن الجراح
قلت يا رسول الله اى الشهدا اكرم على الله عز وجل قال رجل قام الى وال جاير فامره
بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فان لم يقتله فان القلم لا يجري عليه بعد ذلك
وان عاش ما عاش وقال الحسن البصري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
افضل شهدا امتي رجل قام الى امام جاير فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله
على ذلك فذلك الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بيس القوم قوم لا
يامرون بالقسط وبيس القوم قوم لا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر
واما الاثار فقال ابو الدردا لتامرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر او ليسلطن
الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا
يستجاب لهم وتنتصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم وسيل
حذيفة عن ميت الاحيا فقال الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه وقال
مالك بن دينار كان حبر من احبار بني اسرايل يغشى منزله النسا والرجال ويذكرهم
بايام الله عز وجل فراى بعض بنيه يوما يغمز النسا فقال مهلا يا بني مهلا فسقط من سريره
فانقطع نخاعه واسقطت امراته وقتل بنوه في الجيش فاوحى الله تعالى الى نبي زمانه
ان اخبر فلان الحبر اني لا اخرج من صلبك صديقا ابدا اما كان من غضبك لي الا ان
قلت مهلا يا بني مهلا وقال حذيفة ياتي على الناس زمان لان يكون فيهم جيفة
حمار احب اليهم من مومن يامرهم وينهاهم واوحى الله عز وجل الى يوشع بن نون
اني مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم فقال
يا رب هولا الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم
وشاربوهم وقال بلال بن سعد ان المعصية اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها
فاذا اعلنت فلم تغير اضرت بالعامة وقال كعب الاحبار لابي مسلم الخولاني
كيف منزلتك من قومك قال حسنة قال كعب ان التورية لتقول غير ذلك
قال وما تقول قال تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر سات
منزلته عند قومه فقال صدقت التورية وكذب ابو مسلم وكان عبد الله بن عمر
ياتي العمال ثم قعد عنهم فقيل له لو اتيتهم فلعلهم يجدون في انفسهم فقال ارهب

ان تكلمت ادبروا وان الذي في غيره الوكيل ان سكتت رغبت اليه وهذا يدل على ان
من عجز عن الامر بالمعروف فعليه ان يبعد عن ذلك الموضع ويستتر عنه حتى
لا يجري بمشهد منه وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اول ما تغلبون عليه من الجهاد
الجهاد بايديكم ثم الجهاد بالسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فاذا لم يعرف القلب المعروف
ولم ينكر المنكر نكس فجعل اعلاه اسفله وقال سهل بن عبد الله ايما عبد عمل في
شيء من دينه بما امر به او نهى عنه وتعلق به عند فساد الامور وتنكر الامور
وتشوش فهو ممن قد قام لله في زمانه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر معناه
انه اذا لم يقدر الا على نفسه فقام به وانكر احوال الغير بقلبه فقد جا بما هو
الغاية في حقه وقيل للفضيل الا تامر وتنهى فقال ان قوما امروا ونهوا فكفروا وذلك
انهم لم يصبروا على ما اصيبوا وقيل للثوري الا تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر
فقال اذا انبثق البحر فمن يقدر ان يسكنه فقد ظهر بهذه الادلة ان الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر واجب وان فرضه لا يسقط مع القدرة الا بقيام قائم به
فلنذكر الان شروطه وشروط وجوبه

الباب الثاني في

اركان الامر بالمعروف وشروطه اعلم ان الركن في الحسبة التي هي عبارة
شاملة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر اربعة المحتسب والمحتسب عليه
والمحتسب فيه ونفس الاحتساب فهذه اربعة اركان ولكل واحد
منها شروط الركن الاول في المحتسب وله شروط وهو ان يكون مكلفا
مسلما قادرا فيخرج منه المجنون والصبي والكافر والعاجز ويدخل فيه احاد الرعايا
وان لم يكونوا ماذونين ويدخل فيه الفاسق والرقيق والمراة فلنذكر وجه
اشتراط ما شرطناه ووجه اطراح ما اطرحناه اما الشرط الاول وهو
التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فان غير المكلف لا يلزمه امر وما ذكرناه
اردنا به انه شرط الوجوب فاما امكان الفعل وجوازه فلا يستدعي الا
العقل حتى ان الصبي المراهق للبلوغ المميز وان لم يكن مكلفا فله
انكار المنكر وله ان يريق الخمر ويكسر الملاهي واذا فعل ذلك نال به ثوابا
ولم يكن لاحد منعه من حيث انه ليس بمكلف فان هذه قربة وهو من اهلها
كالصلاة والامامة وساير القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى
يشترط فيه التكليف ولذلك اثبتناه للعبد واحاد الرعية نعم في
المنع

الزمان نسخة

المنع بالفعل وابطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الايمان
كقتل المشرك وابطال اسبابه وسلب اسلحته فان للصبي ان يفعل ذلك
حيث لا يستضر به فالمنع عن الفسق كالمنع من الكفر واما الشرط الثاني وهو الايمان
فلا يخفى وجه اشتراطه لان هذا نصرة للدين فكيف يكون من اهله من هو جاحد للدين
وعدو له واما الشرط الثالث وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق
ان يحتسب وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يامر بما لا يفعله مثل قوله اتامرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم وقوله تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون
وبما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مررت ليلة اسري بي بقوم تقرض شفاههم
بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا كنا نامر بالخير ولا ناتيه وننهى عن الشر وناتيه
وبما روي ان الله تعالى اوحى الى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام عظ نفسك فان اتعظت
فعظ الناس والا فاستحي مني وربما استدلوا من طريق القياس بان هداية الغير فرع
الاهتدا وكذلك تقويم الغير فرع الاستقامة والاصلاح زكاة عن نصاب الصلاح فمن
ليس بصالح في نفسه كيف يصلح غيره ومتى يستقيم الظل والعود اعوج وكلما ذكروه خيالات
وانما الحق ان للفاسق ان يحتسب وبرهانه هو ان نقول هل يشترط في الاحتساب ان يكون
متعاطيه معصوما عن المعاصي كلها فان شرط ذلك فهو خرق للاجماع ثم حسم لباب الاحتساب
اذ لا عصمة للصحابة فضلا عمن دونهم والانبيا قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقران
دال على نسبة ادم عليه الصلاة والسلام الى المعصية وكذا جماعة من الانبيا ولهذا قال
سعيد بن جبير ان لم يامر بالمعروف ولم ينه عن المنكر الا من لا يكون فيه شي لم يامر احد
بشي فاعجب مالكا ذلك من سعيد بن جبير وان زعموا ان ذلك لا يشترط عن الصغاير
حتى يجوز للابس الحرير ان يمنع من الزنا وشرب الخمر فنقول هل لشارب الخمر ان يغزو الكفار
ويحتسب عليهم بالمنع من الكفر فان قالوا لا خرقوا الاجماع اذ جنود المسلمين لم تزل
مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر وظالم الايتام ولم يمنعوا من الغزو لا في عصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده فان قالوا نعم فنقول شارب الخمر هل له المنع من
القتل ام لا فان قالوا لا قلنا فما الفرق بينه وبين لابس الحرير اذ جاز له المنع من الخمر
والقتل كبيرة بالنسبة الى الشرب كالشرب بالنسبة الى لبس الحرير فلا يعرف وان
قالوا نعم وفصلوا الامر فيه بان كل مقدم على شي لا يمنع عن مثله ولا عما دونه وانما
يمنع عما فوقه فهذا تحكم فانه كما لا يبعد ان يمنع الشارب من الزنا والقتل

فمن اين يلزم منه ان العصيان باحدهما اقتضى العصيان بالثاني اذا كان النهي واجبا على
فمن اين يسقط وجوبه باقدامه اذ يستحيل ان يقال يجب النهي عن شرب الخمر عليه مالم يشرب فاذا
شرب سقط عنه النهي فان قيل فيلزم على هذا ان يقول القائل الواجب علي الوضوء والصلاة
فانا اتوضا وان لم اصلي واتسحر وان لم اصم لان المستحب لي الصيام والسحور جميعا ولكن
يقال احدهما مرتب على الاخر فكذلك تقويم الغير مرتب على تقويم نفسه فليبدا بنفسه
ثم بمن يعول والجواب ان التسحر يراد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر محبوبا وما يراد
لغيره لا ينفك عن ذلك الغير واصلاح الغير لا يراد لاصلاح النفس ولا اصلاح النفس
لاصلاح الغير فالقول بترتب احدهما على الاخر تحكم واما الوضوء والصلاة فهو لازم لا جرم
من توضا ولم يصل كان مؤديا لامر الوضوء وكان عقابه اقل ممن ترك الوضوء والصلاة جميعا
فليكن من ترك النهي والانتهاء اكثر عقابا ممن نهى ولم ينته كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه
بل للصلاة فلا حكم له دون الصلاة فاما الحسبة فليس شرطها الانتهاء والائتمار فلا
مشابهة بينهما فان قيل فيلزم على هذا ان يقال اذا زنى الرجل بامراة وهي مكرهة
مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها اخذ الرجل يحتسب في اثناء الزنا ويقول انت
مكرهة في الزنا ومختارة في كشف الوجه لغير محرم وما انا محرم لك فاستري وجهك فهذا احتساب
شنيع يستنكره قلب كل عاقل ويستشنعه كل قلب سليم والجواب ان الحق قد يكون شنيعا
وان الباطل قد يكون مستحسنا بالطباع والمتبع الدليل دون نفرة الاوهام والخيالات
فانا نقول قوله لها في تلك الحال لا تكشفي وجهك واجب او مباح او حرام فان قلتم انه
واجب فهو الغرض لان الكشف معصية والنهي عن المعصية حق وان قلتم مباح فاذا
له ان يقول ما هو مباح فما معنى قولكم ليس للفاسق الحسبة فان قلتم انه حرام فنقول
كان هذا واجبا فمن اين حرم باقدامه على الزنا ومن الغريب ان يصير الواجب حراما بسبب
الحرام واما نفرة الطباع عنه واستنكارها له فهو لسببين احدهما انه ترك الاهم واشتغل
بما هو ليس بمهم وكما ان الطباع تنفر عن ترك المهم الى ما لا يعني فتنفر عن ترك الاهم والاشتغال
بالمهم كما تنفر عمن يتحرج عن تناول طعام مغصوب وهو مواظب على الزنا وكما تنفر عمن
يتصاون عن الغيبة ويشهد بالزور وافحش واشد من الغيبة التي هي اخبار عن كائن يصدق
فيه المخبر وهذا الاستبعاد في النفوس لا يدل على ان ترك الغيبة ليس بواجب وانه لو اغتاب
او اكل لقمة من حرام لم تزد بذلك عقوبته فلذلك ضرره في الاخرة من معصيته اكثر من ضرره
من معصية غيره فاشتغاله بالاقل عن الاكثر مستنكر في الطبع من حيث انه ترك الاكثر
لا من حيث

لا من حيث انه اتى بالاول فمن غصب فرسه ولجام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك الفرس
نفرت منه الطباع ورئي مسيا وما صدر منه طلب اللجام وهو غير منكر ولكن المنكر تركه طلب
الفرس بطلب اللجام فاشتد الانكار عليه لتركه الاهم بما دونه وانصرافه عن طلب الفرس
الى اللجام وهو منكر وشدة الانكار عليه من هذا فكذلك حسبة الفاسق مستبعدة من هذا
الوجه وهذا لا يدل على ان حسبته من حيث انها حسبة مستنكرة فان قيل الحسبة تارة
تكون بالنهي بالوعظ وتارة بالقهر ولا ينجع وعظ من لا يتعظ اولا ونحن نقول انه
قوله لا يقبل في الحسبة لعلم الناس بفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ اذ لا فائدة
في وعظه فالفسق يؤثر في اسقاط فائدة كلامه ثم اذا سقط فائدة كلامه سقط وجوب
الكلام فاما اذا كانت الحسبة بالمنع فالمراد منه القهر وتمام القهر ان يكون بالفعل
والحجة جميعا واذا كان فاسقا فان قهر بالفعل فقد قهر بالحجة اذ يتوجه عليه ان يقال
فانت لم تقدم عليه فتنفر الطباع من قهره بالفعل مع كونه مقهورا بالحجة وذلك لا يخرج
الفعل عن كونه حقا كما ان من يذب الظالم عن احاد المسلمين ويهمل اباه وهو
مظلوم معه تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا فخرج من هذا ان
الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف بفسقه لانه لا يتعظ واذا لم يكن عليه
ذلك وعلم انه يفضي الى تطويل اللسان في عرضه بالانكار فنقول انه ليس له ذلك ايضا فرجع
الى احد نوعي الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه
واما الحسبة بالقهر فلا يشترط فيها ذلك فلا حرج على الفاسق في اراقة الخمور وكسر
الملاهي وغيرها اذا قدر بل هذا غاية الانصاف والكشف في المسئلة واما الايات التي
استدلوا بها فهو انكار عليهم من حيث تركهم المعروف لا من حيث امرهم ولكن امرهم
دل على قوة علمهم وعقاب العالم اشد لانه لا عذر له مع قوة علمه وقوله لم تقولون ما لا
تفعلون المراد به الوعد الكاذب وقوله وتنسون انفسكم انكار من حيث انهم نسوا
انفسهم لا من حيث انهم امروا غيرهم ولكن ذكر امر الغير استدلالا به على علمهم وتاكيد
الحجة عليهم وقوله يا ابن مريم عظ نفسك الحديث هو في الحسبة بالوعظ وقد سلمنا ان
وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه ثم قوله فاستحي مني لا يدل على تحريم
وعظ الغير بل معناه استحي مني فلا تترك الاهم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ اباك
ثم جارك والا فاستحي فان قيل فليجز للكافر الذمي ان يحتسب على المسلم اذا رآه يزني
لان قوله لا تزن حق في نفسه فمحال ان يكون حراما عليه بل ينبغي ان يكون مباحا او واجبا

قلنا الكافر ان منع المسلم بفعله فهو تسلط عليه فيمنع من حيث انه تسلط عليه
وما جعل الله للكافرين سبيلا واما مجرد قوله لا تزن فليس بمحرم عليه من حيث انه نهي
عن الزنا ولكن من حيث انه اظهار دالة الاحتكام على المسلم وفيه اذلال للمحتكم عليه والفاسق
يستحق من الاذلال ولكن لا من الكافر الذي هو اولى بالذل منه فهذا وجه منعنا اياه من الحسبة
والا فلسنا نقول ان الكافر يعاقب بسبب قوله لا تزن من حيث انه نهي بل نقول اذا لم يقل
لا تزن يعاقب عليه ان راينا خطاب الكفار بفروع الدين وفيه نظر استوفيناه في الفقهيات
ولا يليق بحل غرضنا الان الشرط الرابع كونه ماذونا من جهة الامام والوالي فقد شرط
قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للاحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فان
الايات والاخبار التي اوردناها تدل على ان كل من راى منكرا فسكت عصى اينما راه
وكيف ما راه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الامام تحكم لا اصل له والعجب
ان الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الامر بالمعروف ما لم يخرج الامام المعصوم
وهو الامام الحق وهؤلاء اخس رتبة من ان يكلموا بل جوابهم ان يقال لهم اذا جاؤوا الى
القضاة طالبين لحقوقهم في دمائهم واموالهم ان نصرتكم امر بالمعروف واستخراج حقوقكم
من ايدي من ظلمكم نهي عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهي عن
الظلم وطلب الحقوق لان الامام الحق بعد لم يخرج فان قيل بالامر بالمعروف اثبات سلطنة
وولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا فينبغي ان لا
يثبت لاحاد الرعية الا بتفويض من الوالي وصاحب الامر فنقول اما الكافر فممنوع
لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام والكافر ذليل لا يستحق ان ينال عز التحكم على
المسلم واما احاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة وما فيه من عز
السلطنة والاحتكام لا يحوج الى تفويض كعز التعليم والتعريف اذ لا خلاف
في ان تعريف التحريم والايجاب لمن هو جاهل ومقدم على المنكر بجهله لا يحتاج
الى اذن الوالي وفيه عز الارشاد وعلى المعرف ذل التجهيل وذلك يكفي فيه
مجرد الدين فكذلك النهي (وشرح) والقول المفصل فيه هذا ان فعل الحسبة له خمس
مراتب كما سياتي اولاها التعريف والثاني الوعظ بالكلام اللطيف الثالث
السب والتعنيف ولست اعني بالسب الفحش بل ان يقول يا جاهل يا احمق
الا تخاف من الله وما يجري هذا المجرى الرابع المنع بالقهر بطريق
المباشرة ككسر الملاهي واراقة الخمر واختطاف الثوب الحرير من راسه

واستلاب

واستلاب الثوب المغصوب منه ورده على صاحبه والخامس التخويف
والتهديد بالضرب او مباشرة الضرب حتى يمتنع عنه فالمواظب على
الغيبة والقذف فان سلب لسانه عنه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت
بالضرب وهذا قد يحوج الى استعانة وجمع اعوان من الجانبين ويجر
الى قتال وسائر المراتب لا يخفى وجه استغنائها عن اذن الامام الا المرتبة
الاخيرة فان فيها نظرا سياتي اما التعريف والوعظ فكيف يحتاج الى
اذن الامام واما التجهيل والتحميق والنسبة الى الفسق وقلة الخوف
من الله تعالى وما يجري مجراه فهو كلام صدق والصدق مستحق بل افضل
الدرجات كلمة حق عند امام جائر كما ورد في الحديث فاذا جاز الحكم على الامام
على مراغمته فكيف يحتاج الى اذنه وكذلك كسر الملاهي واراقة الخمور فما
يعرف كونه حقا من غير اجتهاد فلم يفوض الى الامام فاما جمع الاعوان
وشهر الاسلحة فذلك قد يجر الى فتنة عامة ففيه نظر سياتي واستمرار
عادات السلف على الحسبة على الولاة قاطع باجماعهم على الاستغنا عن التفويض
بل كل من امر بمعروف فان كان الوالي راضيا به فذاك وان كان ساخطا له
فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج الى اذنه في الانكار عليه
ويدل على ذلك عادة السلف في الانكار على الائمة كما روي ان مروان بن الحكم
خطب قبل الصلاة في العيد فقال له رجل انما الخطبة بعد الصلاة فقال
مروان اترك ذلك يا فلان فقال ابو سعيد اما هذا فقد قضى ما عليه
قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من راى منكرا فلينكره بيده فان لم
يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان فلقد كانوا
فهموا من هذه العمومات دخول السلاطين تحتها فكيف يحتاج الى اذنهم وروي
ان المهدي لما قدم مكة لبث ما شاء الله فلما اخذ في الطواف نحى الناس عن
البيت فوثب عبد الله بن مرزوق فلببه بردائه ثم هزه وقال له انظر
ما تصنع من جعلك بهذا البيت احق ممن اتاه من البعد حتى اذا صار عنده
حلت بينه وبينه من جعل لك هذا فنظر في وجهه وكان يعرفه لانه
من مواليهم فقال اعبد الله بن مرزوق قال نعم فاخذ فجيء به الى بغداد فكره
ان يعاقبه عقوبة يشنع عليه بها في العامة فجعله في اصطبل الدواب ليسوس

الدواب وضموا اليه فرسا عضوضا سيء الخلق ليعقره الفرس فلينه الله له الفرس
قال ثم حبسه في بيت واحد المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاث الى البستان
ياكل البقل فاوذن به المهدي فقال من اخرجك فقال الذي حبسني قال فضج المهدي
وصاح وقال ما اخلق شيئا ان اقتلك فرفع عبد الله اليه راسه يضحك وهو
يقول لو كنت تملك حياة او موتا فما زال محبوسا حتى مات المهدي ثم خلوا عنه فرجع
الى مكة قال وقد كان جعل على نفسه نذرا انه ان خلصه الله من ايديهم ان ينحر مائة بدنة
فكان يعمل في ذلك حتى نحرها وروي عن جابر بن عبد الله قال تنزه هارون الرشيد
بالروس ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمان بن ابي جعفر فقال هارون قد كانت
لك جارية تغني فتحسن فجئنا بها فادخلت فغنت فلم تحمد غناها فقال ما شانك
فقالت ليس هذا عودي فقال للخادم جئنا بعودها فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط
النوى فقال الطريق يا شيخ فرفع الشيخ راسه فراى العود فاخذه فضرب به الارض
فاخذه الخادم فذهب به الى صاحب الربع فقال احتفظ بهذا فانه طلبة امير المؤمنين
فقال له صاحب الربع ليس ببغداد اعبد من هذا فكيف يكون طلبة امير المؤمنين فقال له
ما اقول لك فدخل على هارون فقال اني مررت على شيخ يلقط النوى فقلت الطريق
فرفع راسه فراى العود فاخذه فضرب به الارض فاستشاط هارون وغضب واحمرت
عيناه فقال له سليمان بن ابي جعفر ما هذا الغضب يا امير المؤمنين ابعث الى صاحب
الربع يضرب عنقه ويرمي به في الدجلة فقال لا ولكن نبعث اليه نناظره فجاء الرسول
فقال اجب امير المؤمنين فقال نعم قال اركب قال لا فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر
فقيل لهارون قد جاء الشيخ فقال للندماء اي شيء ترون نرفع ما قدامنا من المنكر حتى
يدخل الشيخ او نقوم الى مجلس ليس فيه منكر فقالوا له نقوم الى مجلس ليس فيه
منكر اصلح فقاموا الى مجلس ليس فيه منكر ثم امر بالشيخ فادخل وفي كمه الكيس
الذي فيه النوى فقال له الخادم اخرج هذا وادخل على امير المؤمنين قال من هذا عشائي
الليلة قال نحن نعشيك قال لا حاجة لي في عشائك فقال له هارون اي شيء تريد منه قال
في كمه نوى قلت له اطرح وادخل على امير المؤمنين فقال دعه لا نطرحه فدخل فسلم وجلس
فقال له هارون يا شيخ ما حملك على ما صنعت قال واي شيء صنعت وجعل يستحيي ان
يقول كسرت عودك فلما اكثر عليه قال اني سمعت اباك واجدادك يقرؤون هذه الاية
على المنبر ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر ورايت منكرا

فغيرته

فخبرته فقال فخبره فوالله ما قال الا هذا فلما خرج اعطى رجلا بدرة فقال اتبع الشيخ
فان رايته يقول قلت لامير المومنين وقال لي فلا تعطه شيئا وان رايته لا يكلم احدا فاعطه
البدرة فلما خرج من القصر اذا هو بنواة في الارض قد غاصت فجعل يعالجها فلم يكلم احدا
فقال له يقول لك امير المومنين خذ هذه البدرة قال قل لامير المومنين يردها من حيث
اخذها ويروى انه اقبل بعد فراغه من كلامه على نواة يعالج قلعها من الارض وهو يقول
ارى الدنيا لمن هي في يديه ، هموما كلما كثرت لديه ، تهين المكرمين لها بصغر ، وتكرم كل من
هانت عليه ، اذا استغنيت عن شيء فدعه ، وخذ ما انت محتاج اليه ، وعن سفيان الثوري
رحمه الله قال حج المهدي في سنة ست وستين ومائة فرايته يرمي جمرة العقبة والناس
يخبطون به يمينا وشمالا بالسياط فوقف فقلت يا حسن الوجه حدثنا ايمن عن نابل
عن قدامة بن عبد الله الكلابي قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي الجمرة يوم النحر
على جمل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا اليك اليك وها انت يخبط الناس بين يديك يمينا
وشمالا فقال لرجل من هذا قال سفيان الثوري فقال يا سفيان لو كان المنصور
ما احتملك على هذا فقال لو اخبرك المنصور بما لقي لاقصرت عما انت فيه قال فقيل له انه
قال يا حسن الوجه ولم يقل لك يا امير المومنين فقال اطلبوه فطلب سفيان فاختفى وقد
روي عن المامون انه بلغه ان رجلا محتسبا يمشي في الناس يامرهم بالمعروف وينهاهم
عن المنكر ولم يكن مامورا من عنده بذلك فامر بان يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له
بلغني انك رايت نفسك اهلا للامر بالمعروف من غير ان نامرك وكان المامون جالسا
على كرسي ينظر في كتاب او قصة فاغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر
فقال المحتسب ارفع قدمك عن اسم الله ثم قل ما شئت فلم يفهم المامون مراده فقال ماذا
تقول حتى اعاده ثلاثا فلم يفهم فقال اما رفعت قدمك او اذنت فقال اذنت فنظر المامون
تحت قدمه فراى الكتاب فاخذه وقبله وخجل ثم عاد وقال لم تامر بالمعروف وقد جعل الله
ذلك الينا اهل البيت ونحن الذين قال الله تعالى فيهم الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة
واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقال صدقت يا امير المومنين انت كما وصفت
نفسك من السلطان والتمكن غير انا اعوانك واولياوك فيه لا ينكر ذلك الا من جهل
كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى والمومنون والمومنات بعضهم
اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقد مكنت في الارض وهذا كتاب الله وسنة

ورسوله فان انفردت بها شكوت لمن دعا انك تحتج منهما وان استكثرت عليهما ولم تنفذ لما
لومك فان الذي اليه امرك وبيده عزلك وذلك قد شرط انه لا يضيع اجر من احسن عملا فقل
الان ما شئت فاعجب المامون بكلامه وسر به وقال مثلك يجوز له ان يامر بالمعروف فامض على
ما كنت عليه بامرنا وعن راينا فاستمر عليه ففي سياق هذه الحكايات بيان الدليل على الاستغنا
عن الاذن فان قيل اتثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والعبد على السيد والزوجة على الزوج
والتلميذ على الاستاذ والرعية على الوالي مطلقا او بينهما في التفاصيل فرق فالذي انه تثبت
اصل الولاية ولكن بينهما فرق في التفصيل ولنفرض في الولد مع الوالد فنقول قد رتبنا
للحسبة خمس مراتب وللولد الحسبة بالرتبتين الاوليين وهو التعريف ثم الوعظ والنصح
باللطف وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا بمباشرة الضرب وهما
الرتبتان الاخيرتان وهل له الحسبة بالرتبة الثالثة حيث يودي الى اذى الوالد وسخطه
هذا فيه نظر وهو بان يكسر عوده ويريق خمره ويحل الخيوط عن ثيابه المنسوجة من الحرير
ويرد الى الملاك ما يجده في بيته من المال الحرام الذي غصبه او سرقه او اخذه عن ادرار
رزق ومن ضريبة المسلمين المعتبر ويبطل الصور المنقوشة على حيطانه والمنقورة
في خشب بيته ويكسر اواني الذهب والفضة فان فعله في هذه الامور ليس يتعلق بذات
الاب بخلاف الضرب والسب ولكن الوالد يتاذى به ويسخط بسببه الا ان فعل الولد حق
وسخط الاب منشاه حبه للباطل والحرام والاظهر في القياس انه يثبت للولد ذلك بل يلزمه
ان يفعل ذلك ولا يبعد ان ينظر فيه الى قبح المنكر والى مقدار الاذى والسخط فان كان المنكر
فاحشا وسخطه عليه قريبا كاراقة الخمر ممن لا يشتد غضبه فذلك ظاهر وان كان المنكر
قريبا والسخط شديدا كما لو كانت له انية من بلور او زجاج على صورة حيوان وفي كسره خسران
مال كثير فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجري هذه المعصية مجرى الخمر وغيره وهذا
كله مجال النظر فان قيل ومن اين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والارهاق
الى ترك الباطل والامر بالمعروف في الكتاب والسنة ورد عاما من غير تخصيص واما النهي
عن التافيف والايذا فقد ورد وهو خاص فيما لا يتعلق بارتكاب المنكرات فنقول قد ورد
في حق الاب على الخصوص ما يوجب الاستثنا عن العموم اذ لا خلاف في ان الجلاد ليس له
ان يقتل اباه حدا في الزنا ولا له ان يباشر اقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل ابيه الكافر
بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له ان يوذيه في مقابلته وقد ورد في ذلك اخبار وثبت
بعضها بالاجماع فاذا لم يكن له ايذاوه بعقوبة هي على جناية سابقة فلا يجوز له ايذاوه بعقوبة
هي منع

هي من جنايات مستقلة لا من منع فعله بل اولى وهذا الترتيب ينبغي ايضا ان يجري في العبد
والزوجة مع السيد والزوج فهما قريبان من الوالد في لزوم الحق وان كان ملك اليمين آكد من
ملك النكاح ولكن في الخبر انه لو جاز السجود لمخلوق لامرت المراة بالسجود لبعلها وهذا
يدل على تاكد الحق ايضا واما الرعية مع السلطان فالامر فيه اشد من الولد فليس لهم
معه الا التعريف والنصح فاما المرتبة الثالثة ففيه نظر من حيث ان الهجوم على اخذ الاموال
من خزانته وردها الى الملاك وعلى تحليل الخيوط من ثيابه وكسر الخمور في بيته تكاد تفضي
الى خرق هيبته واسقاط حشمته وذلك محذور ورد النهي عنه كما ورد النهي عن السكوت
عن المنكر فقد تعارض فيه ايضا محذوران والامر فيه موكول الى اجتهاد منشاؤه النظر
في تفاحش المنكر ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم وذلك مما لا يمكن
ضبطه واما التلميذ والاستاذ فالامر فيما بينهما اخف لان المحترم هو الاستاذ المفيد
للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله ان يعامله بموجب علمه الذي تعلمه منه
وروي انه سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده فقال يعظه ما لم يغضب فان غضب سكت
عنه الشرط الخامس كونه قادرا ولا يخفى ان العاجز ليس عليه حسبة الا بقلبه اذ كل من
احب الله يكره معاصيه وينكرها وقال ابن مسعود جاهدوا الكفار بايديكم فان
لم تستطيعوا الا ان تكفهروا في وجوههم فافعلوا واعلم انه لا يقف سقوط الوجوب على
العجز الحسي بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها يناله فذلك في معنى العجز وكذا اذا لم يخف
مكروها ولكن علم ان انكاره لا ينفع فليلتفت الى معنيين احدهما عدم افادة الانكار امتناعا
والاخر خوف مكروه ويحصل من اعتبار المعنيين اربعة احوال احدها بان يجتمع المعنيان
بان يعلم انه لا ينفع كلامه ويضرب ان تكلم فلا تجب الحسبة بل ربما تحرم في بعض المواضع
نعم يلزمه ان لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج الا لحاجة مهمة او واجب
ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة الا اذا كان يرهق الى الفساد او يحمل على مساعدة
السلاطين في الظلم والمنكرات فيلزمه الهجرة اذ قدر عليها فان الاكراه لا يكون عذرا
في حق من يقدر على الهرب من الاكراه الثانية ان ينتفي المعنيان بان يعلم ان المنكر يزول
بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب وهي القدرة المطلقة الثالثة ان يعلم انه
لا يفيد لكنه لا يخاف مكروها فلا تجب الحسبة لعدم فائدتها ولكن تستحب لاظهار شعائر
الاسلام وتذكير الناس بامر الدين الرابعة عكس هذه وهو يعلم انه يصاب بمكروه ولكن يبطل
المنكر بفعله كما يقدر على ان يرمي زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها ويريق الخمر او يضرب العود الذي

في يده ضربة مختطفة فينكسر في الحال ويتعطل عليه هذا المنكر ولكنه يعلم أنه يرجع إليه
فيضرب رأسه فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب ويدل عليه الخبر الذي
أوردناه في فضل كلمة حق عند إمام جائر ولا شك في أن ذلك مظنة الخوف ويدل عليها
ما روي عن أبي سليمان الداراني رحمه الله أنه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فأردت أن
أنكر وعلمت أني أقتل ولم يمنعني القتل ولكن كان في ملأ من الناس فخشيت أن يعتريني التزين
للخلق فأقتل من غير إخلاص في الفعل فإن قيل فما معنى قوله تعالى ولا تلقوا
بأيديكم إلى التهلكة قلنا لا خلاف في أن المسلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار
ويقاتل وإن علم أنه يقتل وهذا ربما يظن أنه يخالف موجب الآية وليس كذلك
فقد قال ابن عباس ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة في طاعة الله تعالى
أي من لم يفعل ذلك فقد أهلك نفسه وقال البراء بن عازب التهلكة أن يذنب
الذنب ثم يقول لا يتاب علي وقال عبيدة هو أن يذنب ذنبا ثم لا يعمل بعده خيرا
حتى يهلك وإذا جاز أن يقاتل الكفار حتى يقتل جاز أيضا ذلك في الحسبة
ولكن لو علم أنه لا نكاية لهجومه على الكفار كالأعمى يطرح نفسه على الصف
أو العاجز فذلك حرام وداخل تحت عموم آية التهلكة وإنما جاز إذا علم أنه يقاتل
إلى أن يقتل أو علم أنه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جراءته واعتقادهم
في سائر المسلمين قلة المبالاة وحبهم الشهادة في سبيل الله فتنكسر به
شوكتهم فلذلك يجوز للمحتسب بل يستحب له أن يعرض نفسه للضرب والقتل
إذا كان لحسبته تأثير في رفع المنكر أو كسر جاه الفاسق أو تقوية قلوب أهل
الدين فأما إن رأى فاسقا متغلبا وحده وعنده سيف وبيده قدح
وعلم أنه لو أنكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته فهذا مما لا أرى للحسبة
فيه وجها وهو عين الهلاك فإن المطلوب أن يؤثر في الدين أثرا ويفديه
بنفسه فأما تعريض النفس للهلاك من غير أثر فلا وجه له بل ينبغي أن يكون
حراما وإنما يستحب إذا قدر على إبطال المنكر أو ظهر لعمله فائدة وذلك
بشرط أن يقتصر المكروه عليه فإن علم أنه يضرب معه غيره من أصحابه أو أقاربه
أو رفقائه فلا تجوز له الحسبة بل تحرم لأنه عجز عن دفع المنكر إلا بأن يفضي ذلك
إلى منكر آخر وليس ذلك من القدرة في شيء بل لو علم أنه لو احتسب لبطل
ذلك المنكر ولكن كان ذلك سببا لمنكر آخر يتعاطاه غير المحتسب عليه

فلا يحل

فلا يحل له الاتكال على الاظهر لان المقصود عدم مناكر الشرع مطلقا لا من زيد
او عمرو وذلك بان يكون مثلا مع الانسان شراب حلال نجس بسبب
وقوع نجاسة فيه وعلم انه لو اراقه لشرب صاحبه الخمر او شرب اولاده الخمر
لاعوازهم الشراب الحلال فلا معنى لاراقة ذلك ويحتمل ان يقال انه يريق ذلك
فيكون هو مبطلا للمنكر واما شرب الاخر فهو الملوم فيه والمحتسب غير
قادر على منعه ذلك المنكر وقد ذهب الى هذا ذاهبون وليس يبعد فان هذه
مسائل فقهية لا يمكن فيها الحكم الا بظن ولا يبعد ان يفرق بين درجات المنكر
المغير والمنكر الذي يفضي اليه الحسبة والتغيير فانه اذا كان يذبح شاة لغيره
حتى ياكلها وعلم انه لو منع منها لذبح انسانا واكله فلا معنى لهذه الحسبة
نعم لو كان منعه عن ذبح انسان وقطع طرفه يحمله على اخذ ماله فذلك وجه
فهذه دقائق واقعة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في ذلك
كله ولهذه الدقائق نقول العامي ينبغي ان لا يحتسب الا في الجليات المعلومة
كشرب الخمر والزنا وترك الصلاة فاما ما يعلم كونه معصية بالاضافة
الى ما يطيف به من الافعال ويفتقر فيه الى اجتهاد فالعامي ان خاض فيه كان
ما يفسده اكثر مما يصلحه وعن هذا يتأكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة الا
بتعيين الوالي اذ ربما ينتدب لها من ليس اهلا لها لقصور معرفته او قصور ديانته
فيؤدي الى وجوه من الخلل وسياتي كشف الغطاء عن ذلك فان قيل وحيث
اطلقتم العلم بان يصيبه مكروه او انه لا يفيد حسبته فلو كان بدل العلم
ظن فما حكمه قلنا الظن الغالب في هذه الابواب في معنى العلم وانما يظهر
الفرق عند تعارض الظن والعلم اذ يرجح العلم اليقيني على الظن ويفرق بين
العلم والظن في موضع اخر وهو انه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعا
انه لا يفيد فان كان غالب ظنه انه لا يفيد ولكن يحتمل ان يفيد وهو مع ذلك
لا يتوقع مكروها فقد اختلفوا في وجوبه والاظهر وجوبه اذ لا ضرر فيه
وجدواه متوقع وعمومات الامر بالمعروف تقتضي الوجوب بكل حال ونحن
انما نستثني عنه بطريق التخصيص اما اذا علم ان لا فائدة فيه اما بالاجماع
او بقياس ظاهر وهو ان الامر ليس يراد لعينه بل للمأمور فاذا علم الياس
منه فلا فائدة فيه فاذا لم يكن ياس فينبغي ان لا يسقط الوجوب فان قيل

فالمكروه الذي يتوقع اصابته ان لم يكن متيقنا ولا معلوما بغالب الظن ولكن
كان مشكوكا فيه او كان غالب ظنه انه لا يصاب بمكروه ولكن احتمل ان يصاب
بمكروه فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب الا عند اليقين بانه
لا يصيبه مكروه ام يجب في كل حال الا اذا غلب على ظنه انه يصاب بمكروه
قلنا ان غلب على الظن انه يصاب لم يجب وان غلب انه لا يصاب وجب ومجرد
التجويز لا يسقط الوجوب فان ذلك ممكن في كل حسبة وان شك فيه
من غير رجحان فهذا محل النظر فيحتمل ان يقال الاصل الوجوب بحكم العمومات
وانما يسقط بمكروه والمكروه هو الذي يظن او يعلم حتى يكون متوقعا وهذا
هو الاظهر ويحتمل ان يقال انه انما يجب عليه اذا علم انه لا ضرر عليه او ظن
انه لا ضرر عليه والاول اصح نظرا الى قضية العمومات الموجبة للامر بالمعروف
فان قيل التوقع للمكروه يختلف باختلاف الجبن والجراة فالجبان الضعيف
القلب يرى البعيد قريبا حتى كانه يشاهده ويرتاع منه والشجاع يبعد
وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن الامل حتى لا يصدق به الا بعد وقوعه
فعلى ماذا التعويل قلنا التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والمزاج فان الجبن مرض
وهو ضعف في القلب سببه قصور في القوة وتفريط والتهور افراط في القوة
وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وانما الكمال في الاعتدال الذي
يعبر عنه بالشجاعة وكل واحد من الجبن والتهور قد يصدر تارة عن نقصان العقل
وتارة عن خلل في المزاج بتفريط وافراط فان من اعتدل مزاجه في صفة الجبن
والجراة فقد لا يتفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جراته جهله وقد لا يتفطن
لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون عالما بحكم التجربة
والممارسة بمداخل الشر ودوافعه ولكن يعمل الشر البعيد في تخذيله وتحليل
قوته في الاقدام بسبب ضعف قلبه ما يفعله الشر القريب في حق الشجاع
المعتدل الطبع فلا التفات الى الطرفين وعلى الجبان ان يتكلف ازالة الجبن
بازالة علته وعلته جهل او ضعف ويزول الجهل بالتجربة ويزول الضعف بالممارسة
للفعل المخوف منه تكلفا حتى يصير معتادا اذ المبتدي في المناظرة والوعظ
قد يجبن عنه طبعه لضعفه فاذا مارس واعتاد فارقه الضعف فان صار
ذلك ضروريا غير قابل للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك
الضعف

الضعف بتغير حاله فيعذر كما يعذر المريض في التقاعد عن بعض الواجبات
ولذلك قد نقول على رأي رأى لا يجب ركوب البحر لأجل حجة الإسلام على من تغلب
عليه الجبن في ركوب البحر ويجب على من لا يعظم خوفه منه فكذلك الأمر في وجوب الحسبة
فإن قيل فالمكروه المتوقع ما حده فإن الإنسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد
يكره طول لسان المحتسب عليه في حقه بالغيبة وما من شخص يأمر بالمعروف إلا ويتوقع
منه نوع من الأذى وقد يكون منه أن يسعى إلى سلطان أو يقدح فيه في مجلس
يتضرر بقدحه فما حد المكروه الذي يسقط الوجوب به قلنا هذا أيضاً نظر غامض
وصورته منتشرة ومجاريه كثيرة ولكنا نجتهد في ضم نشره وحصر أقسامه
فنقول المكروه نقيض المطلوب ومطالب الخلق في الدنيا ترجع إلى أربعة أما في
النفس فالعلم وأما في البدن فالصحة والسلامة وأما في المال فالثروة وأما
في قلوب الناس فقيام الجاه فإذن المطلوب العلم والصحة والثروة والجاه ومعنى
الجاه ملك قلوب الناس كما أن معنى الثروة ملك الدراهم لأن قلوب الناس
وسيلة إلى الأغراض كما أن ملك الدراهم وسيلة وسيأتي تحقيق معنى الجاه وسبب
ميل الطبع إليه في ربع المهلكات وكل واحد من هذه الأربعة يطلبها الإنسان لنفسه
ولأقاربه والمختصين به ويكره في هذه الأربعة أمران أحدهما زوال ما هو حاصل
موجود والآخر امتناع ما هو منتظر مفقود أعني اندفاع ما يتوقع وجوده ولا ضرر
إلا في فوات حاصل وزواله أو تعوق منتظر فإن المنتظر عبارة عن الممكن حصوله
والممكن حصوله كأنه حاصل وفوات إمكانه كأنه فوات حصوله فيرجع المكروه
إلى قسمين أحدهما خوف امتناع المنتظر وهذا لا ينبغي أن يكون مرخصاً في ترك الأمر
بالمعروف أصلاً ولنذكر مثاله في المطالب الأربعة أما العلم فمثاله تركه الحسبة
على من يختص بأستاذه خوفاً من أن يتأخر عنه فيمتنع بسببه صحبة المتنطع وأما المال فتركه
الحسبة على السلطان وأصحابه وعلى من تواسيه خيفة من أن يقطع إدراره في المستقبل
ويترك مواساته وأما الجاه فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاهاً في المستقبل
خيفة من أن لا يحصل له الجاه أو خيفة من أن يقبح حاله عند السلطان الذي يتوقع منه
ولاية وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة فإن هذه زيادات امتنعت وتسمية امتناع
حصول المزايا ضرراً مجاز وإنما الضرر الحقيقي فوات حاصل ولا يستثنى عن هذا
شيء إلا ما تتحقق إليه الحاجة ويكون في فواتها محذور يزيد على محذور السكوت عن المنكر

ان يقبح حاله عنده فيمتنع من تعليمه واما الصحة فتركه الانكار على الطبيب الذي يدخل عليه مثلا وهو لابس حريرا خوفا من ان يتاخر عنه

كما اذا كان محتاجا الى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم ان
في تاخيره شدة الضنا وطول المرض وقد يفضي الى الموت واعني بالعلم الظن الذي يجوز
بمثله ترك استعمال الماء والعدول الى التيمم فاذا انتهى الى هذا الحد لم يبعد ان يرخص
في ترك الحسبة واما في العلم فمثل ان يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد الا معلما واحدا
وعلم ان المحتسب عليه قادر على ان يسد عليه طريق الوصول اليه لكون العالم مطيعا
له او مستمعا لقوله فاذا الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على المنكر محذور
فلا يبعد ان يرجح احدهما ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة الى العلم
لتعلقه بمهمات الدين واما في المال فكمن يعجز عن الكسب والسوال وليس قوي النفس
في التوكل ولا متفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه في تحصيله الى طلب
ادرار حرام او مات جوعا فهذا ايضا اذا اشتد الامر لم يبعد ان يرخص له في السكوت واما الجاه
فهو ان يوذيه شرير ولا يجد سبيلا الى دفع شره الا بجاه مكتسب من سلطان ولا يقدر
على التوصل اليه الا بواسطة شخص يلبس الحرير او يشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن
واسطة ووسيلة له فيمتنع حصول الجاه ويدوم بسببه اذى الشرير فهذه كلها اذا
ظهرت وقويت لم يبعد استثناوها ولكن الامر فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفتي
فيها قلبه ويزن احد المحذورين بالاخر ويرجح بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع فان
رجح بموجب الدين سمي سكوته مداراة وان رجح بموجب الهوى سمي سكوته مداهنة وهو امر باطن
لا يطلع عليه الا بنظر دقيق ولكن الناقد بصير فحق على كل متدين فيه ان يراقب قلبه ويعلم
ان الله مطلع على باعثه وصارفه انه الدين او الهوى وستجد كل نفس ما عملت من شر
او خير محضرا عند الله ولو في فلتة خاطر او لفتة ناظر من غير ظلم وجور فما الله بظلام للعبيد
واما القسم الثاني وهو فوات الحاصل فهو مكروه معتبر في جواز السكوت في الامور
الاربعة الا العلم فان فواته غير مخوف الا بتقصير منه والا فلا يقدر احد على سلب العلم
من غيره وان قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال وهذا احد اسباب شرف
العلم فانه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في الاخرة فلا انقطاع له ابد الاباد واما الصحة
والسلامة ففواتهما بالضرب فكل من علم انه يضرب ضربا مولما يتاذى به في الحسبة لم تلزمه الحسبة
وان كان يستحب له ذلك كما سبق واذا فهم هذا في الايلام بالضرب فهو في الجرح والقطع
والقتل اظهر واما الثروة فهو بان يعلم انه تنهب داره ويخرب بيته ويسلب ثيابه
فهذا ايضا يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب اذ لا باس بان يفدي دينه بدنياه
ولكل

ولكل واحد من الضرب والنهب حد في القلة لا يكترث به كالحبة في المال واللطمة الخفيفة
المولمة في الضرب وحد في الكثرة يتعين اعتبارها ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد
وعلى المتدين أن يجتهد فيه ويرجح جانب الدين ما أمكن وأما الجاه ففواته بأن يضرب
ضربا غير مولم أو يسب على ملا أو يطرح منديله في رقبته ويدار به في البلد أو يسود وجهه
ويطاف به وكل ذلك من غير ضرب مولم للبدن وهو قادح في الجاه ومولم في القلب وهذا
له درجات فالصواب أن يقسم إلى ما يعبر عنه بسقوط المروة كالطواف به في البلد
حاسرا حافيا فهذا يرخص في السكوت فإن المروة مامور بحفظها في الشرع وهذا
مولم للقلب ألما يزيد على ضربات متعددة وعلى فوات دريهمات قليلة فهذه
درجة الثانية ما يعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة فإن الخروج في ثياب فاخرة وكذا
الركوب للخيول فلو علم أنه لو احتسب كلف المشي في السوق في ثياب لا يعتاد هو
مثلها أو كلف المشي راجلا وعادته الركوب فهذا من جملة المزايا وليس المواظبة على
حفظها بمحمود وحفظ المروة محمود فلا ينبغي أن يسقط وجوب الحسبة بمثل هذا القدر
في معنى هذا ما لو خاف أن يتعرض له باللسان إما في حضرته بالتجهيل والتحميق والنسبة
إلى الريا والبهتان وإما في غيبته بأنواع الغيبة فهذا لا يسقط الوجوب إذ ليس فيه إلا زوال
فضلات الجاه التي ليس إليها كبير حاجة ولو تركت الحسبة بلوم لائم أو باغتياب فاسق
أو شتمه وتعنيفه أو سقوط المنزلة عن قلبه وقلب أمثاله لم يكن للحسبة وجوب أصلا
إذ لا تنفك الحسبة عنه إلا إذا كان المنكر هو الغيبة وعلم أنه لو أنكر لم يسكت عن المغتاب
ولكن أضافه إليه وأدخله معه في الغيبة فتحرم هذه الحسبة لأنها سبب زيادة
المعصية وإن علم أنه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا يجب عليه لأن غيبته
أيضا معصية في حق المغتاب ولكن يستحب له ذلك ليفدي عرض المذكور بعرض نفسه
على سبيل الإيثار وقد دلت العمومات على تأكد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت
عنه فلا يقابله إلا ما عظم في الدين خطره والمال والنفس والمروة قد ظهر في الشرع خطرها
فأما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل وطلب ثنا الخلق فكل ذلك لا خطر له
وأما امتناعه لخوف شي من هذه المكاره في أولاده وأقاربه فهو في حقه دونه لأن تأذيه
بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره ومن وجه الدين هو فوقه لأن له أن يسامح في حقوق
نفسه وليس له المسامحة في حق غيره فإذن ينبغي أن يمتنع فإن كان ما يفوت من
حقوقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب والنهب فليس له هذه الحسبة

لانه دفع يفضي الى المنكر وان كان يفوت لا بطريق المعصية فهو ايذا المسلم ايضا وليس له
ذلك الا برضاهم فاذا كان يودي ذلك الى اذى قومه فليتركه وذلك كالزاهد الذي له
اقارب اغنيا فانه لا يخاف على ماله ان يحتسب على السلطان ولكنه يقصد اقاربه
انتقاما منه بواسطتهم فاذا كان يتعدى الاذى من حسبته الى اقاربه وجيرانه فليتركه
فان ايذا المسلمين محذور كما ان السكوت على المنكر محذور نعم ان كان لا ينالهم اذى في
مال ونفس ولكن ينالهم الاذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف الامر فيه بدرجات
المنكرات في تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب وقدحه في العرض فان قيل
فلو قصد الانسان قطع طرف من نفسه وكان لا يمتنع عنه الا بقتال ربما يودي الى قتله
فهل يقاتل عليه فان قلتم يقاتل فهو محال لانه اهلاك نفس خوفا من اهلاك طرف وفي
اهلاك النفس اهلاك الطرف ايضا قلنا يمنعه عنه ويقاتله اذ ليس غرضنا حفظ نفسه
وطرفه بل الغرض حسم سبيل المنكر والمعصية وقتله في الحسبة ليس بمعصية وقطع
طرف نفسه معصية وذلك كدفع الصائل على مال مسلم بما ياتي على قتله فانه جائز لا على معنى
انا نفدي درهما من مال مسلم بروح مسلم فان ذلك محال ولكن قصده لمال المسلمين معصية
وقتله في الدفع عن المعصية ليس بمعصية فانما المقصود دفع المعاصي فان قيل فلو علمنا
انه لو خلي بنفسه قطع طرف نفسه فينبغي ان يقتله في الحال حسما لباب المعصية ولكنا
اذا رايناه في حالة مباشرة القطع دفعناه فان قاتلنا قاتلناه ولم نبال بما ياتي
عليه وجه فاذن المعصية لها ثلاثة احوال احداها ان تكون متصرمة فالعقوبة على ما تصرم
منها حدا او تعزيرا وهو الى الولاة لا الى الاحاد الثانية ان تكون راهنة وصاحبها مباشر
لها كلبسه الحرير وامساكه العود والخمر فابطال هذه المعصية واجب بكل ما يمكن
ما لم يود الى معصية افحش منها او مثلها وذلك يثبت للاحاد والرعية الثالثة ان يكون
متوقعا كالذي يستعد بكنس المجلس وفرشه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعد لم
يحضر الخمر فهذا مشكوك فيه اذ ربما يعوق عنه عائق فلا يثبت للاحاد سلطنة على
العازم على الشرب الا بطريق الوعظ والنصح فاما بالتعنيف والضرب فلا يجوز للاحاد
ولا للسلطان الا اذا كانت تلك المعصية علمت بالعادة المستمرة وقد اقدم على السبب
المودي اليها ولم يبق لحصول المعصية الا ما ليس له فيه الا الانتظار وذلك كوقوف الاحداث على ابواب
حمامات النسا للنظر اليهن عند الدخول والخروج فانهم وان لم يضيقوا الطريق لسعته
فيجوز للمحتسب عليهم باقامتهم من الموضع ومنعهم من الوقوف بالتعنيف والضرب.

وكان تحقيق

وكان تحقيق هذا الجنس يرجع الى ان هذا الوقوف في نفسه معصية وان كان مقصد العاصي
وراه كما ان الخلوة في نفسها معصية لانها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة
المعصية معصية ونعني بالمظنة ما يتعرض الانسان به لوقوع المعصية غالبا بحيث
لا يقدر على الانكفاف عنها فاذن هو على التحقيق حسبة على معصية راهنة لا على حسبة
منتظرة الركن الثاني للحسبة ما فيه الحسبة وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر
للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكرا بغير اجتهاد فهذه اربعة شروط فلنبحث عنها
الاول كونه منكرا ونعني به ان يكون محذور الوقوع في الشرع وعدلنا عن لفظ المعصية الى هذا
لان المنكر اعم من المعصية اذ من راى صبيا او مجنونا يشرب خمرا فعليه ان يريق خمره ويمنعه وكذا
اذا راى مجنونا يزني بمجنونة او بهيمة فعليه ان يمنعه منه وليس ذلك لتفاحش صورة
الفعل وظهوره بين الناس بل لو صادف هذا المنكر في خلوة وجب المنع منه وهذا لا يسمى
معصية في حق المجنون اذ معصية لا عاصي بها محال فلفظ المنكر ادل عليه واعم من لفظ
المعصية وقد ادرجنا في عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا تختص الحسبة بالكبيرة
بل كشف العورة في الحمام والخلوة بالاجنبية واتباع النظر للنسوة الاجنبيات كل
ذلك من الصغائر ويجب النهي عنها وفي الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظر سياتي في
كتاب التوبة الشرط الثاني ان يكون موجودا في الحال وهو احتراز عن الحسبة على
من فرغ من شرب الخمر فان ذلك ليس الى الاحاد وقد انقرض المنكر واحترازا عما سيوجد
في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة حاله انه عازم على الشرب في ليلته فلا حسبة عليه الا بالوعظ
وان انكر عزمه عليه لم يجز وعظه ايضا فان فيه اساءة ظن بالمسلم وربما صدق في
قوله وربما لا يقدم لعائق وليتنبه للدقيقة التي ذكرناها وهو ان الخلوة بالاجنبية معصية
ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجري مجراه الشرط الثالث ان يكون المنكر
ظاهرا للمحتسب بغير تجسس فكل من ستر معصيته في داره واغلق بابه لا يجوز ان
يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف فيه مشهورة
وقد اوردناها في كتاب اداب الصحبة ولذلك روي ان عمر تسلق دار رجل فراه على حالة
مكروهة فانكر فقال يا امير المؤمنين ان كنت انا عصيت الله من وجه واحد فقد عصيته
من ثلاثة اوجه فقال وما هي فقال قد قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست
وقال واتوا البيوت من ابوابها وقد دخلت من السطح وقال لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم
حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها وما سلمت فتركه عمر وشرط عليه التوبة ولذلك

شاور الصحابة رضي الله عنهم على المنبر وسالهم عن الامام اذا شاهد بنفسه منكرا
فهل له اقامة الحد فاشار علي رضي الله عنه بان ذلك منوط بعدلين فلا يكفي واحد
وقد اوردنا هذه الاخبار في بيان حق المسلم من كتاب اداب الصحبة فلا نعيدها
فان قلت فما حد الظهور والاستتار فاعلم ان من اغلق باب داره وتستر بحيطانه
فلا يجوز الدخول عليه بغير اذنه لتعرف المعصية الا ان يظهر في الدار ظهورا يعرفه
من هو خارج الدار كاصوات المزامير والاوتار اذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار
فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهي وكذلك اذا ارتفعت اصوات السكارى بالكلمات
المالوفة بينهم بحيث يسمعها اهل الشوارع فهذا اظهار موجب للحسبة فاذن انما
يدرك مع تخلل الحيطان صوت او رايحة فاذا فاحت روايح الخمر فان احتمل ان يكون
من الخمور المحترمة فلا يجوز قصدها بالاراقة وان علم بقرينة الحال انها فاحت لتعاطيهم
الشرب فهذا محتمل والظاهر جواز الحسبة وقد تستر قارورة الخمر في الكم وتحت
الذيل وكذلك الملاهي فاذا راى فاسق وتحت ذيله شي لم يجز ان يكشف عنه ما لم
يظهر بعلامة خاصة فان فسقه لا يدل على ان الذي معه خمر اذ الفاسق ايضا
يحتاج الى الخل وغيره فلا يجوز ان يستدل باخفايه وانه لو كان حلالا لما اخفاه لان
الاغراض في الاخفا مما يكثر وان كانت الرايحة فايحة فهذا محل النظر والظاهر ان له
الاحتساب لان هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم في امثال هذه الامور وكذلك
العود ربما يعرف بشكله اذا كان الثوب الساتر له رقيقا فدلالة الشكل كدلالة الرايحة
والصوت وما ظهرت دلالته فهو غير مستور بل هو مكشوف وقد امرنا بان نستر
ما ستره الله وننكر على من ابدى لنا صفحته. والابدا له درجات فتارة يبلغنا
بحاسة السمع وتارة بحاسة الشم وتارة بحاسة البصر وتارة بحاسة اللمس
ولا يمكن ان نخصص ذلك بحاسة البصر بل المراد العلم وهذه الحواس ايضا تفيد العلم
فاذا انما يجوز ان يكسر ما تحت الثوب اذا علم انه خمر وليس له ان يقول ارني لاعلم ما فيه
لان هذا تجسس ومعنى التجسس طلب الامارات المعرفة فلا رخصة فيه اصلا الشرط
الرابع ان يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا
حسبة فيه فليس للحنفي ان ينكر على الشافعي اكله الضب والضبع ومتروك التسمية
ولا للشافعي ان ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث الارحام
وجلوسه في دار اخذها بشفعة الجوار الى غير ذلك من مجاري الاجتهاد نعم لو راى

الشافعي

الشافعي شافعيا بشرب النبيذ وينكح بلا ولي ويطا زوجته فهذا في محل النظر والاظهر
ان لبس الحسبة والانكار واذا لم يذهب من المحصلين احد الى ان المجتهد يجوز له
ان يعمل بموجب اجتهاد غيره ولا ان الذي ادى اجتهاده في التقليد الى شخص رآه افضل
العلماء ان له ان ياخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب اطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع
مقلده في كل تفصيل فاذا مخالفته للمقلد متفق على كونه منكرا بين المحصلين
وهو عاص بالمخالفة الا انه يلزم من هذا امر اغمض منه وهو انه يجوز للحنفي ان يعترض على
الشافعي اذا نكح بغير ولي ان يقول له الفعل في نفسه حق ولكن لا في حقك فانت مبطل
بالاقدام عليه مع اعتقادك ان الصواب مذهب الشافعي ومخالفة ما هو صواب عندك
معصية في حقك وان لم يكن صوابا عند الله وكذلك الشافعي يحتسب على الحنفي اذا
شاركه في اكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول اما ان تعتقد ان الشافعي اولى
بالاتباع ثم تقدم او لا تقدم عليه على خلاف معتقدك ثم ينجر هذا الى امر اخر من
المحسوسات وهو ان يجامع الاصم مثلا امراة على قصد الزنا وعلم المحتسب ان هذه
المراة زوجته زوجه ابوه منه في صغره ولكنه ليس يدري وعجز عن تعريفه ذلك لصممه
او لكونه غير عارف بلغته فهو في الاقدام مع اعتقاده انها اجنبية عاص ومعاقب عليه في
الدار الاخرة فينبغي ان يمنعه منها مع انها زوجته وهو بعيد من حيث انه حلال في علم الله
قريب من انه حرام عليه بحكم غلطه وجهله ولا شك انه لو علق طلاق زوجته على صفة
في قلب المحتسب مثلا من مشية او غضب او غيره وقد وجدت الصفة في قلبه وعجز عن
تعريف الزوجين ذلك ولكن علم وقوع الطلاق في الباطن فاذا راه يجامعها فعليه
المنع اعني باللسان لان ذلك زنا الا ان الزاني غير عالم به والمحتسب عالم بانها طلقت
منه ثلاثا وكونهما غير عاصيين لجهلهما بوجود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكرا ولا
يتقاعد ذلك عن زنا المجنون وقد بينا انه يمنع منه فاذا كان يمنع مما هو منكر عند
الله وان لم يكن منكرا عند الفاعل ولا هو عاص به لعذر الجهل فيلزم من عكس هذا
ان يقال ما ليس بمنكر عند الله وانما هو منكر عند الفاعل لجهله لا يمنع منه وهذا
هو الاظهر والعلم عند الله فيتحصل من هذا ان الحنفي يعترض على الشافعي في النكاح
بلا ولي وان الشافعي يعترض على الحنفي فيه لكون المعترض عليه منكرا باتفاق
المحتسب والمحتسب عليه وهذه مسائل فقهية دقيقة والاحتمالات
فيها متعارضة وانما افتينا فيها بحسب ما ترجح عندنا في الحال ولسنا

حينئذ

تقطع بخطأ المخالف فيها ان راى انه لا يجزئ الا الاحتساب الا في معلوم على القطع
وقد ذهب ليس ذاهبون وقالوا لا احتساب الا في مثل الخمر والخنزير وما يقطع
بكونه حراما ولكن الاشبه عندنا ان الاجتهاد يؤثر في حق المجتهد اذ يبعد
غاية البعد ان يجتهد في القبلة ويعرف بظهور القبلة عنده في جهة
بالدلالات الظنية ثم يستدبرها ولا يمنع عنه لاجل ظن غيره ان
الاستدبار هو الصواب وراي من راى انه يجوز لكل مقلد ان يختار من
المذاهب ما اراد غير معتد به ولعله لا يصح ذهاب ذاهب اليه اصلا
فهذا مذهب لا يثبت وان ثبت فلا يعتد به فانه قلت اذا كان لا يعترض
على الحنفي في النكاح بلا ولي لانه يرى انه حق فينبغي ان لا يعترض على المعتزلي
في قوله ان الله لا يرى وقوله ان الخير من الله والشر ليس من الله وقوله في كلام
الله مخلوق وعلى الحشوي في قوله ان الله جسم وله صورة وانه مستقر
على العرش بل على الفلسفي في قوله الاجساد لا تبعث وانما تبعث النفوس
لان هؤلاء ايضا ادى اجتهادهم الى ما قالوه وهم يظنون ان ذلك هو الحق
فان قلت بطلان مذهب هؤلاء ظاهر فبطلان مذهب من يخالف نص
الحديث الصحيح ايضا ظاهر وكما ثبت بظواهر النصوص ان الله تعالى يرى
والمعتزلي ينكرها بالتأويل فكذلك يثبت بظواهر النصوص مسائل خالف
فيها الحنفي كمسئلة النكاح بلا ولي ومسئلة شفعة الجوار ونظائرها
فاعلم ان المسائل تنقسم الى ما يتصور ان يقال فيها كل مجتهد مصيب وهي
احكام الافعال في الحل والحرمة وذلك هو الذي لا يعترض على المجتهد فيه اذ
لا يعلم خطاؤه قطعا بل ظنا والى ما لا يتصور ان يكون المصيب فيه الا
واحدا كمسئلة الرؤية والقدر وقد تقدم الكلام في نفي الصورة والجسمية
والاستقرار فهذا مما يعلم خطأ المخطئ فيه قطعا ولا يبقى لخطائه الذي هو جهل
محض وجه فاذا البدع كلها ينبغي ان تحسم ابوابها وينكر على المبتدع بدعتهم
وان اعتقدوا انها الحق كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وان كانوا يعتقدون
ان ذلك حق لان خطأهم معلوم على القطع بخلاف الخطأ في مظان الاجتهاد
فان قلت فمهما اعترضت على القدري في قوله الشر ليس من الله اعترض
عليك القدري ايضا في قولك الشر من الله وكذلك في قولك ان الله يرى وفي
سائر

سائر المسائل اذ المبتدع محق عند نفسه والمحق مبتدع عند المبتدع
وكل يدعي انه محق وينكر كونه مبتدعا فكيف يتم الاحتساب فاعلم انا لاجل
هذا التعارض نقول ننظر الى البلاد التي اظهرت فيها تلك البدعة فان كانت
البدعة غريبة والناس كلهم على السنة فلهم الحسبة عليه بغير اذن السلطان
وان انقسم اهل البلد الى اهل البدعة واهل السنة وكان في الاعتراض
تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للاحاد الحسبة في المذاهب الا بنصب السلطان
فاذا راى السلطان الراي الحق ونصره واذن لواحد ان يزجر المبتدعة
كان له ذلك وليس لغيره فاما ما يكون باذن السلطان لا يتقابل وما يكون
من جهة الاحاد فيتقابل الامر فيه وعلى الجملة فالحسبة في البدع اهم من
الحسبة في كل المنكرات ولكن ينبغي ان يراعى هذا التفصيل الذي ذكرناه
كي لا يتقابل الامر فيه ولا ينجر الى تحريك الفتنة بل لو اذن السلطان
مطلقا في منع كل من يصرح بان القران مخلوق وان الله لا يرى وانه مستقر
على العرش مماس له او غير ذلك من البدع فتسلط الاحاد على المنع ولا يتقابل
الامر فيه وانما يتقابل عند عدم اذن السلطان فقط الركن الثالث المحتسب
عليه وشرطه ان يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في حقه منكرا واقل ما
يكفي في ذلك ان يكون انسانا فلا يشترط كونه مكلفا اذ بينا ان الصبي
لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وان كان قبل البلوغ ولا يشترط كونه
مميزا اذ بينا ان المجنون لو كان يزني بمجنونة او ياتي بهيمة وجب منعه منه نعم
من الافعال ما لا يكون منكرا في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره ولكنا
لسنا نلتفت الى اختلاف التفاصيل فان ذلك ايضا مما يختلف فيه المقيم
والمسافر والمريض والصحيح وغرضنا الاشارة الى الصفة التي توجه اصل الانكار
عليه لا ما بها تتهيأ التفاصيل فان قلت فاكتف بكونه حيوانا ولا يشترط كونه
انسانا فان البهيمة لو كانت تفسد زرعا لانسان لكنا نمنعها منه كما نمنع المجنون
من الزنا واتيان البهيمة فاعلم ان تسمية ذلك حسبة لا وجه له اذ الحسبة عبارة
عن المنع عن منكر لحق الله تعالى صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر ومنع المجنون
عن الزنا واتيان البهيمة لحق الله تعالى وكذا منع الصبي عن شرب الخمر والانسان اذا
اتلف زرع غيره منع منه لحقين احدهما حق الله تعالى فان فعله معصية

والثاني حق المتلف عليه فهما علتان تنفصل احداهما عن الاخرى فلو قطع طرف
غيره باذنه فقد وجدت المعصية وسقط الحق باذن المجني عليه باذنه فتثبت
الحسبة والمنع باحدى العلتين والبهيمة اذا اتلفت فقد عدمت المعصية
ولكن يثبت المنع باحدى العلتين ولكن فيه دقيقة وهو انا لسنا نقصد
باخراج البهيمة منع البهيمة بل حفظ مال المسلم اذ البهيمة لو اكلت ميتة او شربت
من اناء فيه خمر او ماء مشوبا بخمر لم نمنعها منه بل يجوز اطعام كلاب الصيد الجيف
والميتات ولكن مال المسلم اذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بغير
تعب وجب ذلك علينا حفظا للمال بل لو وقعت جرة لانسان من علو
وتحته قارورة لغيره فندفع الجرة لحفظ القارورة لا لمنع الجرة من السقوط
فانا لا نقصد منع الجرة وحراستها من ان تصير كاسرة للقارورة ونمنع المجنون
من الزنا واتيان البهيمة وشرب الخمر وكذا الصبي لا صيانة للبهيمة المأتية او الخمر
المشروب بل صيانة للمجنون من شرب الخمر وتنزيها له من حيث هو انسان
محترم فهذه لطائف دقيقة لا يتفطن لها الا المحققون فلا ينبغي ان يغفل
عنها ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر اذ قد يتردد في منعهما من
لبس الحرير وفي غير ذلك وسنتعرض لما نشير اليه في الباب الثالث فان
قلت فكل من رأى بهائم قد استرسلت في زرع انسان فهل يجب عليه
اخراجها وكل من رأى مالا لمسلم اشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه فان
قلتم ان ذلك واجب فهذا تكليف شطط يؤدي الى ان يصير الانسان مسخرا
لغيره طول عمره وان قلتم لا يجب فلم يجب الاحتساب على من يغصب مال غيره
وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير فنقول هذا بحث دقيق غامض
والقول الوجيز فيه ان نقول مهما قدر على حفظه عن الضياع من غير ان يناله
تعب في بدنه او خسران في ماله او نقص في جاهه وجب عليه ذلك فذلك القدر
واجب في حقوق المسلم بل هو اقل درجات الحقوق والادلة الموجبة لحقوق المسلمين
كثيرة فهذا اقل درجاتها وهو اولى بالايجاب من رد السلام فان الاذى في
هذا اكثر من الاذى في ترك رد السلام بل لا خلاف في ان مال الانسان اذا كان
يضيع بظلم ظالم وكان عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق اليه وجب عليه ذلك
وعصى بكتمان الشهادة ففي معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لا ضرر على الدافع

فيه

فيه فاما ان كان عليه ضرر وتعب في مال او جاه لم يلزمه ذلك لان حقه مرعى في
منفعة بدنه وفي ماله وجاهه كحق غيره فلا يلزمه ان يفدي غيره بنفسه نعم
الايثار مستحب وتجشم المصاعب لاجل المسلمين قربة فاما ايجابها فلا فاذن ان
كان تعب باخراج البهائم عن الزرع لم يلزمه ولكن اذا كان لا يتعب بتنبيه صاحب
الزرع وهو نائم او غائب يلزمه ذلك فاهمال تعريفه بالتنبيه كاهمال تعريف القاضي
بالشهادة وذلك لا رخصة فيه ولا يمكن ان يراعى فيه الاقل والاكثر حتى يقال ان كان
يضيع من منفعته في مدة اشتغاله باخراج البهائم الا قدر درهم وصاحب الزرع يفوته
مال كثير فيترجح جانبه لان الدرهم الذي له هو يستحق حفظه كما يستحق صاحب الالف
حفظ الالف فلا سبيل للمصير الى ذلك فاما اذا كان فوات بطريق هو معصية كالغصب
او قتل عبد مملوك للغير فهذا يجب المنع منه فان كان فيه تعب ما لان المقصود حق الشرع
والغرض دفع المعصية وعلى الانسان ان يتعب نفسه في دفع المعاصي كما عليه ان يتعب نفسه
في ترك المعاصي والمعاصي كلها في تركها تعب وانما الطاعة كلها ترجع الى مخالفة النفس
وهي غاية التعب ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل فيه ما ذكرناه من درجات المحذورات
التي يخافها المحتسب وقد اختلف الفقهاء في مسألتين تقربان من غرضنا احداهما ان
الالتقاط هل هو واجب واللقطة ضائعة والملتقط مانع من الضياع وساع في حفظ الحق
فيه قبل ان يفصل ويقال ان كانت اللقطة في موضع لو تركها فيه لم تضع بل يلتقطها من يعرفها
او يترك كما لو كان في مسجد او رباط يتعين من يدخله وكلهم امناء فلا يلزمه الالتقاط وان
كان في مضيعة نظر فان كان عليه تعب في حفظها كما لو كانت بهيمة وتحتاج الى علف واصطبل
فلا يلزمه ذلك لانه انما يجب الالتقاط لحق المالك وحقه بسبب كونه انسانا محترما والملتقط
ايضا انسان وله حق في ان لا يتعب لاجل غيره كما لا يتعب غيره لاجله وان كان ذهبا او ثوبا
او شيئا لا ضرر عليه فيه الا مجرد تعب التعريف فهذا ينبغي ان يكون في محل الوجهين فقائل يقول
التعريف والقيام بشرط سنة تعب فلا سبيل الى الزامه ذلك الا ان يتبرع فيلتزم طلبا
للثواب وقائل يقول ان هذا القدر من التعب مستصغر بالاضافة الى مراعاة حقوق
المسلمين فينزل هذا منزلة تعب الشاهد في حضور دار القاضي في جوابه لزمه وكان
التعب لبعض الخطوات لا يعد تعبا في غرض اقامة الشهادة واداء الامانة وان كان في
الطرف الاخر من البلد واحوج الى الخروج في الهاجرة وعند شدة الحر فهذا قد يقع في محل الاجتهاد
والنظر فان الضرر الذي ينال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في انه

لا يبالي به وطرف في الكثرة لا يشك في انه لا يلزم احتماله ووسط يتجاذبه الطرفان ويكون ابدا
في محل الشبهة والنظر وهي من الشبهات المزمنة التي ليس في مقدور البشر ازالتها اذ لا علة
تفرق بين اجزائها المتقاربة لكن المتقي ينظر فيه لنفسه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه فهذا
نهاية الكشف عن هذا الاصل الركن الرابع نفس الاحتساب وله درجات وآداب
اما الدرجات فاولها التعرف ثم التعريف ثم النهي ثم الوعظ والنصح ثم السب والتعنيف
ثم التغيير باليد ثم التهديد بالضرب وتحقيقه ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالاعوان
وجمع الجنود اما الدرجة الاولى وهو التعرف ونعني به طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك
منهي عنه وهو التجسس الذي ذكرناه فلا ينبغي ان يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت
الاوتار ولا ان يستنشق ليدرك رائحة الخمر ولا ان يمس ما في ثوبه ليعرف شكل المزمار ولا
ان يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره نعم لو اخبره عدلان ابتداء من غير استخبار
بان فلانا يشرب الخمر او في داره خمرا اعده للشرب فله اذ ذاك ان يدخل داره ولا يلزمه الاستئذان
ويكون تخطي ملكه بالدخول للتوصل الى دفع المنكر ككسر راسه بالضرب للمنع مهما احتاج
وان اخبره عدلان او عدل واحد وبالجملة من تقبل روايته لا شهادته ففي جواز الهجوم
على داره بقولهم فيه نظر واحتمال والاولى ان يمتنع لان له حقا في ان لا يتخطى داره بغير اذنه ولا
يسقط حق المسلم عما ثبت عليه حقه الا بشاهدين فهذا اولى ما يجعل مردا فيه وقد
كان نقش خاتم لقمان الستر لما عاينت احسن من اذاعة ما ظننت الدرجة الثانية التعريف
فان المنكر قد يقدم عليه المقدم لجهله فاذا عرف انه منكر تركه كالسوادي يصلي ولا يحسن
الركوع والسجود فيعلم ان ذلك لجهله بان هذا ليس بصلاة ولو رضي بان لا يكون مصليا
لترك اصل الصلاة فيجب تعريفه باللطف من غير عنف وذلك لان في ضمن التعريف نسبة
الى الجهل والحمق والتجهيل ايذاء وقل ما يرضى الانسان بان ينسب الى الجهل بالامور لا سيما
بالشرع ولذلك ترى الذي يغلب عليه الغضب كيف يغضب اذا نبه على الخطأ والجهل
وكيف يجتهد في مجاحدة الحق بعد معرفته خيفة من ان تنكشف عورة جهله والطباع
احرص على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية لان الجهل قبح في صورة النفس
وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السوأتين يرجع الى صورة البدن والنفس اشرف
من البدن وقبحها اشد من قبح البدن ثم هو غير ملوم لانه خلقه ولم يدخل تحت اختياره
حصوله ولا في اختياره ازالته وتحسينه والجهل قبح يمكن ازالته وتبديله بحسن العلم فلذلك
يعظم تألم الانسان لظهور جهله ويعظم ابتهاجه في نفسه بعلمه ثم لذته عند ظهور جمال
علمه لغيره واذا كان التعريف كشفا للعورة مؤذيا للقلب فلا بد وان يعالج دفع
اذاه بلطف الرفق فيقول له ان الانسان لا يولد عالما ولقد كنا ايضا جاهلين

ينهى

بامور

بامور الصلاة ولعل قريتك خالية عن اهل العلم او عالمها مقصر في شرح الصلاة وايضاحها
انما شرط الصلاة الطمانينة في الركوع والسجود فهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير
ايذا فان ايذا المسلم حرام محذور كما ان تقريره على المنكر محذور وليس من العقلا من
يغسل الدم بالدم او بالبول ومن اجتنب محذور السكوت على المنكر واستبدل عنه محذور
الايذا للمسلم مع الاستغنا عنه فقد غسل الدم بالبول على التحقيق واما اذا وقفت على خطا
في امر الدين فلا ينبغي ان ترده عليه فانه يستفيد منك علما ويصير لك عدوا الا اذا علمت
انه يغتنم العلم وذلك عزيز جدا الدرجة الثالثة النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله
وذلك فيمن يقدم على الامر وهو عالم بكونه منكرا او فيمن اصر عليه بعد ان عرف كونه منكرا
كالذي يواظب على الشرب وعلى الظلم وعلى اغتياب المسلمين او ما يجري مجراه فينبغي
ان يوعظ ويخوف بالله تعالى ويورد عليه الاخبار الواردة بالوعيد فيها ويحكى له سيرة
السلف وعبادة المتقين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر اليه
نظر المترحم عليه ويرى اقدامه على المعصية مصيبة على نفسه اذ المسلمون كنفس واحدة
وهاهنا افة عظيمة ينبغي ان يتوقاها فانها مهلكة وهو ان العالم يرى عند التعريف
عز نفسه وذل غيره بالجهل فربما يقصد بالتعريف الادلال واظهار التميز بشرف العلم
واذلال صاحبه بالنسبة الى خسة الجهل فان كان الباعث هذا فهذا المنكر اقبح في نفسه
من المنكر الذي يعترض عليه ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار باحراق نفسه
وهو غاية الجهل وهذه مزلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور الشيطان يتدلى بحبله كل انسان
الا من عرفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته فان في الاحتكام على الغير لذة
للنفس عظيمة من وجهين احدهما من جهة دالة العلم والاخر من جهة دالة الاحتكام
والسلطنة وذلك يرجع الى الريا وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية الداعية الى
الشرك الخفي وله محك ومعيار ينبغي ان يمتحن المحتسب به نفسه وهو ان يكون امتناع ذلك
الانسان عن المنكر بنفسه او باحتساب غيره احب اليه من امتناعه باحتسابه فان كانت
الحسبة شاقة عليه ثقيلة على نفسه وهو يود ان يكفى بغيره فليحتسب فان باعثه هو الدين
فان كان اتعاظ ذلك العاصي بوعظه وانزجاره بزجره احب اليه من اتعاظه بوعظ غيره
فما هو الا متبع هوى نفسه بواسطة حسبته متوسل الى اظهار جاه نفسه بواسطة
حسبته فليتق الله فيه وليحتسب اولا على نفسه وعند هذا يقال له ما قيل لعيسى
الصلاة والسلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي
مني

مني قيل لداود الطائي رحمه الله ارايت رجلا دخل على هؤلاء الامرا فامرهم بالمعروف ونهاهم
عن المنكر قال اخاف عليه السوط قال انه يقوى قال اخاف عليه السيف قال انه يقوى قال اخاف
عليه الداء الدفين العجب الدرجة الرابعة السب والتعنيف بالقول الغليظ وذلك
يعدل اليه عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادي الاصرار وذلك مثل قول ابراهيم اف
لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون ولسنا نعني بالسب الفحش بما فيه نسبة الى
الزنا ومقدماته ولا الكذب بل ان يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش كقوله يا فاسق يا احمق
يا جاهل الا تخاف الله يا سوادي يا غبي وما يجري مجراه هذا المجرى فان كل فاسق فهو احمق
وجاهل ولولا حمقه لما عصى الله تعالى بل كل من ليس بكيس فهو احمق والكيس من شهد له
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياسة حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد
الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ولهذه الرتبة ادبان احدهما ان لا يقدم
عليه الا عند الضرورة والعجز عن اللطف والثاني ان لا ينطق الا بالصدق ولا يسترسل
فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج اليه بل يقتصر على قدر الحاجة فان علم ان خطابه
بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزجره فلا ينبغي ان يطلقه بل يقتصر على اظهار الغضب
والاستحقار له والازدرا بمحله لاجل معصيته وان علم انه لو تكلم ضرب ولو اكفهر واظهر
الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الانكار بالقلب بل يلزمه ان يقطب وجهه
ويظهر الانكار الدرجة الخامسة التغيير باليد وذلك ككسر الملاهي واراقة الخمر
وخلع الحرير من راسه ودفعه عن الجلوس على مال الغير واخراجه من الدار المغصوبة
بالجر برجله واخراجه من المسجد اذا كان جالسا وهو جنب وما يجري مجراه ويتصور
ذلك في بعض المعاصي دون بعض فاما معاصي اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة
تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصي وجوارحه الباطنة وفي هذه الدرجة
ادبان احدهما الا يباشر بيده ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك فاذا امكنه
ان يكلفه المشي في الخروج عن الارض المغصوبة والمسجد فلا ينبغي ان ياخذه ويجره
واذا قدر على ان يكلفه اراقة الخمر وكسر الملاهي وحل دروز ثوب الحرير فلا ينبغي ان يباشره
بنفسه فان في الوقوف على حد الكسر نوع عسر فاذا لم يتعاط بنفسه كفى الاجتهاد فيه
وتولاه من لا حجر عليه في فعله الثاني ان يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج
اليه وهو ان لا ياخذ بلحيته في الاخراج ولا برجله اذا قدر على جره بيده فان زيادة
الاذى فيه مستغنى عنه وان لا يمزق الثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ولا يحرق الملاهي
والصليب

والصليب الذي اظهره النصارى بل يبطل صلاحهما للفساد بالكسر وحد الكسر
ان تصير الى حالة تحتاج في استئناف اصلاحه الى تعب يساوي تعب الاستئناف من
الخشب ابتداء وفي اراقة الخمور يتوقى كسر الاواني ان وجد اليه سبيلا فان لم يقدر عليها الا
بان يرمي ظروفها بالحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الخمر اذ صار حائلا
بينه وبين الوصول الى الخمر ولو ستر الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالضرب والجرح لنتوصل الى اراقة
الخمر فاذا لا يزيد حرمة ملكه في الظروف على حرمة نفسه ولو كان الخمر في قوارير ضيقة
الرؤوس واشتغل باراقتها طال الزمان وادركه الفساق ومنعوه فله كسرها فهو عذر وان
كان لا يحذر ظفر الفساق ومنعهم ولكن كان يضيع فيه زمانه ويتعطل عليه اشغاله فله
ان يكسرها فليس عليه ان يضيع عليه منفعة بدنه وغرضه من اشغاله لاجل ظروف الخمر
وحيث كان الاراقة متيسرة بلا كسر فكسر لزمه الضمان فان قلت فهلا جاز الكسر
لاجل الزجر وهلا جاز الجر بالرجل في الاخراج عن الغصب ليكون ابلغ في الزجر فاعلم ان
الزجر انما يكون عن المستقبل والعقوبة تكون على الماضي والدفع عن الحاضر الراهن وليس
الى احاد الرعية الا الدفع وهو اعدام المنكر فما زاد على قدر الاعدام فهو اما عقوبة على جريمة
سابقة او زجر عن لاحق وذلك الى الولاة لا الى الرعية نعم الوالي له ان يفعل ذلك اذا راى المصلحة
فيه فاقول له ان يامر بكسر الظروف التي فيها الخمور زجرا وقد فعل ذلك في زمن رسول الله صلى الله
عليه وسلم تاكيدا للزجر ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة الى الزجر والفطام شديدة
فاذا راى الوالي باجتهاده مثل تلك الحالة جاز له مثل ذلك واذا كان هذا منوطا بنوع
اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لاحاد الرعية فان قلت فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصي
فاعلم ان ذلك لو ورد الشرع به لم يكن خارجا عن سنن المصالح ولكنا لا نبتدع المصالح بل نتبع
فيها وكسر ظروف الخمر قد ثبت عند شدة الحاجة وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة
لا يكون نسخا بل الحكم يزول بزوال العلة ويعود بعودها فانما جوزنا ذلك للامام بحكم الاتباع
ومنعنا احاد الرعية لخفاء وجه الاجتهاد فيه بل نقول لو اريقت الخمور اولا فلا يجوز كسر الاواني
بعدها بل جاز كسرها تبعا للخمر فاذا خلت عنها فهو اتلاف مال الا ان تكون ضارية بالخمر
لا تصلح الا لها فكان الفعل المنقول عن العصر الاول كان مقرونا بالمعنيين احدهما شدة الحاجة
الى الزجر والاخر تبعية الخمر التي هي مشغولة بها وهما معنيان مؤثران لا سبيل الى حذفهما
ومعنى ثالث وهو صدوره عن راي صاحب الامر لعلمه بشدة الحاجة الى الزجر وهذا ايضا مؤثر فلا
سبيل الى الغائه فهذه تصرفات دقيقة فقهية يحتاج المحتسب الى معرفتها لا محالة الدرجة السادسة

انه صح

التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا او لاكسرن راسك او لاضربن رقبتك او لامرن بك وذلك
ينبغي ان يقدم على تحقيق الضرب اذا امكن تقديمه والادب في هذه المرتبة ان لا يهدد
بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لانهبن دارك او لاضربن ولدك او لاسبين زوجتك وما يجري مجراه
بل ذلك ان قاله عن عزم فهو حرام وان قاله عن غير عزم فهو كذب نعم اذا تعرض لوعيده
بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه الى حد معلوم يقتضيه الحال وله ان يزيد في الوعيد
على ما هو في عزمه الباطن اذا علم ان ذلك مما يقمعه ويردعه وليس ذلك من الكذب المحذور بل
المبالغة في مثل ذلك معتاد وهو معنى مبالغة الرجل في اصلاحه بين شخصين وتاليفه بين الضرتين
وذلك مما رخص فيه للحاجة وهذا في معناه فان القصد به اصلاح ذلك الشخص والى هذا المعنى اشار
بعض الناس انه لا يقبح من الله ان يتوعد بما لا يفعل وهذا غير مرضي عندنا فان الكلام القديم لا
يتطرق اليه الخلف وعدا كان او وعيدا وانما يتصور هذا في حق العباد وهو كذلك اذ الخلف
في الوعيد ليس بحرام الدرجة السابعة مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس
فيه شهر سلاح وذلك جائز للاحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة في الدفع
فاذا اندفع المنكر فينبغي ان يكف والقاضي قد يرهق من ثبت عليه الحق الى الاداء بالحبس
فان اصر المحبوس وعلم القاضي قدرته على اداء الحق وكونه معاندا فله ان يلزمه الاداء
بالضرب على التدريج كما يحتاج اليه وكذلك المحتسب يراعي التدريج فان احتاج الى شهر
السلاح وكان يقدر على دفع المنكر بشهر السلاح وبالجرح فله ان يتعاطى ذلك كما لو
قبض فاسق مثلا على امراة او على مزمار وهو يضرب به وبينه وبين المحتسب نهر حائل
او جدار مانع فياخذ قوسه ويقول خل عنها او لارمينك فان لم يخل عنها فله ان يرمي وينبغي
ان لا يقصد المقتل بل الساق والفخذ وما اشبهه ويراعي فيه التدريج وكذلك يسل السيف ويقول
اترك هذا المنكر او لاضربنك وكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب بكل ممكن ولا فرق في
ذلك بين ما يتعلق بالادميين وقالت المعتزلة ما لا يتعلق بالادميين فلا حسبة فيه الا بالكلام
او بالضرب ولكن للامام لا للاحاد الدرجة الثامنة ان لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج
فيه الى اعوان يشهرون السلاح وربما يستمد الفاسق ايضا باعوانه ويؤدي ذلك الى
ان يتقابل الصفان ويتقاتلا فهذا قد ظهر الخلاف في احتياجه الى اذن الامام فقال قائلون
لا يستقل احاد الرعية بذلك لانه يؤدي الى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد وقال
اخرون لا يحتاج الى الاذن وهو الاقيس لانه اذا جاز للاحاد الامر بالمعروف واوائل
درجاته تجر الى ثوانيه وقد ينتهي لا محالة الى التضارب والتضارب يدعو الى التعاون
فلا ينبغي ان يبالي بلوازم الامر بالمعروف ومنتهاه تجنيد الجنود في رضا الله تعالى
ودفع معاصيه ونحن نجوز للاحاد من الغزاة ان يجتمعوا ويقاتلوا من ارادوا من

فرق

فوق الكفار فمنعا لاهل الكفر فكذلك منعا لاهل الفساد جائز لان الكافر لا باس بقتله والمسلم
ان قتل فهو شهيد فكذلك الفاسق المناضل عن فسقه لا باس بقتله والمحتسب المحق ان
قتل مظلوما فهو شهيد وعلى الجملة فانتهاء الامر الى هذا من النوادر في الحسبة فلا يغير
به قانون القياس بل يقال كل من قدر على دفع منكر فله ان يدفع ذلك بيده وبسلاحه
وبنفسه وباعوانه فالمسالة اذن محتملة كما ذكرنا فهذه درجات الاحتسابات فلنذكر
ادابها والله الموفق

باب اداب المحتسب

قد ذكرنا تفاصيل الاداب في احاد الدرجات
ونذكر الان جملها ومصادرها فنقول جميع اداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في
المحتسب العلم والورع وحسن الخلق اما العلم فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها
وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه والورع ليردعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل
بعلمه بل ربما يعلم انه مسرف في الحسبة وزائد على الحد الماذون شرعا ولكن يحمله عليه غرض
من الاغراض وليكن كلامه ووعظه مقبولا فان الفاسق يهزأ به اذا احتسب ويورث
ذلك جراءة واما حسن الخلق فليتمكن من اللطف والرفق وهو اصل الباب واساسه
والعلم والورع لا يكفيان فيه فان الغضب اذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه ما لم يكن
في الطبع قبوله بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع الا مع حسن الخلق والقدرة على
ضبط الشهوة والغضب وبه يصبر المحتسب على ما اصابه في دين الله والا فاذا اصيب
عرضه او نفسه بشتم او ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه بل
ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم فهذه الصفات الثلاثة بها تصير الحسبة
من القربات وبها تندفع المنكرات وان فقدت لم يندفع المنكر وربما كانت الحسبة ايضا
منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها ودل على هذه الاداب قوله صلى الله عليه وسلم لا يامر بالمعروف
ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يامر به رفيق فيما ينهى فقيه فيما يامر به فقيه فيما ينهى
عنه وهذا يدل على انه لا يشترط ان يكون فقيها مطلقا بل فيما يامر به وكذا الحلم
وقال الحسن البصري رحمه الله اذا كنت ممن يامر بالمعروف فكن من اخذ الناس به
والا هلكت وقد قيل ٭ لا تلم المرء على فعله ٭ وانت منسوب الى مثله ٭ من ذم شيئا واتى
مثله ٭ فانما يزري على عقله ٭ ولسنا نعني بهذا ان الامر بالمعروف يصير ممنوعا
بالفسق ولكن يسقط اثره عن القلوب بظهوره للناس فقد روي عن انس قال
قلنا يا رسول الله الا نامر بالمعروف حتى نعمل به ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا

عن المنكر ولم تجتنبوه كله واوصى بعض السلف بنيه فقال ان اراد احدكم ان يامر بالمعروف
فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس
الاذى فاذن من اداب الحسبة توطين النفس على الصبر وتقليل العلايق حتى لا يكثر
خوفه وقطع الطمع عن الخلايق حتى تزول عنه المداهنة فقد روي عن بعض المشايخ
انه كان له سنور وكان ياخذ من قصاب في جواره شيا من الغدد لسنوره
فراى على القصاب منكرا فدخل الدار اولا واخرج السنور ثم جا واحتسب
على القصاب فقال له القصاب لا اعطينك بعد هذا شيا لسنورك فقال ما
احتسبت عليك الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع منك وهو كما قال فمن
لم يقطع الطمع من الخلق لا يقدر على الحسبة ومن طمع في ان يكون قلوب الناس
عليه طيبة والسنتهم بالثنا عليه منطلقة لم يتيسر له الحسبة قال كعب الاحبار
لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك بين قومك قال حسنة قال ان التورية تقول
ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال
ابو مسلم صدقت التورية وكذب ابو مسلم ويدل على وجوب الرفق ما استدل
به المامون اذ وعظه واعظ وعنف له في القول فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله
من هو خير منك الى من هو شر مني وامره بالرفق فقال فقولا له قولا لينا لعله
يتذكر او يخشى فليكن اقتدا المحتسب في الرفق بالانبيا صلوات الله وسلامه عليهم
وقد روى ابو امامة ان غلاما شابا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله
اتاذن لي في الزنا فصاح الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم قربوه ادن فدنا
حتى جلس بين يديه فقال النبي عليه الصلاة والسلام اتحبه لامك فقال لا
جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم اتحبه لابنتك قال لا جعلني
الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم اتحبه لاختك وزاد ابن عوف
انه ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحدة لا جعلني الله فداك وهو يقول
صلى الله عليه وسلم كذلك الناس لا يحبونه وقالا جميعا في حديثهما اعني ابن عوف
والراوي الاخر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال اللهم
طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شي ابغض اليه منه يعني من الزنا
وقيل للفضيل بن عياض ان سفيان بن عيينة قبل جوايز السلطان فقال له
الفضيل ما اخذ منهم الا دون حقه ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفيان يا

ابا علي

ابا علي انه لم يكن من الصالحين فانا نحب الصالحين وقال حماد بن سلمة ان صلة
ابن اشيم مر عليه رجل اسبل ازاره فهم اصحابه ان ياخذوه بشدة فقال دعوني
انا اكفيكم فقال له يا ابن اخي ان لي اليك حاجة قال وما حاجتك يا عم قال
احب ان ترفع من ازارك قال نعم وكرامة فرفع ازاره فقال لاصحابه لو اخذتموه
بشدة لقال لا ولا كرامة وشتمكم وقال محمد بن زكريا العلاي شهدت عبد الله
ابن محمد بن عايشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله واذا في
طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امراة فجذبها فاستغاثت
فاجتمع الناس عليه يضربونه فنظر اليه ابن عايشة فعرفه فقال للناس تنحوا
عن ابن اخي ثم قال يا ابن اخي فاستحيا الغلام فجا اليه فضمه الى نفسه ثم قال
له امض معي فمضى معه حتى صار الى منزله فادخله الدار وقال لبعض غلمانه
بيته عندك فاذا افاق من سكره فاعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى
تاتيني به فلما افاق وذكر له ما جرى فاستحيا منه وبكى وهم بالانصراف
فقال الغلام قد امران تاتيه فادخله عليه فقال له اما استحييت لنفسك
اما استحييت لشرفك اما ترى من ولدك فاتق الله وانزع عما انت عليه فبكى
الغلام منكسا راسه ثم رفع راسه وقال عاهدت الله عهدا يسالني عنه يوم
القيامة اني لا اعود لشرب النبيذ ولا لشي مما كنت فيه وانا تايب فقال ادن
مني فقبل راسه وقال احسنت يا بني فكان الغلام بعد ذلك يلزمه
ويكتب الحديث فكان ذلك ببركة رفقه ثم قال ان الناس يامرون بالمعروف
ويكون معروفهم منكرا عليكم بالرفق في جميع اموركم تنالون به ما تطلبون
وعن فتح بن شخرف قال تعلق رجل بامراة وتعرض لها وبيده سكين لا يدنو
منه احد الا عقره وكان الرجل شديد البدن فبينا الناس كذلك والمراة
تصيح في يده اذ مر بشر بن الحارث فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل فوقع الرجل
ومضى بشر فدنوا من الرجل وهو يترشح عرقا ومضت المراة فسالوه ما حالك
فقال ما ادري ولكن حاكني شيخ وقال ان الله تعالى ناظر اليك والى ما تعمل فضعفت
لقوله قوتي وهبته هيبة شديدة لا ادري من ذلك الرجل فقالوا له بشر بن الحارث
فقال واسوأتاه كيف ينظر الي بعد اليوم فحم الرجل من يومه ومات يوم السابع فهكذا
كانت عادة اهل الدين في الحسبة وقد نقلنا فيه اثارا واخبارا في باب البغض

في الله والحب في الله من كتاب اداب الصحبة فلا نطول بالاعادة فهذا تمام النظر
في درجات الاحتساب وادابها والله الموفق بكرمه

الباب الثالث

في المنكرات المالوفة في العادات فنشير الى جمل منها يستدل بها على امثالها
اذ لا مطمع في حصرها واستقصائها منكرات المساجد اعلم ان المنكرات
تنقسم الى مكروه والى محظور فاذا قلنا هذا منكر مكروه فاعلم ان المنع
منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بحرام الا اذا لم يعلم الفاعل انه مكروه
فيجب ذكره له لان الكراهة حكم في الشرع يجب تبليغه الى من لا يعرفه واذا قلنا
منكرا محظورا او قلنا منكرا مطلقا فنريد به المحظور ويكون السكوت عليه مع
القدرة محظورا فمما يشاهد كثيرا في المساجد اساءة الصلاة بترك الطمانينة في ركوعها
وسجودها وهو منكر مبطل للصلاة بنص الحديث فيجب النهي عنها الا للحنفي الذي
يعتقد ان ذلك لا يمنع صحة الصلاة اذ لا ينفع النهي معه ومن راى مسيئا في صلاته
فسكت عليه فهو شريكه هكذا ورد الاثر وفي الخبر ما يدل عليه اذ ورد في الغيبة
ان المستمع شريك القائل وكذلك كلما يقدح في صحة الصلاة من نجاسة على ثوبه لا
يراه او انحراف عن القبلة بسبب ظلام او عمى فكل ذلك تجب الحسبة فيه ومنها
قراءة القران باللحن يجب النهي عنه ويجب تلقين الصحيح فان كان المعتكف
في المساجد يضيع اكثر اوقاته في امثال ذلك ويشتغل به عن التطوع والذكر
فليشتغل فان هذا افضل من ذكره وتطوعه لان هذا فرض وهي قربة تتعدى
فائدتها فهي افضل من نافلة تقتصر عليه فائدتها وان كان يمنعه عن الوراقة
والكسب الذي هو طعمته فان كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك
ولم يجز له ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا وان احتاج اليه لقوت يومه فهو
عذر له فيسقط الوجوب عنه لعجزه والذي يكثر اللحن في القران ان كان قادرا
على التعلم فليمتنع من القراءة قبل التعلم فانه عاص به وان كان لا يطاوعه اللسان
فان كان اكثر ما يقرؤه لحنا فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وتصحيحها وان
كان الاكثر صحيحا وليس يقدر على التسوية فلا باس له ان يقراه ويقرا لكن ينبغي
ان يخفض به الصوت حتى لا يسمع غيره ولمنعه سرا منه ايضا وجه ولكن اذا كان
ذلك منتهى قدرته وكان له انس بالقراءة وحرص عليها فلست ارى به باسا والله
اعلم ومنها تراسل المؤذنين في الاذان وتطويلهم بمد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة
بجميع

لجميع الصوت في الجبلتين او انفراد كل واحد باذان ولكن من غير توقف الى انقطاع
اذان الاخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الاذان لتداخل الاصوات فكل
ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها فان صدرت عن معرفة فيستحب المنع
منها والحسبة فيها وكذلك اذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح
فينبغي ان يمنع منه فذلك مشوش للصوم والصلاة على الناس الا اذا عرف انه
يؤذن قبل الصبح حتى لا يعول على اذانه في صلاة وترك سحور او كان معه مؤذن اخر
معروف الصوت يؤذن مع الصبح ومن المكروهات ايضا تكثير الاذان مرة بعد
اخرى بعد طلوع الصبح في مسجد واحد في اوقات متعاقبة متقاربة اما من واحد
او جماعة فانه لا فائدة فيها فكل ذلك المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف
ومنها ان يكون الخطيب لابسا للسواد يغلب عليه الابريسم او ممسكا لسيف
مذهب فهو فاسق والانكار عليه واجب فاما مجرد السواد فليس بمكروه ولكنه
ليس بمحبوب اذ احب الثياب الى الله البيض ومن قال انه مكروه وبدعة اراد به انه لم
يكن معهودا في العصر الاول ولكن اذا لم يرد فيه نهي فلا ينبغي ان يسمى بدعة ومكروها
ولكنه ترك للاحب ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم
البدعة فالقاص ان كان يكذب في اخباره فهو فاسق والانكار عليه واجب وكذا
الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه الا على قصد اظهار الرد عليه
اما للكافة ان قدر عليه او لبعض الحاضرين حواليه فان لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة
قال الله تعالى لنبيه فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ومهما كان كلامه مائلا الى
الارجاء وتجرئة الناس على المعاصي وكان الناس يزدادون بكلامه جراة وبعفو الله
وبرحمته وثوقا يزيد بسببه رجاؤهم على خوفهم فهو منكر ويجب منعه منه لان فساد
ذلك عظيم بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك اليق واقرب بطباع الخلق فانهم الى
الخوف احوج وانما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضي الله عنه لو نادى
منادي يوم القيامة ليدخل الجنة كل الناس الا رجل واحد لخشيت ان اكون انا ذلك
الواحد ولو نادى منادي ليدخل النار كل الناس الا رجل واحد لرجوت ان اكون ذلك
الواحد ومهما كان الواعظ شابا متزينا للنساء في ثيابه وهيئته كثير الاشعار والاشارات
والحركات وقد حضر مجلسه النساء فهذا منكر يجب المنع منه فان الفساد فيه اكثر
من الصلاح ويتبين ذلك منه بقرائن احواله بل لا ينبغي ان يسلم الوعظ الا لمن ظاهره

قصده

الورع وهيئة السكينة والوقار وزيه زي الصالحين والا فلا يزداد الناس به الا تماديا
في الضلال ويجب ان يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فان ذلك ايضا
مظنة الفساد والعادات تشهد لهذه المنكرات ويجب منع النساء من حضور المساجد
للصلوات ومجالس الذكر اذا خيفت الفتنة اذ منعتهن عائشة رضي الله عنها فقيل لها ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعهن من الجماعات فقالت لو علم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما احدثن بعده لمنعهن فاما اجتياز المراة بالمسجد مستترة فلا تمنع منه
الا ان الاولى ان لا تتخذ المساجد مجازا اصلا وقراءة القرا بين يدي الوعاظ مع التمديد
والالحان على وجه يغير نظم القران ويجاوز حد التنزيل منكر مكروه شديد الكراهة
وانكره جماعة من السلف ومنها الحلق يوم الجمعة لبيع الادوية والاطعمة والتعويذات
وكقيام السوال وقراتهم الاشعار وما يجري مجراه فهذه منها ما هو محرم لكونه تلبيسا
وكذبا كالكذابين من طرقية الاطبا وكاهل الشعبذة والتلبيسات وكذا ارباب التعويذات
في الاغلب يتوصلون الى بيعها بتلبيسات على الصبيان والسوادية فهذا حرام في المسجد
وخارج المسجد ويجب المنع منه بل كل بيع فيه كذب وتلبيس واخفاء عيب على المشتري فهو
حرام ومنه ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الادوية والكتب والاطعمة في المسجد
ايضا لا يحرم الا بعارض وهو ان يضيق المحل على المصلين ويشوش عليهم صلاتهم
فان لم يكن شي من ذلك فليس بحرام والاولى تركه ولكن شرط اباحته ان يجري في اوقات
نادرة وايام معدودة فان اتخذ المسجد دكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه فمن المباحات
ما يباح بشرط القلة فان كثر صار صغيرة كما ان من الذنوب ما يكون صغيرة بشرط
عدم الاصرار فان كان القليل من هذا لو فتح بابه خيف ان ينجر الى الكثير فليمنع منه
ولكن هذا المنع الى الوالي او الى القيم بمصالح المسجد من قبل الوالي لانه يدري ذلك بالاجتهاد
وليس للاحاد المنع مما هو مباح في نفسه لخوفه ان ذلك يكثر ومنها دخول المجانين والصبيان
والسكارى في المسجد ولا باس بدخول الصبي المسجد اذا لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب في
المسجد ولا السكوت على لعبه الا اذا اتخذ المسجد ملعبا وصار ذلك معتادا فيجب المنع
منه فهذا مما يحل قليله دون كثيره ودليل حل قليله دون كثيره روينا في الصحيحين
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف لاجل عايشة حتى نظرت الى الحبشة يزفنون
ويلعبون بالدرق والحراب يوم العيد في المسجد ولا شك في ان الحبشة لو اتخذوا المسجد
ملعبا لمنعوا منه ولم ير ذلك على الندرة والقلة منكرا حتى نظر اليه بل امرهم به رسول
الله

الله صلى الله عليه وسلم لتنظر عائشة تطييباً لقلبها اذ قال دونكم يا بني ارفدة كما نقلناه
في كتاب السماع واما المجانين فلا باس بدخولهم المسجد الا ان تخشى تلويثهم او شتمهم
ونطقهم بما هو فحش او تعاطيهم لامر هو منكر في صورته ككشف العورة وغيرها فاما المجنون
الهادي الساكن الذي قد علم بعادة سكونه وسكوته فلا يجب اخراجه من المسجد والسكران
في معنى المجنون فان خيف منه القذف اعني القي او الايذا باللسان وجب اخراجه وكذا
لو كان مضطرب العقل فانه يخاف ذلك منه وان كان قد شرب ولم يسكر والرائحة تفوح فهو
منكر مكروه شديد الكراهة كيف ومن اكل الثوم فقد نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن حضور المساجد ولكن يحمل ذلك على الكراهة والامر في الخمر اشد فان قال قايل
ينبغي ان يضرب السكران ويخرج من المسجد زجرا قلنا لا ينبغي ان يلزم القعود في المسجد
ويدعى اليه ويومر بترك الشرب مهما كان في الحال عاقلا فاما ضربه للزجر فليس ذلك
الى الاحاد بل هو الى الولاة وذلك عند اقراره او شهادة شاهدين فاما بمجرد الرائحة
فلا نعم اذا كان يمشي بين الناس متمايلا بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه في المسجد
وغير المسجد منعا له عن اظهار اثر السكر فان اظهار الفاحشة فاحشة والمعاصي يجب تركها
وبعد الفعل يجب سترها وستر اثارها فان كان مستترا مخفيا لاثره فلا يجوز ان يتجسس
والرائحة قد تفوح من غير شرب بالجلوس في موضع الخمر وبوصولها الى الفم دون الابتلاع فلا
ينبغي ان يعول عليه **منكرات الاسواق** المعتاد في الاسواق الكذب في المرابحة واخفا العيب
فمن قال اشتريته بعشرة وقد بعته بربح درهم وهو كاذب فهو فاسق وعلى كل من عرف ذلك
ان يخبر المشتري بكذبه فان سكت مراعاة لقلب البايع كان شريكا له في الخيانة وعصى بسكوته
وكذا اذا علم به عيبا فيلزمه ان ينبه المشتري عليه والا كان راضيا بضياع ماله
وهو حرام وكذلك التفاوت في الذراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه
او رفعه الى الوالي حتى يغيره ومنها ترك الايجاب والقبول والاكتفا بالمعاطاة ولكن ذلك في
محل الاجتهاد فلا ينكر الا على من اعتقد وجوبه وكذا في الشروط الفاسدة المعتادة
بين الناس يجب الانكار فيها فانها مفسدة للعقود وكذا في الربويات كلها وهي غالبة
وكذا ساير التصرفات الفاسدة ومنها بيع الملاهي وبيع اشكال الحيوانات المصورة
في ايام العيد لاجل الصبيان فتلك يجب كسرها والمنع من بيعها كالملاهي وكذا بيع
الاواني المتخذة من الذهب والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير وقلانس الذهب والحرير اعني التي
لا يصلح الا للرجال ويعلم بعادة البلد انه لا يشتريه الا الرجال فكل ذلك منكر محظور وكذلك

من بعضها وبيع الثياب المبتذلة المقصورة التي يلبس على الناس بقصارتها وابتذالها ويزعم
انها جديدة فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب وكذلك تلبيس انحراق الثياب بالرفو
وما يؤدي الى الالتباس وكذلك جميع انواع العقود المؤدية الى التلبيسات وذلك يطول
احصاؤه فليقس بما ذكرنا ما لم نذكره **منكرات الشوارع** فمن المعتاد فيها وضع
الاسطوانات وبنا الدكات متصلا بالابنية المملوكة وغرس الاشجار واخراج الرواشن
والاجنحة ووضع الخشب واحمال الحبوب والاطعمة على الطرق فكل ذلك منكر ان كان
يؤدي الى تضييق الطرق واستضرار المارة وان لم يؤد الى ضرر اصلا لسعة الطريق
فلا يمنع منه نعم يجوز وضع الحطب واحمال الاطعمة في الطريق في القدر الذي ينقل الى البيوت
فان ذلك يشترك في الحاجة اليه الكافة ولا يمكن المنع منه وكذلك ربط الدواب على الطريق
بحيث تضيق الطريق وينجس المجتازين يجب المنع منه الا بقدر حاجة النزول والركوب وهذا لان الشوارع
مشتركة المنفعة وليس لاحد ان يختص بها الا بقدر الحاجة والمرعى هو الحاجة التي تراد الشوارع
لاجلها دون ساير الحاجات ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يمزق الثياب
فذلك منكر ان امكن شدها وضمها بحيث لا تمزق وامكن العدول بها الى موضع واسع والا فلا
منع اذ حاجة اهل البلد تمس اليه نعم لا تترك ملقاة على الشوارع الا بقدر مدة النقل وكذلك تحميل
الدواب من الاحمال ما لا تطيقها منكر يجب منع الملاك منه وكذلك القصاب اذا كان يذبح في
الطريق حذا باب الحانوت ويلوث الطريق بالدم فيمنع منه بل حقه ان يتخذ في دكانه مذبحا
فان في ذلك تضييق واضرار بسبب ترشيش النجاسة وضرر بسبب استقذار الطباع
للقاذورات وكذلك طرح القمامة على جواد الطرق وتبديد قشور البطيخ او رش
الما بحيث يخشى منه التزلق والتعثر كل ذلك من المنكرات وكذلك ارسال الما من الميازيب
المخرجة من الحايط في الطرق الضيقة فان ذلك ينجس الثياب او يضيق الطريق فلا
يمنع منه في الطرق الواسعة اذ العدول عنه ممكن فاما ترك مياه الطرق والاوحال والثلوج
في الطريق من غير كسح فذلك منكر ولكن ليس يختص به شخص معين الا الثلج الذي يختص بطرحه
على الطريق واحد والما الذي يجتمع على الطريق من ميزاب معين فعلى صاحبه على الخصوص
كسح الطريق وان كان من المطر فذلك حسبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها وليس
للاحاد فيه الا الوعظ فقط وكذلك اذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذي الناس
فيجب منعه منه وان كان لا يؤذي الا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز من نجاسته
لم يمنع منه وان كان يضيق الطريق ببسط ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه من ان ينام
على الطريق او يقعد قعودا يضيق الطريق **منكرات الحمامات** منها الصور التي على باب
الحمام

٣من هنا ان قدر صح

الحمام او داخل الحمام يجب ازالتها على كل من يدخلها ان قدر فان كان الموضع مرتفعا لا تصل
اليه يده فلا يجوز له الدخول الا لضرورة فليعدل الى حمام آخر فان مشاهدة المنكر غير
جايز ويكفيه ان يشوه وجهها ويبطل صورتها ولا يمنع من صور الاشجار وساير النقوش
سوى صور الحيوان ومنها كشف العورات والنظر اليها ومنها كشف الدلاك عن الفخذ
وما تحت السرة في تنحية الوسخ بل من جملتها ادخال اليد تحت الازار فان مس عورة الغير
حرام كالنظر اليه ومنها الانبطاح على الوجه بين يدي الدلاك لتغميز الاعجاز والا فخاذ
فهذا مكروه وان كان مع حايل ولكن لا يكون محظورا اذا لم تخش من حركة الشهوة
ومنها غمز اليد والاواني النجسة في المياه القليلة وغسل الازار والطاس النجس في
الحوض وماؤه قليل فانه منجس للماء الا على مذهب مالك فلا يجوز الانكار فيه على المالكية
ويجوز على الحنفية والشافعية وان اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي
من ذلك الا بطريق الالتماس واللطف وهو ان يقول انا نحتاج الى ان نغسل اليد اولا ثم
نغمسها في الماء واما انت فمستغن عن ايذائي وتفويتك الطهارة علي هذا وما يجري مجراه
فان مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر ومنها ان يكون في مداخل بيوت الحمام
ومجاري مياهها حجارة ملسا مزلقة يتزلق عليها الغافلون فهذا منكر ويجب قلعه وازالته
وينكر على الحمامي اهماله فانه يفضي الى السقطة وقد تؤدي السقطة الى انكسار عضو او انخلاعه
وكذلك ترك الصابون والسدر المزلق على ارض الحمام منكر ومن فعل ذلك وخرج فعثر
به انسان وانكسر عضو من اعضايه وكان ذلك في موضع لا يظهر بحيث يتعذر الاحتراز
عنه فالضمان متردد بين الذي تركه وبين الحمامي اذ حقه تنظيف الحمام والوجه ايجاب الضمان
على تاركه في اليوم الاول وعلى الحمامي في اليوم الثاني اذ عادة التنظيف كل يوم معتادة والرجوع
في مواقيت اعادة التنظيف الى العادات وفي الحمام امور اخر مكروهة ذكرناها في كتاب الطهارة
فلتنظر هناك **منكرات الضيافة** فمنها فرش الحرير للرجال فهو حرام وتبخير البخور
في مجمرة فضة او الشرب واستعمال ماء الورد في اواني فضة او ما رؤوسها من فضة ومنها
اسدال الستور وعليها الصور ومنها سماع الاوتار او سماع القينات ومنها اجتماع النسا
على السطوح للنظر الى الرجال مهما كان في الرجال شباب يخاف الفتنة بينهم فكل ذلك محظور
منكر يجب تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس فلا رخصة في الجلوس
في مشاهدة المنكرات واما الصور على النمارق والزرابي المفروشة فليس منكرا وكذا على
الاطباق والقصاع لا الاواني المتخذة على شكل الصور فقد تكون رؤوس بعض المجامر

على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه وفي المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف
وقد خرج احمد بن حنبل عن الضيافة بسببها ومهما كان الطعام حراما او كان الموضع مغصوبا
او كانت الثياب حراما فهي من اشد المنكرات فان كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا
يجوز الحضور اذ لا يحل حضور مجالس الشرب مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق
في حال مباشرته للفسق وانما النظر في مجالسته بعده وانه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته
كما ذكرناه في باب الحب والبغض في الله وكذلك ان كان فيهم من يلبس الحرير او خاتم الذهب
فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة فان كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر
والصحيح ان ذلك منكر ويجب اخراجه منه ان كان مميزا لعموم قوله عليه الصلاة والسلام هذان
حرام على ذكور امتي وكما يجب منع الصبي من شرب الخمر لا لكونه مكلفا ولكن لانه يانس
به فاذا بلغ عسر عليه الصبر عنه فكذلك شهوة التزين بالحرير يغلب عليه اذا اعتاده فيكون
ذلك بذرا للفساد يبذر في صدره فينبت منه شجرة من الشهوة راسخة يعسر قلعها
بعد البلوغ اما الصبي الذي لا يميز فيضعف معنى التحريم فيه ولا يخلو عن احتمال والعلم عند الله
فيه والمجنون بمعنى الصبي الذي لا يميز نعم يحل التزين بالذهب والحرير للنساء من غير اسراف
ولا ارى رخصة في تثقيب اذن الصبية لاجل تعليق حلق الذهب فان هذا جرح مولم ومثله موجب
للقصاص فلا يجوز الا لحاجة مهمة كالفصد والحجامة والختان والتزين بالحلق غير مهم بل
في التقريط بتعليقه من الاذن وفي المخانق والاسورة كفاية عنه فهذا وان كان
معتادا فهو حرام والمنع منه واجب والاستيجار عليه غير صحيح والاجرة الماخوذة عليه
حرام الا ان يثبت من جهة النقل فيه رخصة ولم يبلغنا الى الآن فيه رخصة ومنها
ان يكون في الضيافة مبتدع يتكلم في بدعته فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على
عزم الرد فان كان لا يقدر عليه لم يجز وان كان المبتدع لا يتكلم ببدعته فيجوز الحضور مع اظهار
الكراهة عليه والاعراض عنه كما ذكرناه في باب البغض في الله وان كان فيها مضحك
بالحكايات وانواع النوادر فان كان يضحك بالفحش والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور
يجب الانكار وان كان ذلك بمزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح اعني ما يقل منه فاما
اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح وكل كذب لا يخفى انه كذب ولا يقصد منه التلبيس
فليس من جملة المنكرات كقول الانسان قد طلبتك اليوم مائة مرة واعدت الكلام
عليك مائة مرة وما يجري مجراه مما يعلم انه ليس يقصد به التحقيق فذلك لا يقدح في
العدالة ولا ترد الشهادة به وسياتي حد المزح المباح والكذب المباح في كتاب آفات
اللسان من ربع المهلكات ومنها الاسراف في الطعام والبناء فهو منكر بل في المال منكران
احدهما

احدهما والاخر الاسراف والاضاعة تفويت مال بلا فايدة يعتد بها كاحراق الثوب
وتمزيقه وهدم البناء من غير غرض والقا المال في البحر وفي معناه صرف المال الى النايحة والمطرب
وفي انواع الفساد لانها فوايد محرمة شرعا فصارت كالمعدومة واما الاسراف فقد يطلق
لارادة صرف المال الى النايحة والمطرب والمنكرات وقد يطلق على الصرف الى المباحات
في جنسها ولكن مع المبالغة والمبالغة تختلف بالاضافة الى الاحوال فنقول من لم
يملك الا ماية دينار ومعه عيال واولاد ولا معيشة لهم سواه فانفق الجميع في وليمة
فهو مسرف يجب منعه منه قال تعالى ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا نزل
هذا في رجل بالمدينة قسم جميع ماله فلم يبق شيا لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر وقال تعالى
ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكذلك قال والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا فمن يسرف هذا الاسراف ينكر عليه ويجب على القاضي ان يحجر عليه
الا اذا كان الرجل وحده وكان له قوة في التوكل صادقة فله ان ينفق جميع ماله في ابواب البر
ومن له عيال او هو عاجز عن التوكل فليس له ان يتصدق بجميع ماله وكذلك لو صرف جميع
ماله الى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو اسراف محرم وفعل ذلك ممن له مال كثير ليس
بحرام لان التزيين من الاغراض الصحيحة ولم تزل المساجد تزين وتنقش ابوابها وسقوفها
مع ان نقش الباب والسقف لا فايدة فيه الا مجرد الزينة فكذا الدور وكذلك القول في التجمل بالثياب
والاطعمة فذلك مباح في جنسه ويصير اسرافا باعتبار حال الرجل واسرافه وامثال هذه
كثيرة لا يمكن حصرها فقس بهذه المجامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس
الفقها ورباطات الصوفية وخانات الاسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه او محظور
واستقصا جميع المنكرات يستدعي استيعاب جميع تفاصيل الشرع اصولها وفروعها
فلنقتصر على هذا القدر منها **منكرات العامة** اعلم ان كل قاعد في بيته اينما كان
فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم
وحملهم على المعروف فاكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد فكيف في
القرى والبوادي ومنهم الاعراب والاكراد والتركمانية وساير اصناف الخلق وواجب
ان يكون في كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم وكذا في كل قرية وواجب
على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية ان يخرج الى من يجاور بلده من اهل
السواد ومن العرب والاكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرايض شرعهم ويستصحب
مع نفسه زادا ياكله ولا ياكل من اطعمتهم فان اكثرها مغصوبة فان قام به واحد سقط

الى هنا صح

الحرج عن الاخرين والا عم الحرج الكافة اخص من العالم فليتفقه في الخروج واما
الجاهل فليتفقه في ترك التعلم وكل عامي عرف شروط الصلاة فعليه ان يعرف غيره والا
فهو شريك في الاثم ومعلوم ان الانسان لا يولد عالما بالشرع وانما يجب التبليغ
على اهل العلم فكل من تعلم مسئلة واحدة فهو من اهل العلم بها ولعمري الاثم اشد على الفقها
لان قدرتهم فيه اظهر وهو بصناعتهم اليق لان المحترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت
المعايش فهم قد تقلدوا امرا لا بد منه في اصلاح الخلق وشان الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان العلما هم ورثة الانبيا وليس للانسان ان يقعد
ولا يخرج الى المسجد لانه يرى الناس لا يحسنون الصلاة بل اذا علم ذلك وجب عليه الخروج والتعليم
والنهي وكذلك كل من تيقن ان في السوق منكرا على الدوام او في وقت بعينه
وهو قادر على تغييره فلا يجوز ان يسقط ذلك عن نفسه بالقعود في البيت
بل يلزمه الخروج فان كان لا يقدر على تغيير البعض وهو محترز عن مشاهدتها
ويقدر على البعض لزمه الخروج لان خروجه اذا كان لاجل تغيير ما يقدر
عليه فلا يضر مشاهدة ما لا يقدر عليه وانما يمنع الحضور لمشاهدة
المنكر من غير غرض صحيح فحق على كل مسلم ان يبدا بنفسه فيصلحها بالمواظبة
على الفرايض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك اهل بيته ثم يتعدى عند الفراغ
منهم الى جيرانه ثم الى اهل محلته ثم الى اهل بلده ثم الى السواد المكتنف
ببلده ثم الى البوادي من الاكراد والعرب وغيرهم وهكذا الى اقصى
العالم فان قام به الادنى سقط عن الابعد والا حرج به على كل قادر عليه
قريبا كان او بعيدا ولا يسقط الحرج ما دام يبقى على وجه الارض جاهل
بفرض من فروض دينه وهو قادر على ان يسعى اليه بنفسه او بغيره فيعلمه
فرضه وهذا شغل شاغل لمن يهمه امر دينه يشغله عن تجزية الاوقات في
التفريعات النادرة والتعمق في دقائق العلوم التي هي من فروض الكفايات
ولا يتقدم على هذا الا فرض عين او فرض كفاية هو اهم منه والسلام

الباب الرابع في امر الامرا والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

قد ذكرنا درجات الامر بالمعروف وان اوله التعريف وثانيه الوعظ وثالثه
التخشين في القول ورابعه المنع بالقهر والحمل على الحق بالضرب والعقوبة
والجائز من جملة ذلك مع السلاطين المرتبتان الاولتان وهما التعريف
والوعظ

ادا هم

والوعظ واما المنع بالقهر فليس ذلك لاحاد الرعية مع السلطان فان
ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون مما يتولد منه من المحذور اكثر
واما التخشين في القول كقوله يا ظالم يا من لا يخاف الله وما يجري مجراه فذلك
ان كان يحرك فتنة ويتعدى شرها الى غيره لم يجز وان كان لا يخاف الا على
نفسه فهو جائز بل مندوب اليه فلقد كان من عادة السلف التعرض للاخطار
والتصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لانواع العذاب
لعلمهم بان ذلك شهادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الشهدا
حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فامره ونهاه في ذات الله فقتله
على ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمة حق عند
سلطان جائر ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فقال قرن من حديد لا ياخذه في الله لومة لائم تركه قوله الحق ما له من صديق
ولما علم المتصلبون في الدين ان افضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر
وان صاحب ذلك اذا قتل فهو شهيد كما وردت به الاخبار اقدموا على ذلك
موطنين انفسهم على الهلاك ومحتملين لانواع العذاب وصابرين عليه
في ذات الله ومحتسبين لما يبذلونه من مهجتهم عند الله وطريق وعظ السلاطين
وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علما السلف وقد اوردنا
جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام ونقتصر
الان على حكايات تعرف وجه الوعظ وكيفية الانكار عليهم فمنها ما روي
من انكار ابي بكر الصديق رضي الله عنه على اكابر قريش حين قصدوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بسو وذلك مما روي عن عروة قال قلت لعبد الله
ابن عمر ما اكثر ما رايت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
كانت تظهر من عداوته فقال حضرتهم وقد اجتمع اشرافهم يوما في الحجر
فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما راينا مثل ما صبرنا عليه
من هذا الرجل سفه احلامنا وشتم اباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا
وسب الهتنا ولقد صبرنا منه على امر عظيم او كما قالوا فبينما هم كذلك اذ
طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم
طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك في وجهه

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مضى فمر بهم الثانية فغمزوه بمثلها فعرفت
ذلك في وجهه عليه الصلاة والسلام ثم مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها
حتى وقف ثم قال أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفس محمد بيده لقد
جئتكم بالذبح فأطرق القوم حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع
حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفأه بأحسن ما يجد من القول حتى
إنه ليقول انصرف يا أبا القاسم راشدا فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال
بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا أتاكم بما كنتم تكرهون
تركتموه فبينما هم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه
وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون أنت الذي تقول كذا لما بلغهم من عيب
آلهتهم ودينهم قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا الذي أقول
ذلك فلقد رأيت منهم رجلا أخذ بمجامع ردائه قال وقام أبو بكر الصديق
رضي الله عنه دونه يقول وهو يبكي ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله
قال ثم انصرفوا عنه فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه قط وفي
رواية وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا
فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتقتلون
رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وروي أن معاوية حبس
العطا فقام إليه أبو مسلم الخولاني فقال له يا معاوية إنه ليس من كدك
ولا من كد أمك قال فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم مكانكم ثم
خرج عليهم فقال إن أبا مسلم كلمني بكلام أغضبني وإني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وإنما
تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليغتسل وإني دخلت فاغتسلت
وصدق أبو مسلم إنه ليس من كدي ولا من كد أمي فهلموا إلى عطائكم وروي
عن ضبة بن محصن العنزي قال كان علينا أبو موسى الأشعري أميرا بالبصرة
وكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أنشأ يدعو
لعمر

يدعو لعمر قال فغاظني ذلك منه فقمت اليه فقلت اين انت عن صاحبه تفضله
عليه فصنع ذلك جمع ثم كتب الى عمر يشكوني يقول ان ضبة بن محصن العنزي
يتعرض لي في خطبتي فكتب اليه عمر ان اشخصه الي فقدمت فضربت
عليه الباب فخرج الي فقال من انت فقلت انا ضبة فقال لي فلا اهلا ولا
مرحبا فقلت اما الرحب فمن الله واما الاهل فلا اهل ولا مال فبما استحللت

ذا اج

يا عمر اشخاصي من مصري بلا ذنب اذنبته ولا شيء اتيته قال ما الذي شجر
بينك وبين عاملي قال قلت الان اخبرك انه كان اذا خطب حمد الله واثنى عليه
وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم انشا يدعو لك فغاظني ذلك منه فقمت اليه
فقلت له اين انت من صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب اليك يشكوني
قال فاندفع عمر رضي الله عنه باكيا وهو يقول انت والله اوفق منه وارشد فهل
انت غافر لي ذنبي يغفر الله لك قال قلت غفر الله لك يا امير المومنين قال
ثم اندفع باكيا وهو يقول والله ليلة من ابي بكر ويوم خير من عمر وال عمر
فهل لك ان اخبرك بليلته ويومه قلت نعم قال اما الليلة فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما اراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فتبعه
ابو بكر فجعل يمشي مرة امامه ومرة يمشي خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا ابا بكر ما اعرف هذا من افعالك
فقال يا رسول الله اذكر الرصد فاكون امامك واذكر الطلب فاكون خلفك
ومرة عن يمينك ومرة عن شمالك لا امن عليك قال فمشى رسول الله صلى الله

يسارك

عليه وسلم ليلته على اطراف اصابعه حتى احفيت فلما راى ابو بكر انها قد
حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى اتى فم الغار فانزله ثم قال والذي
بعثك بالحق لا تدخله حتى ادخله فان كان فيه شيء نزل بي قبلك قال فدخل
فلم ير فيه شيئا فحمله فادخله وكان في الغار خرق فيه حيات وافاعي فالقمه ابو
بكر قدمه مخافة ان يخرج منهن شيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوذيه
وجعلن يضربن ابا بكر في قدمه وجعلت دموعه تتحدر على خديه من الم ما يجد
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ابا بكر لا تحزن ان الله معنا فانزل الله
سكينته الطمانينة لابي بكر فهذه ليلته واما يومه فلما توفي رسول الله صلى الله

عليه وسلم ارتدت العرب فقال بعضهم نصلي ولا نزكي فاتيته لا الوه نصحا فقلت
يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف الناس وارفق بهم فقال لي اجبار
في الجاهلية خوار في الاسلام فيما ذا اتألفهم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
وارتفع الوحي فوالله لو منعوني عقالا كانوا يعطونه رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقاتلتهم عليه قال فوالله فقاتلنا عليه فكان والله رشيد الامر فكان
يومئذ ثم كتب الى موسى يلومه وعن الاصمعي قال دخل عطا بن ابي رباح على
عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الاشراف من كل بطن وذلك بمكة في
وقت حجه وخلافته فلما بصر به قام اليه واجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال
له يا ابا محمد ما حاجتك فقال يا امير المومنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده
بالعمارة واتق الله في اولاد المهاجرين والانصار فانك بهم جلست هذا المجلس واتق الله
في اهل الثغور فانهم حصن المسلمين وتفقد امور المسلمين فانك وحدك المسؤول عنهم
واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم فقال له افعل ثم نهض وقام
فقبض عليه عبد الملك فقال يا ابا محمد انما سالتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك
فقال ما لي الى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك هذا وابيك الشرف هذا وابيك السودد وروي

الوليد بن مح

ان عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب فاذا مر بك رجل فادخله علي يحدثني فخرج الحاجب
فوقف على الباب مدة فمر به عطا بن ابي رباح وهو لا يعرفه فقال له يا شيخ ادخل الى امير المومنين
فانه امر بذلك فدخل عطا على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطا من الوليد
قال له السلام عليك يا وليد قال فغضب الوليد على حاجبه فقال ويلك امرتك ان تدخل
الي رجلا يحدثني ويسامرني فادخلت الي رجلا لم يرض ان يسميني بالاسم الذي اختاره الله
لي فقال له حاجبه ما مر بي غيره ثم قال لعطا اجلس ثم اقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه
عطا ان قال بلغنا ان في جهنم واديا يقال له هبهب اعده الله لكل امام جائر في حكمه فصعق
الوليد من قوله وكان جالسا بين يدي عتبة باب المجلس فوقع على قفاه الى جوف المجلس مغشيا
عليه فقال عمر لعطا قتلت امير المومنين فقبض على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة
وقال له يا عمر ان الامر جد فجد ثم قام عطا وانصرف فبلغنا ان عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه
انه قال مكثت سنة اجد الم غمزته في ذراعي وكان ابي سلمة يوصف بالعقل والادب فدخل على
عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك تكلم قال بم اتكلم وقد علمت كل كلام يتكلم به المتكلم عليه

وبال

وبال الا ما كان لله فبكى عبد الملك ثم قال رحمك الله لم تزل الناس يتواعظون ويتواصون
فقال الرجل يا امير المومنين ان الناس في القيامة لا ينجون من غصصها ومرارتها ومعاينة
الردى فيها الا من ارضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك ثم قال لا جرم لاجعلن هذه
الكلمات مثالا نصب عيني ما عشت حيا ويروى عن ابن عايشة ان الحجاج دعا بفقهاء
البصرة وفقهاء الكوفة فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري اخر من دخل فقال الحجاج
مرحبا بابي سعيد الي الي ثم دعا بكرسي فوضع الى جنب سريره فقعد عليه فجعل
الحجاج يذاكرنا ويسائلنا اذ ذكر علي ابن ابي طالب رضي الله عنه فنال منه ونلنا منه مقاربة له وفرقا
من شره والحسن ساكت عاض على ابهامه فقال يا ابا سعيد ما لي اراك ساكتا قال
ما عسيت ان اقول اخبرني برايك في ابي تراب قال سمعت الله جل ذكره يقول وما
جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان
كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف
رحيم فعلي ممن هدى الله من اهل الايمان فاقول ابن عم النبي عليه الصلاة والسلام وختنه
على ابنته واحب الناس اليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع
انت ولا احد من الناس ان يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها فاقول انه كانت لعلي
هنات والله حسيبه والله ما اجد فيه قولا اعدل من هذا فبسر وجه الحجاج وتغير
وقام عن السرير مغضبا فدخل بيتا خلفه وخرجنا قال عامر الشعبي فاخذت بيد
الحسن فقلت يا ابا سعيد اغضبت الامير واوغرت صدره فقال اليك عني يا عامر تقول
الناس عامر الشعبي عالم اهل الكوفة اتيت شيطانا من شياطين الانس تكلمه بهواه وتقاربه
في رايه ويحك يا عامر هلا اتقيت ان سئلت فصدقت او سكت فسلمت قال عامر
يا ابا سعيد قد قلتها وانا اعلم ما فيها قال الحسن فذاك اعظم في الحجة عليك واشد
في التبعة قال وبعث الحجاج الى الحسن فلما دخل عليه قال انت تقول قاتلهم الله قتلوا
عباد الله على الدرهم والدينار قال نعم قال ما حملك على هذا قال ما اخذ الله على العلماء
من المواثيق ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال يا حسن امسك عليك لسانك واياك
ان يبلغني عنك ما اكره فافرق بين راسك وبين جسدك وحكي ان حطيط الزيات
جي به الى الحجاج فلما دخل عليه قال انت حطيط قال نعم سل عما بدا لك فاني عاهدت
الله على المقام على خصال ثلاث ان سئلت لاصدقن وان ابتليت لاصبرن وان
عوفيت لاشكرن قال فما تقول في قال اقول انك من اعداء الله في الارض تنتهك

شيطان من ج

المحارم وتقتل بالظنة قال فما تقول في امير المومنين عبد الملك بن مروان قال اقول
انه اعظم جرما منك وانما انت خطيئة من خطاياه قال فقال الحجاج ضعوا عليه
العذاب قال فانتهى به العذاب الى ان شققوا له القصب ثم جعلوه على لحمه ثم شدوه
بالحبال ثم يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيا قال فقيل
للحجاج انه في اخر رمق قال اخرجوه فارموا به في السوق قال جعفر فاتيناه انا وصاحب
لنا فقلنا حطيط الك حاجة شربة ما فاتوه بشربة ثم مات وكان ابن ثمان عشرة سنة
ولما ان عمر بن هبيرة دعا بفقهاء اهل البصرة واهل الكوفة واهل المدينة واهل
الشام وقرائها فجعل يسالهم وجعل يكلم عامر الشعبي فجعل لا يسله عن شي الا وجد
عنده فيه علما ثم اقبل على الحسن البصري يسله ثم قال هما هذان هذا رجل اهل الكوفة
يعني الشعبي وهذا رجل اهل البصرة فامر الحاجب فاخرج الناس وخلا بالشعبي
والحسن فاقبل على الشعبي فقال يا ابا عمرو اني امير المومنين على العراق وعامله عليها
ورجل مامور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم فانا احب حفظهم وتعهد
ما يصلحهم من النصيحة وقد يبلغني عن العصابة من اهل الديار الامر اجد عليهم فاقبض
طايفة من عطاياهم فاضعه في بيت المال ومن نيتي ان ارده عليهم فيبلغ امير المومنين اني
قد قبضته على ذلك من النحو فيكتب الي ان لا ترده فلا استطيع رد امره ولا انفاذ كتابه
وانما انا رجل مامور على الطاعة فهل علي في هذا تبعة وفي اشباهه من الامور والنية
فيها على ما ذكرت قال الشعبي فقلت اصلح الله الامير انما السلطان والد يخطي ويصيب
قال فسر بقولي واعجب به ورايت البشر في وجهه وقال لله الحمد ثم اقبل على الحسن فقال
ما تقول يا ابا سعيد قال قد سمعت قول الامير يقول انه امير المومنين على العراق وعامله
عليها ورجل على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم
وحق الرعية لازم لك وحق عليك ان تحوطهم بالنصيحة واني سمعت عبد الرحمن القرشي صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استرعي رعية فلم
يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة وتقول اني ربما قبضت من عطاياهم ارادة صلاحهم
واستصلاحهم وان يرجعوا الى طاعتهم فيبلغ امير المومنين اني قبضتها على ذلك
فيكتب الي ان لا ترده فلا استطيع رد امره ولا استطيع انفاذ كتابه وحق الله الزم
من حق امير المومنين والله احق ان يطاع ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فاعرض
كتاب امير المومنين على كتاب الله عز وجل فان وجدته موافقا لكتاب الله فخذ به وان وجدته
مخالفا

امير صح

المومنين

مخالفا لكتاب الله فانبذه يا ابن هبيرة اتق الله فانه يوشك ان ياتيك رسول من
رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك
ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك يا ابن هبيرة وان الله يمنعك من
يزيد وان يزيد لا يمنعك من ربك وان امر الله فوق كل امر فانه لا طاعة في معصية الله
واني احذرك باسه الذي لا يرده عن القوم المجرمين فقال ابن هبيرة اربع على ظلعك ايها
الشيخ واعرض عن ذكر امير المومنين فان امير المومنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب
الفضل وانما ولاه الله تعالى ولاية امر هذه الامة لعلمه به وما يعلمه من فضله ونيته فقال الحسن
يا ابن هبيرة الحساب من وراء ذلك سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد يا ابن هبيرة انك
ان تلق من ينصح لك في دينك ويحملك على امر اخرتك خير من ان تلقى رجلا يغرك ويمنيك فقام ابن هبيرة
كسر وجهه وتغير لونه قال الشعبي فقلت يا ابا سعيد اغضبت الامير واوغرت صدره وحرمتنا
معروفه وصلته فقال اليك عني يا عامر قال فخرجت الى الحسن التحف والطرف وكانت له
المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان اهلا لما ادي اليه وكنا اهلا ان يفعل بنا ذلك فما
رايت مثل الحسن فيمن رايت من العلماء الا مثل الفرس العربي بين المقارف وما شهدنا
مشهدا الا برز علينا وقال لله عز وجل وقلنا مقاربة لهم قال عامر الشعبي وانا اعاهد
الله ان لا اشهد سلطانا بعد هذا المجلس فاحابيه ودخل محمد بن واسع على بلال بن ابي
بردة فقال له ما تقول في القدر وعن الشافعي رضي الله عنه قال عمي محمد بن علي قال اني لحاضر مجلس
امير المومنين ابي جعفر وفيه ابن ابي ذويب وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال فاتى
الغفاريون فشكوا الى ابي جعفر شيئا من امر الحسن بن زيد فقال الحسن يا امير المومنين
سل عنهم ابن ابي ذويب فقال اشهد انهم اهل حطم في اعراض الناس كثيروا الاذى لهم فقال ابو
جعفر قد سمعتم فقال الغفاريون يا امير المومنين سله عن الحسن بن زيد فقال يا ابن ذويب
ما تقول في الحسن بن زيد فقال اشهد عليه انه يحكم بغير الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت
يا حسن ما قال فيك ابن ابي ذويب وهو الشيخ الصالح فقال يا امير المومنين سله عن
نفسك فقال ما تقول في قال تعفيني يا امير المومنين قال اسالك بالله الا اخبرتني قال
تسالني بالله كانك لا تعرف نفسك قال والله لتخبرني قال اشهد انك اخذت هذا المال
من غير حقه فجعلته في غير اهله واشهد ان الظلم ببابك فاش فجاء ابو جعفر من موضعه
حتى وضع يده في قفا ابن ابي ذويب فقبض عليه ثم قال له اما والله لولا اني جالس ههنا لاخذت
فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك قال فقال ابن ابي ذويب يا امير المومنين

فقد ولي ابو بكر وعمر فاخذا الحق وقسما بالسوية واخذا باقفاء فارس والروم واصغرا
انافهم قال فخلى ابو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال والله لولا اني اعلم انك صادق لقتلتك
فقال ابن ابي ذويب والله يا امير المومنين اني لانصح لك من ابنك المهدي قال فبلغنا ان
ابن ابي ذويب لما خرج من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا ابا الحارث
لقد سرني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساني قولك له ابنك المهدي فقال يغفر الله
لك يا ابا عبد الله كلنا مهدي كلنا كان في المهد وعن الاوزاعي عبد الرحمن قال بعث الي ابو
جعفر المنصور امير المومنين وانا بالساحل فاتيته فلما وصلت اليه وسلمت عليه بالخلافة
رد علي واستجلسني ثم قال لي ما الذي بطا بك عنا يا اوزاعي قال قلت وما الذي يريد لي
امير المومنين قال اريد الاخذ عنكم والاقتباس منكم قال فقلت فانظر يا امير المومنين ان
لا تجهل شيا مما اقول لك قال وكيف اجهله وانا اسلك عنه وفيه وجهت اليك واقدمتك
له قال قلت ان تسمعه ولا تعمل به قال فصاح بي الربيع واهوى بيده الى السيف فانتهره
المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسي وانبسطت في الكلام
فقلت يا امير المومنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايما عبد جاته موعظة من الله في دينه فانها نعمة من الله سيقت اليه فان قبلها بشكر
والا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها اثما ويزداد الله بها سخطا يا امير المومنين
حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما وال مات غاشا
لرعيته حرم الله عليه الجنة يا امير المومنين من كره الحق فقد كره الله ان الله هو الحق المبين
ان الذي لين قلوب امتكم لكم حين ولاكم امورهم لقرابتكم من نبيكم صلى الله عليه وسلم
وقد كان بهم رؤوفا رحيما مواسيا بنفسه في ذات يده محمودا عند الله وعند الناس فحقيق
ان تقوم لهم فيه بالحق وان تقوم بالقسط له فيهم قائما ولعوراتهم ساترا لا تغلق عليك
دونهم الابواب ولا تقيم دونهم الحجاب تبتهج بالنعم عندهم وتبتئس بما اصابهم من سو
يا امير المومنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين اصبحت
تملكهم احمرهم واسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا انبعث
منهم فيام وراء فيام وليس منهم احد الا وهو يشكو بلية ادخلتها عليه او ظلامة سقتها اليه يا
امير المومنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم
جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له
يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب امتك وملات قلوبهم رعبا فكيف بمن شقق

ابشارهم

ابتشارهم وسفك دمائهم وخرب ديارهم واجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه
يا امير المومنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم دعا الى القصاص من نفسه من خدش خدشه اعرابيا لم يتعمده
فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد ان الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا
فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الاعرابي فقال اقتص مني فقال الاعرابي قد احللتك
بابي انت وامي وما كنت لافعل ذلك ابدا ولو اتيت على نفسي فدعا له بخير يا امير
المومنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الامان من ربك وارغب في جنة عرضها
السموات والارض التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيد قوس احدكم
من الجنة خير من الدنيا وما فيها يا امير المومنين ان الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل
اليك وكذا لا يبقى لغيرك كما لم يبق لك يا امير المومنين تدري ما جاء في تاويل هذه الاية
عن جدك ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قال الصغيرة
التبسم والكبيرة الضحك فكيف بما عملته الايدي وحصدته الالسن يا امير المومنين بلغني
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات ضيعة لخشيت
ان اسال عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك يا امير المومنين تدري ما جاء في تاويل
هذه الاية عن جدك يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع
الهوى فيضلك عن سبيل الله قال يا داود اذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك في احدهما
هوى فلا تمنين نفسك ان يكون الحق له فيفلح على صاحبه فامحوك من نبوتي ثم لا تكون
خليفتي ولا كرامة يا داود انما جعلت رسلي الى عبادي رعاة كرعاة الابل لعلمهم بالرعاية
ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلا والماء يا امير المومنين
انك بليت بامر لو عرض على السموات والارض والجبال لابين ان يحملنه واشفقن
منه يا امير المومنين حدثني يزيد بن جابر بن عبد الرحمن بن عمرو الانصاري ان عمر بن
الخطاب استعمل رجلا من الانصار على الصدقة فرآه بعد ايام مقيما فقال له ما
منعك من الخروج الى عملك اما علمت ان لك مثل اجر المجاهد في سبيل الله قال لا وكيف
ذلك قال انه بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من وال يلي شيئا من امور
الناس الا اتي يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه فيوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك
الجسر انتفاضة يزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فان كان محسنا نجا باحسانه
وان كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فهوى به في النار سبعين خريفا فقال له عمر ممن

سمعت هذا قال من ابي ذر وسلمان فارسل اليهما عمر فسالهما فقالا نعم سمعناه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر واعمراه من يتولاها بما فيها فقال ابوذر
من سلت الله انفه والصق خده بالارض قال فاخذ المنديل ووضعه على وجهه ثم بكى
وانتحب حتى ابكاني ثم قلت يا امير المومنين قد سال جدك العباس النبي صلى الله عليه
وسلم امارته على مكة والطايف واليمن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم
النبي نفس تنجيها خير من امارة لا تحصيها نصيحة منه لعمه وشفقة عليه واخبره انه لا يغني
عنه من الله شيا اذا اوحى اليه وانذر عشيرتك الاقربين فقال يا عباس يا صفية عمي النبي عليه
الصلاة والسلام ويا فاطمة بنت محمد اني لست اغني عنكم من الله شيا لي عملي ولكم عملكم
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقيم امر الناس الا حصيف العقل اريب العقل لا يطلع
منه على عورة ولا يخف منه على جرة ولا ياخذه في الله لومة لايم وقال الامرا اربعة فامير قوي
لطف نفسه وعماله فذلك كالمجاهد في سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة وامير فيه
ضعف لطف نفسه وارتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك الا ان يرحمه الله وامير ظلف
عماله وارتع نفسه فذلك الحطمة فهو الهالك وحده وامير ارتع نفسه وعماله فهلكوا
جميعا وقد بلغني يا امير المومنين ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتيتك حين
امر الله بمنافخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة فقال له يا جبريل صف لي
النار ان الله تعالى امر بها فاوقد عليها الف عام حتى احمرت ثم اوقد عليها الف عام حتى
اصفرت ثم اوقد عليها الف عام حتى اسودت فهي سودا مظلمة لا يضي جمرها ولا لهبها
والذي بعثك بالحق لو ان ثوبا من ثياب اهل النار اظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو
ان ذنوبا من شرابها صب في مياه الارض جميعا لقتل من ذاقه ولو ان ذراعا من السلسلة
التي ذكرها الله وضع على جبال الارض جميعا لذابت وما استقلت ولو ان رجلا ادخل النار
ثم اخرج منها لمات اهل الارض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي صلى الله عليه وسلم
وبكى جبريل لبكايه فقال اتبكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون
عبدا شكورا ولم بكيت انت يا جبريل وانت الروح الامين امين الله على وحيه قال اخاف
ان ابتلى بما ابتلي به هاروت وماروت هو الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي فاكون
قد امنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السما يا جبريل ويا محمد ان الله قد امنكما ان
تعصياه فيعذبكما وفضل محمد على ساير الانبيا كفضل جبريل على ساير الملايكة
السما

السما وقد بلغني يا امير المومنين ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال اللهم
ان كنت تعلم اني ابالي اذا قعد الخصمان بين يدي على من مال الحق من قريب
او بعيد فلا تمهلني طرفة عين يا امير المومنين ان اشقا الشقي العباد
لله بحقه وان اكرم الكرم عند الله التقوى وانه من طلب العز بطاعة الله رفعه
الله واعزه ومن طلبه بمعصية الله اذله الله ووضعه فهذه نصيحتي
والسلام عليكم ثم نهضت فقال لي الى اين فقلت الى الولد والوطن باذن
امير المومنين ان شا الله قال قد اذنت لك وشكرت لك نصيحتك ان شا الله
وقبلتها بقبولها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه استعين وعليه
اتوكل هو حسبي ونعم الوكيل فلا تخلني من مطالعتك بمثل
هذا فانك القبول القول غير المتهم في النصيحة قلت افعل ان شا الله قال
محمد بن مصعب فامر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال انا في
غنى عنه وما كنت لابيع نصيحتي بعرض من الدنيا وعرف المنصور مذهبه
فلم يجد عليه في ذلك وعن ابن المهاجر قال قدم امير المومنين المنصور
مكة شرفها الله فكان يخرج من دار الندوة الى الطواف في اخر الليل يطوف
ويصلي ولا يعلم به فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة وجا المودنون فسلموا
عليه واقيمت الصلاة فيصلي بالناس فخرج ذات ليلة حين اسحر فبينما هو
يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول اللهم اني اشكو اليك ظهور
البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع
فاسرع المنصور في مشيه حتى ملا مسامعه من قوله ثم خرج وجلس ناحية
من المسجد وارسل اليه فدعاه فاتاه الرسول فقال له اجب امير المومنين
فصلى ركعتين واستلم الركن واقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور
ما هذا الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول
بين الحق واهله من الطمع والظلم فوالله لقد حشوت مسامعي بما امرضني
واقلقني فقال يا امير المومنين ان امنتني على نفسي انبأتك بالامور من
اصولها والا قتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل فقال انت امن
على نفسك فقال الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق واصلاح ما ظهر
من البغي والفساد في الارض انت فقال ويحك وكيف يدخلني الطمع

والصفراء والبيضاء على يدي والحلو والحامض في قبضتي قال وهل دخل احد من
الطمع ما دخلك يا امير المؤمنين ان الله تعالى استرعاك امور المسلمين واموالهم
فاغفلت امورهم واهتممت بجمع اموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من
الجص والاجر وابوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنت نفسك فيها منهم
وبعثت عمالك في جمع الاموال وجبايتها واتخذت وزرا واعوانا ظلمة ان نسيت
لم يذكروك وان ذكرت لم يعينوك وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والكراع والسلاح
وامرت بان لا يدخل عليك من الناس الا فلانا وفلانا نفر سميتهم ولم تامر بايصال
المظلوم ولا الملهوف ولا الجايع ولا العاري ولا الضعيف الفقير ولا احد الا وله
في المال حق فلما راك هولا النفر الذين استخلصتهم لنفسك واثرتهم على رعيتك
وامرتهم ان لا يحجبوا عنك تجبي الاموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا
لا نخونه وقد سخر لنا فايتمروا على ان لا يصل اليك من علم اخبار الناس الا ما ارادوا
وان لا يخرج اليك عامل فيخالف لهم امرا اقصوه حتى تسقط منزلته ويصغر
قدره فلما انتشر ذلك عنك وعنهم اعظمهم الناس وهابوهم وكان اول من صانعهم
عمالك بالهدايا والاموال ليتقووا به على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذو القدرة
والثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلات بلاد الله بالطمع
بغيا وفسادا وصار هولا القوم شركاك في سلطانك وانت غافل فان جا
متظلم حيل بينه وبين الدخول وان اراد وازمع قصة اليك عند ظهورك وجدك قد
نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فان جا ذلك الرجل
فبلغ بطانتك سالوا صاحب المظالم ان لا يرفع مظلمته وان كانت للمتظلم به حرمة
واجابة لم يمكنه ما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلف ويلوذ به ويشكي
ويستغيث وهو يدفعه فاذا جهد واخرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب
ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وانت تنظر ولا تنكر ولا تغير فما بقا الاسلام
واهله على هذا وقد كانت بنو امية وكانت العرب اليهم لا ينتهي اليهم المظلوم
الا رفعت ظلامته اليهم فينصف ولقد كان الرجل ياتي من اقصى البلاد حتى يبلغ
سلطانهم فينادي يا اهل الاسلام فيبتدرونه ما لك ما لك فيرفعون مظلمته
الى سلطانهم فينتصف وقد كنت يا امير المومنين اسافر الى ارض الصين
وبها ملك فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراوه
ما لك

ما لك تبكي لا ابكت عيناك فقال اما اني لست ابكي على المصيبة التي نزلت بي ولكن
المظلوم بالباب يصرخ فلا اسمع صوته اما ان كان ذهب سمعي فان بصري
لم يذهب نادوا في الناس الا لا يلبس ثوبا احمر الا مظلوم فكان يركب الفيل
في طرفي النهار وهل يرى مظلوما فينصفه هذا يا امير المومنين مشرك بالله قد
غلبت رافته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وانت مومن بالله
وابن عم نبي الله لا يغلبك رافتك بالمسلمين على شح نفسك فانك لا تجمع الاموال
الا لواحد من ثلاثة اما ان قلته لولدي فقد اراك الله عبرا في الطفل الصغير
فيسقط من بطن امه وما له على الارض مال وما من مال الا ودونه يد شحيحة
تحويه فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه ولست
الذي تعطي بل الله يعطي من يشا وان قلت اجمع المال لاشد سلطاني فقد اراك الله
عبرا فيمن كان قبلك ما اغنى ما جمعوا من الذهب والفضة وما اعدوا من الرجال
والسلاح والكراع وما ضرك وولد ابيك ما كنتم فيه من قلة الجدة والضعف
حين اراد الله بكم ما اراد وان قلت اجمع المال لطلب غاية هي اجسم من
الغاية التي انت فيها فوالله ما فوق ما انت فيه الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح
يا امير المومنين هل تعاقب من عصاك باشد من القتل قال لا قال فكيف تصنع
الملك الذي خولك الله وما انت فيه من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من
عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الاليم وهو
الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك واضمرته جوارحك فما تقول اذا انتزع الملك
الحق المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك الى الحساب هل يغني عنك عنده شي
مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا فبكى المنصور بكا شديدا حتى
نحب وارتفع صوته ثم قال يا ليتني لم اخلق ولم اك شيا ثم قال كيف احتيالي
فيما خولت ولم ار من الناس الا خاينا قال يا امير المومنين عليك بالايمة الاعلام
المرشدين قال ومن هم قال العلما قال قد فروا مني قال هربوا منك مخافة
ان تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك ولكن افتح الابواب وسهل الحجاب
وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع الظالم وخذ الشي مما حل وطاب واقسمه
بالحق والعدل وانا ضامن عمن هرب منك ان ياتيك فيعاونك على صلاح
امرك ورعيتك فقال المنصور اللهم وفقني ان اعمل بما قال هذا الرجل وجا

المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلاة فخرج يصلي بهم ثم قال للحرسي
عليك بالرجل ان لم تأتني به ضربت عنقك واغتاظ عليه غيظا شديدا فخرج
الحرسي يطلب الرجل فبينما هو يطوف فاذا هو بالرجل يصلي في بعض الشعاب
فقعد حتى صلى ثم قال يا ذا الرجل اما تتقي الله قال بلى قال اما تعرفني قال بلى
قال فانطلق معي فقد آلى ان يقتلني ان لم آته بك قال ليس الى ذلك من سبيل
قال يقتلني قال لا قال فكيف قال تحسن تقرا قال لا فاخرج من مرود كان
معه رقا فيه مكتوب شيا فقال خذه فاجعله في جيبك فان فيه دعا الفرج
قال لا بد فعلا الا التشهد قلت رحمك الله قد احسنت الي فان رايت ان تخبرني
ما هذا الدعا وما فضله قال من دعا به مسا وصباحا هدمت ذنوبه ودام
سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاوه وبسط له في رزقه واعطي امله
واعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يموت الا شهيدا تقول اللهم كما
لطفت في عظمتك دون اللطفا وعلوت بعظمتك على العظما وعلمت ما تحت
ارضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك
وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شي لعظمتك وخضع كل ذي سلطان
لسلطانك وصار امر الدنيا والاخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم امسيت
فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على
قبيح عملي اطمعني ان اسالك ما لا استوجبه مما قصرت فيه ادعوك آمنا
واسالك مستانسا وانك المحسن الي واني المسي الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد
الي بنعمك واتبغض اليك ولكن الثقة بك حملتني على الجراة فعد بفضلك واحسانك
علي انك انت التواب الرحيم قال فاخذته فصيرته في جيبي ثم لم يكن لي همة غير
امير المومنين فدخلت فسلمت عليه فرفع راسه فنظر الي وتبسم ثم
قال ويلك او تحسن السحر فقلت لا والله يا امير المومنين ثم قصصت عليه امري
مع الشيخ فقال هات الرق الذي اعطاك ثم جعل يبكي وقال قد نجوت وامر
بنسخه واعطاني عشرة الاف درهم ثم قال اتعرفه قلت لا قال ذلك الخضر
عليه الصلاة والسلام وعن ابن عمران الخولاني قال لما ولي هارون الرشيد الخلافة
زاروه فهنوه بما صار اليه ففتح بيوت الاموال واقبل يجيزهم بالجوائز السنية
وكان قبل ذلك يجالس العلما والزهاد ويظهر النسك والتقشف

وكان

بذنوبي صح

وكان مواخيا لسفيان بن سعيد الثوري قديما فحج سفيان ولم يزره
فاشتاق هارون الى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما
هم به فاشتد ذلك على هارون فكتب اليه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن
الرحيم من عبد الله هارون الرشيد امير المومنين الى اخيه سفيان اما
بعد يا اخي قد علمت ان الله تعالى واخى بين المومنين وجعل ذلك فيه وله واعلم
اني واخيتك مواخاة لم اصرم منها حبلك ولم اقطع منها ودك واني منطو لك
على افضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله لاتيتك ولو حبوا
لما اجد في قلبي لك من المحبة واعلم يا ابا عبد الله انه ما بقي من اخواني واخوانك
الا وقد زارني وهناني بما صرت اليه وقد فتحت بيوت الاموال واعطيتهم
من الجوائز السنية ما فرحت بها نفسي وقرت بها عيني واني استبطاتك
فلم تاتني وقد كتبت اليك كتابا شوقا مني اليك شديدا وقد علمت يا ابا عبد
الله ما جاء في فضل المومن وزيارته ومواصلته فاذا ورد عليك كتابي فالعجل العجل
فلما كتب الكتاب التفت الى من عنده فاذا كلهم يعرفون سفيان وخشونته
فقال علي برجل من الباب فادخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني
فقال يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به الى الكوفة فاذا دخلتها فسل
عن قبيلة بني ثور ثم سل عن سفيان الثوري فاذا رايته فالق كتابي هذا اليه
وع بسمعك وقلبك جميع ما يقول فاحص عليه دقيق امره وجليله لتخبرني به
فاخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسال عن القبيلة فارشد
اليها ثم سال عن سفيان فقيل له هو في المسجد فقال عباد فاقبلت الى المسجد
فلما راني قام قائما فقال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم واعوذ
بك اللهم من طارق يطرق الا بخير قال عباد فوقعت الكلمة في قلبي فخرجت
فلما راني نزلت بباب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت الصلاة فربطت فرسي
بباب المسجد ودخلت فاذا جلساؤه قعود قد نكسوا رووسهم كانهم لصوص
قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من العقوبة فسلمت فما رفع احد
الي راسه وردوا السلام علي برووس الاصابع فبقيت واقفا فما منهم من احد
يعرض علي الجلوس وقد علاني من هيبتهم الرعدة ومددت عيني اليهم فقلت
ان المصلي هو سفيان فرميت بالكتاب اليه فلما راى الكتاب ارتعد

وتباعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وادخل يده في كمه
ولفها بعباءة واخذه فقلبه بيده ثم دحاه الى من كان خلفه وقال ياخذ بعضكم
يقرأه فاني استغفر الله ان امس شيئا مسه ظالم بيده قال عباد فمد بعضهم
يده اليه فحله كأنه خائف من فم حية تنهشه ثم فضه وقرأه واقبل سفيان يتبسم
تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال اقلبوه واكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه فقيل
له يا ابا عبد الله انه خليفة فلو كتبت اليه في قرطاس نقي فقال اكتبوا الى الظالم
في ظهر كتابه فان كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به وان كان اكتسبه من حرام
فسوف يصلى به ولا يبقى شيء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له
ما نكتب فقال اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم من العبد المذنب سفيان بن سعيد
ابن منذر الثوري الى العبد المغرور بالامال هارون الذي سلب حلاوة الايمان
اما بعد فاني قد كتبت اليك اعرفك اني قد صرمت حبلك وقطعت ودك وقليت موضعك
وانك قد جعلتني شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت عليه من بيت
مال المسلمين فانفقته في غير حقه وانفذته بغير حكمه ثم لم ترض بما فعلته
وانت ناء عني حتى كتبت تشهدني على نفسك اما اني قد شهدت عليك
انا واخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدي الشهادة عليك غدا بين
يدي الله تعالى يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم
هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في ارض الله تعالى والمجاهدون
في سبيل الله وابن السبيل ام رضي بذلك حملة القرآن واهل العلم والارامل
والايتام ام هل رضي بذلك خلق من رعيتك فشد يا هارون مئزرك واعد للمسئلة
جوابا وللبلاء جلبابا واعلم انك ستقف بين يدي الحكم العدل في نفسك اذ
سلبت حلاوة العلماء العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الاخيار
ورضيت لنفسك ان تكون ظالما وللظالمين اماما يا هارون قعدت على السرير
ولبست الحرير واسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين
ثم اقعدت اجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون
يشربون الخمور ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزاني ويسرقون
ويقطعون السارق افلا كانت هذه الاحكام عليك وعليهم قبل ان تحكم
بها على الناس فكيف بك يا هارون غدا اذا نادى المنادي من قبل الله تعالى

احشروا

الخناق

احشروا الذين ظلموا وازواجهم اين الظلمة واعوان الظلمة فقد وقفت بين يدي الله تعالى
ويداك مغلولة الى عنقك لا يفكها الا عدلك والظالمون حولك وانت لهم
سابق الى النار كاني بك يا هرون قد اخذت بضيق الخناق ووردت المساق
وانت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك على سيئاتك بلاء
على بلاء وظلمة على ظلمة فاحتفظ بوصيتي واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها
واعلم اني قد نصحتك وما ابقيت لك في النصح غاية فاتق الله يا هارون في رعيتك واحفظ
محمدا صلى الله عليه وسلم في امته واحسن الخلافة عليهم واعلم ان هذا الامر لو بقي
لغيرك لم يصل اليك وهو صائر الى غيرك وكذا الدنيا تنتقل باهلها واحدا
بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر دنياه واخرته واني احسبك
يا هارون ممن خسر دنياه واخرته فاياك واياك ان تكتب الي كتابا بعد هذا
فلا اجيبك عنه والسلام قال عباد فالقى الي الكتاب منشورا غير مطوي غير مختوم
فاخذته واقبلت الى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبي فناديت يا اهل
الكوفة فاجابوني فقلت لهم يا قوم من يشتري رجلا هرب من الله الى الله فاقبلوا
الي بالدنانير والدراهم فقلت لا حاجة لي في المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة
قطوانية قال فاتيت بذلك ونزعت ما كان علي من اللباس الذي كنت البسه مع امير
المومنين واقبلت اقود البرذون وعليه السلاح الذي كنت البسه واحمله حتى
اتيت باب امير المومنين هارون حافيا راجلا فهزا بي من كان على باب الخليفة
واستوذن لي فلما دخلت عليه وبصر بي هارون على تلك الحالة قام وقعد ثم
قام قائما وجعل يلطم راسه ووجهه ويدعو بالويل والحرب ويقول انتفع الرسول
وخاب المرسل ما لي وللدنيا وملك يزول عني سريعا ثم القيت اليه الكتاب
منشورا كما دفع الي فاقبل هارون يقراه ودموعه تنحدر من عينيه ويقرا
ويشهق فقال بعض جلسائه يا امير المومنين لقد اجترا عليك سفيان فلو وجهت
اليه فاثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره فقال اتركونا
يا عبيد الدنيا المغرور من غررتموه والشقي من اهلكتموه وان سفيان امة وحده
فاتركوا سفيان وشانه ثم لم يزل كتاب سفيان الى جنب هارون يقراه عند كل صلاة
حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله فيما يقدم عليه غدا من عمله
فانه عليه يحاسب وبه يجازى والله ولي التوفيق وعن عبد الله بن مهران قال

حج الرشيد فوافى الكوفة فاقام بها اياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج
بهلول المجنون فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يوذونه ويولعون به اذ
اقبلت هوادج هارون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هارون نادى
باعلى صوته يا امير المومنين يا امير المومنين فكشف السجاف بيده عن وجهه فقال لبيك
يا بهلول لبيك يا بهلول فقال يا امير المومنين حدثنا ايمن بن نابل عن قدامة بن عبد
الله العامري قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم منصرفا من عرفة على ناقة له صهباء لا
ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وتواضعك في سفرك هذا يا امير المومنين خير لك
من تكبرك قال فبكى هارون حتى سقطت دموعه على الارض ثم قال يا بهلول زدنا
رحمك الله قال نعم يا امير المومنين رجل اتاه الله مالا وجمالا فانفق من ماله وعف
في جماله كتب في خالص ديوان الله تعالى مع الابرار قال احسنت يا بهلول مع الجائزة
قال اردد الجائزة على من اخذتها منه فلا حاجة لي فيها قال يا بهلول فان كان عليك
دين قضيناه قال يا امير المومنين هاولاء اهل العلم بالكوفة متوافرون اجمعت
اراؤهم ان قضاء الدين بالدين لا يجوز قال بهلول فنجري عليك ما يقوتك او يقيمك
قال فرفع بهلول راسه الى السماء ثم قال يا امير المومنين انا وانت من عيال الله
فمحال ان يذكرك وينساني قال فاسبل هارون السجاف ومضى وعن ابي العباس
الهاشمي مروان بن صالح بن المامون قال دخلت على الحارث المحاسبي رحمه الله
فقلت يا ابا عبد الله حاسبت نفسك فقال هذا كان مرة قلت له فاليوم قال
اكاتم حالي اني لا اقرا اية من كتاب الله تعالى فاضن بها ان تسمعها نفسي ولو
لا ان يغلبني فيها فرح ما اعلنت بها ولقد كنت ليلة قاعدا في محرابي فاذا انا
بفتى حسن الوجه طيب الرائحة فسلم علي ثم قعد بين يدي فقلت له من انت فقال
انا واحد من السياحين اقصد المتعبدين في محاريبهم ولا ارى لك اجتهادا
فاي شي عملك قال قلت له كتمان المصائب واستجلاب الفوائد قال فصاح وقال
ما علمت ان احدا بين جنبي المشرق والمغرب هذه صفته قال الحارث فاردت ان
ازيد عليه فقلت له اما علمت ان اهل القلوب يخفون احوالهم ويكتمون
اهل
اسرارهم ويسالون الله كتمان ذلك عليهم فمن اين تعرفهم قال فصاح صيحة غشي
عليه فمكث عندي يومين لا يعقل ثم افاق وقد احدث في ثيابه فعلمت ازالة عقله
فاخرجت له ثوبا جديدا فقلت له هذا كفني قد اثرتك به فاغتسل واعد صلاتك فقال
هاتا

بعادات الما فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له اني نريد فقال قم
فلم يزل يمشي حتى دخل على المامون فسلم عليه وقال له يا ظالم يا ظالم انا اقل
لك يا ظالم استغفر الله من تقصيري فيك اما تتقي الله تعالى فيما قد ملكك وتكلم بكلام
كثير ثم اقبل يريد الخروج وانا جالس بالباب فاقبل اليه المامون وقال من انت قال
انا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلي فلم اجد لنفسي حظا فتعلقت
بموعظتك لعلي الحقهم قال فامر بضرب عنقه واخرج وانا قاعد على الباب ملفوفا
في ذلك الثوب ومناد ينادي من ولي هذا فليأخذه قال الحارث فاختبيت
عنه فاخذه اقوام قد غسلوه ولست معهم لا اعلمهم بحاله فاقمت في مسجد بالمقابر
محزونا على الفتى فغلبتني عيناي فاذا هو بين يدي وصفا يقول يا حارث منهن
وهو يقول يا حارث اخلت والله الكاتمين الذين يخفون احوالهم ويطيعون
ربهم قلت وما فعلوا قال الساعة يلقونك فنظرت الى جماعة ركبان فقلت
من انتم قالوا احركل هذا كلام له فلم يكن في قلبه مما وصفت شي يخرج للامر
والنهي ان الله تعالى انزله معنا وغضبنا لغضبه وعن احمد بن ابراهيم المغربي
قال كان ابو ابو الحسين النوري رجل قليل الفضول لا يسال عما لا يعنيه
ولا يفتش عما لا يحتاج اليه وكان اذا راى منكرا غيره ولو كان فيه تلفه فنزل ذات
يوم الى مسرعة تعرف بمسرعة الفحامين يتطهر للصلاة اذا راى زورقا فيه
ثلاثون دنا مكتوب عليها بالقار لطف فقراه وانكره لانه لم يعرف في التجارات ولا
في البيوع يعبر عنه بلطف فقال للملاح اي شي في هذا الدنان قال وايش عليك
امض في شغلك فلما سمع النوري من الملاح هذا القول ازداد تعطشا الى معرفته
فقال له احب ان تخبرني ايش في هذه الدنان قال وايش عليك انت والله صوفي فضولي
هذا خمر للمعتضد يريد ان يتمم به مجلسه فقال النوري وهذا خمر قال نعم قال
احب ان تعطيني ذلك المردي فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه اعطه المردي
حتى انظر ما يصنع فلما صار المردي في يده صعد الى الزورق ولم يزل يكسرها
حتى اتى على اخرها الا دنا واحدا والملاح يستغيث حتى ركب صاحب الجسر وهو
يومئذ بشر افلح فقبض على النوري واشخصه حضرة المعتضد وكان المعتضد
سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس انه سيقتله قال ابو الحسين فادخلت عليه وهو جالس
على كرسي حديد وبيده عمود يقلبه فلما راني قال من انت قلت محتسب قال من ولاك الحسبة

قلت الذي ولاك الامامة ولاني الحسبة يا امير المومنين قال فاطرق الى الارض ساعة
ثم رفع راسه الي وقال ما الذي حملك على ما صنعت فقلت شفقة مني عليك اذ بسطت
يدي الى صرف مكروه عنك فقصرت عنه قال فاطرق مفكرا في كلامي وقال كيف تخلص
هذا الدن الواحد من جملة الدنان فقلت في تخليصه علة اخبر بها امير المومنين ان اذن
فقال هات خبرني فقلت يا امير المومنين اني اقدمت على الدنان بمطالبة الحق
سبحانه لي بذلك وغمر قلبي شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق
عني فاقدمت عليها بهذه الحال الى ان صرت الى هذا الدن فخرجت نفسي كبرا على اني
اقدمت على مثلك فمنعت ولو اقدمت عليه بالحال الاول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها
ولم ابال فقال المعتضد اذهب فقد اطلقنا يدك غير ما احببت ان تغيره من المنكر
قال ابو الحسين فقلت يا امير المومنين بغض الى التغيير لاني كنت اغير عن الله وانا
الان اغير شرطي فقال المعتضد ما حاجتك فقلت يا امير المومنين تامر باخراجي سالما
فامر له بذلك وخرج الى البصرة فكان اكثر ايامه بها خوفا من ان يسأله احد حاجة يسالها
المعتضد فاقام بالبصرة الى ان توفي المعتضد ثم رجع الى بغداد فهذه كانت سيرة العلما
وعادتهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين
لكنهم اتكلوا على فضل الله تعالى ان يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى ان يرزقهم الشهادة
فلما اخلصوا لله النية اثر كلامهم في القلوب القاسية فلينها وازال قساوتها واما
الان فقد قيدت الاطماع السن العلما فسكتوا وان تكلموا لم تساعد اقوالهم احوالهم
فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لافلحوا ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد
الملوك بفساد العلما وفساد العلما باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا
لم يقدر على الحسبة على الاراذل فكيف على الملوك والاكابر والله المستعان على كل حال
اخر كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتلوه كتاب اداب المعيشة واخلاق
النبوة وهو الكتاب العاشر من ربع العادات ولله الحمد والمنة وصلواته على محمد نبيه

كتاب اداب المعيشة واخلاق النبوة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق
كل شي فاحسن خلقه وترتيبه وادب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فاحسن تاديبه
وزكى اوصافه واخلاقه ثم اتخذه صفيه وحبيبه ووفق للاقتدا به من اراد تهذيبه
وحرم عن التخلق باخلاقه من اراد تخييبه **اما بعد** فان اداب الظواهر عنوان
اداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والاعمال نتيجة الاخلاق والاداب رشح المعارف
وسرائر القلوب هي مغارس الافعال ومنابعها وانوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر
فتزينها وتجليها وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها ومن لم يخشع قلبه لم تخشع

جوارحه

فوائحه ومن لم يكن صدره مشكاة الانوار الالهية لم يفض على ظاهره جمال الاداب النبوية
ولقد كنت اردت ان ربع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع الاداب المعيشة لئلا
يشق على طالبها استخراجها من جميع هذه الكتب ثم رأيت كل كتاب من ربع العبادات
وربع العادات قد اتى على جملة من الاداب فاستثقلت تكريرها واعادتها فان طلب الاعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة المعادات صح فرأيت ان اقتصر في هذا الكتاب على ذكر اداب رسول الله صلى الله عليه
وسلم واخلاقه المأثورة بالاسناد فاسردها مجموعة فصلا فصلا محذوفة الاسناد
ليجمع فيه مع جميع الاداب تجديد الايمان وتاكيده بمشاهدة اخلاقه الكريمة التي شهد احادها
على القطع بانه اكرم خلق الله تعالى واعلاهم رتبة واجلهم قدرا فكيف مجموعها ثم اضيف الى ذكر
اخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الاخبار ليكون ذلك معربا عن مكارم الاخلاق
والشيم ومنتزعا عن اذان الجاحدين لنبوته صمام الصمم والله تعالى ولي التوفيق للاقتداء بسيد
المرسلين في الاخلاق والاحوال وساير معالم الدين فانه دليل المتحيرين ومجيب دعوة المضطرين
ولنذكر فيه اولا بيان تاديب الله تعالى اياه بالقران ثم بيان جوامع من محاسن اخلاقه
ثم بيان جملة من ادابه واخلاقه ثم بيان اخلاقه واداب في اللباس ثم بيان عفوه مع القدرة
ثم بيان اغضائه عما كان يكره ثم بيان سخاوته وجوده ثم بيان شجاعته وباسه ثم بيان
تواضعه ثم بيان صورته وخلقته ثم بيان جوامع معجزاته واياته صلى الله عليه وسلم

بيان تاديب الله تعالى حبيبه وصفيه صلى الله عليه وسلم بالقران

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كثير التضرع والابتهال دائم السؤال من الله عز وجل ان يزينه بمحاسن الاداب
ومكارم الاخلاق وكان يقول في دعائه اللهم حسن خلقي وخلقي وكان يقول اللهم جنبني
منكرات الاخلاق فاستجاب الله تعالى دعاه وفاء بقوله ادعوني استجب لكم فانزل عليه
القران وادبه به فكان خلقه القران قال سعد بن هشام دخلت على عائشة فسألتها
عن اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اما تقرأ القران قلت بلى قالت كان خلق رسول
الله صلى الله عليه وسلم القران وانما ادبه بالقران بمثل قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين وقوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغي وقوله واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وقوله ولمن صبر
وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وبقوله فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وبقوله
فليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم وبقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وبقوله
اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا
ولما كسرت رباعيته يوم احد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول كيف

يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله تعالى
ليس لك من الامر شيء تاديبا له على ذلك وامثال هذه التاديبات في القران لا
تنحصر وهو المقصود الاول بالتاديب والتهذيب ثم منه يشرق النور على كافة
الخلق فانه ادب بالقران وادب الخلق به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم بعثت
لاتمم مكارم الاخلاق ثم رغب الخلق في حسن الخلق بما اوردناه في كتاب رياضة
النفس وتهذيب الاخلاق فلا نعيده ثم لما اكمل الله تعالى خلقه اثنى عليه فقال
وانك لعلى خلق عظيم فسبحانه ما اعظم شانه واتم امتنانه انظر الى عميم فضله
كيف اعطى ثم اثنى فهو الذي زينه بالخلق الكريم ثم اضافه اليه فقال وانك لعلى
خلق عظيم ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للخلق ان الله يحب مكارم الاخلاق
ويبغض سفسافها قال علي رضي الله عنه يا عجبا لرجل مسلم يجيئه اخوه في حاجة
فلا يرى نفسه للخير اهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لكان له ان يسارع
الى مكارم الاخلاق فانها مما تدل على سبيل النجاة فقال رجل اسمعته من رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وما هو خير منه لما اتي بسبايا طي وقعت جارية في السبي
فقالت يا محمد ان رايت ان تخلي عني ولا تشمت بي احياء العرب فاني بنت
سيد قومي وان ابي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويطعم الطعام
ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط انا ابنة حاتم الطائي فقال النبي صلى
الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان ابوك مسلما لترحمنا
عليه خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق فقام ابو بردة
ابن نيار فقال يا رسول الله الله يحب مكارم الاخلاق فقال والذي نفسي
بيده لا يدخل الجنة الا حسن الاخلاق وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله حف الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ومن ذلك
حسن المعاشرة وكرم الصنيعة ولين الجانب وبذل المعروف واطعام الطعام
وافشاء السلام وعيادة المريض برا كان او فاجرا وتشييع جنازة المسلم
وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان او كافرا وتوقير ذي الشيبة المسلم واجابة
الطعام والدعاء عليه والعفو والاصلاح والجود والكرم والسماحة والابتداء
بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس واجتنب الاسلام اللهو والباطل
والغناء والمعازف كلها وكل ذي وتر وكل ذي دخل والغيبة والكذب

[المسلم صح]

والبخل

والبخل والشح والجفا والمكر والفخر والاختيال والاستطالة والمدح والفحش
والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغي والعدوان والظلم قال انس
فلم يدع نصيحة جميلة الا وقد دعانا اليها وامرنا بها ولم يدع غشا او قال
عيبا او شينا الا حذرناه ونهانا عنه ويكفي من ذلك كله هذه الاية ان الله
يامر بالعدل والاحسان الاية وقال معاذ اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا معاذ اوصيك باتقا الله وصدق الحديث والوفا بالعهد واداء الامانة
وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن
العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه في القران وحب الاخرة والجزع
من الحساب وخفض الجناح وانهاك ان تسب حكيما او تكذب صادقا او تطيع
اثما او تعصي اماما عادلا او تفسد ارضا واوصيك باتقا الله عند كل حجر
وشجر ومدر وان تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية فهكذا
ادب عباد الله ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاداب

بيان جملة

من محاسن اخلاقه التي جمعها بعض العلما والتقطها من الاخبار فقال كان النبي
صلى الله عليه وسلم احلم الناس واشجع الناس واعدل الناس واعف الناس
لم تمس يده قط يد امراة لا يملك رقها او عصمة نكاحها او تكون ذات محرم منه
واسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم فان فضل ولم يجد من يعطيه
وفجاه الليل لم ياو الى منزله حتى يتبرا منه الى من يحتاج لا ياخذ مما اتاه الله الا
قوت عامه فقط من ايسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في
سبيل الله لا يسال شيا الا اعطاه ثم يعود على قوت عامه فيوثر منه حتى ربما
احتاج قبل انقضا العام ان لم ياته شي وكان يخصف النعل ويرقع الثوب
ويخدم في مهنة اهله ويقطع اللحم وكان اشد الناس حيا لا يثبت بصره في
وجه احد ويجيب دعوة العبد والحر ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن او
فخذ ارنب ويكافي عليها وياكلها ولا ياكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة الامة
والمسكين يغضب لربه تعالى ولا يغضب لنفسه وينفذ الحق وان عاد ذلك
بالضرر عليه وعلى اصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين
وهو في قلة وحاجة الى انسان واحد يزيد في عدد من معه فابى وقال انا
لا استنصر بمشرك ووجد من فضلا اصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف

عليهم ولا زاد على الحول وداه بما بين ناقة واذا باصحابه حاجة الى بعير واحد
يتعقبون به وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع ويبيت ويأكل ما حضر
ولا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال وان وجد تمرا دون خبز اكله وان
وجد شوا اكله وان وجد خبز برا وشعيرا اكله وان وجد حلوا او عسلا اكله وان
وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا او رطبا اكله لا ياكل متكيا ولا على
خوان منديله باطن قدميه لم يشبع من خبز بر ثلاثة ايام متوالية حتى لقي
الله تعالى ايثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا ولا يجيب الوليمة ويعود المرضى ويشهد
الجنائز ويمشي وحده بين اعدائه بلا حارس اشد الناس تواضعا واسكنهم
من غير كبر وابلغهم في غير تطويل واحسنهم بشرا لا يهوله شي من امور الدنيا
ويلبس ما وجد فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانيا ومرة جبة صوف ما وجد
من المباح لبس وخاتمه فضة يلبسه في خنصره الايمن وربما في الايسر
يردف خلفه عبده او غيره يركب ما امكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة
شهباء ومرة حمارا ومرة راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود
المرضى في اقصى المدينة ويحب الطيب ويكره الرائحة الردية ويجالس الفقراء ويواكل المساكين
ويكرم اهل الفضل في اخلاقهم ويتالف اهل الشرف بالبر لهم يصل ذوي رحمه
من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم لا يجفوا على احد يقبل معذرة المعتذر
اليه يمزح ولا يقول الا حقا يضحك من غير قهقهة يرى اللعب المباح فلا ينكره
يسابق اهله ترفع الاصوات عليه فيصبر كان له لقاح وغنم يتقوت هو
واهله من البانها وله عبيد واما لا يرتفع عليهم في ماكل ولا ملبس لا يمضي
له وقت في غير عمل لله تعالى او فيما لا بد منه من صلاح نفسه يخرج الى بساتين
اصحابه لا يحتقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا
وهذا الى الله دعا مستويا قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة
التامة وهو امي لا يقرا ولا يكتب نشا في بلاد الصحر والصحاري في فقره
وفي رعاية الغنم يتيما لا اب له ولا ام فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق
والطرق الحميدة واخبار الاولين والاخرين وما فيه النجاة والفوز في الاخرة
والغبطة والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول وفقنا الله في
طاعته لامره والتاسي به في فعله امين رب العالمين صلى الله عليه وسلم
سال

من هنا ٢

ح الجهل

بيان جملة اخرى من ادابه واخلاقه مما رواه ابو البختري قال ما شتم
رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا من المومنين بشتيمة الا جعل لها كفارة
ورحمة وما لعن امراة قط ولا خادما بلعنة وقيل له وهو في القتال لو لعنتهم
يا رسول الله قال انما بعثت رحمة ولم ابعث لعانا وكان اذا سيل ان
يدعو على احد مسلم او كافر عام او خاص عدل عن الدعا عليه الى الدعا له وما
ضرب بيده احدا قط الا ان يضرب بها في سبيل الله وما انتقم من شي صنع اليه
قط الا ان تنتهك حرمة الله وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما الا ان
يكون فيه اثم او قطيعة رحم فيكون ابعد الناس من ذلك وما كان ياتيه احد
حرا وعبدا او امة الا قام معه في حاجته قال انس والذي بعثه بالحق ما
قال لي في شي كرهه لم فعلته ولا لامني احد من اهله الا قال دعوه
انما كان هذا بكتاب وقدر قالوا وما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مضجعا
ان فرشوا له اضطجع وان لم يفرش له اضطجع على الارض وقد وصفه الله في التوراة
قبل ان يبعثه في السطر الاول فقال محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا
غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح
مولده بمكة وهجرته بطابه وملكه بالشام ياتزر على وسطه هو ومن معه
دعاة للقران والعلم يتوضا على اطرافه وكذلك نعته في الانجيل وكان من خلقه
ان يبدا من لقيه بالسلام ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف
وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الاخر وكان اذا لقي احدا من اصحابه
بداه بالمصافحة ثم اخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته وكان لا يقوم ولا
يجلس الا على ذكر الله وكان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته
واقبل عليه وقال الك حاجة فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلاته وكان
اكثر جلوسه ان ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة ولم
يكن يعرف مجلسه من مجلس اصحابه لانه حيث انتهى به المجلس جلس وكان لا
يرى قط مادا رجليه بين اصحابه حتى لا يضيق بها على احد الا ان يكون المكان
واسعا لا ضيق فيه وكان اكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يكرم من يدخل
عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليس بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه
عليه وكان يوثر الداخل بالوسادة التي تحته فان ابى ان يقبلها عزم عليه

حتى يفعل وما استصفاه احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حتى يعطي كل من جلس
اليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطف محاسنه وتوجهه
للجالس اليه ومجلسه مع ذلك مجلس حيا وتواضع وامانة قال الله تعالى فبما
رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولقد
كان يدعو اصحابه بكناهم اكراما لهم واستمالة لقلوبهم ويكني من لم يكن
له كنية فكان يدعى بما كناه به ويكني ايضا النسا اللاتي لهن الاولاد
واللاتي لم يلدن يبتدي لهن الكنى ويكني الصبيان فيستلين به قلوبهم وكان
ابعد الناس غضبا واسرعهم رضا وكان اراف الناس بالناس وخير
الناس للناس وانفع الناس للناس ولم يكن ترفع في مجلسه الاصوات وكان
اذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك
واتوب اليك ثم يقول علمنيهن جبريل عليه الصلاة والسلام

علمنيهن

بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم

كان عليه الصلاة والسلام افصح الناس منطقا
واحلاهم كلاما ويقول انا افصح العرب وان اهل الجنة يتكلمون فيها
بلغة محمد صلى الله عليه وسلم وكان نزر الكلام سمح المقالة اذا نطق ليس
بمهذار وكان كلامه كخرزات النظم قالت عايشة رضي الله عنها كان لا يسرد
سردكم هذا كان كلامه نزرا وانتم تنثرون الكلام نثرا قالوا
وكان اوجز الناس كلاما وبذلك جاه جبريل وكان مع الايجاز يجمع كل ما
اراد وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كانه يتبع بعضه بعضا
بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه وكان جهير الصوت احسن الناس
نغمة وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ولا يقول المنكر ولا يقول في
الرضى والغضب الا الحق ويعرض عمن تكلم بغير جميل ويكني عما اضطره
الكلام اليه مما يكره وكان اذا سكت تكلم جلساوه ولا يتنازع عنده في
الحديث ويعظ بالجد والنصيحة ويقول لا تضربوا القران بعضه ببعض
فانه انزل على وجوه وكان اكثر الناس ضحكا في وجوه اصحابه وتعجبا مما حدثوا
به وخلطا لنفسه بهم ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه وكان ضحك اصحابه
عنده التبسم اقتدا به وتوقيرا له ولقد جاه اعرابي يوما وهو عليه الصلاة
والسلام متغير ينكره اصحابه فاراد ان يساله فقالوا لا تفعل يا اعرابي
فانا ننكر

وكان صلى الله عليه وسلم

فانا ننكر لونه فقال دعوني فوالذي بعثه بالحق نبيا لا ادعه حتى
تسم فقال يارسول الله بلغنا ان المسيح يعني الدجال ياتي بالثريد
وقد هلكوا جوعا فترى لي بابي انت وامي ان اكف عن ثريده تعففا
وتنزها حتى اهلك هزلا ام اضرب في ثريده حتى اذا تضلعت شبعا
امنت بالله وكفرت به قالوا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى بدت نواجذه ثم قال لا بل يغنيك الله بما يغني به المومنين قالوا
وكان من اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه القران
ويذكر الساعة او يخطب خطبة عظة وكان اذا سر و رضي فهو احسن الناس
رضا وان وعظ وعظ بجد وان غضب وليس يغضب الا لله لم
يقم لغضبه شي وكذلك كان في اموره كلها وكان اذا انزل به الامر
فوض الامر وتبرا من الحول والقوه واستنزل الهدى فيقول
اللهم ارني الحق حقا فاتبعه وارني المنكر منكرا وارزقني اجتنابه
واعذني من ان يشتبه علي فاتبع هواي بغير هدى منك واجعل
هواي تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني
لما اختلف فيه من الحق باذنك انك لتهدي الى صراط مستقيم

بيان اخلاقه وادابه في الطعام — كان صلى الله عليه وسلم
ياكل ما يجد وكان احب الطعام اليه ما كان على ضفف
والضفف ما كثرت عليه الايدي وكان اذا وضعت المايدة
قال بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة
وكان كثيرا اذا جلس ياكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما
يجلس المصلي الا ان الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق
القدم ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس
العبد وكان لا ياكل الحار ويقول انه غير ذي بركة وان الله
لم يطعمنا نارا فابردوه وكان ياكل مما يليه وياكل باصابعه
الثلاث وربما استعان بالرابعة ولم يكن ياكل باصبعين ويقول
ان ذلك اكلة الشيطان وجاءه عثمان بن عفان بفالوذج فاكل
منه وقال ما هذا يا ابا عبد الله فقال بابي انت وامي نجعل السمن

والعسل في البرمة ونضعها على النار ثم نغليه ثم ناخذ مخ الحنطة اذا
طحنت فنلقيه على السمن والعسل ثم نسوطه حتى ينضج فياتي كما ترى
فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا طعام طيب وكان ياكل الشعير
غير منخول خبزا وكان ياكل القثا بالرطب وبالملح وكان احب الفواكه
الرطبة اليه البطيخ والعنب وكان ياكل البطيخ بالخبز وبالسكر وربما
اكل بالرطب ويستعين باليدين جميعا واكل يوما رطبا كان في يمينه وكان
يحفظ النوى في يساره فمرت به شاة فاشار اليها بالنوى فجعلت تاكل في كفه اليسرى
وياكل هو في يمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة وكان ربما اكل العنب خرطا يرى زواله
على لحيته كحدر اللولو وهو الما الذي يتقطر منه وكان اكثر طعامه الما والتمر
وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما بالاطيبين وكان احب الطعام اليه اللحم ويقول
هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والاخرة ولو سالت ربي ان
يطعمنيه كل يوم لفعل وكان ياكل الثريد باللحم وكان يحب القرع ويقول انها شجرة
اخي يونس قالت عايشة رضي الله عنها اذا طبختم قدرا فاكثروا فيها من الدبا
فانه يشد قلب الحزين وكان ياكل لحم الطير الذي يصطاد وكان لا يتبعه ولا يصيده
ويحب ان يصطاد له ويوتى به فياكله وكان اذا اكل اللحم لم يطاطا راسه اليه ويرفعه
الى فيه رفعا ثم ينهسه نهسا وكان ياكل الخبز والسمن وكان يحب من الشاة الذراع
والكتف ومن القدر الدبا ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة ودعا في العجوة بالبركة
وقال هي من الجنة وشفا من السم والسحر وكان يحب من البقول الهندبا والباذروج والبقلة
الحمقا التي يقال لها الرجلة وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول وكان لا ياكل من
الشاة سبعا الذكر والانثيين والمثانة والمرارة والغدد والحيا اي الفرج والدم ويكره
ذلك وكان لا ياكل الثوم ولا البصل ولا الكراث وما ذم طعاما قط لكن ان اعجبه اكله وان كرهه
تركه وان عافه لم يبغضه الى غيره وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما وكان يلعق
الصحفة ويقول اخر الطعام اكثر بركة وكان يلعق اصابعه من الطعام حتى تحمر وكان لا يمسح
يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه واحدة واحدة ويقول انه لا يدري في اي الاصابع البركة
واذا فرغ قال اللهم لك الحمد اطعمت واشبعت وسقيت فارويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع
ولا مستغنى عنه وكان اذا اكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الما
على وجهه وكان يشرب في ثلث دفعات له فيها ثلث تسميات وفي اواخرها ثلث تحميدات
وكان يمص الما مصا ولا يعبه عبا وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ وكان لا يتنفس
في الانا بل ينحرف عنه وكان يدفع فضل سوره الى من على يمينه فان كان من

ان

احبت

احسبت اثوتهم واتي باناء فيه عسل ولبن فابى ان يشربه وقال شربتان في شربة
وادامان في اناء واحد ثم قال صلى الله عليه وسلم لا احرمه ولكني اكره الفخر والحساب
بفضول الدنيا غدا واحب التواضع فان من تواضع لله رفعه الله وكان في بيته اشد
حياء من العاتق لا يسالهم طعاما ولا يتشهاه عليهم ان اطعموه اكل وما اطعموه
قبل وما سقوه شرب وكان ربما قام فاخذ ما ياكل بنفسه او يشرب **بيان**
آدابه واخلاقه في اللباس كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد
من ازار او رداء او قميص او جبة او غير ذلك وكان يعجبه الثياب الخضر وكان اكثر لباسه البياض
وكان يقول البسوها احياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان يلبس القباء المحشو للحرب
وغير المحشو وكان له قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه وكان
ثيابه مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك الى نصف الساق وكان
قميصه مشدود الازرار وربما حل الازرار في الصلاة وغيرها وكانت له
ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها وربما لبس الكساء
وحده ما عليه غيره وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول انما انا عبد البس كما
يلبس العبد وكان له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة وربما لبس
الازار الواحد ليس عليه غيره يعقد طرفيه بين كتفيه وربما ام به الناس
على الجنائز وربما صلى في بيته في الازار الواحد ليس عليه غيره يعقد طرفيه بين
كتفيه وربما ام به الناس وربما صلى به على الجنائز وربما صلى في بيته في الازار الواحد
ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الازار الذي جامع فيه يومئذ وربما صلى
في الليل بالازار ويرتدي ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي البقية على بعض نسائه
فيصلي كذلك ولقد كان له كساء اسود فوهبه فقالت له ام سلمة بابي انت
وامي ما فعل ذلك الكساء الاسود فقال كسوته فقالت ما رايت شيئا قط كان
احسن من بياضك على سواده قال انس وربما رايته يصلي بنا الظهر في شملة
عاقدا بين طرفيها وكان يتختم وربما خرج وفي خاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشيء وكان
يختم به على الكتب ويقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة وكان يلبس القلانس تحت
العمائم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوته من راسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي
اليها وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على راسه وعلى جبهته وكانت له عمامة
تسمى السحاب فوهبها من علي وربما طلع علي فيها فيقول صلى الله عليه وسلم اتاكم علي في

في الثياب وكان اذا لبس ثوبا يلبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذي كساني ما اواري
به عورتي واتجمل به في الناس واذا نزع ثوبه خرج به من مياسره وكان له ثوب للجمعة
خاصة سوى ثيابه لغير الجمعة وكان اذا لبس جديدا اعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول
ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه الا لله الا كان في ضمان الله وحرزه
ما واراه حيا وميتا وكان له فراش من ادم حشوه ليف طوله ذراعان او نحوه وعرضه
ذراع وشبر او نحوه وكان له عباءة تفرش له حيث ما ينتقل بين طاقتين تحته فقد كان
ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره من خلقه تسميته دوابه وسلاحه ومتاعه وكان
اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد به الحروب ذو الفقار وكان له سيف
يقال له ذو المخذم واخر يقال له الرسوب واخر يقال له القضيب وكان قبيعة سيفه محلى
بالفضة وكان يلبس المنطقة من الادم فيها ثلاث حلق من فضة وكان اسم قوسه الكتوم
وجعبته الكافور وكان اسم ناقته القصوى وهي التي يقال لها العضباء واسم بغلته الدلدل
وكان اسم حماره يعفور واسم شاته التي يشرب لبنها غيثة وكان له مطهرة من فخار يتوضأ
فيها ويشرب فيرسل الناس اولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلا يدفعون عنه فاذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على
وجوههم واجسادهم يبتغون بذلك البركة بيان عفوه صلى الله عليه وسلم مع القدرة
كان صلى الله عليه وسلم احلم الناس وارغبهم في العفو مع القدرة حتى اتي بقلائد من ذهب
وفضة فقسمها بين اصحابه فقام رجل من اهل البادية فقال يا محمد لئن امرك الله ان تعدل
فما اراك تعدل فقال ويحك من يعدل عليك بعدي فلما ولى قال ردوه علي رويدا وروى
جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يقبض للناس يوم حنين من فضة في ثوب بلال فقال
له رجل يا رسول الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك من يعدل اذا لم اعدل
فقد خبت اذا وخسرت ان كنت لا اعدل فقام عمر الا اضرب عنقه فانه منافق فقال معاذ
الله ان يتحدث الناس اني اقتل اصحابي وكان صلى الله عليه وسلم في حرب فراوا في المسلمين
غرة فجاء رجل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال من يمنعك مني
فقال الله[1] خذه فقال له كن خير اخذ قال اتشهد ان لا اله الا الله فقال لا غير اني لا اقاتلك ولا اكون معك
ولا اكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فجاء اصحابه فقال جئتكم من عند خير الناس وروى
انس ان يهودية اتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة لياكل منها فجيء بها
الى النبي صلى الله عليه وسلم فسالها عن ذلك فقالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك
على ذلك

[1] (margin) فقال الله ثلاثا وسقط السيف من يده فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ السيف فقال من يمنعك مني

علي ذلك قالوا افلا نقتلها قال لا ثم سحر رجل من اليهود فاخبره جبريل فاستخرجه حتى
حل العقد ووجد لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودي ولا اظهره عليه قط وقال علي رضي الله
عنه بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تاتوا روضة
خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى اتينا روضة خاخ فقلنا اخرجي
الكتاب او لننزعن الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه
من حاطب بن ابي بلتعة فقال يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرا ملصقا
في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهليهم فاحببت اذ فاتني ذلك
من النسب منهم ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم افعل ذلك كفرا ولا رضى بالكفر بعد
الاسلام ولا ارتدادا عن ديني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقكم فقال عمر رضي الله
عنه دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا وما يدريك لعل
الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قسمة فقال رجل من الانصار ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي صلى
الله عليه وسلم فاحمر وجهه وقال رحم الله اخي موسى فقد اوذي باكثر من هذا فصبر وكان صلى الله
عليه وسلم يقول لا يبلغني احد منكم عن اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر احمد من حم

بيان اغضائه صلى الله عليه وسلم عما كان يكرهه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه وكان اذا
اشتد وجده اكثر مس لحيته وكان لا يشافه احدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه
صفرة فكرهها فلم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا ان يدع هذه
يعني الصفرة وبال اعرابي في المسجد بحضرته فهم به الاصحاب فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تزرموه اي لا تقطعوا عليه البول ثم قال ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من
القذر والبول والخلاء وفي رواية قربوا ولا تنفروا وجاء اعرابي يوما يطلب منه شيئا فاعطاه
رسول الله ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت قال فغضب المسلمون وقاموا
اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل الى الاعرابي وزاده شيئا ثم قال
احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم انك قلت ما قلت وفي نفس اصحابي شيء من ذلك فان احببت فقل بين ايديهم
ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي
جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي اكذلك

قال الأعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم
إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم
يزيدوها إلا نفورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها
وأعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها هونا هونا
حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإني لو تركتكم حيث
قال الرجل فقتلتموه فدخل النار **بيان سخاوته وجوده صلى الله عليه وسلم**
كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأسخاهم وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة
لا يمسك شيئا وكان علي رضي الله عنه إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان
أجود الناس كفا وأجرأ الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وأوفاهم
ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه
معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله وما سئل شيئا قط على
الإسلام إلا أعطاه وأتاه رجل فسأله فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى
قومه فقال أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وما سئل شيئا
قط فقال لا وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام إليها
فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منه وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي
شيء ولكن ابتع علي فإذا جاءنا شيء قضيناه فقال عمر يا رسول الله ما كلفك
الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الرجل أنفق
ولا تخش من ذي العرش إقلالا فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وعرف
السرور في وجهه ولما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه
إلى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعطوني
ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا
ولا كذابا ولا جبانا **بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم** كان صلى الله
عليه وسلم أكرم الناس وأشجعهم قال علي رضي الله عنه لقد رأيتني
يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان
من أشد الناس يومئذ بأسا وقال أيضا كنا إذا حمي البأس ولقي
العدو والقوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد
أقرب

رجلا صح

اقرب الى العدو منه وقيل كان عليه الصلاة والسلام قليل الكلام قليل
الحديث فاذا امر الناس بالقتال تشمر وكان من اشد الناس باسا وكان
الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو وقال عمران بن حصين
ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب وقالوا كان قوي
البطش ولما غشيه المشركون نزل فجعل يقول انا النبي لا كذب انا
ابن عبد المطلب فما رؤي يومئذ احد اشد منه **بيان تواضعه صلى الله
عليه وسلم** كان صلى الله عليه وسلم اشد تواضعا في علو منصبه قال ابن
عباس رضي الله عنهما رايته يرمي الجمرة على ناقة شهباء لا ضرب ولا طرد ولا
اليك اليك وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف
وكان يعود المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك ويخصف النعل
ويرقع الثوب وكان يصنع في بيته مع اهله في حاجاتهم وكان اصحابه لا يقومون
له لما عرفوا من كراهته لذلك وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم واتي صلى
الله عليه وسلم برجل فارعد من هيبته فقال هون عليك فلست بملك انما انا ابن
امراة من قريش كانت تاكل القديد وكان يجلس بين اصحابه مختلطا بهم
كانه احدهم وياتي فلا يدري ايهم هو حتى يسال عنه حتى طلبوا اليه ان
يجلس مجلسا يعرفه الغريب فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه وقالت
له عائشة رضي الله عنها كل جعلني الله فداك متكئا فانه اهون عليك قال
فاصغى راسه حتى كاد ان تصيب جبهته الارض ثم قال بل اكل كما ياكل
العبد واجلس كما يجلس العبد وكان لا ياكل على خوان ولا في سكرجة حتى
لقي الله تعالى وكان لا يدعوه احد من اصحابه ولا غيرهم الا قال لبيك وكان يجلس
مع الناس ان تكلموا في معنى الاخرة اخذ معهم وان تحدثوا في طعام او شراب
تحدث معهم وان تكلموا في الدنيا تكلم معهم رفقا بهم وتواضعا لهم وكانوا
يتناشدون الشعر بين يديه احيانا ويذكرون اشياء من امور الجاهلية
ويضحكون فيتبسم اذا ضحكوا ولا يزجرهم الا عن حرام **بيان صورته وخلقته
صلى الله عليه وسلم** كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن
بالطويل البائن ولا القصير المتردد بل كان ينسب الى الربعة اذا مشى
وحده ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد من الناس ينسب الى الطول الا طاله

الناس صح

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا
فارقاه نسبا الى الطول ونسب هو صلى الله عليه وسلم الى الربعة ويقول
صلى الله عليه وسلم جعل الخير كله في الربعة واما لونه فقد كان ازهر اللون ولم
يكن بالادم ولا الشديد البياض والازهر هو الابيض الناصع الذي لا
يشوبه صفرة وحمرة ولا شي من الالوان ونعته عمه ابو طالب فقال، وابيض
يستسقى الغمام بوجهه، ثمال اليتامى عصمة للارامل، ونعته بعضهم
بانه مشرب بحمرة فقالوا انما كان المشرب منه بالحمرة ما ظهر للشمس
والرياح كالوجه والرقبة والازهر الصافي عن الحمرة ما تحت الثياب وكان
عرقه صلى الله عليه وسلم في وجهه كاللولو واطيب من المسك الاذفر واما شعره
فقد كان رجل الشعر ليس بالسبط ولا بالجعد القطط كان منسطرا بالمشط
فالى كانه حبك الرمل وقيل كان شعره يضرب منكبيه واكثر الرواية انه
كان الى شحمة اذنيه وربما جعله غدائر اربع تخرج كل اذن من بين غديرتين
وربما جعل شعره على اذنيه فتبدو سوالفه تتلالا وكان شيبه في
الراس واللحية سبعة عشر شعرة ما زاد على ذلك كان صلى الله عليه
وسلم احسن الناس وجها وانورهم لم يصفه واصف الا شبهه بالقمر ليلة
البدر وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفا بشرته وكانوا يقولون
هو كما وصفه صاحبه ابو بكر الصديق رضي الله عنه حيث يقول شعر
امين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام، وكان صلى الله عليه وسلم
واسع الجبهة ازج الحاجبين سابغهما وكان ابلج ما بين الحاجبين كان
ما بينهما الفضة المخلصة وكانت عيناه نجلاوين ادعجهما وكان في عينيه
مزج من حمرة وكان اهدب الاشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها وكان اقنى
الانف وكان مفلج الاسنان اي متفرقها وكان اذا افتر ضاحكا افتر
عن مثل سنا البرق اذا تلالا وكان من احسن عباد الله عنقا لا ينسب
الى الطول ولا الى القصر ما ظهر للشمس من عنقه والرياح منه فكانه
ابريق فضة مشرب ذهبا يتلالا في بياض الفضة وحمرة الذهب وكان صلى
الله عليه وسلم عريض الصدر لا يعدو لحم بعضه بدنه بعضا كالمراة في
استوائها وكان كثير في ما ... موصول ما بين لبته وسرته بشعر منقاد كالقضيب
لم يكن

شثن الكفين والقدمين ... وكان سهل الخدين صلتهما ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم كث اللحية وكان يعفي لحيته ويأخذ شاربه وكان احسن

لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره وكان له عكن ثلاث يغطي الازار منها
واحدا ويظهر منها اثنان وكان عظيم المنكبين اشعرهما ضخم الكراديس
وهي رؤوس العظام مثل المنكبين والمرفقين والرسغين والوركين وكان
واسع الظهر ما بين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلي منكبه الايمن فيه شامة
سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متواليات كانها عرف
فرس وكان عبل العضدين والذراعين طويل الزندين رحب الراحتين
سايل الاطراف كان اصابعه قضبان الفضة كفه الين من الخز كان
كفه كف عطار مسها بطيب او لم يمسها يصافحه المصافح فيظل يومه
يجد ريحها ويضع على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على
راسه وكان عبل ما تحت الازار من الفخذ والساق وكان معتدل الخلق
في السمن بدن في اخر زمانه وكان لحمه متماسكا يكون على الخلق الاول لم
يضره السمن واما مشيه عليه الصلاة والسلام فكان يمشي كانما يتقلع من
صخر وينحدر من صبب يخطو تكفيا ويمشي الهوينا بغير تبختر والهوينا تقارب
الخطا وكان عليه الصلاة والسلام يقول انا اشبه الناس بادم صلى الله عليه وسلم
وكان ابي ابراهيم اشبه الناس بي خلقا وخلقا وكان يقول ان لي عند ربي
عشرة اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا العاقب قب
الذي ليس بعده احد وانا الحاشر يحشر الله العباد على قدمي وانا رسول
الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمقفي قفيت الناس جميعا وانا قثم
قال ابو البختري القثم الكامل الجامع بيان معجزاته واياته الدالة على
صدقه صلى الله عليه وسلم اعلم ان من شاهد احواله صلى الله عليه وسلم او
اصغى الى سماع اخباره المشتملة على اخلاقه وافعاله واحواله وعاداته
وسجاياه وسياسته لاصناف الخلق وهدايته الى ضبطهم وتالفه اصناف
الخلق وقوده اياهم الى طاعته مع ما يحكى من عجايب اجوبته في مضايق الاسولة
وبدايع تدبيراته في مصالح الخلق ومحاسن اشاراته في تفصيل ظاهر الشرع
الذي يعجز الفقها والعقلا عن ادراك اوايل دقايقها في طول اعمارهم لم يبق له
ريب ولا شك في ان ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا
يتصور ذلك الا باستمداد من تاييد سماوي وقوة الهية وان ذلك كله

لا يتصور لكذاب بل كانت شمائله واحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى ان العربي
القح كان يراه فيقول والله ما هذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد
شمائله فكيف من شاهد اخلاقه ومارس احواله في جميع مصادره وموارده
وانما اوردنا بعض اخلاقه ليعرف محاسن الاخلاق وليتنبه لصدقه عليه
الصلاة والسلام وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله اذ اتاه الله
جميع ذلك وهو رجل امي لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب
علم ولم يزل بين اظهر الجهال من الاعراب يتيما ضعيفا مستضعفا فمن اين
حصل له من محاسن الاخلاق والاداب ومعرفة مصالح الفقه مثلا فقط دون
غيره من العلوم فضلا عن معرفة الله وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة
لولا صريح الوحي ومن اين لقوة البشر الاستقلال بذلك فلو لم يكن له الا هذه
الامور الظاهرة لكان فيه كفاية وقد ظهر من اياته ومعجزاته ما لا يستريب
فيه محصل فلنذكر من جملتها ما استفاض من الاخبار واشتمل عليه الاخبار
الصحيحة اشارة الى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل فقد خرق الله
العادة على يده غير مرة اذ شق له البدر بمكة لما سالته قريش اية واطعم النفر
الكثير في منزل جابر وفي منزل طلحة ويوم الخندق ومرة ثمانين من اربعة امداد
شعير وعناق وهو من اولاد المعز فوق العتود ومرة اكثر من ثمانين رجلا من
اقراص شعير حملها انس في يده ومرة اهل الجيش من تمر يسير ساقته
بنت بشير في يدها فاكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم ونبع الماء من
بين اصابعه عليه الصلاة والسلام فشرب اهل العسكر كلهم وهم عطاش
وتوضئوا من قدح صغير ضاق عن ان يبسط عليه الصلاة والسلام يده فيه
واهراق عليه الصلاة والسلام وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ومرة اخرى
في بئر الحديبية فجاشتا بالماء فشرب من عين تبوك اهل الجيش وهم الوف حتى رووا وشرب
من بئر الحديبية الف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء وامر عليه الصلاة والسلام
عمر بن الخطاب ان يزود اربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه كربضة البعير
وهو موضع بروكه فزودهم كلهم منه وبقي بحسبه ورمى الجيش بقبضة من تراب
فعميت عيونهم ونزل بذلك القران في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله
رمى وابطل الله الكهانة بمبعثه صلى الله عليه وسلم فعدمت وكانت ظاهرة موجودة

وحرس الجو

وحن الجذع الذي كان يخطب اليه اذ عمل له عليه الصلاة والسلام المنبر حتى سمع منه
جميع اصحابه مثل صوت الابل فضمه اليه فسكن ودعا اليهود الى تمني الموت واخبرهم
بانهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه وهذا مذكور في سورة
يقرأ بها في جميع جوامع اهل الاسلام من شرقها الى غربها يوم الجمعة
جهرا تعظيما للآية التي فيها اخبر عليه الصلاة والسلام بالغيوب في انذر بان عثمان
تصيبه بلوى بعدها الجنة وان عمار تقتله الفئة الباغية وان الحسن يصلح به الله
بين فئتين من المسلمين عظيمتين واخبر عليه الصلاة والسلام عن رجل قاتل في
سبيل الله انه من اهل النار فظهر ذلك بان ذلك الرجل قتل نفسه وهذه كلها
اشياء الهية لا تعرف بشيء من وجوه تقدمة المعرفة لا بنجوم ولا بكسب ولا
خط ولا بزجر لكن باعلام الله تعالى له ووحيه اليه واتبعه سراقة بن جعشم
فساخت قوائم فرسه في الارض واتبعه دخان حتى استغاثه ودعا له فانطلق
الفرس وانذره بان سيوضع في ذراعيه سوارا كسرى فكان كذلك واخبر
بمقتل الاسود العنسي الكذاب ليلة قتل وهو بصنعاء اليمن واخبر بمن قتله
وخرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم فلم يروه وشكا
اليه البعير بحضرة اصحابه وتذلل له وقال لنفر من اصحابه مجتمعين احدكم في
النار ضرسه مثل احد فماتوا كلهم على استقامة وارتد منهم واحد فقتل
مرتدا وقال لآخرين منهم آخركم موتا في النار فاحترق فيها فمات ودعا شجرتين
فاتتاه واجتمعتا ثم امرهما فافترقتا وكان عليه الصلاة والسلام نحو الربعة
اذا مشى مع الطوال طالهم ودعا عليه الصلاة والسلام النصارى
الى المباهلة فامتنعوا فعرفهم عليه الصلاة والسلام انهم ان فعلوا اهلكوا
فعلموا صحة قوله فامتنعوا واتاه عامر بن الطفيل بن مالك واربد بن قيس وهما
فارسا العرب وفاتكاهم فهلك عامر بغتة وهلك اربد بصاعقة احرقته
واخبر عليه الصلاة والسلام انه يقتل ابي بن خلف الجمحي فخدشه يوم احد خدشا
لطيفا فكانت منيته منه واطعم النبي صلى الله عليه وسلم السم فمات الذي اكله
معه وعاش هو صلى الله عليه وسلم بعده باربع سنين وكلمه الذراع المسموم واخبر
عليه الصلاة والسلام يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على
مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع وانذر عليه الصلاة

جعشم

[illegible]

بان طوايف من امته يغزون في البحر فكان كذلك وزويت له الارض فاري
مشارقها ومغاربها وانذر بلوغ امته ما زوي له منها وكان كذلك
فبلغ ملكهم من اول المشرق ومن بلاد الترك الى اخر المغرب ومن بحر الاندلس
وبلاد البربر ولم ينتشروا في الجنوب ولا في الشمال كما اخبر عليه الصلاة والسلام
سوا فيسا واخبر فاطمة ابنته عليها الصلاة والسلام بانها اول اهله لحاقا
به فكان كذلك واخبر نساءه بان اطولهن يدا اسرعهن لحوقا به فكانت
زينب بنت جحش لانها كانت اطولهن يدا بالصدقة
واولهن لحوقا به ومسح ضرع شاة حايل لا لبن لها فدرت فكان ذلك سبب
اسلام ابن مسعود وفعل ذلك مرة اخرى في خيمة ام معبد الخزاعية
ونذرت عين بعض الصحابة فسقطت فردها عليه الصلاة والسلام
بيده فكانت اصح عينيه واحسنهما وتفل في عين علي رضي الله عنه وهو
ارمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية وكانوا يسمعون تسبيح
الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم واصيبت رجل بعض اصحابه صلى الله
عليه وسلم فمسحها بيده فبريت من حينها وقل زاد جيش كان معه عليه
الصلاة والسلام فدعا بجميع ما بقي فاجتمع شي يسير جدا فدعا فيه بالبركة ثم
امرهم فاخذوا فلم يبق وعا في العسكر الا ملي كله من ذلك وحكى الحكم
ابن العاص مشيه عليه الصلاة والسلام مستهزيا فقال عليه الصلاة
والسلام كذلك فكن فلم يزل يرتعش حتى مات وخطب عليه الصلاة والسلام
امراة فقال ابوها ان بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص
فقال عليه الصلاة والسلام فلتكن كذلك فبرصت وهي ام شبيب بن
البرصا الشاعر الى غير ذلك من اياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم وانما اقتصرنا
على المستفيض ومن يستريب في انخراق العادة على يديه ويزعم ان احاد هذه
الوقايع لم تنقل تواترا بل المتواتر هو القران فقط كمن يستريب في شجاعة علي
وسخاوة حاتم ومعلوم ان احاد وقايعهم غير متواتر ولكن مجموع الوقايع تورث علما
ضروريا لا يتمارى في تواتر القران وهي المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لنبي
معجزة باقية سواه صلى الله عليه وسلم اذ تحدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغا
الخلق وفصحا العرب وجزيرة العرب حينئذ مملوة بالالاف منهم والفصاحة صنعتهم
وبها

معجز

وبلغا منافسيهم ومباهاتهم فكان ينادي بين اظهرهم ان ياتوا بمثله او بعشر سور
مثله او بسورة من مثله وقال لهم لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا قال ذلك تعجيزا لهم فعجزوا عن
ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا انفسهم للقتل ونساهم وذراريهم للسبي وما
استطاعوا ان يعارضوا ولا ان يقدحوا في جزالته وحسنه ثم انتشر ذلك بعده
في اقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر وقد انقرض اليوم قريب
من خمسمايه سنة فلم يقدر احد على معارضته فاعظم بغباوة من ينظر في احواله
ثم في اقواله ثم في افعاله ثم في اخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه الى الان ثم في انتشاره
في اقطار العالم ثم في اذعان ملوك الارض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه
ثم لا يتمارى بعد ذلك في صدقه وما اعظم توفيق من امن به وصدقه واتبعه في كل
ورد وصدر فنسل الله تعالى ان يوفقنا للاقتدا به في الاخلاق والافعال والاحوال
بمنه وسعة جوده تم كتاب ادب المعيشة واخلاق النبوة وهو اخر ربع العادات
من احيا علوم الدين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

ابتدا ربع المهلكات

الحمد لله الذي تتحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر وتدهش في مبادي
اشراقه انوار الاحداق والنواظر المطلع على خفيات السراير العالم بمكنونات
الضماير المستغني في تدبير ملكه عن المشاور والموازر مقلب القلوب
وغفار الذنوب وستار العيوب ومفرج الكروب والصلاة على محمد سيد
المرسلين وجامع شمل الدين وقاطع دابر الملحدين وعلى اله الطيبين الطاهرين
اما بعد فشرف الانسان وفضيلته التي فاق بها جملة من اصناف
الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره
وفي الاخرة عدته وذخيرته وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه
فالقلب هو العالم بالله وهو العامل لله وهو الساعي الى الله وهو المتقرب
اليه وهو المكاشف بما عند الله ولديه وانما الجوارح اتباع وخدم والات
يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعيه
والصانع للالة والقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله وهو المحجوب
عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب
والمعاقب وهو الذي يسعد بالقرب من الله فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى

اذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وانما الذي ينتشر على الجوارح
من العبادات انواره وهو العاصي المتمرد على الله تعالى وانما الساري الى الاعضا
من الفواحش اثاره وباظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ
كل انا ينضح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه
فقد عرف ربه وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه
جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره اجهل واكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وقد
حيل بينهم وبين انفسهم وان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان يمنعه
عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين من اصابع
الرحمن وانه كيف يهوي مرة الى اسفل السافلين وينخفض الى افق الشياطين
وكيف يرتفع اخرى الى اعلى عليين ويرتقي الى عالم الملائكة المقربين ومن لم
يعرف كيف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزاين الملكوت عليه
وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون
فمعرفة القلب وحقيقة اوصافه اصل الدين واساس طريق السالكين واذ فرغنا
في الشطر الاول من هذا الكتاب عن النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات
والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا ان نشرح في الشطر الثاني ما يجري على
القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلا بد ان نقدم
عليه كتابين كتابا في شرح صفات القلب واخلاقه وكتابا في كيفية رياضة
القلب وتهذيب اخلاقه ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات
فلنذكر الان من شرح عجايب القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام
فان التصريح بعجايبه واسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه
اكثر الاوهام **بيان معنى النفس** والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه
الاسامي واختلاف معانيها وحدود مسمياتها واكثر الاغاليط منشاها
الجهل بمعنى هذه الاسامي وباشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح من
معاني هذه الاسامي ما يتعلق بغرضنا الاول لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين احدهما
اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص في
باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود وهو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد
الان شرح شكله وكيفيته فلا يتعلق به الا غرض الاطبا وانما يتعلق بذلك
عرض الاطبا

عند قوم الاطبا وهذا القلب موجود للبهايم بل هو موجود للميت ونحن اذا اطلقنا
القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك
والشهادة اذ تدركه البهايم بحاسة البصر فضلا عن الادميين المعنى الثاني هو لطيفة
ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان
وهو المدرك العالم العارف من الانسان وهو المخاطب والمطالب والمعاقب
ولهذه اللطيفة علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول اكثر الخلق
في ادراك وجه علاقته فان تعلقها به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام
والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للالة بالالة او تعلق المتمكن
بالمكان وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين احدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة
وليس غرضنا في هذا الكتاب الا علوم المعاملة والثاني ان تحقيقه يستدعي
افشا سر الروح ولم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لغيره
ان يتكلم فيه والمقصود انا اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب اردنا به هذه
اللطيفة وغرضنا ذكر اوصافها واحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم
المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها واحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها
اللفظ الثاني الروح وهو ايضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين
احدها جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة
العروق الضوارب الى ساير اجزا البدن وجريانه في البدن وفيضان انوار
الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على اعضائها يضاهي فيضان
النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي الى جزء من البيت الا
ويستنير به فالحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثاله
السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب
البيت بتحريك محركه والاطبا اذا اطلقوا الروح ارادوا به هذا المعنى
وهو بخار لطيف انضجته حرارة القلب وليس من غرضنا شرحه اذ المتعلق
به غرض الاطبا الذين يعالجون الابدان فاما غرض اطبا الدين المعالجين
للقلوب حتى تنساق الى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح
اصلا المعنى الثاني هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو الذي شرحناه
في احد معنيي القلب وهو الذي اراده الله تعالى بقوله ويسئلونك عن الروح قل

الروح من امر ربي وهو امر عجيب رباني تعجز اكثر العقول والافهام عن ادراك كنه حقيقته

اللفظ الثالث النفس وهو ايضا مشترك بين معاني ويتعلق بغرضنا منه معنيان احدهما انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان على ما سياتي شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية فانهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اعدا عدوك نفسك التي بين جنبيك المعنى الثاني هي اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان بالحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله فانها مبعدة عن الله وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت دافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيرها في عبادة مولاها قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء وقد يجوز ان يقال المراد بالامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذا النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثاني محمودة لانها نفس الانسان

اللفظ الرابع العقل وهو ايضا مشترك لمعاني مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان احدهما انه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب والثاني انه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب اعني تلك اللطيفة ونحن نعلم ان كل عالم فله في نفسه وجود هو اصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك اعني المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله العقل فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لا بد ان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ولانه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر انه قال له اقبل فاقبل وقال له ادبر فادبر الحديث فاذا قد انكشف لك ان معاني هذه الاسامي موجودة وهو القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية

والعلوم

والعلوم وهذه اربعة معان يطلق عليها الالفاظ الاربعة ومعنى خامس وهي
اللطيفة العالمة المدركة من الانسان والالفاظ الاربعة بجملتها تتوارد عليها
فالمعاني خمسة والالفاظ اربعة وكل لفظ اطلق لمعنيين واكثر العلما التبس عليهم
اختلاف هذه الالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون
هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر النفس وهذا خاطر القلب
وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الاسما فلاجل كشف الغطا عنه
قدمنا شرح هذه الاسامي وحيث ورد في القران والسنة لفظ القلب فالمراد
به المعنى الذي يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الاشيا وقد يكنى عنه بالقلب
الذي في الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فانها وان
كانت متعلقة بساير البدن ومستعملة لها ولكنها تتعلق بواسطة القلب
فتعلقها الاول بالقلب فكانه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها
ولذلك شبه سهل بن عبد الله التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي
فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسي ولا يظن به انه يرى انه عرش
الله وكرسيه فان ذلك محال بل اراد به انه مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه
فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة الى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه
ايضا الا من بعض الوجوه وشرح ذلك ايضا لا يليق بغرضنا فلنتجاوزه

بيان جنود القلب

قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه في القلوب والارواح
وغيرها من العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن
الان نشير الى بعض جنود القلب وهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان جند يرى
بالابصار وجند لا يرى الا بالبصاير وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان
وهذا معنى الجند فاما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والاذن واللسان
وساير الاعضا الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له وهو
المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعة القلب لا تستطيع له خلافا ولا عليه
تمردا فاذا امر العين بالانفتاح انفتحت واذا امر الرجل بالحركة تحركت واذا امر اللسان
بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا ساير الاعضا والحواس للقلب يشبه من وجه
تسخير الملايكة لله تعالى فانهم جبلوا على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وانما يفترقان في شي واحد وهو ان الملايكة عالمة

سقطا عنها وامثالها والاجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل
التسخير ولا خبر لها من انفسها ولا من طاعتها للقلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود
من حيث افتقاره الى المركب والزاد لسفره الذي لاجله خلق وهو السفر الى الله سبحانه
وقطع المنازل الى لقائه فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن وانما زاده العلم وانما الاسباب التي
توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه العمل الصالح وليس يمكن ان يصل العبد الى
الله تعالى ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى لا بد من قطعه للوصول
الى المنزل الاقصى فالدنيا مزرعة الاخرة وهي منزلة من منازل الهدى وانما سميت
دنيا لانها ادنى المنزلتين فاضطر الى ان يتزود من هذا العالم والبدن مركبه
الذي به يصل الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يحفظ البدن
بان يجلب اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وبان يدفع عنه ما ينافيه ويسكنه
من اسباب الهلاك فافتقر لاجل جلب الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر
وهو البدن والاعضاء الجالبة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج اليه
وخلقت الاعضاء التي هي آلات الشهوة وافتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين
باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهو
اليد والرجل الذي بهما يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بامور خارجة عن البدن كالاسلحة
وغيرها ثم المحتاج الى الغذاء ما لم يعرف الغذاء لا ينفعه شهوة الغذاء والفه فافتقر
للمعرفة الى جندين باطن وهو ادراك البصر والذوق والشم والسمع واللمس وظاهر
وهو العين والاذن والانف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه الحكمة
فيها يطول ذكره ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد اشرنا الى طرف يسير منه في كتاب
الشكر فلنقنع به فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة اصناف صنف باعث ومستحث
لها اما الى جلب النافع الموافق كالشهوة واما الى دفع الضار المنافي كالغضب وقد يعبر
عن هذا الباعث بالارادة والثاني هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد
ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهو جنود مبثوثة في سائر الاعضاء لا سيما العضلات
منها والاوتار والثالث هو المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس وهو قوة
البصر والشم والذوق والسمع وغيرها وهي مبثوثة في اعضاء معينة ويعبر
عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود
ظاهرة

الآخرة

خ

ظاهرة وهي الاعضا المركبة من الشحم واللحم والعصب والدم والعظم التي
اعدت الات لهذه الجنود فان قوة البطش انما تبطش بالاصابع وقوة البصر
انما تدرك الشي بالعين وكذا ساير القوى ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة اعني
الاعضا فانها من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الان فيما ايد به من جنود
لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم الى
ما اسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس اعني السمع والبصر والشم
والذوق واللمس والى ما اسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي ايضا
خمسة فان الانسان بعد رويته الشي يغمض عينيه فيدرك صورته في نفسه
وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شي يحفظه وهو الجند الحافظ ثم
يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى بعض ثم يتذكر ما نسيه ويعود اليه
ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات
ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتذكر وتفكر وحفظ ولولا ان خلق الله قوة
الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان ان يخلو الدماغ عنه كما تخلو عنه اليد والرجل
فتلك القوى ايضا جنود باطنة واماكنها ايضا باطنة فهذه هي اقسام جنود
القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفا يطول ومقصود مثل هذا الكتاب
ان ينتفع به الاقويا والفحول من العلما ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفا بضرب
الامثلة ليقرب ذلك من افهامهم **بيان امثلة القلب** مع جنوده الباطنة اعلم
ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك
على طريقه الذي يسلكه وتحسن مرافقتهما في السفر الذي هو بصدده وقد
يستعصيان عليه استعصا بغي وتمرد حتى يملكانه ويستعبدانه وفيه
هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد وللقلب
جند اخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سياتي شرحه وحقه ان يستعين
بهذا الجند فانه حزب الله على الجندين الاخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان
فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا
وخسر خسرانا مبينا وذلك حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة
لشهواتهم في استنباط الحيل لقضا الشهوة وكان ينبغي ان تكون الشهوة
مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب هذا الى فهمك بثلاثة امثلة

المثال الاول ان نقول مثل نفس الانسان في بدنه واعني بالنفس اللطيفة المذكورة
كمثل والي في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها
ومدينتها وقواه وجوارحه بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة
كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كعبد السوء يجلب الطعام والميرة
الى المدينة والغضب والحمية له كصاحب شرطته والعبد الجالب للميرة كذاب مكار
مخادع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل
وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في كل تدبير يدبره حتى لا يخلو عن منازعته
ومعارضته في رايه ساعة فكما ان الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته
لوزيره معرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث بل مستدلا باشارته الى الصواب
في نقيض رايه وادب صاحب شرطته واسلمه لوزيره وجعله مؤتمرا له ومسلطا
من جهته على هذا العبد الخبيث واتباعه وانصاره حتى يكون العبد مسوسا
لا سايسا ومامورا مدبرا لا اميرا مدبرا استقام امر بلده وانتظم العدل بسببه فكذا النفس
متى استعانت بالعقل وادبت الحمية الغضبية وسلطتها على الشهوة واستعانت
باحداها على الاخرى تارة بان تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة
واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وبقهرها بتسليط الغضب والحمية
عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواه وحسنت اخلاقه ومن عدل عن
هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه واضله
الله على علم وقال واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال لمن نهى النفس عن
الهوى ان الجنة هي الماوى وسياتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها
على بعض في كتاب رياضة النفس المثال الثاني ان البدن كالمدينة والعقل
اعني المدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة
كجنوده واعوانه واعضاوه كرعيته والنفس الامارة بالسوء التي هي الشهوة
والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته فصارت بدنه
كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد عدوه وهزمه وقهره على
ما يحب حمد اثره اذا عاد الى الحضرة كما قال الله تعالى فضل الله المجاهدين
باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وان ضيع ثغره واهمل رعيته
ذم اثره وانتقم منه عند الله تعالى فيقال له يوم القيامة يا راعي السوء اكلت

بقوله صلى الله عليه وسلم

اللحم

اللحم وشربت اللبن ولهما والصيانة ولم يختبر الكسب اليوم انتم منكم كما ورد في الخبر والى
هذه المجاهدة الاشارة بقوله رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر
المثال الثالث مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه
فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مودبا معلما كان جديرا بالنجح
ومتى كان هو في نفسه اخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا
فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا فهو خليق
بان يعطب فضلا عن ان ينال ما طلب وانما خرق الفارس مثال جهل الانسان
وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثال غلبة الشهوة خصوصا
شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثال غلبة الغضب واستيلائه بيان
خاصية قلب الانسان اعلم ان جملة ما ذكرناه قد انعم الله به على سائر
الحيوانات سوى الادمي اذ للحيوانات الشهوة والغضب والحواس الظاهرة
والباطنة ايضا حتى ان الشاة ترى الذيب بعينها وتعلم عداوته بقلبها
فتهرب منه فذلك هو الادراك الباطن فلنذكر ما يختص به قلب الانسان ولاجله
عظم شرفه واستاهل القرب من الله سبحانه وهو راجع الى علم وارادة
اما العلم فهو العلم بالامور الدنياوية والاخروية والحقايق العقلية
فان هذه امور وراء المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكلية
الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان بان الشخص الواحد لا
يتصور ان يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل شخص ومعلوم
انه لم يدرك بالحس الا بعض الاشخاص فحكمه على جميع الاشخاص زايد على
ما ادركه الحس واذا فهمت هذا في هذا العلم الظاهر الضروري فهو في ساير
النظريات اظهر واما الارادة فانه اذا ادرك بالعقل عاقبة الامر وطريق
الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق الى جهة المصلحة والى تعاطي اسبابها
والارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وارادة الحيوانات بل يكون على ضد
الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعاقل يريدها ويطلبها ويبذل
المال عليها والشهوة تميل الى لذايذ الاطعمة في المرض والعاقل يجد في نفسه
زاجرا عنها فليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل المعرف لعاقبة
الامور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للاعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم

كل م

العقل ضابطا على التحقيق فاذن اختص قلب الانسان بعلوم وارادات ينفك
عنها ساير الحيوانات بل ينفك عنها الصبي في اول الفطرة وانما يحدث ذلك
فيه بعد البلوغ واما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها
موجودة في حال الصبي ثم للصبي في حصول هذه العلوم فيه درجتان احدهما
ان يشتمل قلبه على جملة العلوم الضرورية الاولية كالعلم باستحالة المستحيلات
وجواز الجايزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة الا انها صارت
ممكنة قريبة الامكان والحصول وتكون حالة بالاضافة الى العلوم كحال
الكاتب الذي لا يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف المفردة دون
المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد والثانية ان تحصل له العلوم
المكتسبة بالتجارب والفكر وتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليها
وحاله حال الحاذق بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة
لقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا
تحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها
وبطريق تحصيلها اذ تحصل لبعض القلوب بالهام الهي على سبيل المبادأة
والمكاشفة ولبعضها بتعلم واكتساب ثم قد يكون سريع الحصول وقد يكون
بطي الحصول وفي هذا المقام تتباين منازل العلما والحكما والاوليا والانبيا
فدرجات الرقي فيه غير محصورة اذ معلومات الله لا نهاية لها واقصى الرتب
رتبة الذي ينكشف له كل الحقايق او اكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف
الهي في اسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى
والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراقي هذه الدرجات هي منازل السايرين
الى الله ولا حصر لتلك المنازل وانما يعرف كل سالك المنزل الذي بلغه في سلوكه
فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فاما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن
قد يصدق به ايمانا بالغيب كما انا نومن بالنبوة وبالنبي ونصدق بوجوده ولكن لا
يعرف حقيقة النبوة الا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال
المميز وما انفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من
العلوم النظرية فلا يعرف عاقل ما انفتح على اوليا الله وانبيايه من مزايا
لطفه ورحمته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة

مبذولة

بيان النظرية

منه ولبعكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضنون بها على احد ولكن
انما يظهر في القلوب لنفحات الله كما قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم في ايام دهركم
نفحات الا فتعرضوا لها والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته عن الخبث والكدورة
الحاصلة من الاخلاق المذمومة كما سياتي بيانه والى هذا الجود الاشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول هل من
داع فاستجيب له وبقوله عليه السلام حكاية عن ربه عز وجل لقد طال شوق
الابرار الى لقائي واني الى لقائهم اشد شوقا وبقوله تعالى من تقرب الي
شبرا تقربت اليه ذراعا كل ذلك اشارة الى ان انوار العلوم لم تحجب
عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا ولكن
حجب لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان القلوب كالاواني
فما دامت ممتلية بالماء لا يدخلها الهوا فالقلوب المشغولة بغير الله
لا يدخلها المعرفة بجلال الله واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان
الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السماء ومن هذه
الجملة يتبين ان خاصية الانسان العلم والحكمة واشرف انواع العلم هو
العلم بالله وصفاته وافعاله فيه كمال الانسان وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار
حضرة الجلال والكمال فهي خاصيته التي لاجلها خلق وكما ان الفرس مخلوق لاجل تلك
الخاصية فان تعطلت منه نزل الى حضيض رتبة الحمار وكذلك الحمار
يشارك الحمار الفرس في امور ويفارقها في امور هي خاصيته وتلك
الخاصية من صفات الملائكة المقربين من رب العالمين والانسان
على رتبة بين البهائم والملائكة فان الانسان من حيث يتغذى
ويتناسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ومن
حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط وانما خاصيته
معرفة حقائق الاشيا فمن استعمل جميع اعضائه وقواه على وجه
الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق بان
يلتحق بهم وجدير بان تسمى ملكا وربانيا كما اخبر الله تعالى
عن يوسف عليه السلام ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته
الى اتباع اللذات البدنية ياكل كما تاكل الانعام فقد انحط الى حضيض

اتباع

افق البهايم فيصير اما غمرا كثور واما شرها كخنزير واما ضرعا ككلب
او سنور او حقودا كجمل او متكبرا كنمر او ذا روغان كثعلب او يجمع
ذلك كله كشيطان مريد وما من عضو من الاعضاء ولا حاسة
من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله تعالى
كما سياتي بيان طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن
عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادة في ذلك ان يجعل لقاء
الله مقصده والدار الاخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والاعضا
خدمه فيستقر هو اعني المذكور المدرك من الانسان في القلب الذي
هو وسط مملكته كالملك القوة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ مجرى
صاحب بريده اذ تجتمع اخبار المحسوسات عنده ويجري القوة الحافظة
التي مسكنها اكتابه ويجري الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل
كل واحد باخبار صقع من الاصقاع فيوكل العين بعالم الالوان والسمع
بعالم الاصوات والشم بعالم الروايح وكذلك سايرها فانها اصحاب اخبار يلتقطونها
من هذه العوالم ويودونها الى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد
ويسلمها صاحب البريد الى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن على الملك
فيقتبس منها ما يحتاج اليه في تدبير مملكته واتمام سفره الذي هو بصدده
وقمع عدوه الذي مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان
موفقا سعيدا شاكرا نعمة الله واذا عطل هذه الجملة واستعملها لكن في
مراعات اعدايه وهي الشهوة والغضب وساير الحظوظ العاجلة اوفي عمارة طريقه دون
منزله اذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الاخرة كان مخذولا شقيا
كافرا بنعمة الله تعالى مضيعا لجنود الله تعالى ناصرا لاعداء الله مخذلا لحزب الله
فيستحق المقت والابعاد في المنقلب والمعاذ نعوذ بالله من ذلك والى المثال الذي
ضربناه اشار كعب الاحبار قال دخلت على عايشة رضي الله عنها فقلت الانسان
عيناه هاد واذناه قامع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب
منه ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه
يقول وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب ان الله تعالى في ارضه انية وهي القلوب
فاحبها اليه ارقها واصفاها واصلبها ثم فسره فقال اصلبها في الدين واصفاها
في اليقين وارقها على الاخوان وهو اشارة الى قوله تعالى

اشدا

اشدا على الكفار رحما بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح
وقال ابي بن كعب معناه مثل نور المومن وقلبه وقوله او كظلمات في بحر لجي مثل
قلب المنافق وقال زيد بن اسلم في قوله تعالى في لوح محفوظ هو قلب
المومن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي فهذه
امثلة القلب **بيان مجامع اوصاف القلب** ومثاله اعلم ان الانسان
قد اصطحب في تركيبه وخلقته اربع شوايب فلذلك اجتمعت عليه
اربعة انواع من الاوصاف وهي الاوصاف السبعية والبهيمية والشيطانيه
والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع من
العداوة والبغضا والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت
عليه الشهوة يتعاطى افعال البهايم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن
حيث انه في نفسه امر رباني كما قال تعالى قل الروح من امر ربي فانه يدعي
لنفسه ويحب الاستيلا والاستعلا والتخصص والاستبداد بالامور
كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي
الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقايق
الامور والاستيلا بالقهر على جميع الخلايق بما وصاف الربوبية وفي
الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص عن البهايم بالتمييز مع
مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانيه فصار شريرا يستعمل
التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع
ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان فيه
شوب من هذه الامور الاربعة اعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية
وكل ذلك مجموع في القلب وكان المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب
وشيطان وحكيم فالخنزير هي الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما
للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب
فان السبع الضاري والكلب العقور ليس هو كلبا وسبعا باعتبار الصورة
واللون والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر
وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وغيظ السبع
وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشا والمنكر والسبع يدعو

او كظلمات

بل الغضب الى الظلم والايذا والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ
السبع ويغري احدهما بالاخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي هو
مثال العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه
ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط
الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط
الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه
اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم
وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق
الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دايما في عبادة كلب وخنزير وهذا
حال اكثر الناس مهما كان اكثر همتهم الفرج والبطن ومنافسة الاعدا والعجب
منه انه ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم الحجارة ولو كشف الغطا عنه وكوشف
بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين اما في النوم او في
اليقظة لراى نفسه ماثلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة وراكعا اخرى
ومنتظرا لاشارته وامره فمهما هاج الخنزير لطلب شي من شهوته انبعث
على الفور في خدمته واحضار شهوته او راى نفسه ماثلا بين يدي كلب عقور
عابدا له مطيعا لما يقتضيه ويلتمسه مدققا للفكر في حيل الوصول الى طاعته
وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما
على استخدامه فهو في هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد
حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة
فلا يرى ان انصف نفسه الا ساعيا طول النهار في عبادة هاولا وهذا
غاية الظلم اذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر
مقهورا اذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلا وقد سخره
لخدمة هاولا فلا جرم ينتشر الى قلبه من طاعة هاولا صفات تتراكم عليه
حتى يصير طابعا ورينا مهلكا للقلب ومميتا له اما طاعة خنزير الشهوة
فيصدر منه صفة الوقاحة والتبذير والتقتير والريا والهتكة والمجانة والعبث
والخبث والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة وغيرها واما طاعة
الغضب فينتشر منه الى القلب صفة التهور والنذالة والبذخ والصلف

والاستشا

والاستيلا والتكبر والتجبر والاستهزا والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة
الشر وشهوة الظلم وغيره وان اطاع الشيطان بطاعة الشهوة والغضب
فيحصل فيه صفة المكر والحيلة والخداع والدها والجربزة والتلبيس والتضريب
والغش والخبث وامثاله ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة
الربانية لاستقر فيها من الصفات الربانية العلم والحكمة والاحاطة بحقائق
الاشيا ومعرفة الامور على ما هي عليه والاستيلا على الكل بقوة العلم
والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق بكمال العلم وجلاله لاستغنى
عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة ورده
الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدو والزهد
والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحيا والظرف والمساعدة
وامثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى حد الواجب صفة الشجاعة
والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات
والنبل والشهامة والوقار وغيرها والقلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه
الامور المؤثرة فيه وهذه الاثار على التوالي واصلة الى القلب اما الاثار
المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد مرآة القلب جلا واشراقا ونورا وضيا
حتى يتلالا فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين والى
مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا
جعل له واعظا من قلبه وبقوله من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله
حافظ وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن
القلوب واما الاثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة
القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية
محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون وقال تعالى ان لو نشا اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم
فهم لا يسمعون فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع
بالتقوى فقال واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما
تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين
ويستهين بالاخرة ويستعظم امر الدنيا ويكون مقصور الهم عليها ولا

فاذا سمعوا امر الاخرة وما فيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من اخرى ولم يستقر
في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك واوليك الذين ييسوا من الاخرة كما ييس
الكفار من اصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القران
والسنة قال ميمون بن مهران اذا اذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سودا
فاذا هو نزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الران وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم قلب المومن اجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر
اسود منكوس فطاعات الله تعالى بمخالفة الشهوات مصقلات للقلب ومعاصيه
مسودات له فمن اقبل على المعاصي اسود قلبه ومن اتبع السيئة الحسنة ومحى
اثرها لم يظلم قلبه ولكن ينتقص نوره كالمراة التي يتنفس فيها ثم تمسح ثم يتنفس
ثم تمسح فانها لا تخلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم القلوب اربعة قلب
اجرد فيه سراج يزهر فذاك قلب المومن وقلب اسود منكوس فذلك قلب الكافر
وقلب اغلف مربوط على غلافه فذاك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق
فمثل الايمان فيه مثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة
يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية غلبت عليه ذهبت
به وقد قال الله تعالى اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون
فاخبر ان جلا القلب وابصاره يحصل بالذكر وانه لا يتمكن منه الا الذين اتقوا
فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر وهو الفوز
بلقا الله تعالى

بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة

اعلم ان محل العلم
هو القلب اعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح المطاعة المخدومة من جميع الاعضا
وهي بالاضافة الى حقايق المعلومات كالمراة بالاضافة الى صور المتلونات
فكما ان للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المراة ويحصل فيها
كذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مراة القلب وتتضح
فيه وكما ان المراة غير وصورة الاشخاص غير وحصول مثالها في المراة غير
فهي ثلاثة امور فكذلك ههنا ثلاثة امور القلب وحقايق الاشيا والمعلوم
عبارة عن حقايق الاشيا والعلم عبارة عن حصول المثال في المراة وحصوله
فيه فالعالم عبارة عن القلب الذي يحل فيه مثال حقايق الاشيا والمعلوم
عبارة عن حقايق الاشيا والعلم عبارة عن حصول المثال في المراة كما ان القبض
مثلا

مثلا يستدعي قابضا ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف واليد
بحصول السيف في اليد ويسمى قبضا فكذلك مثال وصول المعلوم الى
القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن
العلم حاصلا لان العلم عبارة عن وصول الحقيقة الى القلب كما ان السيف
موجودة اليد موجودة ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصلا لعدم وقوع
السيف في اليد نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم
بعينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم يحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل
حدها وحقيقتها المطابق لصورتها فتمثله بالمراة اولى لان عين الانسان
لا يحصل في المراة وانما يحصل مثال مطابق له وكذلك حصول مثال مطابق لحقيقة
المعلوم في القلب يسمى علما وكما ان المراة لا تنكشف فيها الصورة لخمسة امور
احدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل ان يدور ويشكل وتصقل والثاني
لخبثه وصداه وكدورته وان كان تام الشكل والثالث لكونه معدولا به عن
جهة الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة وراء المراة والرابع لحجاب مرسل بين
المراة والصورة والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه
ان يحاذى بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مراة مستعدة لان ينجلي فيها
حقيقة الحق في الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الا
سباب الخمسة اولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فانه لا ينجلي له المعلومات لنقصانه
والثاني لكدورة المعاصي والخبث الذي تراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات
فان ذلك يمنع صفاء القلب ... وجلاءه فيمنع ظهور الحق فيه بقدر ظلمته وتراكمه
واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا
اي حصل في قلبه كدورة لا يزول اثرها ابدا اذ غايته ان يتبعه بحسنة يمحوها بها
فلو جاء بالحسنة ولم يتقدم السيئة لازداد لا محالة اشراق القلب فلما تقدمت
السيئة ولم يزد دبها نورا فهذا خسران سقطت فائدة الحسنة لكن عاد
القلب بها الى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا فهذه خسران مبين ونقصان
لا حيلة له فليس المراة التي تدنست يمسح بها بالمصقلة لزيادة جلائها من غير
دنس سابق والاقبال على طاعة الله تعالى والاعراض عن مقتضى الشهوات
هو الذي يجلوا القلب ويصفيه ولذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا وقال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
الثالث ان يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع

الصالح وان كان صافيا فانه ليس يصح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق وليس يحاذي
بمراته شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب للحق الا انه ليس المهم بتفصيل الطاعات
المعيشة ولا يصرف فكره الى التامل في حضرة الربوبية والحقايق
الخفية الالهية فلا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه من دقايق افات الاعمال وخفايا
عيوب النفس ان كان متفكرا فيها وان كان ا ومصالح المعيشة وان كان متفكرا
فيها واذا كان تقيد الهم بالاعمال وتفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق
فما ظنك في صرف الهم الى الشهوات الدنيوية ولذاتها الدنيا وعلايقها فكيف لا يمنع
عن الكشف الحقيقي الرابع الحجاب فان المطيع القاهر لشهواته المتجرد الفكر في حقيقة
من الحقايق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه من الصبى على سبيل
التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من
ان ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا ايضا حجاب عظيم به
حجب اكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل اكثر الصالحين المتفكرين في ملكوت السموات
والارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم
وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقايق الخامس الجهل بالجهة التي منها يقع العثور
على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه ان يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم التي
تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها في نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلما بطرق
اعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فيتجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان
العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا يقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم
فلا يحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من
ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والانثى
ثم كما ان من اراد ان يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار وبقرة وانسان
بل من اصل مخصوص من الخيل الذكر والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج
مخصوص فكذلك كل علم فله اصلان مخصوصان وبينهما طريق الازدواج
يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل
بتلك الاصول وبكيفية الازدواج هو
المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من
الجهل بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله
ان يريد الانسان مثلا ان يرى قفاه بالمراة فانه

اذا رفع

اذ رفع المراة بازا وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا وهذه مقابلتها بحيث يبصرها
ويراعي مناسبة بين وضع المراتين حتى تنطبع صورة القفا في المراة المحاذية للقفا
ثم تنطبع صورة هذه المراة في المراه الاخرى التي فيها مقابلة العين ثم تدرك
العين صورة القفا فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات
وتحريفات اعجب مما ذكرناه في المراة ويعز على بسيط الارض من يهتدي الى كيفية
الحيلة في الازورارات فهذه هي الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقايق
الامور والا فكل قلب هو بالفطرة صالح لمعرفة الحقايق لانه امر رباني شريف فارق
فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف واليه الاشارة بقوله تعالى
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن
منها وحملها الانسان اشارة الى ان له خاصية تميز بها عن السموات والارض
والجبال بها صار مطيقا لحمل امانة الله تعالى وتلك الامانة هي المعرفة والتوحيد
وقلب كل ادمي مستعد لحمل الامانة ومطيق لها في الاصل ولكن يثبطه عن
النهوض باعبائها والوصول الى تحقيقها الاسباب التي ذكرناها ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب
بني ادم لنظروا الى ملكوت السما اشارة الى بعض هذه الاسباب التي هي
الحجاب بين القلب وبين الملكوت واليه الاشارة بما روي عن ابن عمر رضي الله
عنهما قال قيل يا رسول الله اين الله في الارض قال في قلوب عباده المومنين
وفي الخبر قال الله تعالى لم يسعني ارضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المومن
اللين الوادع وفي الخبر انه قيل من خير الناس فقال كل مومن مخموم القلب فقيل
وما مخموم القلب فقال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا غل ولا بغي ولا حسد
ولذلك قال عمر رضي الله عنه راى قلبي ربي اذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع
ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرضها
بعضها السموات والارض اما جملتها فاكثر سعة من السموات والارض
لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسع
الاطراف متباعد الاكناف متناهي على الجملة واما عالم الملكوت وهو الاسرار
الغايبة عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصاير فلا نهاية له نعم الذي

سطه

تخلل

يلوح للقلب منه مقدار متناهٍ ولكنه في نفسه وبالإضافة إلى علم الله لا نهاية له
وجملة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لأن
الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات إذ ليس في الوجود شيء سوى الله وأفعاله
ومملكته وعبيده من أفعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هو الجنة بعينها عند قوم وهو
سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب
سعة معرفته وبمقدار ما يتجلى له من عظمة الله تعالى وصفاته وأفعاله وإنما يراد
الطاعات وأعمال الجوارح كلها لتصفية القلب وتزكيته وجلائه وقد أفلح من زكاها
ومراد تزكيتها حصول أنوار الإيمان فيه أعني إشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله
تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام وبقوله تعالى أفمن شرح
الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلي وهذا الإيمان له ثلاث مراتب
المرتبة الأولى إيمان العوام وهو إيمان التقليد المحض والثانية إيمان
المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال والثالثة إيمان العارفين
وهو المشاهد بنور اليقين ونبين لك هذه المراتب بمثال وهو
أن تصديقك بكون زيد مثلاً في الدار له ثلاث درجات الأولى أن يخبرك
به من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا تتهمه في القول فإن قلبك يسكن
إليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع وهذا هو الإيمان بمجرد التقليد وهو مثال
إيمان العوام فإنهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم
وجود الله سبحانه وتعالى وعلمه وإرادته وقدرته وسائر صفاته وبعثه
الرسل وصدقهم وما جاؤوا به وكما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا إليه
ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وأمهاتهم أو معلميهم
وهذا الإيمان سبب النجاة في الآخرة وأهله من أوائل رتب أصحاب اليمين وليسوا
من المقربين لأنه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين إذ الخطأ
ممكن فيما يسمع من الآحاد بل من الأعداد فيما يتعلق بالاعتقاد وقلوب اليهود
والنصارى أيضاً مطمئنة بما يسمعون من آبائهم إلا أنهم اعتقدوا ما اعتقدوه
خطأ لأنه ألقي إليهم الخطأ والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن
ألقي إليهم كلمة الحق المرتبة الثانية أن تسمع كلام زيد وصوته في الدار
ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون إيمانك وتصديقك

ويقينك

ويتمثل بكونه في الدار اقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك اذا قيل لك انه في
الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الصوت يدل على الشكل والصورة
عند من سمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فيحكم قلبه بان هذا صوت
ذلك الشخص وهذا ايمان ممزوج بدليل والخطا ايضا ممكن ان يتطرق اليه اذ
الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة الا ان ذلك
قد لا يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا
التلبيس والمحاكاة غرضا الثالثة ان تدخل الدار فتنظر اليه بعينك
وتشاهده فهذا هو المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهي تشبه
معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في ايمانهم
ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها امكان الخطا نعم
وهم ايضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف اما الدرجات فمثاله
ان يبصر زيدا في الدار عن قرب وفي صحن الدار في وقت اشراق الشمس
فيكمل له ادراكه والاخر يدركه في بيت او من بعد او في وقت عشية فيتمثل
له من صورته ما يستيقن معه انه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا
من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت المشاهدة للامور الالهية واما مقادير
العلوم فهو بان يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا وغير ذلك واخر لا يرى الا زيدا فمعرفة
ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذا حال القلب بالاضافة الى العلوم

بيان حال القلب بالاضافة الى اقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية
والاخروية اعلم ان القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن
العلوم التي تحل فيه تنقسم الى عقلية وشرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية
ومكتسبة والمكتسبة تنقسم الى دنيوية واخروية اما العقلية فنعني
بها ما تقضي به غريزة العقل ولا يوجد بالتقليد والسماع وهي تنقسم الى ضرورية
لا يدري من اين حصلت وكيف حصلت كعلم الانسان بان الشخص الواحد
لا يكون في مكانين والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا
فان هذه علوم يجد الانسان في نفسه منذ الصبي مفطورا عليها ولا يدرك
متى حصلت له ولا من اين حصلت له اعني انه لا يدري له سببا قريبا والا فليس
يخفى ان الله تعالى هو الذي خلقه وهداه والى مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم

والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا قال علي رضي الله عنه العقل عقلان
مطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذ لم يكن مطبوع كما لا تنفع الشمس وضو
العين ممنوع والاول هو المراد لقوله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله تعالى خلقا
اكرم عليه من العقل والثاني هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اذا
تقرب الناس الى الله بانواع البر فتقرب انت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزه
والفطرة ولا بالعلوم الضروريه بل بالمكتسبه ولكن مثل علي هو الذي يقدر على
التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال القرب من رب
العالمين فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جاريه مجرى قوة البصر
في العين وقوة الابصار لطيفة تفقد بالعمى وتوجد في البصير وان كان قد غمض
العين او جن عليه الليل والعلم الحاصل فيه جار مجرى الادراك البصر
ورؤيته لاعيان الاشيا وتاخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبي الى
اوان التمييز او البلوغ تضاهي تاخر الرؤية عن البصر الى اوان اشراق الشمس
وفيضان نورها على المبصرات والقلم الذي به يسطر الله العلوم على صفحات
القلوب يجري مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل العلم في قلب الصبي قبل التمييز لان لوح
قلبه لم يتهيا بعد لقبول نقش العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله جعله
سببا لحصول نقش العلوم في قلوب البشر قال الله تعالى علم بالقلم علم الانسان
ما لم يعلم وقلم الله لا يشبه قلم خلقه كما ان وصفه لا يشبه وصف خلقه فليس
قلمه من قصب ولا خشب كما انه ليس ذاته من جوهر ولا عرض فالموازنه بين البصيره
الباطنه والبصر الظاهر صحيحه من هذه الوجوه الا انه لا مناسبه
بينهما في الشرف فان البصيره الباطنه هي عين النفس التي هي اللطيفه المذكوره
وهي كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبه
احد الضررين الى الاخر ولموازنة البصيره الباطنه للبصر الظاهر سماه الله باسمه
فقال ما كذب الفواد ما راى سمى ادراك الفواد رؤيته وكذلك قوله وكذلك نري ابرهيم
ملكوت السموات والارض وما اراد به الرؤية الظاهره فان ذلك غير مخصوص
بابراهيم صلوات الله وسلامه عليه حتى يذكر في معرض الامتنان ولذلك سمى ضد ادراكه
عمى فقال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال من كان في هذه
اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا فهذا بيان العلم العقلي اما العلوم الدينيه

فهي الماخو

فهي المأخوذة بطريق التقليد من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم وذلك يحصل
بالتعلم لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيه بعد السماع
وبه كمال صفة القلب وبه سلامته عن الادوا والامراض فالعلوم العقلية غير
كافية في سلامة القلب وان كان يحتاج اليها كما ان العقل غير كافي في استدامة
اسباب صحة البدن بل يحتاج الى معرفة خواص الادوية والعقاقير
بطريق التعلم من الاطبا اذ مجرد العقل لا يهتدي اليه ولكن لا يمكن فهمه بعد
سماعه الا بالعقل فلا غنى بالعقل عن السمع ولا بالسمع عن العقل فالداعي
الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل عن انوار
القران والسنة مغرور فاياك ان تكون من الفريقين وكن جامعا بين الاصلين
فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض
يستضر بالغذا متى فاته الدوا فكذلك امراض القلب لا يمكن علاجها الا بادوية
مستفادة من الشريعة وهي وظايف العبادات والاعمال التي ركبتها الانبيا
صلوات الله وسلامه عليهم لاصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه المريض بالعلاج بمعالجة
العبادات الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض
بالغذا وظن من يظن ان العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وان الجمع
بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى في عين البصيرة ونعوذ بالله منه بل هذا القايل
ربما تناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن
انه تناقض في الدين فيتحير به وينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين
وانما ذلك لعجزه في نفسه خيل اليه نقصا في الدين وهيهات وانما مثاله الاعمى
الذي دخل دارا فتعثر فيها باواني الدار فقال ما بال هذه الاواني تركت على
الطريق ولم لا ترد الى مواضعها فقيل له تلك الاواني في مواضعها وانما انت لست
تهتدي الى الطريق لعماك فالعجب منك انك لا تحيل عثرتك على عماك وانما تحيله على
تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية الى العقلية والعلوم العقلية تنقسم
الى دنيوية واخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر
الحرف والصناعات والاخروية كعلم احوال القلب وافات الاعمال والعلم بالله
وصفاته وافعاله كما فصلناه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان اعني ان من
صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الاخر على الاكثر

ولذلك ضرب علي رضي الله عنه للدنيا والاخرة ثلاثة امثلة فقال هما ككفتي الميزان
وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت احديهما اسخطت الاخرى
ولذلك ترى الاكياس في امور الدنيا وفي علم الطب والهندسة والحساب
والفلسفة جهالا في امور الاخرة والاكياس في دقائق العلوم الاخرة جهالا
في الاكثر بعلوم الدنيا لان قوة العقل لا تفي بالامرين جميعا في الغالب فيكون احدهما
مانعا من الكمال في الثاني ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله
اي البله في امور الدنيا وقال الحسن ادركنا اقواما لو رايتموهم لقلتم مجانين
ولو ادركوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت امرا غريبا من امور الدين جحده اهل
الكياسة في سائر العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبوله اذ من المحال ان يظفر
سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب وكذلك يجري امر الدنيا والاخرة ولذلك
قال تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها الاية
وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقال
فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع
بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر الا لمن رسخه الله تعالى
لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الانبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون
من القوة الالهية تتسع لجميع الامور ولا تضيق عنها اما قلوب سائر الخلق فانها
اذا اشتغلت بامر انصرفت عن الاخر وقصرت عن الاستكمال فيه

بيان الفرق بين الالهام والتعلم

والفرق بين النظار اعلم ان العلوم التي ليست
ضرورية انما تحصل في القلب في بعض الاحوال تختلف الحال في حصولها فتارة
تهجم على القلب كانه القي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال
والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما والذي يحصل
بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم
واجتهاد من العبد ينقسم الى ما لا يدري العبد انه كيف حصل ومن اين حصل والى
ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك
الملقي في القلب والاول يسمى الهاما ونفثا في الروع والثاني يسمى وحيا وتختص
به الانبياء والاول تختص به الاولياء والاصفياء والذي قبله وهو المكتسب بطريق
الاستدلال تختص به العلماء وحقيقة القول فيه ان القلب مستعد لان تنجلي فيه
حقيقة

خ القلب

خ دخر

قلوبهم خ

طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق

حقيقة الحق في الاشيا كلها وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة التي سبق
ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحايل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي
هو منقوش بجميع ما قضى الله تعالى به الى يوم القيامة وتجلي حقايق العلوم من مراة اللوح
في مراة القلب يضاهي انطباع صورة من مراة في مراة تقابلها والحجاب بين المراتين تارة
يزال باليد واخرى يزول بهبوب الريح تحركه فكذلك قد تهب رياح الالطاف
فتنكشف الحجب عن اعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ
ويكون ذلك تارة عند المنام فيظهر به ما سيكون في المستقبل وتمام ارتفاع
الحجب بالموت وبه ينكشف الغطا وفي اليقظة ايضا قد ينقشع الحجاب بلطف خفي
من الله تعالى فيلمع في القلب من ورا ستر الغيب شي من غرايب العلم تارة كالبرق الخاطف
واخرى على التوالي الى حد ما ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب في نفس
العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار
العبد ولم يفارق الوحي الالهام في شي من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فان
العلوم انما تحصل في قلوبنا بواسطة الملايكة واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من ورا حجاب او يرسل رسولا فاذا عرفت هذا فاعلم ان
ميل اهل التصوف الى العلوم الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة
العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل
قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلايق كلها والاقبال
بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل
بتنويره بانوار العلم واذا تولى الله امر القلب فاضت الرحمة واشرق النور في القلب
وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة
بلطف الرحمة وتلالات فيه حقايق الانوار الالهية فليس على المريد الا الاستعداد
بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش التام والترصد
بدوام الانتظار لما يفتحه الله من الرحمة اذ الانبيا والاوليا انكشف لهم الامر وفاض
على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري عن علايقها
وتفريغ القلب عن الشواغل والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله
له وزعموا ان الطريق في ذلك اولا بانقطاع علايق الدنيا بالكلية فيفرغ قلبه عنها
ويقطع همه عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل

يصير قلبه الى حالة يستوي فيها وجود كل ذلك وعدمه ويخلو لنفسه في زاوية
مع الاقتصار على الفرايض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا تفرق
ذكره بقراة قران ولا بالتامل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد بعد ذلك
ان لا يخطر بباله شي سوى ذكر الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قايلا بلسانه
الله الله على الدوام مع حضور القلب الى ان ينتهي الى حالة يترك تحريك اللسان
ويرى كان الكلمة جارية على اللسان ثم يصبر عليه الى ان يمحى اثره على اللسان فيصادف
قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب عليه الى ان يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه
وهيات الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كانه لازم لا يفارقه وله اختيار
الى ان ينتهي الى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس
اختيار في استجلاب رحمة الله بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات فلا يبقى الا الانتظار
لما يفتح الله من رحمته فتحها على الانبيا والاوليا بهذا الطريق وعند ذلك اذا صدقت
ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته ولم تجاذبه شهوته ولم يشغله حديث
النفس بعلايق الدنيا فلمع لوامع الحق في قلبه ويكون في ابتدايه كالبرق الخاطف
لا يثبت ثم يعود وقد يتاخر ان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت فقد
يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر امثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد
ومنازل اوليا الله فيه لا تحصى كما لا يحصى تفاوت خلقهم واخلاقهم وقد رجع هذا
الطريق الى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلا ثم استعداد وانتظار
فقط واما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه وافضايه
الى المقصد على الندور فانه اكثر احوال الانبيا والاوليا ولكن استوعروا هذا الطريق
واستبطوا ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا ان محو العلايق الى ذلك
الحد كالمتعذر جدا وان حصل في حاله فثباته ابعد منه اذ ادنى وسواس وخاطر
يشوش القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المومن اشد تقلبا من
القدر في غليانها وقال قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن وفي اثنا هذه
المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن واذا لم يتقدم رياضة
النفس وتهذيبها بحقايق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة وتطمين النفس
اليها مدة طويلة الى ان يزول والعمر ينقضي دون النجاح فيه فكم من صوفي سلك
هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنه ولو كان قد اتقن العلم من قبل
لانفتح

لا يفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فالاشتغال بطريق التعلم اوثق
واقرب الى الغرض وزعموا ان ذلك يضاهي ما لو ترك الانسان تعلم الفقه
وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم وصار فقيها بالوحي والهام من غير تكرار
وتعليق فانا ايضا ربما انتهى بالرياضة اليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه
وضيع عمره بل هو كمن ترك طريق الكسب والحراسة رجاء العثور على كنز من
الكنوز فان ذلك ممكن ولكن بعيد جدا فكذلك هذا فقالوا لا بد اولا من تحصيل
ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا باس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لساير
العلما فعساه ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك

بيان ان [illegible] الفرق بين المقامين بمثال محسوس

اعلم ان عجايب القلب خارجة عن مدركات الحواس لان القلب
ايضا خارج عن ادراك الحس وما ليس مدركا بالحواس تضعف الافهام عن دركه الا بمثال
محسوس ونحن نقرب ذلك الى الافهام الضعيفة بمثالين احدهما انا لو فرضنا حوضا
محفورا في الارض احتمل ان يساق الماء فيه من فوقه بانهار تفتح فيه ويحتمل ان يحفر
اسفل الحوض ويرفع منه التراب الى ان يقرب من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من
اسفل الحوض ويكون ذلك الماء اصفى وادوم وقد يكون اغزر واكثر فكذلك
القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء والحواس الخمس مثل الانهار ويمكن ان يساق العلم
بواسطة انهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلي علما ويمكن ان تسد
عنه هذه الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره
ورفع طبقات الحجب عنه حتى ينفجر ينبوع العلم من داخله فان قلت وكيف ينفجر العلم
من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم ان هذا من عجايب اسرار القلب ولا يسمح بذكره
في علم المعاملة والقدر الذي يمكن ذكره ان حقايق الاشيا مسطورة في اللوح
المحفوظ بل في قلوب الملايكة المقربين وكما ان المهندس يسطر صورة ابنية الدار في
بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والارض
كتب نسخة العالم الذي خرج الى الوجود بصورته يتادى منه صورة اخرى الى
الحواس والخيال فان من ينظر الى السماء والارض ثم يغض بصره يرى صورة السماء
والارض في خياله حتى كانه ينظر اليه ولو انعدم السماء والارض وبقي هو لوجد صورة
السماء والارض في نفسه كانه يشاهدها وينظر اليها ثم يتادى من خياله اثر الى القلب
فيحصل فيه حقايق الاشيا التي وجدت في الحس والخيال فالحاصل في القلب موافق

للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في
نفسه خارجا عن خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق النسخة
الموجودة في اللوح المحفوظ فكان للعالم اربع درجات في الوجود وجود
في اللوح وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبعه وجوده الحقيقي
ويتبع وجوده العقلي اعني وجوده الخيالي اعني وجود صورته في الخيال
ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي اعني وجود صورته في القلب وبعض
وجوداته هذه الموجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانيات
بعضها اشد روحانية من بعض وهذا لطف من الحكمة الالهية اذ جعل حدقتك
على صغر حجمها بحيث ينطبع فيها صورة العالم والسموات والارض على اتساع
اكنافها ثم يسري من وجودها في الحس وجود في الخيال ثم منه وجود في القلب
فانك ابدا لا تدرك الا ما هو واصل اليك فلو لم تجعل للعالم كله مثالا
في ذاتك لما كان لك خبر بما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجايب
في القلوب والابصار ثم اعمى عن دركها القلوب والابصار حتى صار
قلب اكثر الخلق جاهلا بالقلب وبعجايبه فلنرجع الى المقصود فنقول القلب
يتصور ان يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من
اللوح المحفوظ كما ان العين يتصور ان يحصل فيها صورة الشمس ويحكي صورتها
تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الماء الصافي الذي يقابل الشمس ويحكي
صورته فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ راى الاشيا فيه
وتفجر اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك
كتفجر الماء من عمق الارض ومهما اقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات
كان ذلك حجابا من مطالعة اللوح المحفوظ كما ان الماء اذا اجتمع من
الانهار في الحوض منع ذلك عن التفجر من الارض وكما ان من نظر الى الماء
الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس فاذن للقلب بابان
باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح
الى الحواس الخمس المتمسك بعالم الشهادة والملك وعالم الشهادة والملك ايضا يحاكي عالم
الملكوت نوعا من المحاكاة فاما انفتاح بابه ~~الداخل الى عالم الملكوت ومطالعة~~ القلب الى الاقتباس
من الحواس فلا يخفى عليك واما انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت ومطالعة
اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينيا بالتامل في عجايب الرويا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون

الرويا

الرويا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل او كان في الماضي من غير اقتباس
من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن تجرد لذكر الله تعالى قال عليه الصلاة والسلام
سبق المفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر اوزارهم فوردوا
القيامة خفافا ثم قال في وصفهم حكاية عن الله تعالى اذ قال ثم اقبل عليهم بوجهي
اترى من واجهته بوجهي يعلم احد اي شي اريد ان اعطيه ثم قال اول ما اعطيهم ان اقذف
من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم ومدخل هذه الاخبار هو الباب الباطن
فاذا الفرق بين علوم الاوليا والانبيا وبين علوم الحكما والعلما هذا وهو ان علومهم
تاتي من داخل القلب من الباب المنفتح الى عالم الملكوت وعلم الحكما ياتي من ابواب
الحواس المفتوحة الى عالم الملك وعجايب عالم القلب وتردده بين عالم الشهادة
والغيب لا يمكن ان يستقصى في علم المعاملة فهذا مثال يعرفك الفرق بين مداخل
العلمين المثال الثاني يعرفك الفرق بين مداخل العملين اعني عمل العلما وعمل
الاوليا فان العلما يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها الى القلب
والاوليا الصوفية يعملون في جلا القلب وتطهيره وتصقيله فقط وقد
حكي ان اهل الصين واهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة
النقش والصور فاستقر راي الملك على ان يسلم اليهم صفة لينقش
اهل الصين منها جانبا واهل الروم جانبا ويرخى بينهم حجاب يمنع اطلاع
كل فريق على الاخر ففعل ذلك وجمع اهل الروم من الاصباغ الغريبة ما لا ينحصر
ودخل اهل الصين من غير صبغ واقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ اهل
الروم ادعى اهل الصين ايضا انهم قد فرغوا فتعجب الملك من قولهم وانهم كيف
فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل لهم وكيف فرغتم من النقش من غير صبغ
فقالوا ما عليكم منا ارفعوا الحجاب فاذا بجانبهم يتلألأ منه عجايب
الصنايع الرومية مع زيادة اشراق وبريق اذ كان قد صار كالمراة المجلوة
لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد الصفا فكذلك عناية الاوليا
بتطهير القلب وجلايه وتزكيته وصفايه حتى يتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الاشراق
كفعل اهل الصين وعناية العلما والحكما باكتساب نفس العلوم وتحصيل نقشها في

القلب وكيفما كان الامر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه
لا يتكدر واليه اشار الحسن بقوله التراب لا ياكل محل الايمان فيكون وسيلة
المقربة له الى الله تعالى اما ما حصله من نفس العلم او ما حصله من الصفاء والاستعداد
لقبول نفس العلم والاستعداد لاخذ بالعلم والمعرفة وبعض الاستعدادات اشرف من
بعض كما انه لا غنى الا بالمال وصاحب الدرهم غني وصاحب الخزاين المترعة غني
وتتفاوت درجات السعدا بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما تتفاوت درجات
الاغنيا بحسب قلة المال وكثرته والمعارف انوار ولا يسعى المؤمنون الى لقا الله الا
بانوارهم قال الله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم وقد ورد في الخبر ان
بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم يعطى اصغر حتى يكون اخرهم رجلا يعطى
نورا على ابهام قدمه فيضي مرة ويطفى مرة فاذا اضا قدم قدمه يمشي واذا طفى
قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من
يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من
يمر كشد الفرس والذي اعطي نوره على ابهام قدمه يحبوا على وجهه ويديه ورجليه
يجر منه يد وتعلق اخرى ويجر رجل وتعلق اخرى وتصيب جوانبه النار قال فلا
يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا يظهر تفاوت الناس في الايمان ولو وزن
ايمان ابي بكر بايمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح وهذا ايضا في قول
القايل لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح وايمان احاد العوام مثل السراج
وبعضهم نوره كنور الشمع وايمان الصديقين كنور القمر والنجوم وايمان الانبيا
كنور الشمس وكما ينكشف في نور الشمس صورة الافاق مع اتساع اقطارها
ولا ينكشف في نور السراج الا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدر
بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جا في الخبر انه يقال يوم القيامة
اخرجوا من النار من في قلبه مثقال من ايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة
وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان فان هذه المقادير من الايمان لا
تمنع دخول النار وفي مفهومه ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو
دخل لامر باخراجه اولا وان من في قلبه ذرة لا يستحق الخلود في النار وان دخلها ولذلك
قوله صلى الله عليه وسلم ليس شي خيرا من الف مثله الا الانسان او المومن اشارة
الى تفضيل

نوره صح

الى تفضيل قلب العارف المومن وانه خير من الف من عوام الناس وقد قال تعالى
وانتم الاعلون ان كنتم مومنين فتفضيل المومن على المسلم والمراد به المومن العارف
دون المقلد وقال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ::
فالمراد هاهنا بالذين امنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين
اوتوا العلم ويدل ذلك على ان اسم المومن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة
الكشف وفسر ابن عباس قوله والذين اوتوا العلم درجات قال يرفع العالم فوق
المومنين بسبعماية درجة بين كل درجتين كما بين السما والارض وقال صلى الله
عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب وقال فضل العالم على
العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي وفي رواية كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب فبهذه
الشواهد يتضح تفاوت درجات اهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا
كان يوم القيامة يوم التغابن اذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران
والمحروم يرى فوقه درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغني الذي
يملك عشرة دراهم الى الغني الذي يملك الارض من المشرق الى المغرب وكل واحد
منهما غني ولكن ما اعظم الفرق بينهما وما اعظم الغبن على من يحبس
حظه منه وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا **بيان شواهد الشرع
على صحة طريق اهل التصوف** في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من
طريق المعتاد اعلم ان من انكشف له ولو الشي اليسير بطريق الالهام والوقوع
في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك
من نفسه قط فينبغي ان يومن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد
لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات اما الشواهد فقوله تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة
على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والالهام وقال النبي صلى الله
عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى
يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى
يستوجب النار وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا قيل يجعل له مخرجا من الاشكالات
والشبه ويرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال
تعالى يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل

ويخرج به من الشبهات ولذلك أكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه سؤال
النور فقال اللهم اعطني نورا وزدني نورا واجعل لي في قلبي نورا وفي سمعي نورا
حتى قال في شعري وبشري ولحمي ودمي وسئل صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى
افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح قال هو التوسع
ان النور اذا قذف به في القلب انفسح له الصدر وانشرح وقال صلى الله عليه وسلم
لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل وقال علي رضي الله عنه ما عندنا
شيء اسره النبي صلى الله عليه وسلم الينا الا ان يؤتي الله عبدا فهما في كتابه وليس
هذا بالتعلم ويحتمل في تفسير قوله يؤتي الحكمة من يشا انه الفهم في كتاب الله
وقال الله تعالى ففهمناها سليمان خص ما انكشف باسم الفهم وكان ابو الدردا
يقول المومن ينظر من وراء ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه
على السنتهم وقال بعض السلف ظن المومن كهانة وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله واليه يشير قوله تعالى لآيات
للمتوسمين وقوله قد بينا الايات لقوم يوقنون وروى الحسن
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العلم علمان فعلم باطن في القلب
فذلك هو العلم النافع وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو فقال هو سر من
اسرار الله يقذفه في قلوب احبابه ولم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد قال
صلى الله عليه وسلم ان من امتي محدثين ومكلمين وان عمر منهم وقرا ابن عباس وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين والمحدث هو الملهم
والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات
المحسوسات الخارجة والقران مصرح بان التقوى مفتاح الهداية والكشف
وذلك علم من غير تعلم قال الله تعالى وما خلق الله في السموات والارض لآيات
لقوم يتقون خصصها بهم وقال هذا بيان للناس وهدى [illegible] للمتقين
وموعظة صح
وكان ابو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما
حفظ صار جاهلا انما العالم الذي ياخذ علمه من ربه اي وقت شاء بلا
حفظ ولا درس وهذا هو العالم الرباني واليه الاشارة بقوله تعالى
وقد اتيناك من لدنا ذكرا وعلمناه من لدنا علما مع ان كل علم من لدنه ولكن
بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل العلم اللدني الذي
ينتمي

الذي يتفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فمن ذلك شواهد النقل
ويوجد لك كل ما ورد فيه من الآيات والأخبار والآثار يخرج عن الحصر واما شواهد
ذلك بحيث لا يبقى ريب فذلك ايضا خارج عن الحصر اذ ظهر ذلك على الصحابة والتابعين
ومن بعدهم قال ابو بكر رضي الله عنه لعايشة انما هما اخواك واختاك وكانت زوجته حاملا فولدت
بنتا فكان قد عرف قبل الولادة انها بنت وقال عمر رضي الله عنه في اثنا خطبته يا سارية
الجبل اذ انكشف له ان العدو قد اشرف عليهم فحذره لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته
اليه من جملة الكرامات وعن انس بن مالك قال دخلت على عثمان بن عفان رضي الله عنه
وكنت اصبت امراة في الطريق فنظرت اليها نظرا شزرا وتاملت محاسنها
فلما دخلت عليه قال يدخل علي احدكم واثار الزنا ظاهرة في عينيه اما
علمت ان زنا العين النظر لتتوبن او لاعزرنك فقلت له اوحي بعد النبي صلى الله
عليه وسلم فقال لا ولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة وعن ابي سعيد
الخراز قال دخلت المسجد الجامع فرايت فقيرا عليه خرقتان فقلت في سري هذا
واشباهه كل على الناس فناداني وقال واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه
فاستغفرت الله في سري فناداني فقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ثم غاب
عني فلم اره وقال زكريا بن دلويه دخل ابو العباس بن مسروق على ابي الفضل
الهاشمي وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب قال فلما قمت قلت في نفسي
من اين ياكل هذا الرجل قال فصاح بي يا ابا العباس رد هذه الهمة الدنية
فان لله تعالى الطافا خفية وعن احمد النقيب قال دخلت على الشبلي فقال
مفتونا يا احمد فقلت ما الخبر فقال كنت جالسا فجرى بخاطري انك بخيل فقلت
ما انا بخيل فعاد مني خاطري وقال بل انك بخيل فقلت ما فتح الله علي اليوم بشيء الا
دفعته الى اول فقير يلقاني فما استتم الخاطر حتى دخل علي صاحب مونس
الخادم ومعه خمسون دينارا فقال اجعلها في مصالحك قال فاخذتها وقمت فخرجت
فاذا انا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق راسه فتقدمت اليه وناولته الصرة فقال اعطها
المزين فقلت انها دنانير فقال اوليس قلنا لك انك بخيل فقال فناولتها المزين
فقال المزين عقدنا لما جلس بين ايدينا ان لا ناخذ عليه اجرا فرميت الدنانير
في دجلة وقلت ما اعزك احد الا اذله الله تعالى وقال حمزة بن عبد الله العلوي دخلت
على ابي الخير التيناتي فاعتقدت في نفسي ان اسلم عليه ولا اكل في داره طعاما فلما

صح شزرا

صح الخراز

اليوم صح

خرجت من عندك فاذا ابو الخير وقد حمل طبقا عليه طعام فقال يا فتى كل هذا فقد خرجت
الساعة من اعتقادك وكان ابو الخير مشهورا بالكرامات وقال ابراهيم الرقي قصدته
مسلما فصلى صلاة المغرب ولم يقرا فاتحة الكتاب مستويا فقلت في نفسي ضاعت
سفرتي فلما سلم خرجت للطهارة فقصدني السبع فعدت اليه وقلت ان
الاسد قصدني فخرج وصاح على الاسد وقال الم اقل لك لا تتعرض لضيفاني
فتنحى فتطهرت فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الاسد
واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الاسد وما حكي من تفرس المشايخ واخبارهم
عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر
والسوال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر
والحكاية لا تنفع مع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن انكر الاصل انكر التفصيل
والدليل القاطع الذي لا يقدر احد على جحده امران احدهما عجائب الرويا الصادقة فانه
ينكشف بها الغيب واذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل ايضا في اليقظة فلم يفارق
النوم اليقظة الا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات وكم من مستيقظ
غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه والثاني اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الغيب وامور في المستقبل كما اشتمل عليه القران واذا جاز ذلك للنبي جاز لغيره اذ النبي
صلى الله عليه وسلم عبارة عن شخص كوشف بحقائق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل
ان يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل باصلاح الخلق وهذا
لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن امن بالانبيا وصدق بالرويا الصحيحة لزمه لا محالة
ان يقر بان للقلب بابين باب الى خارج وهي الحواس وباب الى الملكوت من داخل
وهو باب الالهام والنفث في الروع والوحي واذا اقر بهما جميعا لم يمكنه ان يحصر
العلوم في التعلم ومباشرة الاسباب المالوفة بل يجوز ان تكون المجاهدة سبيلا اليه
فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم
الملكوت واما السبب في انكشاف الامور في المنام بالمثال المحوج الى التعبير
وكذلك تمثل الملائكة بصور مختلفة للانبيا والاوليا فذلك ايضا من اسرار عجائب
القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف
في الاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها وقد قال بعض المكاشفين
ظهر لي الملك فسالني ان املي عليه شيئا من ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد
وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب ان نصعد لك بعمل تتقرب به الى الله فقلت الستما
تكتبان الفرائض قالوا بلى قلت فليكفيكما ذلك وهذا اشارة الى ان الكرام

الكاتبين

من

الكاتبين لا يطلعون على اسرار القلب انما يطلعون على الاعمال الظاهرة
وقال بعض العارفين سألت بعض الابدال عن مسئلة من مشاهدة اليقين
فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم اطرق الى صدره فقال ما تقول
رحمك الله ثم اجاب باغرب جواب سمعته فسألته عن التفاته فقال لم يكن في
المسئلة عندي علم عتيد فسألت صاحب الشمال فقال لا ادري فسألت صاحب
اليمين وهو اعلم منه فقال لا ادري فنظرت الى قلبي فسألته فحدثني بما اجبتك
فاذا هو اعلم منهما وكان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان في امتي محدثين
وان عمر منهم وفي الاثر ان الله تعالى يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرأيت
الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه
وقال ابو سليمان الداراني القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها ابواب
مغلقة فاي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من ابواب القلب الى جهة
الملكوت والملا الاعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والاعراض
عن شهوات الدنيا فلذلك كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى امرا الاجناد
احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانهم تتجلى لهم امور صادقة وقال بعض
العلما يد الله على افواه الحكما لا ينطقون الا بما هياه الله لهم من الحق وقال اخر لو شئت
لقلت ان الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره

بيان تسلط الشيطان على القلب

بالوساوس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها اعلم
ان القلب كما ذكرناه مثال قبة لها ابواب تنصب اليها الاحوال من كل باب
ومثاله ايضا مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب وهو مثل مراة
منصوبة تجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة
ولا تخلو عنها او مثال حوض تنصب اليه مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه
وانما مداخل هذه الاثار المتجددة في القلب في كل حال اما من الظواهر بالحواس
الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج
الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منها اثر في القلب وكذلك اذا هاجت
الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل وبقوة في المزاج حصل منها في القلب اثر
وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال
من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال والمقصود

ان القلب في التغير والتاثر دايما من هذه الاسباب واخص الاثار الحاصلة في
القلب هي الخواطر واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار واعني به
ادراكاته علوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر
من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلا عنها والخواطر هي المحركات للارادات
فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة
فمبدا الافعال الخواطر ثم الخواطر تحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم
يحرك النية والنية تحرك الاعضا والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو
الى الشر اعني الى ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني الى ما ينفع في الدار
الاخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود
يسمى الهاما والخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم
ان هذه الخواطر حادثة وكل حادث لا بد له من سبب ومهما اختلفت الحوادث
دل على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات
على الاسباب فمهما استنار حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود
بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة فكذلك لانوار القلب
وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب
الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي يتهيا به القلب لقبول الهام
الملك يسمى توفيقا والذي به يتهيا لقبول وسواس الشيطان يسمى اغوا
وخذلانا فان المعاني المختلفة تفتقر الى اسامي مختلفة والملك عبارة عن
خلق خلقه الله تعالى شانه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف
وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شانه ضد ذلك وهو الوعد
بالشر والامر بالفحشا والتخويف عند الهم بالخير بالفقر والوسوسة في مقابلة
الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله
تعالى ومن كل شي خلقنا زوجين فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة الا الله تعالى
فانه فرد لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للازواج كلها والقلب متجاذب
بين الشيطان والملك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في القلب لمتان لمة من الملك
ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن
الخير وقال الحسن انما هما همان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم
الله عبدا

الى طلبها وقف عند همه فما كان لله امضاه وما كان من غيره جاهده والتجاذب القلب
بين هذين المتسلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المومن بين اصبعين
من اصابع الرحمن والله سبحانه يتعالى ان يكون له اصبع مركب من لحم وعظم ودم
ينقسم بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير
فانك لا تريد اصبعك لشخصها بل لفعلها في التقليب والترديد وكما انك تتعاطى
الافعال باصابعك فالله تعالى انما يفعل ما يفعله باستسخار الملك والشيطان
وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب
الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة صالح لقبول اثار الملايكة ولقبول
اثار الشياطين صلاحا متساويا ليس يترجح احدهما على الاخر وانما يترجح احد
الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات او الاعراض عنها ومخالفتها
فان اتبع الانسان مقتضى الشهوة والغضب ظهر تسلط الشيطان بواسطة
الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى الشيطان
ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملايكة
صار قلبه مستقر الملايكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص
وطمع وطول امل الى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل
قلب عن ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم ما منكم من احد الا وله شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال
وانا الا ان الله تعالى اعانني عليه فاسلم ولم يامر الا بخير وانما كان هذا لان
الشيطان لا يتصرف الا بواسطة الشهوة فمن اعانه الله على شهوته حتى صار
لا ينبسط الا حيث ينبغي والى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو الى الشر فالشيطان
المتدرع بها لا يامر الا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى
وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب الى ذكر الله ارتحل
الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهم والتطارد بين جندي الملايكة
والشياطين في معركة القلب دايم الى ان ينفتح القلب لاحدهما فيستمكن ويستوطن
ويكون اجتياز الثاني اختلاسا واكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وملكتها
فامتلات بالوساوس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الاخرة ومبدا
استيلايها اتباع الهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت الشيطان

بعدو الهم

بعد الوسواس

وهو الهوى والشهوات عن عمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح اثر الملائكة قال
جرير بن عبيدة العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد في صدري من الوسوسة
فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا
مضوا وتركوه يعني ان القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكل من تبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله
فلذلك تسلط عليه الشيطان وقد قال الله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه اشارة
الى ان الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الشيطان لا عبد الله وقد قال عثمان بن
العاص يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وبين قراءتي فقال ذلك شيطان
يقال له خنزب اذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال
ففعلت ذلك فاذهبه الله عني وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان
فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان عن القلب الا ذكر شيء سوى ما
يوسوس به لانه اذا حضر في القلب ذكر شيء انعدم ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى
الله وسوى ما يتعلق به فيجوز ان يكون ايضا مجالا للشيطان فذكر الله هو الذي
يؤمن جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء الا بضده وضد جميع
وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الذين
الغالب عليهم ذكر الله وانما الشيطان يطوف بقلوبهم في اوقات الفلتات على سبيل
الخلسة قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم
مبصرون وقال مجاهد في معنى قوله من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على
قلب الانسان فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه
فالتطارد بين ذكر الله ورسوله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلمة
وبين الليل والنهار ولتطاردهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان فانساهم
ذكر الله وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خطمه
على قلب ابن ادم فان ذكر الله خنس وان نسي التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث
ذكره اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال بابي
وجه لا يفلح وكما ان الشهوات ممتزجة بلحم الادمي ودمه فسلطنة الشيطان ايضا
سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان

عبد الهوى

يجري

يجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة
ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال
تعالى حكاية عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان
قعد لابن ادم بطرق فقعد له بطريق الاسلام فقال اتسلم وتذر دينك ودين ابايك
فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر فتدع ارضك وسماك فعصاه
فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال اتجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل
فتنكح نساوك ويقسم مالك فعصاه فجاهد فقال رسول صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك
فمات كان حقا على الله ان يدخله الجنة فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة
وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد انه يقتل وينكح نساوه وغير ذلك مما يصرفه عن العادة
وهذه الخواطر معلومة فاذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب
ويفتقر الى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان فلا يتصور ان ينفك عنه ادمي وانما
يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ما من احد الا وله
شيطان فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك
والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان انه
جسم لطيف او ليس بجسم وان كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان ما هو جسم
فهذا الان غير محتاج اليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا مثل
رجل دخلت في ثوبه حية وهو محتاج الى دفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها
وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فمصادمة الخواطر الباعثة على الشرور
قد علم وذلك انه عن سبب على سبيل لا محالة وعلم ان الداعي الى الشر المحذور
في المستقبل عدو فقد عرف العدو فينبغي ان يشتغل بمجاهدته وعداوته
وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليومن به ويحترز منه
فقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من
اصحاب السعير وقال الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه
لكم عدو مبين فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسوال عن
اصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي ان يسال عن سلاحه ليدفعه عن نفسه
وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعاملين فاما معرفة
حقيقة ذاته وحقيقة الملايكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين

في علوم المكاشفات ولا يحتاج في المعاملة الى معرفته نعم ينبغي ان يعلم ان الخواطر
تنقسم الى ما يعلم قطعا انه داعي الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم
انه داعي الى الخير فلا يشك في كونه الهاما والى ما يتردد فيه فلا يدرى
انه من لمة الملك او من لمة الشيطان فان من مكايد الشيطان ان يعرض
الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به يهلكون
فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير
كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى
من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب
بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة
فكيف تكفر نعمته وتتعرض للسخط وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة
خلق الله الى الصراط المستقيم فلا يزال يستجره بلطائف الحيل الى ان
يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين
اللفظ واظهار الخير ويقول ان لم تفعل ذلك سقطت ولم يقع كلامك في قلوبهم
ولم يهتدوا الى الخير فلا يزال يقرر ذلك وهو في اثنائه يؤكد فيه شوائب
الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق
بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن
ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن انه
عند الله بمكان وهو عند الله ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر
ولذلك روي ان ابليس تمثل لعيسى عليه الصلاة والسلام فقال له قل لا
اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك لان له تحت الخير تلبيسات
وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبه يهلك العلماء والعباد
والزهاد والفقراء والاغنياء واصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر
الشر ولا يرضون لانفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة من
مكايد الشيطان في كتاب الغرور في اخر هذا الربع ولعلنا ان امهل
الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه تلبيس ابليس فانه قد
انتشر الان تلبيسه في البلاد والعباد في المذاهب والاعتقادات حتى لم
يبق

كلامك

يبق من الخيرات الا رسومها كل ذلك اذعان لتلبيس الشيطان ومن مكايده
يخفى على العبد ان يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه لمة الملك او لمة الشيطان
وان يمعن النظر فيه بنور البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى
وغزارة العلم كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون اي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون
اي انكشف لهم الاشكال واما من لم يروض نفسه بالتقوى فيميل طبعه
الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوى ويكثر فيه غلطه ويتعجل به هلاكه وهو
لا يشعر وفي مثلهم قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل
هي اعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات واغمض انواع علوم
المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على
كل عبد وقد اهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر اليهم الوساوس وتسلط
عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطرق الاحتراز منه ولا ينجي من كثرة الوساوس
الا سد ابواب الخواطر وابوابها الحواس الخمس وابوابها من داخل الشهوات
وعلائق الدنيا والخلوة في بيت مظلم يسد باب الحواس والتجرد عن المال
والاهل يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة من
التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله ثم انه لا يزال
يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة
لا اخر لها الا الموت اذ لا يتخلص احد عن الشيطان ما دام حيا نعم قد يقوى
بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغني قط
عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه فانه ما دام حيا فابواب الشيطان
مفتوحة الى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره
وغيرها كما سياتي شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو
غير غافل لم يدفع الا بالحراسة والمجاهدة قال رجل للحسن يا ابا سعيد
اينام ابليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا راحة فلا خلاص للمؤمن عنه نعم له
سبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي احدكم بعيره في سفره وقال ابن مسعود
شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك

وانا مثل الجرو وانا الان مثل العصفور ففعلت ولم ذلك فالموسى
بكتاب الله عز وجل واهل التقوى لا يتخذ عليهم سد ابواب الشياطين
وحفظها بالحراسة اعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي
الى المعاصي الظاهرة وانما يتخبطون في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون
اليها فيحرسونها كما اشرنا اليه في غرور العلماء والوعاظ والمشكل ان
الابواب المفتوحة الى القلب للشياطين كثيرة وباب الملائكة واحد وقد
التبس ذلك الواحد بهذه الكثيرة فالعبد فيه مثال المسافر الذي يبقى
في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم
الا بعين بصيرة وشمس مشرقة والعين البصيرة هاهنا هو القلب
المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله
وسنة رسوله فيما يهدي الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة وغامضة
قال عبد الله بن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال
هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله فقال هذه سبل
على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرا وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله لتلك الخطوط فبين
صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه
وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين شهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة
مثال الطريق الجلي
فلنذكر لطريقه الواضح الذي لا [illegible] ان يضطر الادمي الى سلوكه وذلك كما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان راهب في بني اسرائيل فاخذ الشيطان جارية
فخنقها والقى في قلوب اهلها دواها عند الراهب فاتوا بها الراهب فابى
ان يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها فاتاه الشيطان فوسوس
وزين له مقاربتها فلم يزل به حتى وقع عليها فحملت منه فوسوس اليه وقال الان تفتضح
ياتيك اهلها فاقتلها فان اتوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى الشيطان اهلها
فوسوس اليهم والقى في قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسالوه
فقال ماتت فاخذوه فاتاه الشيطان فقال انا الذي اخذتها وانا الذي القيت
في قلوب اهلها فاطعني تنج واسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فهو الذي قال الله
عز وجل فيه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك

فانظر

فانظر الآن الى حيله واستدراجه الراهب الى هذه الكبائر وكل ذلك لطاعته له
في قبول الجارية للمعالجة وهو امر هين وربما يظن صاحبه انه خير وحسن فيحسن
ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الامر بعد ذلك عن
اختياره ويجره البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع
اوايل الامور واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى يوشك
ان يقع فيه **بيان تفصيل** مداخل الشيطان الى القلب اعلم ان مثال القلب مثال
مثال حصن والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه ولا
يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواضع
ثلمه ولا يقدر على حراسة ابوابه من لا يعرف ابوابه فحماية القلب عن وسواس الشيطان
واجب وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو ايضا
واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخل
الشيطان واجبة ومداخل الشيطان وابوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكنا
نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق على كثرة جنود
الشيطان فمن ابوابه العظيمة الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصا على شيء
اعماه حرصه واصمه اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم
ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه الحرص والحسد
لم يبصر فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته
وان كان منكرا وفاحشا فقد روي ان نوحا عليه الصلاة والسلام لما ركب
البحر وحمل في السفينة من كل زوجين اثنين كما امره الله راى في السفينة شيخا لم يعرفه
فقال له نوح ما ادخلك قال دخلت لاصيب قلوب اصحابك فتكون قلوبهم معي
وابدانهم معك فقال نوح اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم فقال ابليس خمس
اهلك بهن الناس وساحدثك منهن بثلاث ولا احدثك بالاثنتين فاوحى
الله الى نوح انه لا حاجة بك الى الثلاث مره يحدثك بالاثنتين فقال ما الاثنتان فقال
اللتان لا يكذباني هما اللتان لا يخلفاني بهما اهلك الناس الحسد والحرص فبالحسد
لعنت وجعلت شيطانا رجيما واما الحرص فانه ابيح لادم الجنة كلها فاصبت حاجتي
منه بالحرص ومن ابوابه العظيمة الغضب والشهوة فان الغضب غول العقل
فاذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب به

الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة فقد روي ان ابليس لقي موسى عليه الصلاة والسلام
فقال يا موسى انت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وانا من خلق الله اذنبت
ولنا اريد ان اتوب فاشفع لي الى ربي ان يتوب علي قال موسى نعم فدعا ربه عز وجل
فقال يا موسى قد قضيت حاجتك فلقي موسى ابليس وقال امرت ان تسجد لقبر ادم
ليتاب عليك فاستكبر وغضب وقال لم اسجد له حيا اسجد له ميتا ثم قال ابليس
يا موسى ان لك علي حقا بما شفعت لي الى ربك فاذكرني عند ثلاث لا اهلكك فيهن
اذكرني حين تغضب فان روحي في قلبك وعيني في عينك واجري منك مجرى
الدم واذكرني حين تلقى الزحف فاني اتي ابن ادم حين يلقى الزحف فاذكره ولده
وزوجته واهله حتى يولي واياك ان تجالس امراة ليست بذات محرم فاني رسولها
اليك ورسولك اليها فقد اشار في هذا الى الشهوة والغضب والحرص فان الفرار من الزحف
حرص على الدنيا وامتناعه عن سجود ادم ميتا هو الحسد وهو من اعظم مداخله
وقال بعض الانبيا لابليس باي شي تغلب ابن ادم قال اخذه عند الغضب وعند
الهوى وظهر ابليس لراهب فقال له اي اخلاق بني ادم اعون لك قال الحدة
ان العبد اذا كان حديدا قلبناه كما تقلب الصبيان الكرة وقيل ان الشيطان
يقول كيف يغلبني ابن ادم واذا رضي جئت حتى اكون في قلبه فاذا غضب طرت
حتى اكون في راسه ومن ابوابه حب التزين في الثياب والاثاث والدار فان
الشيطان اذا راى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه الشيطان وفرخ
فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع ابنيتها
ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره فاذا
اوقعه فيها فقد استغنى عن معاودته فان بعض ذلك يجره الى البعض فلا يزال
يوديه من شي الى شي الى ان يساق اليه اجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع
الهوى ومن ذلك يخشى سو الخاتمة بالكفر نعوذ بالله منه ومن ابوابه العظيمة
الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات والشهوات
اسلحة الشيطان روي ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا فراى عليه معاليق من كل شي
فقال له يحيى يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي اصيب بهن بني
ادم فقال فهل فيها لي شي فقال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال
هل غير ذلك قال لا فقال يحيى لله علي ان لا املى بطني من طعام ابدا فقال ابليس ولله
علي

على ان لا تنصح مسلما ابدا ومن ابوابه العظيمة الطمع في الناس فاذا غلب الطمع على
القلب لم يزل الشيطان يحسن التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع الريا والتلبيس
حتى يصير المطموع فيه كانه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب
اليه ويدخل كل مدخل للوصول الى ذلك واقل احواله الثنا عليه بما ليس فيه والمداهنة
معه بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد روي صفوان بن سليم ان ابليس تمثل
لعبد الله بن حنظلة وقال يا ابن حنظلة احفظ عني شيا اعلمكه فقال لا حاجة
لي به فقال انظر فان كان خيرا قبلت وان كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسال
احدا غير الله سوال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت ومن ابوابه العجلة وترك
التثبت في الامور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان والتاني
من الله وقال تعالى خلق الانسان عجولا وقال تعالى ولا تعجل بالقران من قبل
ان يقضى اليك وحيه وهذا لان الاعمال ينبغي ان تكون بعد التبصرة والمعرفة
والتبصرة تحتاج الى تامل وتمهل والعجلة تمنع من ذلك فعند الاستعجال يروج
الشيطان شره من حيث لا يدري روي انه لما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام
اتت الشياطين ابليس فقالوا اصبحت الاصنام قد نكست روسها فقال هذا
حادث قد حدث مكانكم فطار حتى جا خافقي الارض فلم يجد شيا ثم وجد عيسى قد
ولد واذا الملايكة قد حفت حوله فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد ما حملت
انثى قط ولا وضعت الا وانا احضرتها الا هذا فايسوا ان تعبد الاصنام بعد هذه
الليلة ولكن ايتوا بني ادم من قبل العجلة والخفة ومن ابوابه العظيمة الدراهم والدنانير
وساير اصناف الاموال من العروض والدواب والعقار فكل ما يزيد على قدر
القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب فلو
وجد مائة دينار فلا يكفيه ما وجده بل يحتاج الى تسعماية الاخرى وقد كان قبل
وجود المائة مستغنيا فالان وجد مائة وظن انه صار غنيا بها وقد صار محتاجا
الى تسعمائة الاف ليشتري بها دارا ويعمرها وليشتري جارية وليشتري
اثاث البيت وليشتري الثياب الفاخرة وكل شي من ذلك يستدعي شيا
اخر يليق به وذلك لا اخر له فيقع في هاوية اخرها عمق جهنم فلا اخر لها سواه قال ثابت
لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما هو
فانطلقوا ثم جاوه وقالوا ما ندري قال ابليس انا اتيكم بالخبر فذهب ثم جا وقال قد بعث محمد صلى الله

عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين
ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم فيمحى
ذلك فقال إبليس رويدا بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فهناك تصيبون حاجتكم منهم
وروي أن عيسى صلى الله عليه وسلم توسد حجرا فمر به إبليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا
فأخذه من تحت رأسه ورمى به وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد
عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عدة للشيطان عليه فإن القائم بالليل
مثلا للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسده لا يزال يدعوه إلى النوم
وإلى أن يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ولا تتحرك رغبته إلى النوم
هذا في حجر فكيف من يملك المخاد الوثيرة والفرش الوطيئة والمتنزهات
الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله ومن أبوابه البخل وخوف الفقر
فإن ذلك هو الذي يمنع من الإنفاق ويدعو إلى الادخار والكنز والعذاب الأليم
هو الموعد للكانزين كما نطق به القرآن قال خيثمة بن عبد الرحمن إن الشيطان
يقول ما غلبني ابن آدم فلن يغلبني على ثلاث أن آمره أن يأخذ المال من
غير حقه وإنفاقه في غير حقه ومنعه من حقه وقال سفيان ليس للشيطان
سلاح مثل خوف الفقر فإذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم
بالهوى وظن بربه ظن السوء ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الأسواق لجمع
المال والأسواق هي معشش الشيطان وروي عن أبي أمامة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يا رب أنزلتني إلى الأرض
وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال فاجعل لي مجلسا قال الأسواق
ومجامع الطرق قال فاجعل لي طعاما قال ما لا يذكر اسم الله عليه قال فاجعل
لي شرابا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال المزامير قال اجعل لي قرآنا
قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل
لي مصايد قال النساء ومن أبوابه التعصب للمذاهب والأهواء والحقد على
الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك الفساق
والعباد جميعا فإن الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة
مجبولة في طبع الإنسان من الصفات السبعية فإذا خيل الشيطان إليه أن ذلك هو
الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو
بذلك

بذلك فرح مسرور يظن انه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشيطان ترى الرجل الواحد
يتعصب لابي بكر رضي الله عنه وهو اكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب
ومتعاطي لانواع الفساد ولو راه ابو بكر لكان هو اول عدو له اذ موالي ابي بكر رضي الله
عنه من اخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين فكيه وكان من سيرته ان يضع
في فيه حجرا ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فانى لهذا الفضولي ان يدعي
ولاه وحبه وترى فضوليا اخر يتعصب لعلي رضي الله عنه وكان من زهده وسيرته
انه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع راس الكمين الى الرسغ فترى
الفاسق لابسا ثياب الحرير ومتجملا باموال اكتسبها من الحرام وهو يتعاطى حب علي
ويدعيه وهو اول خصمائه يوم القيامة وليت شعري من اخذ ولدا عزيزا لانسان
هو قرة عينه وحياة قلبه فاخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقرضه بالمقاريض
وهو مع ذلك يدعي حب ابيه وولاه كيف يكون حاله عنده معلوم ان الدين والشرع
كان احب الى ابي بكر وعلي وسائر الصحابة من الاهل والولد بل من انفسهم
والمقتحمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات
ويتوددون به الى ابليس عدو الله وعدو اوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم
القيامة عند الصحابة وعند اولياء الله لا بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما
تحبه الصحابة في امة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا ان يجروا على اللسان ذكرهم
مع قبيح افعالهم ثم الشيطان يخيل اليهم ان من مات محبا لابي بكر وعمر فالنار
لا تحوم حوله ويخيل الى الاخر انه اذا مات محبا لعلي لم يكن عليه خوف وهذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لابنته فاطمة وهي بضعة منه اعملي فاني لا اغني عنك من الله
شيئا وهذا مثال اوردناه من جملة الاهواء وهكذا حكم المتعصبين للشافعي
وابي حنيفة واحمد ومالك وغيرهم من الائمة فكل من ادعى مذهب امام وهو ليس
يسير بسيرته فذلك الامام هو خصمه اذ يقول له كان مذهبي العمل لا الحديث
باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان فما لك خالفتني
في العمل والسيرة التي هي مسلكي ومذهبي الذي سلكته وذهبت فيه الى الله
تعالى ثم ادعيت مذهبي كاذبا فهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان
قد اهلك به اكثر العالم وقد سلمت المدارس لاقوام قل من الله خوفهم وضعف
في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاتباع حرصهم

الاستتباع

ابن ابي طالب

ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة الجاه الا بالتعصب فحبسوا ذلك في صدورهم
ولم ينبهوهم على مكايد الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته
فاستمر الناس عليه ونسوا امهات دينهم فقد هلكوا واهلكوا فالله تعالى
يتوب علينا وعليهم وقال الحسن بلغنا ان ابليس قال سولت لامة محمد صلى
الله عليه وسلم المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا
يستغفرون الله عز وجل منها وهي الاهوا وقد صدق الملعون فانهم لا
يعلمون ان ذلك من الاسباب المسكمة التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون
منها ومن عظيم حيل الشيطان ان يشتغل الانسان عن نفسه بالاختلافات
الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال عبيد الله بن مسعود
فعل قوم يذكرون الله تعالى فاتاهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم ويفرق
بينهم فلم يستطع فاتى رفقة اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد
بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله فيشتغل
بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم
ومن ابوابه حمل العوام والذين لم يمارسوا العلوم ولم يتبحروا فيها على
التفكر في ذات الله وصفاته وفي امور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم فيه
في الدين ويخيل اليهم في الله تعالى خيالا يتعالى الله عنه فيصير كافرا او مبتدعا
وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره يظن ان ذلك هو المعرفة والبصيرة
وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله واشد الناس حماقة اقواهم
اعتقادا في عقل نفسه واثبت الناس عقلا اشدهم اتهاما لنفسه وظنه
واحرصهم على السوال من العلما قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الشيطان ياتي احدكم فيقول من خلقك فيقول الله تعالى
فيقول فمن خلق الله تعالى فاذا وجد احدكم ذلك فليقل امنت بالله ورسوله
فان ذلك يذهب عنه فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يامر في علاج هذا الوسواس
بالبحث فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلما وانما حق
العوام ان يومنوا ويسلموا ويشتغلوا بعبادتهم ومعايشهم ويتركوا
العلم الى العلما والعامي لو زنى وسرق كان خيرا له من ان يتكلم في العلم فانه
من تكلم من غير اتقان العلم في الله وفي دينه وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن
يركب

عبد الله

يدرك لجة البحر وهو لا يعرف السباحة فهو من مكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقايد
والمذاهب لا حصر له وانما قصدنا بما اوردناه المثال ومن ابوابه سوء الظن
بالمسلمين ولذلك قال الله تعالى وجل اجتنبوا كثيرا من الظن ومن حكم بشر
على غيره بالظن بعثه الشيطان على ان يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك
او يقصر في القيام بحقوقه او يتوانا في اكرامه او ينظر اليه بعين الاحتقار
ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولذلك منع الشرع من
التعرض للتهم فقال صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم حتى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم احترز منها روي عن علي بن الحسين ان صفية بنت
حيي اخبرته ان النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فاتته فتحدثت عنده
فلما امسيت انصرفت فقام يمشي معها فمر به رجلان من الانصار فسلما
ثم مضيا فدعاهما فقال انها صفية بنت حيي قالا يا رسول الله افنظن
بك الا خيرا فقال ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت
ان يدخل عليكما فانظر كيف اشفق على دينهما فحرسهما وكيف اشفق على
امته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف
بالدين في احواله فيقول مثلي لا يظن به الا الخير اعجابا منه بنفسه فان اورع
الناس واتقاهم لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم
وبعين السخط بعضهم ٥ وعين الرضا عن كل عيب كليلة ٥ ولكن عين السخط
تبدي المساويا فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الاشرار فان
الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فمهما رايت انسانا يسي
الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان ذلك خبثه يترشح
منه وانما يرى غيره من حيث هو فان المومن يطلب المعاذير والمنافق يطلب
العيوب والمومن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه مداخل
الشيطان الى القلب ولو اردت استقصاها جميعها لم اقدر عليه وفي هذا
القدر كفاية ما ينبه على غيره فليس في الادمي صفة مذمومة الا وهي سلاح
للشيطان ومدخل من مداخله فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان
وهل يكفي ذكر الله وقول الانسان لا حول ولا قوة الا بالله فاعلم ان علاج
ذلك بسد هذه المداخل وتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك

يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات
وتحتاج كل صفة الى كتاب مفرد على ما سياتي نعم اذا اقامت في القلب
اصول هذه الصفات ~~المهلكات وتحتاج كل صفة~~ كان للشيطان بالقلب
اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى
لان حقيقة الذكر لا يتمكن من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من
الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع
سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف
من الشيطان تذكروا خصص بذلك المتقين فمثال الشيطان مثل كلب جايع
يقرب منك فان لم يكن بين يديك خبز او لحم فانه ينزجر عنك بان تقول له اخسا
فمجرد الصوت يدفعه وان كان بين يديك لحم وهو جايع هجم على اللحم ولم يندفع
بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما
الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشي القلب فلم
يتمكن من سويداه فيستقر الشيطان في سويدا القلب واما قلوب
المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فيطرقها الشيطان لا للشهوات
بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد الى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك
قوله تعالى فاستعذ بالله وساير الايات والاخبار الواردة في الذكر وقال ابو هريرة
التقى شيطان المومن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر سمين دهين
كاسي واذا شيطان المومن مهزول اشعث اغبر عار فقال شيطان الكافر
لشيطان المومن ما لك قال انا مع رجل اذا اكل سمى فاظل جايعا واذا شرب
سمى فاظل عطشانا واذا ادهن سمى فاظل شعثا واذا لبس سمى فاظل
عريانا فقال شيطان الكافر ولكني مع رجل لا يفعل شيا من ذلك فانا
اشاركه في طعامه وشرابه ولباسه وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد
صلاة الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فايسه منا كما ايسته من
رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين
رحمتك انك على كل شي قدير فتمثل له ابليس يوما في طريق المسجد فقال له يا ابن واسع
هل تعرفني قال ومن انت قال اللعين قال وما تريد قال اريد ان لا تعلم احدا هذه

الاستعاذة

الاستعاذة ولا اعوذ منك ابدا فقال ابي واسع والله ما منعتها ممن ارادها فاصنع
الان ما شئت وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان شيطان ياتي النبي صلى
الله عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرا
ويتعوذ فلا يذهب فاتاه جبريل صلى الله عليه وسلم فقال قل اعوذ بكلمات الله التامات
التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ذرا في الارض وما يخرج منها وما ينزل من
السما وما يعرج فيها ومن فتن الليل وطوارق الليل الا طارق يطرق بخير يا
رحمان فقال ذلك فطفيت شعلته وخر على وجهه وقال الحسن نبيت ان جبريل
اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا اويت الى فراشك
فاقرا اية الكرسي وقال صلى الله عليه وسلم ان اتاني شيطان فنازعني ثم نازعني فاخذت
بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما ارسلته حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة
سليمان صلى الله عليه وسلم لاصبح طريحا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
سلك عمر فجا الا سلك الشيطان فجا غيره وهذا لان هذه القلوب مطهرة عن
مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فمهما طمعت في ان يندفع الشيطان عنك
بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر كان محالا وكنت كمن يطمع في ان يشرب دوا قبل
الاحتما والمعدة مشحونة بغليظ الاطعمة ويطمع في ان ينفعه كما ينفع الذي شربه
بعد الاحتما وتخلية المعدة فالذكر دوا والتقوى احتما تخلي القلب من الشهوات
فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة
بنزول الدوا في معدة خالية عن الاطعمة قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له
قلب وقال كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ومن ساعد
الشيطان بعمله فقد تولاه وان ذكر الله بلسانه وان كنت تقول الحديث قد ورد
مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم ان اكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط
نقلها علما الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتامل ان منتهى ذكرك
وعبادتك صلاتك فراقب قلبك اذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان الى
الاسواق وحساب العاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك في اودية الدنيا ومهالكها
حتى انك لا تتذكر ما نسيته من فضول الدنيا الا في صلاتك ولا تزدحم الشياطين على
قلبك الا اذا صليت والصلاة محك القلوب فبها يظهر مساويها ومحاسنها فالصلاة
لا تقبل القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم فلا يطرد عنك الشيطان

بل ربما يزيد عليك الوسواس كما ان الدوا قبل الاحتما ربما يزيد عليك الضرر فان
شئت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتما بالتقوى ثم اردفه بدوا الذكر يفر
الشيطان منك كما كان يفر من عمر رضي الله عنه ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله
ولا تسب الشيطان في العلانية وانت صديقه في السر اي انت مطيع له وقال
بعضهم يا عجبا لمن يعصي المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد
معرفته بطغيانه وكما ان الله قال ادعوني استجب لكم وانت تدعوا ولا يستجاب
لك وكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعا قيل
لابراهيم ما لنا ندعوا وقد قال تعالى ادعوني استجب لكم قال لان قلوبكم
ميتة قيل وما الذي اماتها قال ثمان خصال عرفتم الله ولم تقوموا بحقه
وقرأتم القران فلم تعملوا بحدوده وقلتم نحب الله ورسوله وتركتم سنته
وقلتم نخشى الموت فلم تستعدوا له وقال الله ان الشيطان لكم عدو فواطأتموه
على المعاصي وقلتم نخاف النار وارهقتم ابدانكم فيها وقلتم نحب الجنة
ولم تعملوا لها واذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وقدمتم عيوب
الناس امامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم فان قلت فالداعي الى المعاصي
المختلفة شيطان واحد او شياطين مختلفون فاعلم انه لا حاجة بك الى معرفة
ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسال عن صفته كل البقل ولا
تسال عن المبقلة ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار وشواهد الاخبار انهم
جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه ويدعوا اليه فاما طريق الاستبصار
فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه وهو ان اختلاف المسببات يدل
على اختلاف الاسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان واما الاخبار
فقد قال مجاهد فقد قال لابليس خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شي
من امره فذكر ثبر والاعور ومسوط وداسم وزلنبور فاما ثبر فهو صاحب المصايب
الذي يامر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية واما الاعور
فهو صاحب الزنا يامر به ويزينه واما مسوط فهو صاحب الكذب واما داسم
فيدخل مع الرجل الى اهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو
صاحب السوق وبسببه لا يزالون متظالمين وشيطان الصلاة يسمى خنزب
وشيطان الوضو الولهان وقد ورد في ذلك اخبار كثيرة وكما ان الشياطين
فيهم كثرة فكذلك في الملايكة وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة الملايكة
واختصا

داخصاهم لكل واحد يحمل سعر دين وقد قال ابو امامة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكل بالمومن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه
من ذلك البصر عليه سبعة املاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل
الذباب في اليوم الصايف وما لو بدا لكم لرايتموه على كل سهل وجبل كل باسط
يده فاغر فاه وما لو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين
وقال يونس بن يزيد بلغنا انه يولد مع ابنا الانس من ابنا الجن ثم ينشون معهم
وقال جابر بن عبد الله ان ادم صلى الله عليه وسلم لما هبط قال رب هذا العبد
الذي جعلت بيني وبينه عداوة ان لا تعني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد لك ولد
الا وكل به ملك قال رب زدني قال اجزي بالسيئة السيئة وبالحسنة عشرا
الى ما اريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح وقال
ابليس رب هذا العبد الذي كرمته علي الا تعني عليه لا اقوى عليه قال
لا يولد له ولد الا ولد لك ولد قال رب زدني قال تجري منهم مجرى الدم
وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك
الى قوله غرورا وعن ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق
الجن ثلاثة اصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف
كالريح في الهوى وصنف عليهم الحساب والعقاب وخلق الله عز وجل
الانس ثلاثة اصناف صنف كالبهايم قال الله عز وجل لهم قلوب لا يفقهون
بها ولهم اعين لا يبصرون بها الاية وصنف اجسادهم اجساد بني ادم
وارواحهم ارواح الشياطين وصنف في ظل الله يوم لا ظل الا ظله وقال
وهب بن الورد بلغنا ان ابليس تمثل ليحيى بن زكريا فقال له انصحك فقال
لا اريد ذلك اخبرني عن بني ادم قال هم عندنا على ثلاثة اصناف اما صنف
منهم فهم اشد الاصناف علينا نقبل عليه حتى نفتنه ونستمكن منه
ثم يفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شي ادركنا منه ثم نعود اليه
فيعود فلا نحن نايس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عنا واما
الصنف الاخر فهم في ايدينا بمنزلة الكرة في ايدي صبيانكم نتلقفهم كيف شينا
فقد كفونا انفسهم واما الصنف الاخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم
على شي فقلت كيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض واذا راه

ايوب

الشياطين

صورته فهي صورته الحقيقية أو مثال له يتمثل به وإن كان بصورته الحقيقية فكيف
يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه
شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان
هي حقيقة صورتهما ولا يدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة إلا بأنوار النبوة
فما رأى النبي صلى الله عليه وسلم في صورته إلا مرتين وذلك أنه عليه الصلاة والسلام
سأله أن يريه نفسه على صورته فوعده ذلك بحرا فطلع له جبريل فسد
الأفق إلى المغرب ورآه مرة أخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى
وإنما كان يراه في صورة الآدمي غالبا وكان يراه في صورة دحية الكلبي وكان
رجلا حسن الوجه والأكثر أنه يكاشف أهل المكاشفة من أرباب القلوب بمثال
صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه فيقوم
ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لأكثر الصالحين وإنما
المكاشف في اليقظة هو الذي انتهى إلى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس
بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في فيرى في اليقظة ما يراه غيره في النوم
كما روي عن عمر بن عبد العزيز أن رجلا سأل ربه عز وجل أن يريه موضع
الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسد رجل شبه البلور يرى
داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعدا على منكبه الأيسر
بين منكبه وأذنه له خرطوم طويل دقيق قد أدخله من منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس
إليه فإذا ذكر الله خنس بجسمه ومثل هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة
وقد رآه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس إليها
وكانت الجيفة مثال الدنيا وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية
فإن كان القلب لا بد وأن يظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم
الملكوت وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذي يقابل به عالم الملك
والشهادة لأن أحدهما متصل بالآخر وقد بينا أن للقلب وجهين وجه إلى
عالم الغيب هو مدخل الإلهام والوحي ووجه إلى عالم الشهادة فالذي يظهر
منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة لا يكون إلا صورة متخيلة لأن عالم
الشهادة كلها متخيلات إلا أن الخيال تارة يحصل من النظر إلى ظاهر عالم

الشهادة

الشهادة بالحس فيجوز ان لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخصا
الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس
اما الصورة التي تحصل في الخيال من اشراق عالم الملكوت على باطن سر
القلب فلا يكون الا محاكيا للصفة وموافقا لها لان الصورة في عالم الملكوت
تابعة للصفة فلا جرم لا يرى المعنى القبيح الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان
في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيره ويرى الملك في صورة جميلة تكون
تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكيا لها بالصدق وكذلك يدل القرد
والخنزير في النوم على انسان خبيث وتدل الشاة على انسان سليم الجانب
وهكذا جميع انواع التعبير وهذه اسرار عجيبة وهي من عجائب علوم القلب
لا يليق ذكرها بعلوم المعاملة وانما المقصود ان يصدق بان الشيطان
ينكشف لارباب القلوب وكذا الملك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما في
النوم وتارة بطريق الحقيقة والاكثر هو التمثل بصورة محاكية للمعنى
هو مثال المعنى لا عين المعنى الا انه يشاهد بالعين مشاهدة محققة
وينفرد بمشاهدتها المكاشف دون من حواليه كالنائم

بيان ما يواخذ به العبد من وساوس القلب وهمه وخواطره وقصوده وما يعفى عنه ولا يواخذ به

اعلم ان هذا امر غامض وقد وردت فيه
ايات واخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها الا على سماسرة العلماء
فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عفي عن امتي ما حدثت
به نفوسها وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل
اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها سيئة
واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا
وقد اخرجه مسلم والبخاري في الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب
وهمه بالسيئة وفي لفظ اخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم
بحسنة فعملها كتبت له الى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب
عليه وان عملها كتبت وفي لفظ اخر واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها
له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على العفو فاما ما يدل على المواخذة فقوله سبحانه
لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم

وهمها وخواطرها وقصودها

بالله وقال سبحانه ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك
كان عنه مسؤولا فدل على ان عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقال
تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقال تعالى لا يؤاخذكم الله
باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والحق في هذه المسئلة لا يوقف
عليه عندنا ما لم تقع الاحاطة بتفصيل اعمال القلوب من مبدا ظهورها الى ان يظهر
العمل على الجوارح فنقول اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة
امراة وانها وراء ظهره في الطريق لو التفت اليها لرآها والثاني هيجان الرغبة
الى النظر وهي حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ونسميه
ميل الطبع ويسمى الاول حديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل
اي ينبغي ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع
الصوارف فانه قد يمنعه حياء او خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف فربما
يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو
يتبع الخاطر والميل الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه
هما بالفعل ونية وقصدا وهذا الهم قد يكون له مبدا ضعيف ولكن
اذا اصغى القلب الى الخاطر الاول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذه
الهمة وصارت ارادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك
العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت وربما يعوقه عائق فيتعذر
عليه العمل فههنا اربعة احوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث
النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول اما الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل
تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما لا يدخلان تحت الاختيار
وهما المرادان بقوله عليه الصلاة والسلام عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها فحديث
النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل فاما
العزم والهم فلا يسمى حديث نفس بل حديث النفس كما روي عن عثمان بن مظعون
حيث قال يا رسول الله ان نفسي تحدثني ان اطلق خولة قال مهلا ان من سنتي
النكاح قال نفسي تحدثني ان اجب نفسي قال مهلا اخصاء امتي دؤوب الصيام قال
نفسي تحدثني ان اترهب نفسي قال مهلا ان رهبانية امتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني
ان اترك اللحم قال مهلا فاني احبه ولو اصبته لاكلته ولو سالت الله لاطعمنيه فهذه الخواطر
التي ليس

ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل واما الثالث وهو الاعتقاد وحكم
القلب بانه ينبغي ان يفعل فهذا متردد [illegible] بين ان يكون اضطرارا او اختيارا
والاحوال تختلف فيه فالاختياري يواخذ به والاضطراري لا يواخذ به
واما الرابع فهو الهم بالفعل فانه يواخذ به الا انه ان لم يعمل نظر فان تركها خوفا
من الله وندم على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه ومجاهدته
نفسه حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله والامتناع
بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع وهو
العمل لله اشد من جده في الامتناع على موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتبت
له حسنة لانه ترجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان تعوق
الفعل لعايق او تركه لعذر لا خوفا من الله كتبت له سية فان همه فعل من
القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل ما ورد في الصحيحين مفصلا في لفظ
الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملايكة ربنا ذاك عبدك يريد ان
يعمل سية وهو ابصر فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها
له حسنة انما تركها من جرايي وحيث قال لم يعملها اراد به تركها لله فاما اذا
عزم على فاحشة وتعذرت عليه بسبب او غفلة فكيف تكتب له حسنة وقد
قال عليه السلام انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلا على ان
يصبح ويقتل مسلما او يزني بامراة فمات تلك الليلة مات مصرا ويحشر
على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ما روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال اذا التقا المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل
يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وهذا نص في انه
صار من اهل النار بمجرد الارادة مع انه قتل مظلوما فكيف يظن ان الله لا يواخذ بالنية
والهم وكل ما دخل تحت اختيار العبد فهو ماخوذ به الا ان يكفره بحسنة ونقض العزم
بالندم حسنة فلذلك كتبت حسنة فاما فوات المراد بعايق فليس بحسنة واما الخواطر وحديث
النفس وهيجان النفس فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار فالمواخذة به تكليف ما لا
يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله
جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا

ليحدث نفسه بما لا يجب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال النبي صلي
الله عليه وسلم لعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائل سمعنا وعصينا قولوا
سمعنا واطعنا فانزل الله الفرج بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا
وسعها فظهر به ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من اعمال القلب هو
الذي لا يواخذ به فهذا هو كشف للغطاء عن هذا الالتباس وكل
من يظن ان كل ما يجري علي القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين
هذه الاقسام الثلاثة فلا بد وان يغلط وكيف لا يواخذ باعمال القلوب
والكبر والعجب والريا والنفاق والحسد وجملة الخبائث من اعمال القلوب
بل السمع والبصر والفواد كل اوليك كان عنه مسئولا اي مما يدخل
تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار علي غير محرم لم يواخذ به فان
اتبعه نظرة ثانية كان يواخذ بها لانه مختار فكذا خواطر القلب تجري هذا
المجرى بل القلب اولى بمواخذته لانه الاصل قال النبي صلى الله عليه وسلم التقوى
هاهنا واشار الى القلب وقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله
التقوى منكم والتقوى في القلب وقال الاثم حواز القلب وقال البر ما اطمان اليه
القلب وان افتوك وافتوك حتى انا نقول اذا حكم قلب المفتي بايجاب شي وكان
مخطيا صار مثابا عليه بل من ظن انه تطهر فعليه ان يصلي ثم تذكر كان له ثواب
بفعله وان ترك ثم تذكر كان معاقبا ومن وجد علي فراشه امراة فظن انها زوجته
لم يعص بوطيها وان كانت اجنبية وان ظن انها اجنبية عصى بوطيها وان
كانت امراته نظرا الى القلب دون الجوارح

بيان ان الوسواس هل يتصور ان ينقطع بالكلية عند الذكر ام لا

اعلم ان العلماء المراقبين للقلوب
الناظرين في عجايبها وصفاتها اختلفوا في هذه المسالة علي خمس فرق فقالت
فرقة ان الوسوسة تنقطع بذكر الله تعالى لانه صلى الله عليه وسلم قال فاذا ذكر الله
خنس والخنوس السكوت فكانه يسكت وقالت فرقة لا ينعدم اصله ولكن
يجري في القلب ولا يكون له اثر لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر وهو محجوب
عن التاثر بالوسوسة كان كالمشغول بهمه فانه قد يتكلم ولا يفهم وان كان
الصوت يمر على سمعه وقالت فرقة لا يسقط الوسوسة ولا اثره ايضا ولكن يسقط
غلبتها للقلب وكانه يوسوس من بعد وعلي ضعف

ضعف

فتضعف وقالت فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر به في لحظة ويتعاقبان
في ازمنة متقاربة يظن لتقاربها انها متساوقة وهو كالكرة التي عليها نقط
متفرقة فانك اذا ادرتها بسرعة رايت النقط دوائر بسرعة تواصلها بالحركة
واستدل هؤلاء بان الخناس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه
له الا هذا وقالت فرقة ان الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب على الدوام
لا ينقطعان وكما ان الانسان قد يرى في حالة واحدة بعينيه شيئين فكذلك القلب قد
يكون مجرى لشيئين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا وله اربعة
اعين عينان في راسه يبصر بهما امر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما امر
دينه والى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا في هذا ان كل هذه المذاهب
صحيحة ولكنها كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوسواس وانما نظر كل واحد
الى صنف واحد من الوسواس واخبر عنه والوسواس اصناف الاول ان يكون من
جهة التلبيس للحق فان الشيطان قد يلبس الحق فيقول للانسان لا تترك التنعم
واللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر المه عظيم فعند هذا
اذ ذكر العبد عظيم حق الله وعظيم ثوابه وعقابه وقال الصبر عن الشهوات
شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولا بد من احدهما فاذا ذكر العبد
وعد الله ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع
ان يقول له النار اشد من الصبر على المعاصي ولا يمكنه ان يقول المعصية لا تفضي الى النار
فان ايمانه بكتاب الله يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب ندفعه
في علمه ويقول اي عبد يعرف الله تعالى كما تعرفه وتعبده كما تعبده فما اعظم مكانك
عند الله فيتذكر العبد ان معرفته وقدرته وقلبه واعضاءه التي بها عمله وعلمه
كل ذلك من خلق الله فمن اين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه ان يقول ليس هذا
من الله فان المعرفة والايمان تدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن
العارفين بنور الايمان والمعرفة الصنف الثاني ان يكون وسواسه بتحريك الشهوة
وتهييجها وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا انه معصية والى ما يظنه بغالب
الظن فان كان علمه يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر في التحريك ولم يخنس عن
التهييج وان كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج الى مجاهدة في دفعه فتكون
الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة الصنف الثالث ان يكون

وسوسة بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغايبة والتفكر في غير الصلاة مثلا فاذا
اقبل على الذكر تصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر
والوسوسة ويتصور ان يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا عن فهم معنى
القراة وعلى تلك الخواطر كانهما في موضعين من القلب وبعيد جدا ان يندفع
هذا الجنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين
ليس يحدث فيهما نفسه بشي من الدنيا غفر الله له ما تقدم من ذنبه فلولا انه متصور لما ذكره
الا انه لا يتصور ذلك الا في قلب قد استولى عليه حب حتى صار كالمستهتر فانا نرى المستوعب
القلب بعدو تاذى به حتى يتفكر عددا ركعتين وركعات في مجادلة عدو بحيث لا يخطر له
غيره وهكذا المستهتر بالحب قد يتفكر في مجادلة محبوبه بقلبه فيغوص في فكره بحيث لا يخطر
بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز واحد بين يديه لكان كانه لم يراه
واذا تصور هذا في خوف عدوه وعند الحرص على جاه ومال فكيف لا يتصور من خوف
النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله واليوم الاخر فاذا
تاملت جملة هذه الاقسام واصناف الوسواس علمت ان لكل مذهب من المذاهب
وجها ولكن في محل مخصوص وبالجملة فالخلاص عن الشيطان في لحظة او ساعة غير بعيد
ولكن الخلاص عنه عمرا بعيد وهو محال في الوجود ولو تخلص احد من وساوس الشيطان
بالخواطر وتهيج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روي انه
نظر الى علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رمى ذلك الثوب وقال شغلني عن الصلاة
وكان في يده خاتم من ذهب فنظر اليه على المنبر فرماه وقال نظرة اليه ونظرة
اليكم فان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر الى خاتم الذهب وطراز
الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رماه ولا تنقطع وسوسة
عروض الدنيا ونقدها الا بالرمي والمفارقة فما دام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينارا
واحدا فلا يخليه الشيطان في صلاته عن الفكر في ديناره انه كيف يحفظه وفيم ينفقه
او كيف يخفيه حتى لا يعلم به او كيف يظهره حتى يتباهى به غير ذلك من الوسواس فمن
انشب مخالبه في الدنيا وطمع ان يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن
ان الذباب لا يقع عليه وهو محال فالدنيا باب عظيم لوسواس الشيطان وليس له باب
واحد بل ابواب قال حكيم من الحكماء الشيطان ياتي ابن ادم من قبل المعاصي فان امتنع
اتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان ابى امره بالتحرج والشدة

خ حتى

الى صح

حتى يحرم

حتى يحرم ما ليس بحرام فاذا ايس شككه في وضوه وصلاته حتى يخرجه عن العلم فاذا ايس خفف
عليه اعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فيميل قلوبهم اليه ويعجب بنفسه وبه
يهلكه وعنده تشتد الحاجة فانها اخر درجة ويعلم انه لو جاوزها افلت منه الى الجنة

وعندها

بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات

اعلم ان
القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب اليه الاثار والاحوال
من الابواب التي وصفناها فكانه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا اصابه
شي يتاثر به اصابه من جانب اخر ما يضاده فتتغير صفته فاذا نزل الشيطان به
ودعاه الى الهوى نزل الملك به وصرفه عنه التفت القلب اليه وصرفه عنه وان جذبه
شيطان الى شر جذبه شيطان اخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين
وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان ولا يكون قط مهملا واليه
الاشارة بقوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم ولاطلاع رسول الله صلى الله
عليه وسلم على عظيم صنع الله في عجايب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول لا ومقلب
القلوب وكان كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا او تخاف
يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشا
وفي لفظ اخر ان شا ان يقيمه اقامه وان شا ان يزيغه ازاغه وضرب له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاثة امثلة فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة
وقال مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا وقال مثل القلب كمثل ريشة
بارض فلاة تقلبها الريح ظهرا لبطن وهذه التقلبات وعجايب صنع الله في تقلبها
من حيث لا تهتدي اليه المعرفة لا يعرفه الا المراقبون لقلوبهم والمراعون احوالهم مع الله
والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة قلب عمر بالتقوى
وزكي بالرياضة وطهر عن خبايث الاخلاق تتقدح فيه خواطر الخير من خزاين الغيب
ومداخل الملكوت فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر ليعرف دقايق الخير فيه ويطلع
على اسرار فوايده فينكشف بنور البصيرة وجهه فيحكم بانه لا بد من فعله فيستحثه
عليه ويدعوه الى العمل وينظر الملك الى القلب فيجده طيبا في جوهره طاهرا بتقواه
مستنيرا بضيا العقل معمورا بانوار المعرفة فيراه صالحا لان يكون له مستقرا
ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه الى خيرات اخرى حتى ينجر الخير
الى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب في الخير وتيسير الامر عليه واليه

الاشارة بقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى
وفي مثل هذا القلب اشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى
لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب النملة السودا في الليلة الظلما
ولا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شي من مكايد الشيطان بل يقف
الشيطان ويوحي زخرف القول غرورا ولا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته
من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سنذكرها من الصبر والشكر
والخوف والرجا والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر
والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذي اقبل الله تعالى عليه بوجهه وهو القلب
المطمئن المراد بقوله الا بذكر الله تطمئن القلوب والمراد بقوله يا ايتها النفس
المطمئنة والقلب الثاني القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالخبائث
الملوث بالاخلاق الذميمة المفتوح فيه ابواب الشياطين المسدود عنه ابواب
الملائكة ومبدا الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب
الى حاكم العقل ليستفتي منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل
قد الف خدمة الهوى وانس به واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة
الهوى ع موافقته فيستنزل النفس فيساعده على ذلك فينشرح الصدر
فينشرح الصدر بالهوى وينبسط فيه ظلماته لاحتباس جند العقل
عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى
فيقبل عليه بالتزيين والغرور والاماني ويوحي بذلك زخرفا من القول غرورا
فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخفى نور اليقين لخوف الاخرة
اذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم الى القلب يملا جوانبه حتى تنطفي
انواره فيصير العقل كالعين التي ملا الدخان اجفانها فلا يقدر على ان ينظر وهكذا
تفعل غلبة الشهوات بالقلب حتى لا يبقى للقلب امكان للتوقف والاستبصار
ولو بصره واعظ واسمعه ما هو الحق فيه عمي وصم عن السمع وهاجت الشهوة
وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت المعصية الى
عالم الملك والشهادة من خزائن الغيب بقضاء من الله تعالى وقدره والى مثل
هذا القلب الاشارة بقوله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه
وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم
اضل

خ فيستولي النفس

يخبو

عن الفهم

اهل بيت بلاء ولقوله ولقد حق القول على اكثرهم فهم لا يومنون ولقوله سوا عليهم
اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون ورب قلب يكون حاله بالاضافة الى جميع الشهوات
ورب قلب يكون هذا حاله بالاضافة الى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الاشيا
ولكنه اذا راى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط امساك قلبه
او كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت
عند ظهور اسبابه او كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر او ذكر عيب
من عيوبه او كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على اخذ درهم او دينار بل يتهالك
عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروة والتقوى وكل ذلك لتصاعد
دخان الهوى الى القلب حتى يظلم وتنطفى فيه انوار البصيرة فينطفى نور الحيا
والمروة والايمان ويسعى الى تحصيل مراد الشيطان القلب الثالث قلب
تبدو فيه خاطر الهوى فيدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى
الخير فتنبعث النفس بشهواتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع
والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها
وينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها
بالعواقب فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل ويقوي
داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتوذي نفسك
وهل ترى احدا من اهل عصرك يخالف هواه ويترك غرضه افتترك ملاذ الدنيا
لهم يتمتعون بها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك
اهل الزمان اتريد ان يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما
اشتهيت ولم يمتنعوا اما ترى العالم الفلاني ليس يحترز عن فعل ذلك
ولو كان ذلك شرا لامتنع منه فتميل النفس الى الشيطان وتنقلب اليه فيحمل الملك
حملة على الشيطان ويقول هل هلك الا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة افتقنع
بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها ابد الاباد ام تستثقل الم الصبر عن
شهوتك ولا تستثقل الم النار اتغتر بغفلة الناس عن انفسهم واتباعهم
هواهم ومساعدتهم الشيطان مع ان عذاب النار لا يخفف عنك بمعصية غيرك
ارايت لو كنت في صيف وقد وقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد اكنت
تساعد الناس او تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس
ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تميل النفس الى قول الملك فلا يزال

يتردد بين هذين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى ان يغلب على القلب ما هو اولى به فان
كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها
غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب الشياطين معرضا عن
حزب الله تعالى واوليائه ومساعدا لحزب الشيطان واعدائه وجرى على
جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى وان كان الاغلب على
القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشياطين وتحريضه اياه
على العاجلة وتهوينه على جوارحه وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
اي بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب اعني التقلب والانتقال من حزب
الى حزب اما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة او حزب الشياطين
فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب الى عالم
الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزائن الملكوت وهي اذا ظهرت كانت
علامات تعرف ارباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة تيسر له الطاعة
واسبابها ومن خلق للنار تيسرت له اسباب المعصية وسلط عليه اقران
السوء والقي في قلبه حكم الشيطان فانه بانواع الحيل يغر الحمقى كقوله ان الله رحيم
فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم وان العمر طويل فاصبر حتى
تتوب غدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم بالتوبة ويمنيهم
بالمغفرة فيهلكهم باذن الله بهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول
الغرور ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدره فمن يرد الله ان
يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا
كانما يصعد في السماء ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم
من بعده فهو الهادي والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب
لقضائه خلق الجنة وخلق لها اهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق
لها اهلا فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة اهل النار وعلامة اهل
الجنة فقال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ثم قال تعالى فيما يروى
عن نبينا صلى الله عليه وسلم هؤلاء في النار ولا ابالي وهؤلاء في الجنة ولا ابالي فتعالى
الله الملك الحق لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فلنقتصر على هذا القدر اليسير
من ذكر عجائب القلب فان استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه
ما يحتاج اليه لمعرفة اغوار علوم المعاملة واسرارها لينتفع بها من لا يقنع

بالظواهر

بالظواهر ولا يجتزئ بالقشور عن اللباب بل يتشوف الى معرفة دقايق الاسباب
وفي ذكرناه كفاية ومقنع ان شا الله تعالى اخر كتاب عجايب القلب اللهم اختم
بالصالحات اعمالنا اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم كلما ذكره
الذاكرون وكلما غفل عن ذكره الغافلون يتلوه ان شا الله تعالى كتاب
رياضة النفس

كتاب رياضة وتهذيب الخلق ومعالجة امراض القلب

وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات من كتاب احيا علوم الدين
بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واختم بخير الحمد لله الذي صرف الامور بتدبيره
وعدل تركيب الخلق فاحسن في تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه
وتقديره وحرسه عن الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين
الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره
وسهل على خواص عباده تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم
بتسهيل عسيره والصلاة على محمد بن عبد الله نبيه وحبيبه وصفيه
وبشيره ونذيره الذي كان يلوح انوار النبوة من اساريره ويستشرف حقيقة
الحق من مخايله وتباشيره وعلى اله واصحابه الذين طهروا وجه الاسلام عن
ظلمة الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره

اما بعد فان الخلق الحسن صفة سيد المرسلين وافضل اعمال الصديقين
وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين
والاخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة
والرذايل الواضحة والخبايث المبعدة من جوار رب العالمين المنخرطة
بصاحبها في سلك الشيطان اللعين وهي الابواب المفتوحة الى نار الله
الموقدة التي تطلع على الافيدة كما ان الاخلاق الجميلة هي الابواب المفتوحة
من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن والاخلاق الخبيثة امراض القلوب
واسقام النفوس الا انه مرض يفوت حياة الابد واين منه المرض الذي لا يفوت
الا حياة الجسد ومهما اشتدت عناية الاطبا بضبط قوانين العلاج للابدان
وليس في مرضها الا فوت حياة فانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب
وفيها فوت حياة باقية اولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب اذ لا
يخلو قلب من القلوب عن اسقام لو اهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت

فيحتاج العبد الى تانق في معرفة عللها واسبابها ثم الى تشمير في معالجتها واصلاحها
فمعالجتها هو المراد بقوله عز وجل قد افلح من زكاها واهمالها هو المراد بقوله تعالى
وقد خاب من دساها ونحن في هذا الكتاب نشير الى جمل امراض القلوب
وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الامراض
فان ذلك ياتي في بقية الكتاب من هذا الربع وغرضنا الان النظر الكلي في
تهذيب الاخلاق وتمهيد مناهجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا
له ليقرب من الافهام ادراكه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان
حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغيير بالرياضة ثم بيان السبب
الذي به ينال حسن الخلق ثم بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق ورياضة
النفوس ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلب ثم بيان الطريق الذي به يعرف
الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على ان طريق المعالجة للقلوب
بترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان الطريق في رياضة
الصبيان في اول النشو ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهي احدى
عشر فصلا تجمع مقاصد الكتاب ان شا الله تعالى **بيان فضيلة حسن الخلق**
ومذمة سو الخلق قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهر النعمة
لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم خلقه القران وتلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل خذ
العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ثم قال صلى الله عليه وسلم وهو ان تصل
من قطعك وتعطي من حرمك وتعفوا عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم اثقل ما
يوضع في الميزان خلق حسن وجا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه
فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم اتاه من قبل شماله فقال ما الدين قال
حسن الخلق ثم اتاه من ورايه فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت اليه وقال اما
تفقه هو ان لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشوم قال سو الخلق وقال
رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني قال اتق الله حيث كنت قال زدني
قال اتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن
وسيل صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل قال حسن الخلق وقال صلى الله
عليه وسلم

عليه وسلم ماحسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار وقال الفضيل قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة
الخلق توذى جيرانها بلسانها قال لاخير فيها هي من اهل النار وقال ابو الدرداء
رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما يوضع في الميزان
حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله عز وجل الايمان قال اللهم قوني فقواه
بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله عز وجل الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل
وسوء الخلق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله استخلص هذا الدين
لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وقال رسول
صلى الله عليه وسلم حسن الخلق خلق الله الاعظم فقيل يا رسول الله اي المومنين
افضل ايمانا قال احسنهم خلقا وقال صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس باموالكم
فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال ايضا سوء الخلق يفسد العمل كما
يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم انك امرؤ قد حسن الله خلقك فاحسن خلقك وعن البراء بن
عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا
وعن ابي مسعود البدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم حسنت خلقي
فحسن خلقي وعن عبد الله بن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعا يقول
اللهم اني اسالك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال كرم المرء دينه ومروته عقله وحسبه حسن خلقه وعن اسامة بن شريك
قال شهدت الاعاريب يسالون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما اعطي
قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة احاسنكم
اخلاقا وعن ابن عباس قال قال رسول الله ثلاث من لم يكن فيه او واحدة منهن
فلا يعتد بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله عز وجل او حلم يكف به السفيه
او حسن خلق يعيش به في الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلوة
اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف سيئها
الا انت وقال انس بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اذ قال ان حسن الخلق
ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال عليه السلام من سعادة المرء حسن الخلق
وقال عليه السلام اليمن حسن الخلق وقال عليه السلام لابي ذر يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا
حسب كحسن الخلق وعن انس قال قالت ام حبيبة ارايت المراة منا يكون لها

زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلان الجنة لايهما هي قال لاحسنهما خلقا كان عندها
في الدنيا يا ام حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والاخرة وقال عليه السلام ان المسلم
المسدد ليدرك درجة الصايم القايم بحسن خلقه وكرم ضريبته وفي رواية اخرى
يدرك درجة الظمان في الهواجر وقال عبد الله بن سمرة كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اني رايت البارحة عجبا رايت رجلا من امتي جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله عز
وجل حجاب فجا حسن الخلق فادخله الله الجنة وقال انس قال عليه السلام ان العبد
يبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الاخرة وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة وروي
ان عمر استاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسا من نسا قريش
يكلمنه ويسالنه ويستكثرنه من ذلك عالية اصواتهن على صوته فلما استاذن عمر تبادرن
الحجاب ودخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر مما تضحك اضحك الله
سنك بابي انت وامي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبت لهولا اللاتي
كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر انت كنت احق ان يهبن يا رسول الله
ثم اقبل عليهن عمر فقال اي عدوات انفسهن اتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلن نعم انت اغلظ وافظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليه السلام ايها يا ابن الخطاب
فوالذي نفسي بيده مالقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك غير فجك وقال عليه السلام
سو الخلق ذنب لا يغفر وسو الظن خطيئة تفوح وقال عليه السلام ان العبد ليبلغ
من سو خلقه اسفل درك جهنم **الاثار** وقال ابن لقمان الحكيم لابيه
يا ابت اي الخصال من الناس خير قال الدين قال فاذا كانتا اثنتين قال الدين والمال
قال فاذا كانت ثلثا قال الدين والمال والحيا قال فاذا كانت اربعا قال الدين
والمال والحيا وحسن الخلق قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحيا وحسن
الخلق والسخا قال فاذا كانت ستا قال يا بني اذا اجتمعت فيه خمس خصال فهو
تقي نقي لله تعالى ولي ومن الشيطان بري وقال الحسن من سا خلقه عذب
نفسه وقال انس بن مالك ان العبد ليبلغ بحسن خلقه اعلى درجة في الجنة
وهو غير عابد ويبلغ بسو خلقه اسفل درك من جهنم وهو عابد وقال يحيى
بن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل السي
الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا وقال الفضيل لان يصحبني
فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سي الخلق وصحب ابن المبارك رجل سي
الخلق في سفره وكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال

في ذلك فقال انه جمع عليه فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد اربع ترفع العبد
الى اعالي الدرجات وان قل علمه وعمله الحلم والتواضع والسخا وحسن الخلق وهو
كمال الايمان وقال الكتاني التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك
في التصوف وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال وقال
يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا ينفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة
لا يضر معها كثرة السيئات وسئل ابن عباس رضي الله عنهما ما الكرم قال ما بين الله في كتابه
ان اكرمكم عند الله اتقاكم قيل له فما الحسب قال احسنكم خلقا افضلكم حسبا وقيل لكل
بنيان اساس واساس الاسلام حسن الخلق وقال ابن عطا ارتفع من ارتفع الا بالخلق
الحسن ولم ينل احد كماله الا المصطفى صلى الله عليه وسلم واقرب الخلق الى الله السالكون
اثاره بحسن الخلق **بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق** اعلم ان الناس قد تكلموا
في حقيقة حسن الخلق وانه ما هو وما تعرضوا الحقيقة وانما تعرضوا لثمرته ثم لم
يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وكان حاضرا في ذهنه ولم
يصرفوا العناية الى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب
وذلك كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال
الواسطي هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله وقال شاه الكرماني هو
كف الاذى واحتمال البلوى وقال بعضهم ان يكون من الناس قريبا وفيما بينهم
غريبا وقال الواسطي مرة هو ارضا الخلق في السرا والضرا وقال ابو عثمان هو الرضا
عن الله تعالى وسئل سهل عن الخلق فقال ادناه الاحتمال وترك المكافاة والرحمة للظالم
والاستغفار له والشفقة عليه وقال مرة هو ان لا يتهم مولاه في الرزق ويثق به ويسكن
الى الوفا بما ضمن وتطيع مولاك ولا تعصيه في جميع الامور فيما بينك وبين الله تعالى وفيما
بينك وبين الخلق وقال علي رضي الله عنه حسن الخلق في ثلاث اجتناب المحارم وطلب
الحلال والتوسع على العيال وقال الحسين بن منصور هو ان لا يؤثر فيك جفا الخلق
بعد مطالعتك للحق وقال الخراز هو ان لا يكون لك همة غير الله فهذا وامثاله كثير وهو
تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس محيطا بجميع الثمرات ايضا فكشف الغطا
عن الحقيقة اولى من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان
مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق اي حسن الظاهر والباطن فيراد
بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان

مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة والنفس المدركة بالبصيرة اعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله امره بالاضافة الى نفسه فقال اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فنبه به على ان الجسد منسوب الى الطين والروح منسوب الى الله تعالى والمراد بالنفس والروح في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر منها الافعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر منه بذل المال على الندور لحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ واما شرطنا ان تصدر منه الافعال بسهولة من غير روية لان من تكلف بذل المال والسكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم فهاهنا اربعة امور احدها فعل الجميل والقبيح والثاني القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة للنفس بها تميل الى احد الجانبين ويتيسر عليها احد الامرين اما الحسن واما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل اما لباعث او لرياء وليس عبارة عن القوة لان نسبة القوة الى الامساك والاعطاء بل الى الضدين واحد وكل انسان خلق بالفطرة قادر على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة التي بها تستعد النفس لان يصدر منها الامساك او البذل فالخلق اذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما ان حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الانف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها

معاني

خ
سهل

خ
استعد

ن
دام

وصلاحها في أن تصير بحيث يسهل درك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال
وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الأفعال وإذا
صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة
وهي التي قال الله تعالى فيها ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وأما قوة
الغضب فحسنها أن يقتصر انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة
وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في أن يكون تحت إشارة الحكمة
أعني إشارة الدين والعقل وأما قوة العدل فهي ضبط قوة الغضب والشهوة
تحت إشارة العقل والشرع فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير وقوة العدل
هي القدرة ومنزلته منزلة المنفذ الممضي لإشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ
فيه الإشارة ومثال الغضب مثل كلب الصيد فإنه يحتاج إلى أن يؤدب حتى يكون
استرساله وتوقفه بحسب الإشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها
مثال الفرس الذي يركبه في طلب الصيد فإنه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة
يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن
اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن في الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى
خاصة كالذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون البعض وحسن القوة الغضبية
واعتدالها نعبر عنها بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها نعبر عنها بالعفة
فإن مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة سمي تهورا وإن مالت إلى الضعف
والنقص سمي جبنا وخورا وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة سمي شرها وإن
مالت إلى النقصان سمي جمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان
رذيلتان مذمومتان والعدل إذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان
بل له ضد واحد وهو الجور وأما الحكمة فتسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض
الفاسدة خبثا أو جربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة
فإذن أمهات الأخلاق وأصولها أربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل
ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية
ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على
مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني
بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في إقدامها وإحجامها ونعني بالعفة

خ
رذيلتان

تادیب قوة الشهوة بتادیب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر
الاخلاق الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة
الذهن وثقابة الراي واصابة الظن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا افات النفوس
ومن افراطها تصدر الجربزة والمكر والخداع والدها ومن تفريطها يصدر البله
والغمارة والحمق واعني بالغمارة قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل وقد يكون
الانسان غمرا في شي دون شي والفرق بين الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده صحيح
ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا يكون له روية صحيحة في طريق الوصول الى الغرض
واما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار فيكون اصل اختياره وايثاره فاسدا واما
خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال
والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وامثالها وهي اخلاق محمودة
واما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والكبر
والعجب واما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر
النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب واما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحيا
والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة
الطمع واميلها الى الافراط والتفريط فيصدر منه الحرص والشره والوقاحة والخبث
والتبذير والتقتير والتشمير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة
والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فامهات محاسن الاخلاق هذه الفضائل
الاربع وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال
في هذه الاربع الا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب
والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو قريب من الله بقدر قربه من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع هذه الاخلاق فهو [illegible] استحق ان يكون
بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع الافعال ومن
انفك عن جملة هذه الاخلاق كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين العباد والبلاد
فانه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد فينبغي ان يبعد كما ان الاول قريب من
الملك المقرب فينبغي ان يقتدى به ويتقرب اليه ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا ليتمم محاسن الاخلاق كما قال صلى الله عليه وسلم وقد اشار القران الى هذه الاخلاق
في اوصاف المومنين فقال انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا
باموا

كمال صح

باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فالايمان بالله وبرسوله من غير ارتياب
هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخا
الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع
الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وهو الاعتدال وقد وصف الله تعالى
الصحابة فقال اشدا على الكفار رحما بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة
موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى
الخلق وحسنه وقبحه وبيان اركانه وثمراته وفروعه **بيان قبول الاخلاق**
للتغيير بطريق الرياضة اعلم ان بعض من غلبت عليه البطالة استثقل المجاهدة
والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق فلم تسمح نفسه
بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم ان الاخلاق لا يتصور
تغييرها فان الطباع لا تتغير واستدل فيه بامرين احدهما ان الخلق هو
صورة الباطن كما ان الخلق صورة الظاهر والخلقة الظاهرة لا يقدر على
تغييرها فالطويل لا يمكنه ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير يقدر ان
يجعل نفسه طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن
يجري هذا المجرى والثاني انهم قالوا حسن الخلق بقمع الغضب والشهوة وقد جربنا ذلك
بطول المجاهدة وعرفنا ان ذلك من مقتضى المزاج والطبع وانه قط لا ينقطع عن الادمي
فالاشتغال به تضييع زمان بغير فايدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ
العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا
والمواعظ والتاديبات ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر
هذا في خلق الادمي وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ننقل الصيد من التوحش الى الانس
والكلب من الاكل الى التادب والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد وكل ذلك
تغيير للاخلاق والقول الكاشف للغطا عن ذلك ان نقول الموجودات منقسمة الى ما لا
مدخل لاختيار الادمي في اصله وتفصيله كالسما والكواكب بل اعضا البدن داخلا
وخارجا من ساير اجزا الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ
من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة قبول الكمال بعد ان
وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا
انها خلقت خلقة يمكن ان تصير نخلا ان انضافت اليها التربية ولا تصير تفاحا

اصلا وبالتربية فاذا صارت النواة مناشئة بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال
دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما
اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا اسلاسهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا
عليه وقد امرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى نعم الجبلات مختلفة
فبعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان احدهما قوة
الغريزة في اصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر
موجودة في الانسان ولكن اصعبها امرا واعصاها على التغيير قوة الشهوة فانها اقدم
وجودا اذ الصبي في مبدا الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين تخلق له الغضب
وبعد ذلك تخلق له قوة التمييز والسبب الثاني ان الخلق قد يتاكد بكثرة العمل
بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على اربع مراتب
الاولى هو ان يكون الانسان جاهلا غفلا لا يميز بين الحق والباطل والجميل
والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم يستتم ايضا شهوته باتباع
اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم ومرشد والى باعث من
نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في اقرب زمان والثانية ان يكون قد عرف قبح
القبيح لكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته واعراضا
عن صواب رايه لاستيلا الشهوة عليه لكن علم تقصيره في عمله فامره اصعب من الاول
اذ تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه قلع ما رسخ في نفسه من كثرة الاعتياد للفساد والاخر
ان يغرس في نفسه صفة الاعتياد للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد
وتشمير وحزم والثالثة ان يعتقد في الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة وانها حق
وجميل وتربا عليها فهذا يكاد يمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندور وذلك
لتضاعف اسباب الضلال والرابعة ان يكون مع نشئه على الراي الفاسد
وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به ويظن
ان ذلك يرفع من قدره وهذا هو اصعب المراتب وفي مثله قيل من التعذيب تهذيب الذئب والاول
من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال فقط والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل
وضال وفاسق وشرير واما الخيال الاخر وهو ان الادمي ما دام حيا فلا ينقطع عنه الغضب
والشهوة وحب الدنيا وساير هذه الاخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا ان المقصود
من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية
في الجبلة ولو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطعت شهوة

الوقاع

استسلاسهما وقودهما

تشمير

ومحوها

الوقاع لا انقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه
ما يهلكه ولهلك ومهما بقي اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله
الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك
بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط
والتفريط فالمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن
التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة ان يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا
للعقل ولذلك قال تعالى اشدا على الكفار رحما بينهم فوصفهم بالشدة وانما
تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار وكيف
يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والانبيا لم ينفكوا عن ذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر
وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا
فكان الغضب لا يخرجه عن الحق وقال الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل
والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة الى الاعتدال بحيث لا يقهر واحد
منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط له والغالب عليه
ممكن والمراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولي الشهوة على الانسان
بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة تعود
الى حد الاعتدال فدل ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك
دلالة لا يشك فيها والذي يدل على ان المطلوب الوسط في الاخلاق دون
الطرفين ان السخا خلق مطلوب شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير:
والتقتير وقد اثنى الله تعالى عليه فقال والذين انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
وكان بين ذلك قواما وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره و
الجمود قال تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال تعالى في الغضب اشدا على الكفار
رحما بينهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها وهذا له سر
وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال
الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا والجود ايضا
من عوارض الدنيا وشرط القلب ان يكون سليما اي لا يكون ملتفتا الى المال

فيكون حريصا على امساكه ولا حريصا على انفاقه فان الحريص على الانفاق مصروف
القلب الى الانفاق كما ان الحريص على الامساك مصروف القلب اليه فكان كمال
القلب ان يصفو عن الوصفين جميعا واذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الاشبه
المحمود بعدم الوصفين والبعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لا حار
ولا بارد وهو الوسط بينهما فكانه خال من الوصفين فكذلك السخي بين التبذير
والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر
الاخلاق فكلا طرفي قصد الامور ذميم هذا هو المطلوب وهو ممكن جدا
نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد ان يقبح عنده الغضب والبخل راسا ويذم امساك
المال راسا ولا يرخص له في شيء من ذلك لانه لو رخص في ادنى شيء منه اتخذ ذلك
عذرا في استبقاء بخله وغضبه وظن انه القدر المرخص فيه واذا قصد قلع الاصل
وبالغ فيه لم يتيسر له الا كسر سورته بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب
له ان يطلب قلع الاصل حتى يتيسر له القدر المقصود فلا يكشف هذا السر للمريد
فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه ان غضبه بحق وان امساكه
بحق

بيان السبب الذي ينال به حسن الخلق على الجملة

قد عرفت ان حسن
الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة
وكونها مطيعتان للعقل والشرع وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما
بجود الهي وكمال فطري بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق
قد كفي سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع
فيصير بغير تعلم عالما وبغير تأديب اديبا كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وكذلك
سائر الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولا يبعد ان يكون في الطبع والفطرة ما
قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما
يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل
بالتعلم والوجه الثاني اكتساب هذه الاخلاق بالمجاهدة والرياضة واعني بها حمل
النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد مثلا ان يحصل لنفسه
خلق الجود فطريقه ان يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه
متكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير له ذلك طبعا ويتيسر عليه فيصير به نفسه
جوادا وكذا من اراد ان يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه التكبر فطريقه

ان يواظب

واذا

المطلوب

فضلي

ان يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ويتكلف
الى ان يصير له ذلك خلقا وطبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا
تحصل بهذا الطريق وغايتها ان يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخي
هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود جميع
العادات الحسنة وتترك جميع العادات السيئة وما لم يواظب عليها مواظبة من
يشتاق منها الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم
بها كما قال صلى الله عليه وسلم جعلت قرة عيني في الصلاة ومهما كانت
العبادات وترك المحظورات مع كراهية واستثقال فهو نقصان ولا ينال
كمال السعادة به نعم المواظبة عليه بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركه
لا بالاضافة الى فعله عن طوع ولذلك قال تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين
وقال النبي صلى الله عليه وسلم اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر
على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ
الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي ان يكون كذلك على
الدوام في جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك
لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال طول العمر في
طاعة الله ولذلك كره الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا هي مزرعة الآخرة وكلما
كانت العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب اجزل والنفس ازكى واطهر
والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات تاثيرها في القلب وانما
تاكد تاثيرها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق ان ينقلع
عن النفس حب الدنيا ويترسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء احب
اليه من حبائه ومن لقائه فلا يستعمل جميع ماله الا على الوجه الذي
يوصله اليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها الا على
الوجه الذي يوصله الى الله وذلك بان يكون موزونا بميزان الشرع والعقل
ثم يكون مع ذلك فرحا به ومستلذا ولا ينبغي ان يستبعد مصير الصلاة قرة عين
ومصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضي في النفس عجائب اغرب من ذلك
فانا نرى الملوك والمتنعمين في احزان دائمة ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه
من اللذة والفرح بقماره وما هو فيه ما يستنكر معه فرح الناس بغير القمار

خ ولكن لا ... الدينية خ

خ بالمجاهدة

الى الله

مع أن القمار ربما سلب ماله وخرب داره وتركه مفلسا ومع هذا فهو يحبه ويلتذ
به وذلك لطول ألفه به وردده بنفسه إليه مدة مديدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف
طول نهاره في حر الشمس قايما وهو لا يحس بألمها لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها
وتحليقها في جو السما بل نرى الفاجر العيار يتفاخر بما يلقاه من الضرب والقطع
والصبر على أن يتقدم به إلى الصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته في الصبر
على ذلك تري ذلك فخرا لنفسه حتى يقطع الواحد منهم اربا اربا على أن يقر بما
تعاطاه او تعاطاه غيره فيصر على الانكار ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يعتقده
كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت أحواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب
افتخاره بل لا حالة أخس وأقبح من حال المخنث في تشبهه بالاناث في نتف الشعر
ووشم الوجه ومخالطة النسا وترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنثه
يتباهى به مع المخنثين حتى يجري بين الملوك والعلما وكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة
على نمط واحد على الدوام مدة مديدة والزمن المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه
الامور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل الى اكل الطين وقد يغلب على بعض
الناس وذلك بالعادة فاما ميله الى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته
فهو الميل الى الطعام والشراب فهو مقتضى طبع القلب فانه امر رباني وميله الى
مقتضيات الشهوات غريب من ذاته وعارض على طبعه وانما غذا القلب الحكمة والمعرفة
وحب الله تعالى ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حل به كما يحل المرض بالمعدة فلا
تشتهي الطعام والشراب وهما سببان لحياته فكل قلب مال الى حب شي سوى حب الله
تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا احب ذلك الشي لكونه معينا له على حب الله
تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذا قد عرفت بهذا قطعا ان
هذه الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الافعال الصادرة عنها ابتدا
لتصير طبعا انتها وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح اعني
النفس والبدن فان كل صفة تظهر في القلب فيفيض اثرها على الجوارح حتى لا تتحرك
الا على وفقها لا محالة وكل فعل يجري على الجوارح فانه يرتفع منه اثر الى القلب
والامر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو ان من اراد ان يصير الحذق في الكتابة
له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له الا ان يتعاطى بجارحة اليد ما
يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة وهو يحاكي الخط الحسن فان فعل
الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير ذلك صفة

راسخة

مستعمل

وتحليقها صح

شهواته

الشمس اللذيذ

راسخة في نفسه فيصدر منه في الاخر الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه في الابتدا تكلفا
فكان المحسن هو الذي جعل خطه حسنا ولكن الاول بتكلف الا انه ارتفع منه
اثر الى النفس ثم انحدر من النفس اثر الى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن طبعا
كما كان يصدر منه في الابتدا تكلفا وكذلك من اراد ان يصير فقيه النفس فلا
طريق له الا ان يتعاطى افعال الفقها وهو التكرار للفقه حتى ينعطف منه على قلبه
صفة الفقه فيصير فقيه النفس وكذلك من اراد ان يصير سخيا عفيف النفس حليما
متواضعا فيلزمه ان يتعاطى افعال ذلك وكما ان طالب فقه النفس لا يحرم من
هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرير ليلة فكذلك طالب تزكية النفس
وتكميلها وتحليتها بالاعمال الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم منها بعصيان
يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاوة المؤبدة ولكن البطالة
في يوم واحد تدعو الى مثلها ثم يتداعى قليلا قليلا حتى تانس النفس بالكسل
وتهجر التحصيل راسا فيفوته فضيلة الفقه وكذلك صغاير المعاصي يجر بعضها
الى بعض حتى يفوت اصل السعادة بهدم اهل الايمان عند الخاتمة وكما
ان تكرار ليلة لا يحس تاثيرها في تفقيه النفس بل يظهر فقه النفس شيا
شيا على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة
لا يحس تاثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن ينبغي انه لا
يستهان بقليل الطاعات فان الجملة الكثيرة منها موثرة وانما اجتمعت
الجملة من الاحاد فلكل واحد تاثير فما من طاعة الا ولها اثر وان خفي فله لا
محالة ثواب لان الثواب بازا الاثر وكذلك المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل
يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوما بيوم الى ان يخرج طبعه عن
قبول الفقه فكذا من يستهين بصغاير المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على
التوالي الى ان يختطفه الموت بغتة او تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر
عليه التوبة اذ القليل يدعو الى الكثير ويصير القلب مقيدا بسلاسل الشهوات
لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعني بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الاية ولذلك قال علي رضي الله عنه
ان الايمان ليبدو في القلب نكتة بيضا فكلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا
استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق ليبدو في القلب نكتة سودا

البطالة

سطر

كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب
كله فاذا قد عرفت ان الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة
باعتياد الافعال الجميلة وتارة بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم
وهم قرناء الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا
فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا
وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له الاقران الشر
فتعلم منهم وتيسرت له اسباب الشر حتى تعود فهو في غاية البعد من الله تعالى
وبين الرتبتين من اختلفت به هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب
ما تقتضيه صفته وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون **بيان تفصيل
الطريق الى تهذيب الاخلاق** قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق
هو صحة النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما ان الاعتدال في
مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول
مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والاخلاق الرديئة عنها وكسب الفضائل والا
(وجلبها)
خلاق الجميلة اليها مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة اليه فكما ان الغالب
على اصل المزاج الاعتدال وانما تعتري العلة المعدة بعوارض الاغذية والاهوية
والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيحا على الفطرة فابواه يهودانه
وينصرانه ويمجسانه اي بالتعويد والتعليم تكسب الرذائل كما ان البدن في الابتداء
لا يخلق كاملا وانما يكمل ويقوى بالنشو والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة
قابلة للكمال وانما تكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم وكما ان البدن
ان كان صحيحا فشان الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان كان مريضا
فشانه جلب الصحة اليه فكذا النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق
فينبغي ان تسعى لحفظها وحفظ صفائها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب
زيادة صفائها وان كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي ان تسعى لجلب ذلك
اليها وكما ان العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا يعالج الا بضدها
ان كانت من حرارة فبالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة فكذا

الرذيلة

الرديئة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل
بالتسخي ومرض التكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما انه
لا بد من احتمال مرارة الدوا وشدة الصبر على المشتهيات لصلاح الابدان المريضة
فلا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداومة مرض القلب بل اولى فان مرض
البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله عذاب يدوم بعد الموت ابد
الاباد وكما ان كل مبرد لا يكفي لعلة سببها الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص
ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد له من
معيار يعرف مقدار النافع منه فان لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقائض
التي يعالج بها الاخلاق لا بد لها من معيار وكما ان معيار الدوا ماخوذ من معيار العلة حتى
ان الطبيب لا يعالج ما لم يعرف ان العلة من حرارة او برودة وان كانت من حرارة
يعرف درجتها اهي ضعيفة ام قوية فاذا عرف التفت معه الى احوال البدن
واحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وساير احواله ثم عالج بحسبها فكذلك
الشيخ المتبوع الذي يطبب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي
ان لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وطريق مخصوص ما لم يعرف
اخلاقهم وامراضهم وكما ان الطبيب لو عالج جميع الامراض بعلاج واحد قتل اكثرهم
فكذلك الشيخ لو اشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم
بل ينبغي ان ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله نفسه من
الرياضة ويبني عليه رياضته فان كان المريد مبتديا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه
اولا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وان كان مشغولا بمال حرام او مقارفا
لمعصية فيامره اولا بتركها فاذا تزين بالعبادات ظاهره وطهر عن المعاصي
الظاهرة جوارحه نظر بقراين الاحوال الى باطنه ليتفطن لاخلاقه وامراض
قلبه فان راى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته اخذه منه وصرفه في الخيرات وفرغ
قلبه منه حتى لا يلتفت اليه وان راى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيامره
بان يخرج الى السوق للكدية والسوال فان عزة الرياسة لا تنكسر الا بالذل ولا ذل
اعظم من ذل السوال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعزه فان الكبر
من الامراض المهلكة وكذا الرعونة وان راى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب وراى
قلبه مايلا اليه فرحا به ملتفتا اليه فيستخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه

وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوش عليه رعونته
في النظافة فإن الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات النظيفة الرفيعة
والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار ولا
فرق بين أن يعبد الإنسان نفسه أو يعبد صنما فمهما عبد غير الله فقد حجب عن الله
ومن راعى في ثوبه شيئا غير كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت إليها قلبه فهو مشغول
بنفسه ومن لطائف الرياضة إذا كانت النفس لا تسخو بترك الرعونة رأسا أو بترك
صفة أخرى ولم تسمح بضدها دفعة فينبغي أن ينقل من الخلق المذموم إلى خلق
مذموم آخر أخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء إذا كان الماء
لا يزيل الدم وكذلك يرغب الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان ثم
ينقله من اللعب إلى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقله من ذلك بالترغيب في الرياسة
وطلب الجاه ثم ينقله عن الجاه بالترغيب في الآخرة فكذلك من لم تسمح نفسه
بترك الجاه دفعة فلينقل إلى جاه أخف منه مما هو فيه وكذلك سائر الصفات وكذلك
إن رأى شره الطعام غالبا عليه ألزمه الصوم وتقليل الطعام ثم يكلفه أن
يهيئ الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوى بذلك نفسه
فيتعود الصبر وتنكسر شهوته وكذلك إذا رآه شابا متشوفا إلى النكاح
وهو عاجز عن الطول فيأمره بالصوم وربما لا تسكن بذلك شهوته فيأمره
بأن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والأدم
رأسا حتى تذل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج في مبادئ الإرادة
أنفع من الجوع وإن رأى الغضب غالبا عليه ألزمه الحلم والسكوت وسلط
عليه من يصحبه ممن فيه سوء الخلق ويلزمه خدمة من ساء خلقه وعز اعانته
حتى يمرن نفسه على الاحتمال فقد كان بعضهم يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه
شدة الغضب فكان يستأجر من يشتمه على ملأ من الناس ويكلف نفسه
الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل وكان
بعضهم يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب فأراد أن يحصل لنفسه
خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الأمواج وعباد الهند يعالجون
الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على هيئة واحدة وبعض الشيوخ
في ابتداء إرادته كان يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على
رأسه

دائما طول الليل ليتيسر له القيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال
بأن باع جميع ماله ورماه في البحر إذ خاف من تفريقه على الناس رعونة الجود
والريا بالبذل فبهذه الأمثلة تعرف طريق معالجة القلوب فليس غرضنا
ذكر دوا كل مرض فإن ذلك سيأتي في بقية الكتب وإنما الغرض الآن التنبيه
على أن الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل
إليه وقد جمع الله تعالى ذلك في كلمة واحدة فقال ونهى النفس عن الهوى
فإن الجنة هي المأوى والأصل المهم في المجاهدة الوفا بالعزم فإذا عزم على
ترك شهوة فقد لا يتيسر أسبابها ويكون ذلك من الله تعالى ابتلا واختبارا
فينبغي أن يصبر ويستمر فإنه إن عود نفسه نقض العزم ألفت ذلك وفسدت
وإذا اتفق منه نقض عزم فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرنا في معاقبة
النفس في كتاب المحاسبة والمراقبة وإذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته
وحسنت عنده تناول الشهوة وتفسد به الرياضة بالكلية

بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة

اعلم أن كل عضو
من أعضا البدن خلق لفعل خاص به وإنما مرضه أن يتعذر عليه فعله الذي
خلق له حتى لا يصدر منه أصلا أو يصدر مع نوع من الاضطراب فمرض اليد
أن يتعذر عليها البطش ومرض العين أن يتعذر عليها الإبصار وكذلك مرض
القلب بأن يتعذر عليه فعله الخاص الذي خلق لأجله وهو العلم والحكمة
والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ به وإيثار ذلك على كل شهوة
سواه والاستغنا به عن جميع الشهوات والأعضا عليه قال تعالى وما خلقت
الجن والإنس إلا ليعبدون ففي كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية
النفس التي للآدمي ما يتميز بها عن البهائم ولم يتميز عنها بالقوة على الأكل والوقاع
والإبصار وغيرها بل بمعرفة الأشيا على ما هي عليه وموجدها ومخترعها الذي
جعلها أشيا هو الله تعالى فلو عرف كل شي ولم يعرف الله فكأنه لم يعرف شيا
وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا
غيرها من المحبوبات قال الله تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم إلى قوله أحب إليكم
من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا فمن عنده شي أحب إليه من الله
تعالى فقلبه مريض كما أن كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز والما او

سقطت شهوته عن الخبز والماء فهو يخشي من بعضه فهذه علامة المرض وكذا القلوب
ان القلوب كلها مريضة الا ما شاء الله الا ان من الامراض ما لا يعرفه صاحبها
ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وان علمه صعب عليه
الصبر على مرارة دوائه فان دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح وان
وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم
العلماء وقد استولي المرض عليهم والطبيب المريض قلما يلتفت الى علاجه
فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وانكر بالكلية طب
القلوب وانكر مرضها واقبل الخلق على حب الدنيا وعلى اعمال ظاهرها عبادات
وباطنها عادات ومراآت فهذه علامة اهل المرض فاما علامة عوده الى
الصحة بعد المعالجة فهو ان ينظر في العلة التي يعالجها فان كان يعالج داء
البخل فانه المهلك المبعد عن الله وانما علاجه ببذل المال وانفاقه ولكنه
قد يبذل المال الى حد يصير مبذرا فيكون التبذير ايضا داء ويكون كمن يعالج
البرودة بالحرارة وهو ايضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة
فكذلك المطلوب الاعتدال بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط وفي غاية
البعد عن الطرفين فان اردت ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذي يوجبه
الخلق المذموم فان كان اسهل عليك والذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق
الموجب له مثل ان يكون امساك المال وجمعه الذ عندك وايسر عليك من بذله للمستحق
فاعلم ان الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فان صار البذل على
المستحق الذ عندك واخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير
فارجع الى المواظبة على الامساك ولا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك
بتيسير الافعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن المال فلا تميل الى بذله
ولا الى امساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه الا امساكه لحاجة محتاج او
بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الامساك فكل قلب صار كذلك فقد
اتى الله بقلب سليم عن هذا المقام خاصة ويجب ان يكون سليما عن سائر
الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن
الدنيا منقطعة العلائق عنها غير ملتفتة اليها ولا متشوقة الى اسبابها فعند
ذلك ترجع الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة في زمرة
عباد ا[لله]

عباد الله تعالى من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك
رفيقا ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو ادق من الشعر
واحد من السيف فلاجرم من استوى على هذا الصراط في الدنيا جاز على مثل
هذا الصراط في الاخرة وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم اعني
الوسط حتى لا يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال اليه
فلذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان كان مثل البرق قال تعالى
وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا اي الذين كان
قربهم الى الصراط اكثر من بعدهم عنه ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد
ان يدعو الله في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله اهدنا الصراط المستقيم
اذ وجبت الفاتحة في كل ركعة وراى بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في
المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيبتني سورة هود فلم قلت ذلك قال
لقوله فاستقم كما امرت فالاستقامة على سواء الصراط في غاية الغموض ولكن
ينبغي ان يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقة
الاستقامة فكل من اراد النجاة فلا نجاة الا بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال
الصالحة الا عن الاخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته واخلاقه وليعددها
وليشتغل بعلاج واحد واحد على الترتيب

بيان الطريق الذي يعرف الانسان عيوب نفسه

اعلم ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب
نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكنه العلاج
ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرون القذى في عين غيرهم ولا يرون
الجذع في عين انفسهم فمن اراد ان يقف على عيب نفسه فله اربعة طرق الاول ان
يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الافات ويحكمه على
نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا شان المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه
فيعرفه شيخه او استاذه عيب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان
وجوده الثاني ان يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا وينصبه رقيبا على نفسه
ليلاحظ احواله وافعاله فما يكره من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة
ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الاكابر من ائمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله
امرا اهدى الي عيوبي وكان يسال سلمان عن عيوبه لما قدم عليه وقال ما الذي بلغك

عني مما كرهته فاستعفى فالح عليه فقال سمعت انك جمعت بين ادامين على مائدة وان
لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل فقال هل بلغك غير هذا قال لا قال اما هذان
فقد كفيتهما وكان يسال حذيفة ويقول انت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في
المنافقين فهل ترى علي شيا من اثر النفاق فهو على جلاله قدره وعلو منصبه
هكذا كانت تهمته لنفسه فكل من كان اوفر عقلا واعلا منصبا كان اقل اعجابا
واعظم اتهاما لنفسه الا ان هذا ايضا قد عز فقل في الاصدقا من يترك المداهنة
فيخبر بالعيب او يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في اصدقايك عن
حسود وصاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا او عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك
ولهذا كان داود الطاي اعتزل عن الناس فقيل له لم لا تخالط فقال ماذا اصنع باقوام
يخفون عني عيوبي فقد كانت شهوة ذوي الدين ان يتنبهوا بتنبيه غيرهم وقد
ال الامر في امثالنا ان ابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكون هذا مفصحا
عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة ولو نبهنا منبه على
ان تحت ثيابنا عقربا او حية لتقلدنا منه وفرحنا بذلك واشتغلنا
بابعاد العقرب وقتلها وانما نكايتها على البدن ولا يدوم المها يوما فما دونه ونكاية
الاخلاق الرديئة على صميم القلب يخشى ان تدوم بعد الموت ابدا او الافا من السنين
ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح
بمثلها فنقول وانت ايضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع
بنصحه ويشبه ان يكون هذا من قساوة القلب التي ثمرته كثرة الذنوب واصل
كل ذلك ضعف الايمان فنسال الله تعالى ان يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوب
انفسنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه
وفضله الطريق الثالث ان يستفيد معرفة عيوب نفسه من لسان اعدايه فان
عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه
اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عليه عيوبه الا ان الطبع
مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع
بقول اعدايه فان مساويه لا بد ان تنتشر على لسانهم الطريق الرابع ان يخالط
الناس فكل ما يراه مذموما فيما بين الخلق فيطالب نفسه بتركه وينسب

مفصحا

نفسه

نفسه اليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى في غيره عيوب نفسه ويعلم ان الطباع
متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الآخر عن اصله
او عن اعظم منه او عن شيء منه فيتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره وناهيك
بهذا تاديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدبين
قيل لعيسى صلى الله عليه وسلم من ادبك فقال ما ادبني احد رايت جهل الجاهل فجانبته
وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في
الدين فارغا عن تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله نصحا لهم فمن وجد
ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك
الذي هو بصدده **بيان شواهد النقل من ارباب البصائر** وشواهد الشرع
على ان الطريق في معالجة امراض القلوب ترك الشهوات وان مادة امراضها هي
اتباع الشهوات اعلم ان ما ذكرناه ان تاملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك
وانكشفت لك علل القلوب وامراضها وادويتها بنور العلم واليقين وان عجزت
عن ذلك فلا ينبغي ان يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق
التقليد فان للايمان درجة كما ان للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان
وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فمن
صدق بان مخالفة الشهوات هو الطريق الى الله تعالى ولم يطلع على سببه وسره
فهو من الذين آمنوا واذا اطلع على ما ذكرناه من اعوان الشهوات واسرارها فهو من
الذين اوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا الامر في القرآن
والسنة واقاويل العلماء اكثر من ان يحصى قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى
فان الجنة هي المأوى وقال تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع
عنها محبة الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس شدائد مؤمن
يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين
ان النفس عدو منازع يجب مجاهدتها ويروى ان الله عز وجل اوحى الى
داود عليه الصلاة والسلام يا داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات
فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى صلى الله عليه
وسلم طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غائب لم يره وقال صلى الله عليه وسلم
لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فقالوا

يشغل اهل النصح عن

حاضره

وما الجهاد الاكبر يا رسول الله فقال جهاد النفس وقال صلى الله عليه وسلم المجاهد من
جاهد نفسه في الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم كف اذاك عن نفسك ولا تتابع
هواها في معصية الله اذا تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا الا ان يعين
الله ويستر وقال سفيان الثوري ما عالجت شيئا اشد من نفسي مرة لي ومرة علي
وكان ابو العباس الموصلي يقول يا نفس لا في الدنيا مع ابناء الملوك تتنعمين ولا في
طلب الاخرة تجتهدين كاني بك بين الجنة والنار تحبسين الا يا نفس الا تستحيين
وقال الحسن ما الدابة الجموح باحوج الى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن
معاذ الرازي جاهد النفس باسياف الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القوت
من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام
فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة
الكلام السلامة من الافات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على
العبد شيء اشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الاذى فاذا تحركت من النفس
ارادة الشهوات والاثام وهاج منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف قلة
الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بايدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن
الظلم والانتقام فتامن من بوائقها من بين سائر الانام وتصفيها من ظلمة شهواتها
فتنجو من غوائل افاتها فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ونورية خفيفة فتجول في
ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفارة في الميدان وكالملك
المتنزه في البستان وقال ايضا اعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه
فاحترز من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات
وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار اسيرا في حب شهواتها محصورا في
سجن هواها ومنعت عليه الفوائد وقال جعفر بن حميد اجمعت الحكماء والعلماء
على ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق من ارضى الجوارح بالشهوات
فقد غرس في قلبه شجر الندامات وقال وهيب ما زيد على الخبز فهو شهوة وقال وهيب
ابن الورد من اراد شهوات الدنيا فليتهيا للذل وروي ان امراة العزيز قالت
ليوسف عليه السلام بعد ملك خزائن الارض يا يوسف ان الحرص والشهوة
صير

خ ولا مع العباد
خ السهر
خ ابن حميد
خ وهيب

صير العبيد ملوكا فقال يوسف قال الله عز وجل فانه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع
اجر المحسنين وقال الجنيد ارقت ليلة فقمت الى وردي فلم اجد الحلاوة التي كنت
اجدها فاردت ان انام فلم اقدر فقعدت فلم اطق القعود فخرجت فاذا رجل ملتف
في عباءة مطروح على الطريق فلما احس بي قال يا ابا القاسم الى الساعة قلت يا سيدي
من غير موعد فقال بلى سالت محرك القلوب ان يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما
حاجتك فقال متى يصير دا النفس دواها فقلت اذا خالفت النفس هواها فاقبل
على نفسه وقال اسمعي قد اجبتك بهذا سبع مرات فابيت الا ان تسمعيه من الجنيد قال
فانصرف وما عرفته وقال يزيد الرقاشي السلام على الما البارد في الدنيا لعلي لا احرمه
في الاخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز متى اتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال فمتى
اصمت اذا اشتهيت الكلام وقال علي من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات
في الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فاذا راى الشي يشتهيه قال للنفس
اصبري فوالله ما امنعك الا من كرامتك علي فاذا قد اتفق العلما والحكما على
ان لا طريق الى سعادة الاخرة الا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان
بهذا واجب واما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فينكشف مما
قدمناه وحاصل الرياضة وسرها ان لا تتمتع النفس بشي مما لا يوجد معها
في القبر الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا في الاكل والنكاح واللباس والمسكن
وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشي منه انس به
والفه واذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ
له في الاخرة بحال ولا خلاص عن ذلك الا بان يكون القلب مشغولا بمعرفة
الله وحبه والتفكر فيه ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الفكر والذكر فقط
فمن لا يقدر على حقيقة ذلك فليقترب منه فالناس فيه اربعة رجل استغرق ذكر
الله قلبه فلا يلتفت الى الدنيا الا في ضرورات المعيشة فهو من الصديقين ولا
ينتهي الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة
والثاني من استغرق الدنيا قلبه فلم يبق لله ذكر في قلبه الا من حديث النفس
حيث يذكره باللسان وهذا من الهالكين والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين
لكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار الا انه ينجو منها سريعا
بقدر غلبة ذكر الله على قلبه والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا
اغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله

في قلبه وتمكنت من صميم فؤاده وإذا ذكر الدنيا اغتاظ عليه وربما يقول القائل إن
التنعم بالمباح مباح فكيف يكون سبب البعد من الله تعالى فهذا خيال ضعيف بل
حب الدنيا رأس كل خطيئة والمباح الخارج عن قدر الحاجة من الدنيا أيضا وسيأتي ذكر
ذلك في كتاب ذم الدنيا وقد قال إبراهيم الخواص كنت في جبل اللكام فرأيت
رمانا فاشتهيته فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت
وتركت الرمانة فرأيت رجلا مطروحا وقد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام
عليك فقال وعليك السلام يا إبراهيم فقلت كيف عرفتني فقال من عرف الله
لم يخف عليه شيء منه فقلت أرى لك حالا مع الله فلو سألته أن يحميك ويقيك من هذه الزنابير
فقال وأرى لك حالا مع الله فلو سألته أن يحميك من شهوة الرمان فإن لدغ الرمان
يجد الإنسان ألمه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه في الدنيا فتركته ومضيت
وقال الشبلي منذ أربعين سنة تطالبني نفسي أن أغمس جزرة في دبس

خ السري

فما أطعمتها فإذن لا يمكن إصلاح القلب لسلوك طريق الله ما لم يمنع النفس عن
التنعم بالمباح فإن النفس إذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات فمن أراد حفظ
لسانه عن الغيبة والفضول فحقه أن يلزمه السكوت إلا عن المهمات حتى تموت
منه شهوة الكلام فلا يتكلم إلا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة
ومهما اعتادت العين رمي البصر إلى كل شيء جميل لم تتحفظ عن النظر إلى ما لا يحل
وكذا سائر الشهوات لأن الذي يشتهي به الحلال هو الذي بعينه يشتهي به
الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها عن الحرام فإن لم يعودها الاقتصار
على قدر الضرورة من الشهوات غلبته الشهوة فهذه إحدى آفات المباحات
ووراءها آفة أعظم من هذه وهو أن النفس تفرح بالتنعم في الدنيا وتركن إليها
وتطمئن بها أشرا وبطرا حتى تصير ممتلئة بها كالسكران الذي لا يفيق من
سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب الخوف
والحزن وذكر الموت وأهوال القيامة وهذا هو موت القلب قال تعالى وفرحوا بالحياة
الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع وقال تعالى اعلموا أنما الحياة
الدنيا لعب ولهو إلى قوله إلا متاع الغرور ذمها وكل ذلك ذم فأرباب القلوب جربوا
قلوبهم في حالة الفرح بمؤاتاة الدنيا فوجدوها قاسية نفرة بعيدة عن التأثر بذكر
الله واليوم الآخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة للأثر
بالذكر فعلموا أن النجاة في الحزن الدائم والتباعد عن أسباب الفرح والبطر فطموها

ففطموا

ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن ملاذها بشهواتها حلالها وحرامها
وعلموا ان حلالها حساب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب في عرصات القيامة
فقد عذب فخلصوا انفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك في الدنيا
والاخرة بالخلاص عن اسر الشهوات ورقها والانس بذكر الله والاشتغال
بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازي اذا قصد تأديبه ونقله من توحشه
الى الانقياد والتأدب فانه اولا يحبس في بيت فتخاط عيناه حتى
يحصل له الفطام عن الطيران في جو الهوى وينسى ما كان قد الفه من طبع
الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يانس بصاحبه ويالفه الفا اذا دعاه
اجابه ومهما سمع صوته رجع اليه لذلك النفس لا تالف ربها ولا تانس بذكره
الا اذا فطمت عن عاداتها بالخلوة والعزلة عن المالوفات ثم عودت الثناء والذكر
والدعاء ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليها الانس بذكر الله عوضا عن الانس بالدنيا وسائر
الشهوات وذلك يثقل عليه في البداية ويتنعم به في النهاية كالصبي يفطم عن الثدي
وهو شديد عليه اذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عند
الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم اليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا منع
اللبن راسا يوما ويوما وعظم تعبه في الصبر وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا
ثم يصير طبعا فلو رد الى الثدي لم يرجع اليه فيهجر الثدي ويعاف اللبن ويالف
الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك
قهرا وتمنع عن الاسترسال الذي الفته بالسلاسل والقيود اولا ثم تانس به بحيث
تترك في موضعها فتقف فيه من غير قيد فكذلك تؤدب النفس كما تؤدب الطيور
والدواب وتاديبها بان تمنع عن الاشر والبطر والفرح بنعيم الدنيا بل بكل
ما يزايله بالموت اذ قيل له احبب ما احببت فانك مفارقه فاذا علم انه من احب شيئا
يلزمه فراقه ويشقى لا محالة بفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان
ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر اياما قلائل والعمر قليل
بالاضافة الى مدة حياة الاخرة وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة وغيرها
شهرا ليتنعم به سنة وكل العمر بالاضافة الى الابد اقل بالاضافة الى العمر الدنيا فلا
بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وتطوى

لكل انسان تختلف بحسب اختلاف احواله والاصل فيه ان يترك كل ما به فرحه
من اسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال او بالجاه او بالقبول في الوعظ او بالعز في
القضاء والولاية او بكثرة الاتباع في التدريس والافادة فينبغي ان يترك اولا
ما به فرحه فانه ان منع عن شي من ذلك وقيل له ثوابك في الاخرة لم ينقص بالمنع فكره
ذلك وتالم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمان اليها وذلك مهلك في حقه ثم اذا
ترك اسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل
الا بذكر الله والفكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى
يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا ولا يزول الا بقطع السبب والعلاقة
وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد اخر الا بالموت والسلام

بيان علامات حسن الخلق

اعلم ان كل انسان جاهل بعيوب نفسه فاذا جاهد نفسه ادنى مجاهدة
حتى يترك فواحش المعاصي ربما ظن بنفسه انه قد هذب نفسه وحسن خلقه
فاستغنى عن المجاهدة فلا بد من ايضاح علامة حسن الخلق فان حسن الخلق
هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله صفات المومنين والمنافقين
وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فنورد جملة من ذلك لتعلم به حسن
الخلق فقد قال تعالى قد افلح المومنون الى قوله الوارثون وقال التائبون
العابدون الحامدون الى قوله وبشر المومنين وقال انما المومنون الذين اذا
ذكر الله الى هم المومنون حقا وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على
الارض هونا الى اخر السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على
هذه الايات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها
علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون
البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده وقد وصف رسول الله
صلى الله عليه وسلم المومنين بصفات كثيرة واشار بجميعها الى محاسن
الاخلاق فقال المومن يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال من كان يومن بالله واليوم
الاخر فليكرم ضيفه ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره وقال من
كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وذكر ان صفات الايمان
هي حسن الخلق فقال اكمل المومنين ايمانا احسنهم اخلاقا وقال صلى الله
عليه وسلم اذا رايتم المومن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال

من سره حسنته وساءته سيئته فهو مومن وقال لا يحل لمومن ان يشير الى اخيه
بطرف يوذيه وقال لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال انما يتجالس
المتجالسان بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه ما يكره وجمع
بعضهم علامات حسن الخلق فقال ان يكون كثير الحيا قليل الاذى كثير الصلاح صدوق
اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا
صبورا رضيا شكورا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا
نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا هشاشا
بشاشا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو
حسن الخلق وسيل عليه الصلاة والسلام عن علامة المومن والمنافق
فقال ان المومن همته في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همته في
الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المومن مشغول بالفكر
والمنافق مشغول بالحرص والامل المومن ايس من كل احد الا الله والمنافق راج
كل احد الا الله والمومن امن من كل احد الا من الله والمنافق خايف من كل احد
الا من الله والمومن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمومن
يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك المومن يحب الوحدة والخلاء والمنافق يحب الخلطة
والملا والمومن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمومن
يامر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يامر وينهى للرياسة فيفسد واولى ما يمتحن
به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال الجفا ومن شكا من سوء خلق غيره فقد دل
على سوء خلقه لان حسن الخلق احتمال الاذى فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يمشي ومعه انس فادركه اعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني
غليظ الحاشية قال انس حتى نظرت الى عنق النبي صلى الله عليه وسلم قد اثرت فيه
حاشية البرد من شدة جذبه ثم قال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم امر باعطائه ولما اكثر الكفار ايذاه وضربه
قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فلذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم
وحكي عن ابراهيم بن ادهم انه خرج الى بعض البوادي فاستقبله رجل جندي
فقال له انت عبد قال نعم فقال اين العمران فاشار الى المقبرة فقال الرجل انما اردت
العمران فقال هو المقبرة فغاظه ذلك فضرب راسه بالسوط فشجه موضحة ورده

إلى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما هذا فأخبرهم الجندي فقالوا هذا إبراهيم بن
أدهم فنزل الجندي عن دابته فقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر إليه فقيل له لم قلت
له أنا عبد قال لأني عبد الله فلما ضرب رأسي سألت الله له الجنة فقيل له إنه ظلمك فكيف
سألت الله له الجنة فقال علمت أني أوجر على هذا فلم أحب أن يصيبني منه الخير ويصيبه
مني الشر ودعي أبو عثمان الحيري إلى دعوة وكان الداعي يريد تجربته فلما بلغ منزله
قال له ليس لي وجه فرجع أبو عثمان فلما ذهب غير بعيد دعاه ثانيا فقال
ترجع على ما يوجبه الوقت فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الأولى فرجع أبو عثمان ثم
جاءه الثالثة حتى عامله بذلك مرات وأبو عثمان لم يتغير فقال إنما أردت أن
أختبرك فما أحسن خلقك فقال أبو عثمان إن الذي رأيت مني هو خلق الكلب
إذا دعي أجاب وإذا زجر انزجر وروي أن أبا عثمان اجتاز في سكة فطرحت
عليه إجانة رماد فنزل عن دابته فجعل ينفض ذلك عن ثيابه ولم يقل شيئا فقيل
له ألا زجرتهم فقال إن من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز أن يغضب وروي أن علي بن
موسى الرضا كان يميل لونه إلى السواد إذ كانت أمه سوداء وكان له بنيسابور على
باب داره حمام وكان إذا دخل فرغ له الحمام فدخل ذات يوم فأطبق باب الحمام
ومر الحمامي إلى بعض حوائجه فتقدم إنسان رستاقي إلى باب الحمام ودخل ونزع
ثيابه فدخل الحمام فرأى علي بن موسى الرضى فظن أنه بعض خدام الحمام لسواده
فقال له قم فاحمل إلي الماء فقام وامتثل جميع ما كان يأمره فرجع الحمامي فرأى
ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى فخاف وهرب وخلاهما فلما خرج
علي بن موسى سأل عن الحمامي فقيل إنه خاف مما جرى فهرب فقال لا ينبغي أن يهرب
إنما الذنب لمن وضع ماءه عند أمة سوداء وروي أن عبد الله الخياط كان يقعد على دكانه
وكان له حريف مجوسي يستعمله في الخياطة فكان إذا خاط له ذلك المجوسي حمل إليه دراهم
زيوفا وكان عبد الله يأخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فاتفق من القضاء أن
عبد الله قام يوما من حانوته لبعض حاجاته فتقدم المجوسي إلى تلميذه واسترجع منه
ما خاطه ودفع إليه دراهم زائفة فلما نظر فيها التلميذ ردها عليه فلما عاد عبد الله
أخبره بذلك فقال بئس ما عملت هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة منذ سنة
وأنا أصبر عليه فآخذ الدراهم وألقيها في البئر لئلا يغر بها مسلما وقال يوسف بن أسباط

خ
سو الوجه هذا

فقيل له ألا زجرتهم

علامة

علامة حسن الخلق عشرة اشيا قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات والتماس المعذرة واحتمال الاذى والرجوع بالملامة على نفسه والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه ومن فوقه وسيل سهل عن حسن الخلق فقال ادناه احتمال الاذى وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقيل للاحنف ابن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ جاءه خادم له بسفود عليه شوا فسقط من يدها فوقع على ابن له فمات فدهشت الجارية فقال لا روعة عليك انت حرة لوجه الله وقيل كان اويس القرني اذا راه الصبيان يرمونه بالحجارة وهو يقول يا اخوتاه ان كان ولا بد فارموني بالصغار كي لا تدموا ساقي فتمنعوني من الصلاة وشتم رجل الاحنف ابن قيس وكان يتبعه فلما قرب من الحي وقف وقال ان كان بقي في قلبك شي فقله كي لا يسمع بعض سفها الحي فيجيبوك وروي ان جارية سودا كانت لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه كانت تمر على خياط فيقول لها اني احبك فتردد عليها ذلك حتى ذكرته لعلي فقال لها اذا قال لك ذلك فقولي له فيما ذا فعادت الخياط بالكلام فقالت له فيم فقال الخياط فاصبر واصبر حتى يحكم الله فذكرت ذلك لعلي رضي الله عنه فاعتقها وزوجها منه وروي ان علياً رضي الله عنه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فقام اليه فراه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام فقال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال امنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فانت حر لوجه الله وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة وقيل ليحيى بن زياد الحارثي وكان له غلام سو لم تمسك هذا الغلام قال لاتعلم عليه الحلم فهذه النفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت اخلاقها ونقيت عن الغش والغل بواطنها فاثمرت الرضا بكل ما قدره الله وهو منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله ولا يرضى به فهو غاية سو خلقه فهولاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي ان يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي ان يشتغل بالرياضة والمجاهدة الى ان يبلغ درجة حسن الخلق فانها درجة رفيعة لا ينالها الا المقربون والصديقون

بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشو ووجه تاديبهم وتحسين اخلاقهم

اعلم ان الصبيان امانة عند والديهم والدليل

جوهرة ح

وقلبه الطاهر نفيسة ساذجة خالية من كل نقش ومايل الى كل ما يمال به الى فان
عود الخير وعلمه نشا عليه وسعد في الدنيا والاخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم
له ومودب وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبته
القيم به والوالي عليه وقد قال تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا ومهما كان الاب
يصونه من نار الدنيا فبان يصونه من نار الاخرة اولى وصيانته بان يودبه
ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب
اليه الزينة واسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها اذا كبر ويهلك هلاك الابد
بل ينبغي ان يراقبه في اول امره فلا يستعمل في حضانته وارضاعه الا امراة صالحة
متدينة تاكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو
الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما
بدت فيه مخايل التمييز فينبغي ان يحسن مراقبته واول ذلك ظهور اوائل الحيا فاذا
كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل
عليه حتى يرى بعض الاشيا قبيحة ومخالفا للبعض فصار يستحي من شي دون شي وهذه
هدية من الله تعالى وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب وهو مبشر
بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحي لا ينبغي ان يهمل بل يستعان على تاديبه
بحيائه وتمييزه واول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي ان يودب فيه مثل ان
لا ياخذ الطعام الا بيمينه ويقول بسم الله عند اخذه وياكل مما يليه ولا يبادر
الى الطعام قبل غيره ولا يحدق النظر الى الطعام ولا الى من ياكل ولا يسرع في الاكل
وان يمضغ الطعام مضغا جيدا ولا يوالي بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه وان يعود الخبز
القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل
بان يشبه من يكثر الاكل بالبهائم وبان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح بين
يديه الصبي المتادب القليل الاكل وان يحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة
والقناعة بالطعام الخشن اي طعام كان وان يحبب اليه من الثياب البيض دون الملون
والابريسم ويقرر عنده ان ذلك شان النساء والمخنثين وان الرجال يستنكفون
منه ويكرر عليه ذلك ومهما راى على صبي ثوبا من ابريسم او ملون فينبغي ان يستنكره
ويذم ذلك عنده ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية
والتنعم ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه

علم ح

فان الصبي

فان الصبي اذا اهمل في ابتدا نشوه خرج في الاكثر رديء الاخلاق كذابا حسودا
سروقا نماما لحوحا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة وانما يحفظ عن جميع ذلك
بحسن التاديب ثم ينبغي ان يشتغل في المكتب فيتعلم القران واحاديث الاخبار
وحكايات الابرار واحوالهم لينغرس حب الصالحين في نفسه ويحفظ عن الاشعار
التي فيها ذكر العشق واهله ويحفظ عن مخالطة الادبا الذين يزعمون ان ذلك من
الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد ومهما
ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح
بين اظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل
عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشف ولا يظهر انه يتصور ان يتجاسر احد على مثله
لا سيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخفايه فان اظهار ذلك ربما يفيده
جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة بعد ذلك فان عاد ثانيا فينبغي ان يعاتب سرا ويعظم
الامر فيه ويقال اياك ان يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا تكثر
القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبايح ويسقط
وقع الكلام من قلبه وليكن الاب حافظا هيبة الكلام معه ولا يوبخه الا احيانا والام
تخوفه بالاب وتزجره عن القبايح وينبغي ان يمنع النوم نهارا فانه يورث الكسل
ولا يمنع النوم ليلا ولكن يمنع الفرش الوطية حتى تتصلب اعضاوه ولا يسمن بدنه فلا
يصبر على التنعم بل يعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم وينبغي ان يمنع من كل ما
يفعله في خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا ترك تعود فعل القبيح
ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل
ويعود ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره ويمنع
من ان يفتخر على اقرانه بشي مما يملكه والده او بشي من مطاعمه وملابسه
ولوحه ودواته ويعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام
معهم ويمنع من ان ياخذ من الصبيان شيا بدا له حشمة ان كان من اولاد المحتشمين
بل يعلم ان الرفعة في الاعطا لا في الاخذ وان الاخذ لوم وخسة فان كان من اولاد الفقرا
فيعلم ان الاخذ والطمع مهانة ومذلة وان ذلك من داب الكلب فانه يبصبص في
انتظار لقمة وبالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما
اكثر من التحذير من الحيات والعقارب فان افة حب الذهب والفضة والطمع فيهما اكثر من افة

السموم على الصبيان بل على الاكابر ايضا وينبغي ان يعود ان لا يبصق في مجلسه ولا يتمخط
ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه
تحت ذقنه ولا يعمد راسه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس
وينبغي ان يمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك يدل على الوقاحة وانه عادة ابنا
اللئام ويمنع اليمين راسا صادقها وكاذبها حتى لا يتعوده في الصغر ويمنع من ان يبتدي
بالكلام ويعود ان لا يتكلم الا جوابا وبقدر السوال وان يحسن الاستماع مهما
من هو اكبر منه سنا وان يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من
لغو الكلام وفحشه من اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شي من ذلك
فان ذلك يسري لا محالة من القرنا السو واصل تادیب الصبي الحفظ من القرنا
السو وينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع باحد بل
يصبر ويذكر له ان ذلك داب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ داب المماليك
والنسوان وينبغي ان يوذن له بعد الفراغ من المكتب ان يلعب لعبا جميلا كي
يستريح اليه من تعب الادب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من
اللعب وارهاقه الى التعلم دايما يميت قلبه ويبطل ذكاه وينغص العيش
عليه حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه راسا وينبغي ان يعلم طاعة والديه
ومعلمه ومودبه وكل من هو اكبر سنا منه من قريب واجنبي وان ينظر اليهم
بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب بين ايديهم ومهما بلغ سن التمييز فينبغي
ان لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويومر بالصيام في بعض الايام من رمضان
ويجنب لبس الحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف
من السرقة واكل الحرام ومن الكذب والخيانة والفحش وكل ما يغلب على الصبيان
فاذا وقع نشوه كذلك في الصبي فمهما قارب البلوغ امكن ان يعرف اسرار هذه الامور
فيذكر له ان الاطعمة ادوية وانما المقصود منها ان يقوى الانسان بها على عبادة الله
وان الدنيا كلها لا اصل لها اذ لا بقا لها وان الموت يقطع نعيمها وانها دار ممر لا
دار مقر وان الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للاخرة
حتى تعظم عند الله درجته ويتسع في الجنان نعيمه فاذا كان النشو صالحا كان هذا
الكلام عند البلوغ واقعا موثرا ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وان
وقع النشو بخلاف ذلك حتى الف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام
واللباس

واللباس والتزين والتفاخر فما قلبه عن قبول الحق ينبو نبو الحائط عن التراب اليابس
فاوايل الامور هي التي ينبغي ان تراعى فان الصبي خلق جوهره قابلا للخير والشر جميعا
وانما ابواه يميلان به الى احد الجانبين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على
الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال سهل التستري كنت ابن ثلاث
سنين وكنت اقوم بالليل انظر الى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوما الا تذكر الله
الذي خلقك قلت كيف اذكره فقال قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من
غير ان تحرك به لسانك الله معي الله ناظر الي الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم اعلمته
فقال قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة
احدى عشر مرة فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي
خالي احفظ ما علمتك ودم عليه الى ان تدخل القبر فانه ينفعك في الدنيا والاخرة
فلم ازل على ذلك سنين فوجدت لها حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يا سهل
من كان الله معه وهو ناظر اليه وشاهده ايعصيه اياك والمعصية فكنت اخلو
بنفسي فبعثوا بي الى المكتب فقلت اني لاخشى ان يتفرق علي همي ولكن شارطوا
المعلم اني اذهب اليه ساعة فاتعلم ثم ارجع فمضيت الى الكتاب وحفظت القران
وانا ابن ست سنين او سبع سنين وكنت اصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير
اثنتي عشرة سنة فوقعت لي مسئلة وانا ابن ثلاث عشرة سنة فسالت اهلي ان يبعثوا
بي الى البصرة اسال عنها فجئت البصرة وسالت علماءها فلم يشف احد عني شيا
فخرجت الى عبادان الى رجل يعرف بابي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني فسالته
عنها فاجابني فاقمت عنده مدة انتفع بكلامه واتادب بادبه ثم رجعت الى تستر
فجعلت قوتي اقتصارا على ان يشترى لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي
وافطر عند السحر كل ليلة على اوقية واحدة بحتا بغير ملح ولا ادم فكان يكفيني
ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على ان اطوي ثلاث ليال ثم افطر ليلة ثم خمسا ثم
سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة وكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت اسيح
في الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله **بيان شروط الاراده**
ومقدمات المجاهده وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضه اعلم ان من
شاهد الاخرة بقلبه مشاهدة يقين اصبح بالضرورة مريدا حرث الاخرة مشتاقا
اليها سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كان معه خرزة فراى

فواى جوهرة نفيسة لم يتولوا عنها في الخرزة وفوتها ادتوا في نعيمها بالجوهرة فمن ليس مريدا
حرث الآخرة وطالبا للقاء الله فهو لعدم ايمانه بالله واليوم الآخر ولست اعني بالايمان حديث
القلب وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهي قول
من صدق بان الجوهرة خير من الخرزة الا انه لا يدري من الجوهرة الا لفظها واما حقيقتها
فلا ومثل هذا المصدق اذا الف الخرزة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة
فاذن المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة
عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله الهادين
الى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم امر الآخرة ودوامها فالخلق
غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم
فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله وان طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين
الى الهوى عادلين عن منهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق
العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله عن السالكين ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل
مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة فان
تنبه متنبه من نفسه او من تنبيه غيره وانبعث له ارادة في حرث الآخرة وتجارتها
فينبغي ان يعلم ان له شروطا لا بد من تقديمها في بداية الارادة وله معتصم لا بد من التمسك
به وله حصن لا بد من التحصن به ليأمن من الاعداء والقطاع لطريقه وله وظائف لا بد له
من ملازمتها في وقت سلوك الطريق اما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة
فهي رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم
الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا الاية
فالسد بين المريد وبين الحق اربع المال والجاه والتقليد والمعصية وانما يرتفع
حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر ضرورة فما دام يبقى له درهم
يلتفت اليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد من موضع
الجاه وبالتواضع وايثار الخمول والهرب من اسباب الذكر وتعاطي اعمال تنفر قلوب
الخلق وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وان يصدق بمعنى قوله
لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويحرص في تحقيق صدقه بان يرفع كل معبود
له سوى الله واعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف حقيقة الامر في معنى اعتقاده
الذي تلقفه تقليدا فينبغي ان يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب عليه
التعصب

التعصب للمذهب ولم يبق في قلبه متسع لغيره فهذا كل التقليد وحجاب اذ ليس من
شروط المريد الانتما الى مذهب معين اصلا واما المعصية فهي حجاب لا يرفعها
الا التوبة والخروج عن المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى
ورد المظالم وارضا الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة
واراد ان يقف على اسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد ان يقف على اسرار
القران وتفسيره وهو لم يتعلم لغة العرب بعد فان ترجمة غريب القران لا بد من
تقديمها اولا ثم الترقي منها الى اسرار معانيه فكذا لا بد من تصحيح الشريعة
اولا واخرا ثم الترقي الى اسرارها واغوارها فاذا قدم على هذه الشروط الاربعة
وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضى ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة
فيحتاج الى امام يقتدي به لا محالة ليهديه الى سوا السبيل فان سبيل الدين غامض
وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان
لا محالة الى طرقه فمن سلك البوادي المهلكة بنفسه من غير خفير فقد خاطر
بنفسه واهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها
فانها تجف على القرب وان بقيت مدة واورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد
تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شط البحر
بالقايد بحيث يفوض اليه بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا
يبقي ولا يبقي في متابعته شيا ولا يذر وليعلم ان نفعه في خطا شيخه لو اخطا
اكثر من نفعه في صواب نفسه لو اصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على
معتصمه ان يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو اربعة
امور الخلوة والصمت والجوع والسهر وهذا تحصن من القواطع فان مقصود
المريد اصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه فاما الجوع فانه ينقص دم القلب
ويبيضه وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفواد وفي ذوبانه رقته ورقته مفتاح
المكاشفة كما ان قسوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق منه مسلك
العدو فان مجاريه العروق الممتلية بالشهوات قال عيسى عليه الصلاة والسلام
يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم قال سهل ما صار الابدال
ابدالا الا باربع خصال اخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس
ففايدة الجوع في تنوير القلب ظاهر يشهد له التجربة وسياتي بيان وجه التدريج

اصلا

فيه من باب كسر الشهوتين واما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره
ويضاف ذلك الى الصفا الذي حصل من الجوع ويصير القلب كالكوكب
الدري والمراة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات
في الاخرة وحقارة الدنيا وافاتها فيتم بذلك رغبته عن الدنيا واقباله على
الاخرة والسهر ايضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن
والنوم يقسي القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة
لاسرار الغيب فقد قيل في صفة الابدال ان اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم
ضرورة وقال ابراهيم الخواص اجتمع راي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة
شرب الما واما الصمت فانه يسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن
مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرابه او تدبير امره فينبغي ان لا يتكلم الا
بقدر الضرورة لان الكلام يشغل القلب وشره القلب الى الكلام عظيم
فانه يستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر ويستروح اليه فالصمت
يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى واما الخلوة ففايدتها دفع الشواغل
وضبط السمع والبصر فانهما دهليز القلب والقلب في حكم حوض تنصب
اليه مياه كدرة قذرة من انهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك
المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر اسفل الحوض فينفجر منه الما النظيف الصافي
الطاهر فكيف يصح ان ينزح الما من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد في كل
حالة اكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس الا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك
الا بالخلوة في مكان مظلم فان لم يكن له مكان مظلم فليلف راسه في جيب او مكان
يتدثر بكسا او ازار ففي مثل هذه الحالة يسمع ندا الحق ويشاهد جلال الحضرة
الربوبية اما ترى ان ندا النبي صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على هذه الصفة
فقيل يا ايها المزمل يا ايها المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن يدفع عنه القواطع
ويمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق
وانما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله الا صفات القلب التي سببها
الالتفات الى الدنيا وبعض تلك العقبات اعظم من بعض والترتيب في قطعها ان
اول الارادة واثارها اعني المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق
والتشوق الى المعاصي فلا بد ان يخلي الباطن عن اثارها كما اخلى الظاهر عن اسبابها
الظاهرة وفيها تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص مكفي
قد كفي

فهو أكثر الصفات فلا نطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا أن طريق المجاهدة مضادة
الشهوة ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة
على نفس المريد كما سبق ذكره فإذا كفي ذلك أو ضعف بالمجاهدة ولم يبق
في قلبه علقة شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الأوراد الظاهرة بل
يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الأوراد وثمرتها أعني
ملازمة القلب لذكر الله بعد الخلو من ذكر غيره ولا يشغله به ما دام قلبه ملتفتا
إلى علائقه قال الشبلي للحصري إن كان يخطر على قلبك من الجمعة التي تأتيني شيء
غير الله فحرام عليك أن تأتيني وهذا التجرد لا يحصل إلا مع صدق الإرادة
واستيلاء حب الله على القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له
إلا هم واحد فإذا كان كذلك ألزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم
له بقدر يسير من القوت حلالا فإن أصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه
ذكرا من الأذكار حتى يشتغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله الله
أو سبحان الله أو ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط
حركة لسانه وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال
يواظب حتى يسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثم
لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته ويبقى حقيقة معناه
لازمة للقلب حاضرة معه غالبة عليه قد فرغ عن كل ما سواه لأن القلب إذا
شغل بشيء خلا عن غيره أي شيء كان فإذا اشتغل بذكر الله وهو المقصود
خلا لا محالة عن غيره وعند ذلك يلزمه أن يراقب وساوس القلب والخواطر
التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه فيما مضى من أحواله وأحوال غيره فإنه
مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان ذلك
نقصانا فليجتهد في دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس إلى هذه
الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة وأنها ما هي وما معنى قولنا الله
ولأي معنى كان إلها وكان معبودا ويعتريه عند ذلك خواطر يفتح عليه باب الفكر
وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة ومهما كان كارها
لذلك ومتشمرا لإماطته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة إلى ما يعلم قطعا
أن الله منزه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه
أن لا يبالي به ويفزع إلى ذكر الله ويبتهل إليه كي يدفعه عنه كما قال الله تعالى وإما

ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وقال ان الذين اتقوا اذا
مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والى ما يشكل فيه
ينبغي ان يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجده في قلبه من الاحوال من فترة او نشاط
او التفات الى علقة او صدق في ارادة فينبغي ان يظهر ذلك لشيخه ويستره
عن غيره فلا يطلع عليه احدا ثم ان شيخه ينظر في حاله ويتامل في ذكائه وكياسته
فان علم انه لو تركه وامره بالفكر تنبه من نفسه لحقيقة الحق فينبغي ان يحيله على
الفكر ويامره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته
وان علم ان ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد الصحيح بما يحتمله
قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه وينبغي ان يتانق الشيخ ويتلطف
به فان هذه مهالك الطريق ومواقع اخطارها وكم من مريد اشتغل
بالبطالة وسلك الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للفكر
ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن امثال هذه الافكار فانه قد
ركب في سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وان اخطا كان من الهالكين
ولذلك قال عليه الصلاة والسلام عليكم بدين العجائز وهو تلقي اصل الايمان
وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال باعمال الخير فان الخطر
في العدول عن ذلك كثير ولهذا يجب على الشيخ ان يتفرس في المريد فان لم يكن ذكيا
فطنا متمكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالفكر بل رده الى الاعمال الظاهرة
والاوراد المتواترة او يشغله بخدمة المتجردين للفكر حتى تشمله بركتهم
فان العاجز عن الجهاد في صف القتال ينبغي ان يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر
يوم القيامة في زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد
للذكر والفكر قد تقطعه قواطع كثيرة من العجب والريا والفرح بما ينكشف له من الاحوال
وما يبدو له من اوائل الكرامات ومهما التفت الى شيء من ذلك وشغلت به نفسه
كان ذلك فتورا في طريقه ووقوفا بل ينبغي ان يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان
ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار ولو افيضت عليه وراس ماله الانقطاع
عن الخلق والخلوة قال بعض السائحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن
الخلق الى الخلوة كيف الطريق الى التحقيق وقال مرة قلت له دلني على عمل اجد
فيه قلبي مع الله في كل وقت على الدوام فقال لي لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم
ظلمة قلت لا بد لي قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد لي من ذلك

طريق صح

قسوة

قال فلا

قال فلا تعاملهم فإن معاملتهم وحشة قلت أنا بين أظهرهم لا بد لي من معاملتهم
قال فلا تسكن إليهم فإن السكون إليهم هلكة قلت هذا لعله قال يا هذا أتنظر إلى الغافلين
وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد أن تجد قلبك مع الله على الدوام
هذا ما لا يكون أبداً فإذاً منتهى الرياضة أن تجد قلبك مع الله أبداً ولا يمكن ذلك
إلا بأن تخلو عن غيره ولا تخلو عن غيره إلا بطول المجاهدة فإذا حصل قلبه مع الله
تعالى انكشف جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف رحمة الله ما
لا يجوز أن يوصف بل لا يحيط الوصف به أصلاً وإذا انكشف للمريد شيء من ذلك فأعظم
القواطع عليه أن يتكلم به وعظاً ونصحاً ويتصدى للتذكير فتجد النفس فيه لذة ليس
وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة إلى أن يتفكر في كيفية إيراد تلك المعاني وتحسين
الألفاظ عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والأخبار
وتحسين صنعة الكلام لتميل إليه القلوب والأسماع والشيطان ربما يخيل إليه أن
هذا منك إحياء القلوب الموتى الغافلين عن الله وإنما أنت واسطة بين الله وبين
الخلق لدعوة عباده إليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان
بأن يظهر في أقرانه من يكون أحسن كلاماً وأجزل لفظاً وأقدر على جلب قلوب
العوام فإنه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لا محالة إذ كان محركه لذة القبول ولو ان
محركه هو الحق حرصاً على دعوة عباد الله إلى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه
فيقول الحمد لله الذي عضدني وأيدني بمن وازرني على إصلاح عباده كالذي لو
وجب عليه أن يحمل ميتاً ليدفنه إذ وجده ضائعاً وتعين ذلك شرعاً على
من أعانه عليه فإنه يفرح به ولا يحسد من يعينه والغافلون موتى والوعاظ
هم المنبهون والمحيون لهم ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي أن
يعظم الفرح به وهذا عزيز الوجود جداً فينبغي أن يكون المريد على حذر منه
فإنه أعظم حبائل الشيطان في قطع الطريق على من انفتح له أوائل الطريق
فإن إيثار الحياة الدنيا طبع غالب على الإنسان ولذلك قال تعالى بل تؤثرون
الحياة الدنيا ثم بين أن الشر قديم في الطباع وأن ذلك مذكور في الكتب
السالفة فقال إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى فهذا منهاج
رياضة المريد وتربيته في التدريج إلى لقاء الله أما تفصيل الرياضة في كل صفة
فسيأتي فإن أغلب الصفات على الإنسان بطنه وفرجه ولسانه أعني

الشهوات المتعلقة بهما ثم العضو الذي هو كالجامع للشهوات ثم مهما احب
الانسان شهوة البطن والفرج وانس بهما احب الدنيا ولم يمكن منها الا بالمال
والجاه واذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة واذا ظهر ذلك
فلم تسمح نفسه بترك الدنيا راسا تمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور
فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين ان نستكمل ربع المهلكات بثمانية
كتب كتاب فيه كسر شهوة البطن والفرج وكتاب فيه افات اللسان وكتاب
فيه افات الغضب والحقد والحسد وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خداعها
وكتاب في كسر حب المال وذم البخل وكتاب في ذم الريا وحب الجاه وكتاب
في الكبر والعجب وكتاب في مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات وتعليم
طريق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربع المهلكات ان شا الله تعالى فان ما
ذكرناه في الكتاب الاول هو شرح صفات القلب الذي هو معدن المهلكات
والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الى طريق تهذيب الاخلاق
ومعالجة امراض القلوب اما تفصيلها فانها تاتي في هذه الكتب ان شا
الله تعالى بعونه وحوله وقوته اخر كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق
اللهم اختم بالصالحات اعمالنا اللهم انا نسالك حسن الخاتمة اللهم صل على سيدنا
محمد وعلى اله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكره الغافلون يتلوه
ان شا الله كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج وهو الكتاب
الثالث من ربع المهلكات من كتب احيا علوم الدين

كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واختم بالخير

الحمد لله المتفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح
والتنزيه القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه
المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه المنعم بما يزيد على مهمات مقاصده
بل بما يفي بامانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يميته ويحييه واذا مرض فهو
يشفيه واذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ثم يرتضيه وهو الذي
يطعمه ويسقيه ويحفظه من الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما
يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقويه حتى تضيق به مجاري
الشيطان الذي يناويه ويكسر به شهوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم
يعبد ربه

الدنيا خ

بيان خ

يحمد ربه ويتقدس هذا بعد أن يوسع بما يلتذ به ويشتهيه ويكثر عليه مما يهيج بواعثه
وجنوده واعيه كل ذلك ليمتحنه ويبتليه فينظر كيف يؤثر على ما يهواه وينتجعه
وكيف يحفظ أوامره وينتهي عن نواهيه ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلاة
على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلاة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته
وتعليه وعلى الأبرار من عترته وأقربيه والأخيار من صحابته وتابعيه أما
بعد فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها أخرج آدم وحواء من دار القرار
إلى دار الذل والافتقار إذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى أكلا منها فبدت
لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات إذ يتبعها
شهوة الفرج وشدة الشبق إلى المنكوحات ثم يتبع شهوة المطعم والنكاح شدة
الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة إلى التوسع في المنكوحات والمطعومات
والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات وضروب المنافسات
والمحاسدات ثم يتولد منهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى
ذلك إلى الحسد والحقد والعداوة والبغضاء ثم يفضي بصاحبه إلى اقتحام
البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وما يتولد منها من بطر
الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لأذعنت لطاعة
الله ولم تسلك طريق البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك إلى الانهماك في الدنيا
وإيثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب هذا التكالب على الدنيا وإذا عظمت
آفة شهوة البطن إلى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيرا منها ووجب
إيضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة
الفرج فإنها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله في فصول يجمعها وهو
بيان فضيلة الجوع ثم فوائد الجوع ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل
من الطعام والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال
الناس ثم بيان الرياء في ترك الشهوات ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على
المريد في ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا
أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله
وإنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم

لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وقيل يا رسول الله اي الناس افضل قال
من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته وقال صلى الله عليه وسلم سيد
الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال ابو سعيد الخدري رضي الله
عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا واشربوا وكلوا في انصاف البطون
فانه جزء من النبوة وقال الحسن رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم الفكر نصف
العبادة وقلة الطعام هي العبادة وقال الحسن قال صلى الله عليه وسلم افضلكم
منزلة عند الله اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله كل نؤوم اكول شروب وفي
الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز اي مختارا لذلك وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله يباهي الملائكة بمن قل طعمه في الدنيا يقول انظروا الى
عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما اشهدوا يا ملائكتي ما من اكلة
يدعها الا ابدلته بها درجات في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب
بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال صلى الله عليه
ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا بد فاعلا
فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفي حديث اسامة بن زيد وحديث ابي
هريرة الطويل ذكر فضل الجوع اذ قال ان اقرب الناس من الله يوم القيامة من طال جوعه
وعطشه وحزنه في الدنيا الاخفياء الاتقياء الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا
تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس ونعموا بطاعة الله افترش
الناس الفرش وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوها
تبكي عليهم الارض اذا فقدتهم ويسخط الله على كل بلد ليس فيها منهم احد لم
يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف اكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثا
غبرا تراهم الناس فيظنون ان بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا وذهبت
عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم الى امر اذهب عنهم الدنيا
فهم عند اهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حين ذهبت عقول الناس لهم
الشرف في الاخرة يا اسامة اذا رايتهم في بلدة فاعلم انهم امان لتلك
البلدة لا يعذب الله قوما هم فيهم الارض بهم فرحة والجبار عنهم راض
اتخذهم لنفسك اخوانا عسى ان تنجو بهم وان استطعت ان ياتيك الموت
وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين
وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار وروى الحسن عن ابي

هريرة

خ وان كان لا بد فاعله

خ يتكالبوا

خ رحمته

هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا الصوف وشمروا وكلوا
في انصاف البطون تدخلوا في ملكوت السما وقال عيسى عليه الصلاة والسلام
اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله وروي ذلك عن نبينا صلى
الله عليه وسلم ايضا رواه طاوس وفي التوراة مكتوب ان الله ليبغض الحبر
السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر
ولاجله قال ابن مسعود ان الله يبغض القاري السمين وفي خبر مرسل ان الشيطان
ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفي الخبر ان
الاكل على الشبع يورث البرص وقال صلى الله عليه وسلم المومن ياكل في معا واحد
والكافر ياكل في سبعة امعا اي كل سبعة اضعاف المومن او تكون شهوته
سبعة امثال شهوته ويكون المعى كناية عن الشهوة لان الشهوة هي التي
تقبل الطعام وتاخذه كما تاخذ المعى وليس المعنى زيادة عدد معى المنافق
على معى المومن وروى الحسن عن عايشة رضي الله عنها قالت سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول اديموا قرع باب الجنة تفتح لكم قلت وكيف نديم قرع باب
الجنة قال بالجوع والظما وروي ان ابا جحيفة تجشا في مجلس النبي صلى الله
عليه وسلم فقال اقصر من جشائك فان اطول الناس جوعا يوم القيامة اكثرهم شبعا
في الدنيا وكانت عايشة رضي الله عنها تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يمتلي قط شبعا وربما بكيت رحمة له مما ارى به من الجوع فامسح بطنه ثم
اقول نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع
فيقول يا عايشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا
فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مابهم واجزل ثوابهم فاجدني استحي
ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي ان
ينقص حظي غدا في الاخرة وما من شي احب الي من اللحوق باخواني واخلائي
قالت عايشة والله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله وقال صلى الله عليه وسلم
وقال صلى الله عليه وسلم اهل الجوع في الدنيا هم اهل الشبع في الاخرة وان ابغض
الناس الى الله المتخمون الملا وما ترك عبد اكلة يشتهيها الا كانت له درجة
في الجنة وعن انس رضي الله عنه قال جاءت فاطمة رضي الله عنها بكسرة خبز لرسول الله

المنافق

صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى اتيتك
بهذه الكسرة فقال اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلاثة ايام وقال ابو هريرة
رضي الله عنه ما اشبع النبي اهله ثلاثة ايام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا وانما
الاثنا وقد قال عمر رضي الله عنه اياكم والبطنة فانها ثقل في الحياة ونتن في الممات
وقال شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة والتها المجاعة وقال لقمان لابنه
يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة
وقال الفضيل بن عياض لنفسه اي شي تخافين اتخافين ان تجوعي لا تخافي ذلك انت اهون
على الله من ذلك انما يجوع محمد واصحابه وكان كهمس يقول الهي اجعتني واعريتني وفي
ظلم الليالي اجلستني فباي وسيلة بلغتني ما بلغتني وكان فتح الموصلي اذا اشتد
مرضه وجوعه يقول الهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل باوليائك فباي عمل
اودي شكر ما انعمت به علي وقال مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسع يا ابا عبد الله
طوبى لمن كانت له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس فقال يا ابا يحيى طوبى لمن اصبح جائعا
وامسى جائعا وهو عن الله راض وكان الفضيل يقول الهي اجعتني واجعت عيالي
وتركتني في ظلم الليل بلا مصباح وانما تفعل ذلك باوليائك فباي منزلة نلت هذا
منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع
المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفي التوراة
اتق الله واذا شبعت فاذكر الجائع وقال ابو سليمان لان اترك لقمة من عشائي
احب الي من قيام ليلة الى الصبح وقال ايضا الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه الا لمن احب
~~لا يعطيه الا لمن احب~~ وكان سهل التستري يطوي نيفا وعشرين يوما لا ياكل
وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافي
القيامة عمل افضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبي عليه الصلاة والسلام
في اكله وقال لم ير الاكياس شيئا انفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا اعلم شيئا
اضر على طلاب الاخرة من الاكل وقال وضعت الحكمة والعلم في الجوع وجعلت المعصية
والجهل في الشبع وقال ما عبد الله بشي افضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقال
في الحديث ثلث للطعام فمن زاد عليه فانما ياكل من حسناته وسئل عن الزيادة فقال
لا يجد الزيادة حتى يكون الترك احب اليه من الاكل ويكون اذا جاع ليلة سال الله تعالى ان يجعلها
ليلتين فاذا كان كذلك وجد الزيادة وقال انما صار الابدال ابدالا باخماص البطون

والعلم

والصمت

بليلة

والصمت والسهر والخلوة وقال راس كل بر بين السما والارض الجوع وراس كل فجور
الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبال الله على العبد بالجوع والسقم
والبلا الا من شا الله وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال احد النجاة الا بذبح نفسه وقتلها
بالجوع والصبر والجهد وقال ما على وجه الارض احد شرب من هذا الما حتى روي فسلم
من المعصية وان شكر الله فكيف الشبع من الطعام وسيل حكيم باي قيد اقيد النفس فقال
بالجوع والعطش وذللها باخمال الذكر وترك العز وصغرها بوضعها تحت ارجل
ابنا الاخرة واكسرها بترك زي القرا عن ظاهرها وانج من افاتها بدوام سو
الظن عليها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الواحد بن زيد يحلف بالله ان الله
ما صافا احدا الا بالجوع ولا مشوا على الما الا بالجوع ولا طويت لهم الارض الا بالجوع
ولا تولاهم الله الا بالجوع وقال ابو طالب المكي مثل البطن مثل المزهر وهو العود
المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه اجوف غير ممتلي فكذلك الجوف
اذا خلا كان اعذب للتلاوة وادوم للقيام واقل للمنام وقال ابو بكر بن عبد الله
ثلاث يحبهم الله رجل قليل الاكل قليل النوم قليل الراحة وروي ان عيسى عليه الصلاة
والسلام مكث يناجي ربه ستين صباحا لم ياكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة
فاذا رغيف موضوع بين يديه فجلس يبكي لفقد المناجاة فاذا شيخ قد اظله فقال له عيسى
يا ولي الله ادع الله لي فاني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني فقال الشيخ اللهم
ان كان الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي وروي ان موسى عليه الصلاة والسلام
لما قربه الله نجيا كان قد ترك الاكل اربعين يوما

بيان فوايد الجوع وافات الشبع

لعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من اين وما سببه وليس فيه الا ايلام للمعدة
ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغي ان يعظم الفضل في كل ما يتاذى به الانسان
من ضربه نفسه وقطعه لحمه وتناوله الاشيا المكروهة وما يجري مجراه فاعلم
ان هذا يضاهي قول من شرب دوا فانتفع به وظن ان منفعته لمرارة الدوا وكراهته
فاخذ يتناول كل ما هو كريه من المذاق وهو غلط بل نفعه في خاصية في
الدوا وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطبا فكذلك لا يقف
على علة نفع الجوع الا سماسرة العلما ومن جوع نفسه مصدقا لما جاء في
الشرع من مدح الجوع انتفع وان لم يعرف علة المنفعة كما ان من شرب الدوا
انتفع وان لم يعرف وجه كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك ان اردت ان ترتقي

اظن
خ وصغرها

من درجة الإيمان إلى درجة العلم يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم
درجات ونقول في الجوع عشر فوائد الفائدة الأولى صفاء القلب وإيقاد
القريحة ونفاذ البصيرة فإن الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار
في الدماغ كشبه السكر حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن
الجريان في الأفكار وعن سرعة الإدراك بل الصبي إذا أكثر الأكل بطل حفظه
وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والإدراك قال أبو سليمان عليك بالجوع فإنه
مذلة للنفس ورقة للقلب ويورث العلم السماوي وقال صلى الله عليه وسلم أحيوا
قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفوا وترق ويقال مثل الجوع مثل الرعد
والقناعة كالسحاب والحكمة كالمطر وقال صلى الله عليه وسلم من شبع ونام
قسى قلبه ثم قال إن لكل شيء زكاة وإن زكاة القلب الجوع وقال الشبلي ما جعت
لله يوما إلا رأيت في قلبي بابا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط وليس يخفى أن غاية
المقصود من العبادات الفكر الموصل إلى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق والشبع
يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من أبواب الجنة فبالحري أن يكون ملازمة
الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمان لابنه يا بني إذا امتلأت المعدة نامت
الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة وقال أبو يزيد الجوع
سحاب فإذا جاع العبد مطر القلب الحكمة وقال صلى الله عليه وسلم نور
الحكمة الجوع والتباعد من الله الشبع والقربة إلى الله حب المساكين والدنو منهم
لا تشبعوا فيطفى نور المعرفة من قلوبكم ومن بات يصلي في خفة من الطعام
بات الحور حوله حتى يصبح الثانية رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيأ لإدراك
لذة المناجاة والتأثر بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن
القلب لا يلتذ به ولا يتأثر عنه حتى كأن بينه وبينه حجابا من قساوة القلب وقد يرق
في بعض الأحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة وقال أبو سليمان
أحلا ما تكون العبادة مع الجوع وقال أبو سليمان أحلا ما تكون إلي العبادة إذا لصق
لصق ظهري ببطني وقال الجنيد يجعل أحدكم بينه وبين قلبه مخلاة من طعام
ويريد أن يجد حلاوة المناجاة وقال أبو سليمان إن القلب إذا جاع وعطش صفا
ورق وإذا شبع عمي وغلظ فإذا تأثر القلب بلذة المناجاة أمر
وراء تيسر الفكر واقتناص المعرفة فهي فائدة ثالثة الانكسار
والذل

هو السبب الأول

نخ أحدهم هو السبب الأظهر فافهم

والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدا الطغيان والغفلة عن الله ولا تنكسر
النفس ولا تذل بشي كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف على
عجزها اذا ضعفت قوتها وضاقت حيلتها بلقمة طعام فاتتها واظلمت عليها الدنيا
بشربة ما تاخرت عنها وما لم يشاهد الانسان ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه
وقهره وانما سعادته في ان يكون دايما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه
بعين العز والقدرة والقهر فليكن دايما جايعا مضطرا الى مولاه مشاهدا
للاضطرار بالذوق ولذلك لما عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا وخزاينها
قال لا اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت واذا شبعت
شكرت او كما قال فالبطن والفرج باب من ابواب النار واصله الشبع
والذل والانكسار باب من ابواب الجنة واصله الجوع ومن غلق بابا من ابواب
النار فقد فتح بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب
فالقرب من احدهما بعد من الاخر الثالث ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا
ينسى اهل البلاء فان الشبعان ينسى الجايع وينسى الجوع والعبد الفطن لا
يشاهد بلا الا ويتذكر بلا الاخرة ويتذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة
ومن جوعه جوع اهل النار حتى يجوعوا فيطعمون الزقوم والضريع ويسقون
الغساق والمهل فلا ينبغي ان يغيب عن العبد عذاب الاخرة والامها فانه
يهيج الخوف ومن لم يكن في ذلة ولا علة ولا قلة ولا بلا نسي عذاب الاخرة ولم
يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي ان يكون العبد في بلا او مشاهدا لبلا
واولى ما يقاسيه من البلا بلا الجوع فان فيه فوايد جمة سوى تذكر عذاب الاخرة
وهذا احد الاسباب الذي اقتضى اختصاص البلا بالانبيا والاوليا والامثل
فالامثل ولذلك قيل ليوسف عليه الصلاة والسلام لم تجوع وفي يدك خزاين الارض
قال اخاف ان اشبع فانسى الجايع فذكر الجايعين المحتاجين احد فوايد الجوع فان
ذلك يدعوه الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله والشبعان في غفلة
عن الم الجوع الخامسة وهي من كبار الفوايد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلا
على النفس الامارة بالسوء فان منشا المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة
القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما
السعادة كلها في ان يملك الرجل نفسه والشقاوة في ان لا يملك نفسه وكما انك

لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك
النفس وقيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهد فقال لانه سريع
المرح فاحش الاشر فاخاف ان يجمح بي فيورطني ولان احمله على الشدايد احب
الي من ان يحملني على الفواحش وقال ذو النون ما شبعت قط الا عصيت او هممت
بمعصية وقالت عايشة رضي الله عنها اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه
ليست فايدة واحدة بل هي خزاين الفوايد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزاين
الله واقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجايع لا يتحرك
عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من افات اللسان كالغيبة والفحش والكذب
والنميمة وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك واذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لا
محالة باعراض الناس ولا يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصايد السنتهم
واما شهوة الفرج فلا تخفى غايلتها والجوع يكفي شرها واذا شبع الرجل لم يملك
فرجه وان منعه التقوى فلا يملك عينيه والعين تزني كما ان الفرج يزني فان ملك
عينيه بغض الطرف لم يملك فكره فيخطر له من الافكار الرديه وحديث النفس
باسباب الشهوة ما يتشوش به مناجاته وربما عرض له في اثنا الصلوة وانما ذكرنا
افة اللسان والفرج مثالا والا جميع معاصي الاعضا السبعة سببها القوة
الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت سنة
لا يخالط معه شيا من الشهوات وياكل في نصف بطنه الا رفع الله عنه موونة النسا
الفايدة السادسة دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر
شربه كثر نومه ولذلك كان يقول بعض الشيوخ على راس السفرة معاشر المريدين
لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا واجمع سبعون
صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت
التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو راس مال العبد
فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص من العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم
فواته ومهما غلب النوم فاته التهجد ولم يجد حلاوة العبادة ثم المتعزب اذا
نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك ايضا عن التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالما

نحه
وقد انهد

البارد

البارد فيتأذى به او يحتاج الى الحمام فربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان
كان قد اخره للتهجد ثم يحتاج الى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام
فان فيه ايضا اخطارا ذكرناها في الطهارة وكل ذلك اثر الشبع وقد قال ابو سليمان
الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل في
كل حال والنوم منبع الافات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له الفائدة السابعة
تيسير المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى
زمان يشتغل فيه بالاكل وربما احتاج الى زمان في شراء الطعام او طبخه ثم
يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى بيت الماء لكثرة شربه والاوقات
المصروفة الى هذه لو صرفها الى الذكر والمناجاة وساير العبادات لكثر ربحه
وقال السري رايت مع الجرجاني سويقا يستف منه فقلت ما دعاك الى هذا فقال
اني حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ
اربعين سنة فانظر كيف اشفق على وقته فلم يضيعه في المضغ وكل نفس من العمر جوهر
نفيس لا قيمة له فينبغي ان يستوفي منه خزانة باقية في الاخرة لا اخر لها وذلك بصرفه
الى ذكر الله وطاعته ومن جملة ما يتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة
المسجد فانه يحتاج الى الخروج لشرب الماء واراقته ومن جملتها ما يتعذر عليه الصوم
فانه يتيسر لمن تعود الجوع والصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف
اوقات شغل الاكل واسبابه الى العبادة ارباح عظيمة انما يستحقرها الغافلون
الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ويعلمون
ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقد اشار ابو سليمان الداراني
الى ست افات فقال من شبع دخل عليه ست افات فقد حلاوة العبادة وتعذر
حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن ان الخلق كلهم شباعا
وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان ساير المؤمنين يدورون حول المساجد
والشباع يدورون حول المزابل الفائدة الثامنة من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض
فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض
يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج
الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن وتبعات لا يخلو
الانسان منها بعد التعب من انواع من المعاصي واقتحام الشبهات وفي الجوع

ما يدفع عنه كل ذلك حكي ان الرشيد جمع اربعة اطبا هندي ورومي وعراقي
وسوادي فقال ليصف كل واحد منكم الدوا الذي لا دا فيه فقال الهندي الدوا الذي
لا دا فيه عندي هو الاهليلج الاسود وقال الرومي هو حب الرشاد الابيض وقال
العراقي هو الما الحار وقال السوادي وكان اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا دا
وحب الرشاد يزلق المعده وهذا دا والما الحار يرخي المعدة وهذا دا قالوا فما عندك
قال الدوا الذي لا دا فيه عندي ان لا تاكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه
وانت تشتهيه فقالوا صدقت وذكر لبعض الفلاسفة من اطبا اهل الكتاب قول النبي
صلى الله عليه وسلم ثلث طعام وثلث شراب وثلث نفس فتعجب منه وقال ما سمعت
كلاما في قلة الاكل احكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم البطنة
اصل الدا والحميه اصل الدوا وعودوا كل بدن ما اعتاد واظن ان تعجب الطبيب
جرا من هذا الخبر لا من ذاك وقال ابن سالم من اكل خبز الحنطة بحتا بادب لم يعتل
الا علة الموت قيل له وما الادب قال ياكل بعد الجوع ويرفع قبل الشبع وقال
بعض افاضل الاطبا في ذم الاستكثار ان انفع ما يدخل الانسان بمعدته الرمان
واضر ما ادخل معدته المالح ولان يقلل من المالح خير له من ان يستكثر وفي الخبر المشهور
صوموا تصحوا ففي الصوم والجوع وتقليل الاكل صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب
من سقم الطغيان والبطر وغيرهما الثانية خفة المونة فان من تعود قلة الاكل
كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له ياخذ
بمخنقه كل يوم فيقول ماذا تاكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكتسب من
الحرام فيعصي او من الحلال فيذل وربما يتعب وربما احتاج الى ان يمد عين الطمع الى
الخلق وهو غاية الذل والقماءة والمومن خفيف المونة قال بعض الحكما اني لاقضي
عامة حوايجي بالترك فيكون ذلك اروح لنفسي وقال اخر اذا اردت ان استقرض
من غيري لشهوة او زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم
لي وكان ابراهيم بن ادهم يسال اصحابه عن الشي من الماكول فيقال انه غال فيقول ارخصوه
بالترك وقال سهل الاكول مذموم في ثلاثة احوال اذا كان اهلا للعبادة فيكسل
وان كان مكتسبا فلا يسلم من الافات واذا كان ممن يدخل عليه شي فلا ينصف الله
من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم البطن
والفرج وسبب شهوة الفرج شره البطن وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه الاسباب
والابواب

صح
من هنا ٢

قد غلا

البطن

والابواب كلها وهي ابواب النار وفي حسبها فتح ابواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم
ادمنوا قرع باب الجنة بالجوع فمن تنعم برغيف في كل يوم قنع في ساير الشهوات ايضا
وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله وتجارة الاخرة
فيكون من الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فانما انما لا تلهيهم لاستغنايهم عنها بالقناعة فاما المحتاج فتلهيه لا محالة النوع العاشر ان يتمكن من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين ويكون يوم القيامة في ظل صدقته كما ورد في الخبر فما ياكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به فخزانته فضل
الله فليس للعبد من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى او لبس فابلى فالتصدق بفضلاء الطعام اولى من التخمة والتشبع كان الحسن اذا قرا انا عرضنا الامانة
على السموات والارض والجبال الاية قال عرضها على السموات السبع الطباق
المكرمة التي زينت بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها هل تحملين الامانة
بما فيها فقالت وما فيها قال ان احسنت جوزيت وان اسات عوقبت قالت لا
ثم عرضها على الارضين كذلك فابت ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الموانع
الصعاب الصلاب فقيل لها هل تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها فذكر لها
الجزاء والعقوبة فقالت لا ثم عرضها على الانسان فحملها انه كان ظلوما لنفسه جهولا بامر
ربه فقد رايناهم والله اشتروا الامانة باموالهم فاصابوا الافا فماذا
صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا قبورهم واسمنوا براذينهم
واهزلوا دينهم واتعبوا انفسهم بالغدو والرواح الى باب هذا السلطان
يتعرضون للبلاء وهم من الله في عافية يقول قايلهم تبيعني ارض كذا وكذا وازيدك
كذا وكذا يتكي احدهم على شماله وياكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام
حتى اذا بلغته الكظة ونزلت به البطنة قال يا غلام ايتني بشي يهضم طعامي
يا لكع طعاما تهضم انما تهضم دينك اين الفقير اين اليتيم اين الارملة اين المسكين
الذين امرك الله بهم وهذه اشارة الى هذه الفايدة وهو صرف فاضل الطعام الى
الفقراء ليدخر به الاجر فذلك خير من ان ياكله حتى يتضاعف سبب الوزر ونظر
النبي صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين البطن فاومى الى بطنه باصبعه وقال لو كان
هذا في غير هذا لكان خيرا لك اي لو قدمته لاخرتك واثرت به غيرك وعن الحسن
قال والله لقد ادركنا رجالا كان احدهم ليمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء

الفايدة ٢

البوازخ

لنفسه

لأكله فيقول والله لا اجعل هذا كله في بطني حتى اجعل بعضه لله فلان تنتشر فوايد
للجوع ويتشعب عن كل واحد فوايد لا ينحصر ذكرها ولا يتناهى فوايدها والجوع
خزانة عظيمة لفوايد الاخرة ولهذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الاخرة وباب الزهد
والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الاخبار التي رويناها وبالوقوف
على تفصيل هذه الفوايد تدرك معاني تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة واذا
لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كان لك رتبة المقلدين في الايمان **بيان
طريق الرياضة في كسر شهوة البطن** اعلم ان على المريد في بطنه وماكوله اربع
وظايف الاولى ان لا ياكل الا حلالا فالعبادة مع اكل الحرام كالبنا على امواج
البحر وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام ويبقى
ثلاث وظايف خاصة بالاكل وهي تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير
وقته في الابطا والسرعة وتعيين الجنس الماكول في تناول المشتهيات وتركها
الوظيفة الاولى في تقليل الطعام وسبيل الرياضة فيه التدريج فمن تعود الاكل
الكثير فانتقل دفعة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته
فينبغي ان يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد
فان كان ياكل رغيفين مثلا واراد ان يرده الى الواحد فينقص كل يوم ربع سبع
رغيف وهو ان ينقص منه جزءا من ثمانية وعشرين جزءا وجزءا من ثلاثين جزءا فيرجع
الى رغيف في شهر فلا يستضر به ولا يظهر اثره ثم ان شا فعل ذلك بالوزن وان شا
بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقص عما اكله بالامس ثم هذا
فيه اربع درجات اقصاها ان يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو
عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري اذ قال ان الله استعبد الخلق بثلاث
بالحياة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين منها وهما الحياة والعقل
اكل وافطر ان كان صايما وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل
على القوة فينبغي ان لا يبالي ولو ضعف حتى يصلي قاعدا ورأى ان صلاته قاعدا مع ضعف
الجوع افضل من صلاته قايما مع قوة الاكل وسيل سهل عن بدايته وما كان يقوت
به نفسه فقال كان قوتي في كل سنة ثلاثة دراهم كنت اخذ بدرهم دبسا
وبدرهم سمنا وبدرهم دقيق ارز فاسويه مخلطا ثلثمائة وستين اكرة اخذ
كل ليلة اكرة افطر عليها فقيل له فالساعة كيف تعمل قال اكل بلا حد ولا
توقيف

الصديقين

كل يوم

الرهبانيين

فلا توقيف ويحكى عن بعض الزاهدين انهم قد يردون انفسهم في اليوم والليلة
الى مقدار درهم من الطعام الدرجة الثانية ان يرد نفسه بالرياضة الى نصف
مد وهو رغيف وشي مما يكون الاربعة منها منا ويشبه ان يكون هذا ثلث
البطن في حق الاكثرين كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لان
هذه الصيغة في الجمع للقلة وهو لدون العشرة وقد كان ذلك عادة عمر رضي الله عنه
اذ كان ياكل سبع لقم او تسع لقم الدرجة الثالثة ان يرد نفسه بالرياضة الى مقدار
المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد
ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شي للذكر وفي بعض الاخبار
ثلث للذكر بدل قوله عليه الصلاة والسلام للنفس الدرجة الرابعة ان يزيد
على مقدار المد الى المن ويشبه ان يكون ما وراء المن اسرافا مخالفا لقوله تعالى ولا
تسرفوا اعني في حق الاكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف بالشخص
والسن والعمل الذي يشتغل به وها هنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه
موضع غلط وهو ان ياكل اذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة
بعد ولكن الغالب ان من لم يقدر مع نفسه رغيفا او رغيفين فلا يتبين له حد الجوع
الصادق ويشتبه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات
احداها ان لا تطلب النفس الادم بل ياكل الخبز وحده بشهوة اي خبز كان فمهما طلبت
خبزا بعينه او طلبت ادما فليس ذلك بالجوع وقيل ان يبصق فلا يقع الذباب عليه
اذ لا يبقى فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض
والصواب للمريد ان يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها
فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن فانه
يختلف بالاشخاص والاحوال نعم وقد كان قوت جماعة من الصحابة رضي الله عنهم
صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا اكلوا التمر اقتاتوا منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة
اربعة امداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرنا انه قدر ثلث البطن
وفي التمر احتيج الى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان ابو ذر يقول طعامي في كل جمعة
صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا ازيد عليه شيا حتى القاه
فاني سمعته صلى الله عليه وسلم يقول اقربكم مني مجلسا يوم القيامة واحبكم الي
من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم

في هذا صح

واختلف

نخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين الادامين واختلف
عليكم الوان الطعام وغدا احدكم في ثوب وراح في اخر لم تكونوا هكذا في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قوت اهل الصفة مدا من تمر
بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان الحسن
يقول مثل المومن مثل العنزة يكفيها الكف من الحشف والقبضة من السويق
والجرعة من الما والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا وسرطا سرطا
لا يطوي بطنه لجاره ولا يوثر اخاه بفضله وجهوا هذه الفضول امامكم
وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا كان قوت المومن منها حلالا
لان اكل المومن عند ضرورة بقدر القوام فقط **الوظيفة الثانية** في وقت
الاكل ومقدار تاخيره وفيه ايضا درجات الدرجة العليا ان يطوي ثلاثة
ايام فما فوقها وفي المريدين من رد الرياضة الى الطي لا الى المقدار
حتى انتهى بعضهم الى ثلاثين واربعين يوما وانتهى اليه جماعة من العلما يكثر
عددهم منهم محمد بن عمرو العلوي وعبد الرحمن بن ابراهيم رحيم وابراهيم
التيمي وحجاج بن فرافصة وحفص العابد المصيصي ومسلم بن سعيد
وزهير وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله وابراهيم بن احمد الخواص
وقد كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يطوي سبعة وكان عبد الله بن الزبير
يطوي سبعا وكان ابو الجوزا صاحب ابن عباس يطوي سبعا وروي ان الثوري
وابراهيم بن ادهم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا كل ذلك كانوا يستعينون
بالجوع على طريق الاخرة وقال بعض العلما من طوى اربعين يوما من الطعام
ظهرت له قدرة في الملكوت اي كوشف ببعض الاسرار الالاهية وقد وقف
بعض هذه الطائفة على راهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه وترك ما هو عليه
من الغرور وكلمه في ذلك بكلام كثير الى ان قال له الراهب ان المسيح كان يطوي
اربعين يوما وانه معجزة لا يكون الا لنبي صادق فقال له الصوفي فان طويت
خمسين يوما تترك ما انت عليه وتدخل في دين الاسلام وتعلم انه حق وانك
على باطل قال نعم فقعد لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما فقال
ازيدك ايضا فطوى الى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت اظن ان احدا

احدا

العربي

ستة ايام

يجاوز المسبح وكان ذلك سبب اسلامه فلله درجة عظيمة قبل من يبلغها الا من شغف
محمول يشتغل بمشاهدة ما انقطع عن طبعه وعادته واستوفي لذته في نفسه فانساه
جوعه وحاجته الدرجة الثانية ان يطويه يوما الي ثلاثة وليس ذلك خارجا عن
عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول اليه بالجد والجهد هذه الدرجة الثالثة
ان يقتصر في اليوم والليلة علي اكلة واحدة وهذا هو الاقل وما جاوز ذلك
اسراف ومداومة الشبع حتي لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو
بعيد من السنة وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف ياكلون في كل يوم اكلة
وقال صلى الله عليه وسلم لعايشة اياك والاسراف فان اكلتين في يوم من السرف
وكان اكلتين في يوم من السرف واكلة واحدة في يومين اقتار واكلة في كل يوم
قوام بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله ومن اقتصر في اليوم علي اكلة واحدة
فيستحب ان ياكلها سحرا قبل طلوع الصبح ليكون اكله بعد التهجد وقبل الصبح
ويحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة
ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الي المعلوم فلا تنازعه قبل وقته
وفي حديث عاصم بن ثابت عن ابيه عن ابي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله
عليه وسلم قياما مثلكم هذا قط وان كان ليقوم حتى تزلع قدماه وما واصل وصالكم
هذا قط غير انه قد اخر الفطر الي السحر وفي حديث عايشة رضي الله عنها كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يواصل الي السحر فان كان يلتفت قلب الصايم بعد الغروب
الي الطعام وكان يشغله عن حضور قلبه في التهجد فالاولى ان يقسم طعامه نصفين
ان كان رغيفين مثلا اكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر لتسكن نفسه فيخف
عند التهجد بدنه ولا يشتد بالنهار جوعه لاجل التسحر ويستعين بالرغيف الاول
علي التهجد وبالثاني علي الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا باس لو اكل
يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه الطرق في مواقيت الاكل
وتقاربه وتباعده **الوظيفة الثالثة** في نوع الطعام وترك الادام واعلى الطعام
مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلى
الادام اللحم والحلاوة وادناه الملح والخل واوسطه المزورات بالادهان من
غير لحم وعادة سالكي طريق الاخرة الامتناع عن الادام علي الدوام بل الامتناع

من الشهوات فان كل لذة يشتهيها الانسان واكلها اقتضى ذلك بطرا في نفسه
وقسوة في قلبه وانسا للقلب بلذات الدنيا حتى يالفها ويكره الموت ولقاء الله
وتصير الدنيا جنة في حقه فيكره الموت سجنا واذا منع نفسه شهواتها وضيق عليها
وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه ومضيقا اشتهت الانفلات منها فيكون
الموت اطلاقها واليه الاشارة بقول يحيى بن معاذ حيث قال معاشر الصديقين جوعوا
نفوسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس وكل ما ذكرناه من
افات الشبع فانها تجري في كل الشهوات وتناول اللذات فلا نطول باعادته
ولذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها
حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين ياكلون مخ الحنطة وهذا
ليس بتحريم بل هو مباح على معنى ان من اكله مرة او مرتين لم يعص ومن داوم عليه ايضا
فلا يعصي بتناوله ولكن تتربى نفسه بالنعيم فتانس بالدنيا وتالف اللذات
وتسعى في طلبها فيجره ذلك الى المعاصي فهم شرار الامة لان مخ الحنطة يقودهم الى
اقتحام امور تلك الامور معاصي وقال صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا
بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وانما همتهم الوان الطعام وانواع اللباس
يتشدقون في الكلام واوحى الله الى موسى عليه الصلاة والسلام اذكر انك ساكن
القبر فيمنعك ذلك عن كثير من الشهوات ومن اشتد خوف السلف من تناول لذائذ
الاطعمة وتمرين النفس عليها ورأوا ان ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع
الله ذلك عنه غاية السعادة حتى روي ان وهب بن منبه قال التقى ملكان
في السماء الرابعة فقال احدهما للاخر من اين قال امرت بسوق حوت من البحر
اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله وقال الاخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان
العابد وهذا تنبيه على ان تيسر اسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا
امتنع عمر رضي الله عنه من شربة ماء بارد بعسل وقال اعزلوا عني حسابها فلا
عبادة لله اعظم من مخالفة الشهوات وترك اللذات كما اوردناه في كتاب
رياضة النفس وقد روى نافع ان ابن عمر رضي الله عنهما كان مريضا فاشتهى سمكة
طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت بدرهم ونصف
وشويت وحملت اليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام لفها برغيفها
وادفعها اليه فقال له الغلام اصلحك الله اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها

وجدنا
وجدنا

وجدتها فاشتريتها بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها ثم الفها وادفعها اليه
فقال الغلام للستة بل هل لك ان تاخذ درهما وتتركها قال نعم فاعطاه درهما
فاخذها فوضعها بين يديه فقال قد اعطيته درهما واخذتها منه قال الغلام
وادفعها اليه ولا تاخذ منه الدرهم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته واثر على نفسه غفر الله له وقال صلى الله عليه
وسلم اذا استدت كلب الجوع عليك برغيف وكوز من الما القراح فعلى الدنيا
واهلها منى الدمار اشار به الى ان المقصود رد الم الجوع ودفع ضرره دون
التنعم بلذات الدنيا وبلغ عمر رضي الله عنه ان يزيد بن ابي سفيان ياكل انواع الطعام
فقال عمر لمولى له اذا علمت انه حضر عشاوه فاعلمني فاعلمه فدخل عليه فقرب عشاوه
فجاه بثريد لحم فاكل معه عمر ثم قرب الشوا وبسط يزيد يده وكف عمر يده وقال
الله الله يا يزيد بن ابي سفيان اطعام بعد طعام ان خالفتم عن سنتهم ليخالفن
بكم عن طريقهم وعن يسار ابن نمير قال ما نخلت لعمر دقيقا قط الا وانا له عاص وروى
ان عتبة الغلام كان يعجن دقيقه ويجففه في الشمس ثم ياكله ويقول كسرة وملح
حتى يتهيا في الدار الاخرة الشوا والطعام الطيب وكان ياخذ الكوز فيغرف
من حب كان في الشمس نهاره فيقول مولاة له يا عتبة لو اعطيتني دقيقك لخبزته
لك وبردت لك الما فيقول لها يا ام فلان قد شردت عني كلب الجوع وروي عن
مالك بن دينار انه بقي اربعين سنة يشتهي لبنا فلم ياكله واهدي اليه يوما رطب
فراوده في اكله فقال لاصحابه كلوا فما ذقته منذ اربعين سنة وقال احمد
ابن ابي الحواري اشتهى ابو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض
منه عضة ثم طرح الرغيف واقبل يبكي وقال عجلت الي شهوتي بعد اطالة جهدي
وشقوتي قد عزمت على التوبة فاقلني قال احمد فما رايته اكل الملح حتى لقي الله وقال
مالك بن ضيغم مررت على سوق بالبصرة فنظرت الى البقل فقالت لي نفسي لو اطعمتني
الليلة من هذا فاقسمت ان لا اطعمها اياه اربعين ليلة ومكث مالك بن دينار بالبصرة
خمسين سنة ما اكل رطبة لاهل البصرة ولا بسرة قط وقال يا اهل البصرة عشت
فيكم خمسين سنة فما اكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص مني ولا نقص
مني ما زاد فيكم وقال مالك بن دينار طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسي
لبنا منذ اربعين سنة فوالله لا اطعمها حتى الحق الله وقال حماد بن ابي حنيفة اتيت

فقرب عشاه

فراوده

داود الطائي والباب عليه مغلق فسمعته يقول اشتهيت جزرا اطعمتك جزرا ثم
اشتهيت تمرا فاليت ان لا تاكليه ابدا فسلمت فدخلت فاذا هو وحده ومر
ابو حازم بالسوق فراى فيها الفاكهة فاشتهاها فقال لابنه اشترلنا من هذه
الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب الى الفاكهة التي لا مقطوعة ولا ممنوعة
فلما اشتراها واتى بها قال لنفسه قد خدعتني حتى نظرت واشتهيت وغلبتني
حتى اشتريت والله لا ذقتيه وبعث بها الى يتامى من الفقرا وعن موسى الاشج انه قال
نفسي تشتهي ملحا جريشا منذ عشرين سنة وعن احمد بن خليفة قال نفسي منذ
عشرين ما تطلب مني الا الماء حتى تروى فما رويتها وروي ان عتبة الغلام اشتهى
لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال قد استحييت من نفسي اذا دافعتها منذ
سبع سنين سنة بعد سنة فاشتريت قطعة لحم على خبز فشويتها فلقي صبيا فقال
الست انت ابن فلان وقد مات ابوك قال بلى فناوله اياه قالوا فاقبل يبكي ويقول
ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ولم يذقه بعد ذلك ومكث
الغلام يشتهي تمرا سنين فلما ان كانت ليلة اشترى بقيراط ورفعه حتى يفطر
عليه قال فهبت ريح فاظلمت الدنيا ففزع الناس فقال عتبة واجترائي عليك
بشرائي التمر بقيراط ثم قال لنفسه ما اظن اخذ الناس الا بذنبك علي الا ذقتيه وترك
التمر واشترى داود الطائي بنصف فلس بقلا وبفلس خلا فاقبل ليلته يقول
ويلك يا داود ما اطول حسابك يوم القيامة ولم يأكل الا قفارا وقال عتبة الغلام
لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من قلبه منزلة ما اعرفها قال لانك تاكل مع خبزك
تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا فقلت ان انا تركت اكل التمر عرفت تلك المنزلة قال
نعم وغيرها فاخذ يبكي فقال له بعض اصحابه لا ابكى الله عينك اعلى التمر تبكي
فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك وهو اذا ترك
شيئا لم يعاود فيه ابدا وقال جعفر بن نصير امرني الجنيد ان اشتري له التين
الوزيري فاشتريته فلما افطر اخذ واحدة ووضعها في فيه ثم القاها وبكى وقال احمله
فقلت له في ذلك قال هتف في قلبي هاتف اما تستحي من اخلم ثم تعود اليها وقال
صالح المري قلت لعطاء السلمي اني متكلف لك شيئا فلا ترد علي كرامتي قال افعل ما
تريد قال فبعثت اليه مع ولدي بشربة من سويق قد لتته بسمن وعسل وقلت
لا تبرح حتى يشربها فشربها فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها

تتركها

فعاتبته

فاتيته بمليته وقلت سيدي انا لم ارددته الا على كرامتي فلما راى وجدي لذلك قال لا يسوءك
هذا اني قد شربتها اول مرة وقد راودتني نفسي في المرة الثانية على شربها فلم اقدر
على ذلك فلما اردت ذلك ذكرت قوله يتجرعه ولا يكاد يسيغه الاية قال صالح
فبكيت وقلت في نفسي انا في واد وانت في واد اخر وقال السري نفسي تطالبني
منذ ثلاثين سنة ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها وقال ابو بكر الجلا اعرف
انسانا تقول له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة ايام واطعمني بعد ذلك شهوة
اشتهيها فيقول لا اريد ان تطوي عشرة ايام ولكن اترك هذه الشهوة وروي
ان عابدا دعى بعض اخوانه فقرب اليه رغفانا فجعل اخوه يقلب بعض الارغفة ليختار
اجودها فقال له العابد مه اي شي تصنع اما علمت ان في الرغيف الذي رغبت عنه
كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانعا حتى استدار من السحاب الذي يحمل الما
والما الذي يسقي الارض والرياح والارض والبهايم وبنو ادم حتى صار اليك ثم انت
بعد تقلبه لا ترضى به وفي الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلاثمائة
وستون صانعا اولهم ميكائيل الذي يكيل الماء من خزاين الرحمة ثم الملائكة التي
تزجي السحاب والشمس والقمر والافلاك وملائكة الهوا ودواب الارض واخر
ذلك الخباز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال بعضهم اتيت قاسما الجوعي
فسالته عن الزهد اي شي هو فقال اي شي سمعت فيه فعددت اقوالا فسكت
فقلت وانت اي شي تقول فقال اعلم ان البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك من بطنه
تملكه الدنيا وكان بشر بن الحارث قد اعتل فسال عبد الرحمن ابن المتطبب
عن شي يوافقه من الماكولات فقال تسالني فاذا وصفته لك لم تقبل مني قال بشر فصفه
لي حتى اسمع قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتاكل بعد ذلك اسفيد
باجا فقال له بشر تعلم شيئا اقل من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال انا اعرفه
قال ما هو قال الهندبا بالخل ثم قال اتعرف شيئا اقل ثمنا من السفرجل قال لا
قال انا اعرفه قال الخرنوب الشامي قال اتعرف شيئا اقل من الاسفيدباج يقوم
مقامه قال لا قال انا اعرف ماء الحمص بسمن البقر في معناها فقال له عبد الرحمن فانت
اعلم مني بالطب فلم تسالني فقد عرفت ان هؤلاء كلهم امتنعوا من اكل الشهوات
ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوايد التي ذكرناها في بعض الاوقات لانهم
كانوا لا يصفو لهم حلال فلم يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة والشهوات

ليس من الضرورات حتى قال ابو سليمان الملح شهوة لانه زيادة على الخبز
وما وراء الخبز شهوة وهذا هي النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغي ان لا يغفل
عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فكفى بالمرء اسرافا ان ياكل كل ما يشتهيه
ويفعل كل ما يهواه فينبغي ان لا يواظب على اللحم قال علي من ترك اللحم اربعين يوما
ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه وقيل للمداومة على اكل اللحم
ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جائعا وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغي
ان ياكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الاكل
لتنشط في الجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد
الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل او يجلس فيذكر الله فانه اقرب
للشكر وفي الحديث اذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتقسو
قلوبكم واقل ذلك ان يصلي اربع ركعات او يسبح مائة تسبيحة او يقرا جزءا
من القران عقيب اكله وكان سفيان الثوري اذا شبع ليلة احياها واذا
شبع في يوم واصله بالصلاة والذكر وكان يقول اشبع الزنجي وكده ومرة يقول
اشبع الحمار وكده ومهما اشتهى شيئا من طيبات الفواكه فينبغي ان يترك الخبز وياكلها
بدلا عنه ليكون قوتا ولا يكون تفكها لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة ونظر
سهل الى سالم وفي يده خبز وتمر فقال له ابتدئ بالتمر فان قامت كفايتك
به والا اخذت من الخبز بعده حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا
فليقدم اللطيف فانه لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لاكل اللطيف
ايضا للطفه وكان بعضهم يقول لاصحابه لا تاكلوا فان اكلتم فلا تطلبوها
فان طلبتموها فلا تحبوها وطلبه بعض انواع الخبز شهوة قال ابن عمر ما تاتينا
من العراق فاكهة احب الينا من الخبز فراى ذلك الخبز فاكهة وعلى الجملة
لا سبيل الى اهمال الشهوات في المباحات واتباعها بكل حال وبقدر ما يستوفي
العبد من شهوته يخشى ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وبقدر
ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الاخرة بشهواته فقال بعض اهل
البصرة نازعتني نفسي خبز ارز وسمكا فمنعتها فقويت مطالبتها فاشتدت
مجاهدتي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رايته في المنام فقلت له ماذا
فعل الله بك فقال لا احسن ما اصف لك ما تلقاني به ربي من النعيم والكرامة
وكان او

وكان اول شي استقبلني خبز ارز وسمكا فقال كل شهوتك اليوم هنيا بغير
حساب وقد قال تعالى كلوا واشربوا هنيا بما اسلفتم في الايام الخالية وكانوا
اسلفوا ترك الشهوات ولهذا قال ابو سليمان ترك شهوة من شهوات
النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها بيان اختلاف حكم الجوع
وفضيلته باختلاف احوال الناس اعلم ان المطلوب الاقصى في جميع الاحوال
والاخلاق الوسط اذ خير الامور اوساطها وكلا طرفي الامور قصد الامور
ذميم وما اوردناه في فضايل الجوع ربما يومي الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات
ولكن من اسرار حكمة الشرع ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان
فيه فساد جا الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومي عند الجاهل الى ان
المطلوب مضادة كل ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان المقصود
الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يمدح غاية الجوع
حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال
فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم انه لا ينتهي الى الغاية فان
اسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع ايضا ما يدل على اساته
كما ان الشرع بالغ في الثنا على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي
صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى
عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل
ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يوثر
به اصلا فان مقصود الاكل بقا الحياة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع
من العبادة والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منه فالمقصود ان ياكل اكلا
لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملايكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام
وعن الم الجوع وغاية الانسان الاقتدا بهم واذا لم يكن للانسان خلاص
من الشبع والجوع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال
طلب الادمي البعد من هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع الى الوسط مثال نملة
القيت في وسط حلقة محمية على النار مطروحة على الارض فان النمل تهرب
من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج فلا تزال تهرب حتى
تستقر على المركز الذي هو الوسط ولو ماتت ماتت على الوسط لان الوسط

هو ابعد الاماكن المواضع عن الجوانب التي في الحلقة المحيطة وكذلك الشهوات
محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة بالنملة والملائكة خارجون عن الحلقة ولا
مطمع للانسان في الخروج وهو يريد ان يتشبه بالملائكة في الخلاص فاشبه
احواله به البعد وابعد المواضع عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا في جميع هذه الاحوال
المتقابلة وعنه عبر قوله عليه الصلاة والسلام خير الامور اوساطها واليه
اشار قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان بجوع
ولا امتلاء تيسرت له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوي على العمل مع
خفته ولكن هذا بعد اعتدال واما في بداية الامر اذا كانت النفس جموحا
متشوقة الى الشهوات مائلة الى الافراط فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة
في ايلامها بالجوع كما يبالغ في ايلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب
وغيره الى ان تعتدل فاذا ارتاضت واستوت رجعت الى الاعتدال وترك
تعذيبها وايلامها وعن هذا السر يامر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه في نفسه
فيامره بالجوع وهو لا يجوع ويامره ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع هو
لانه قد فرغ عن تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان اغلب احوال النفس
الشره والشهوة والجماح عن العبادة كان الاصلح له الجوع الذي يحس بالمه في
اكثر الاحوال لتنكسر والمقصود ان تنكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك في
الغذاء الى الاعتدال وانما يمنع عن ملازمة الجوع من سالكي طريق الآخرة اما
صديق واما مغرور احمق اما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم
واستغنائها عن ان تساق بسياط الجوع الى الحق واما المغرور فلظنه
بنفسه انه الصديق المستغني عن تأديب نفسه الظان بنفسه خيرا وهذا
غرور عظيم وهو الغالب فان النفس قلما تتأدب تأدبا كاملا وكثيرا ما
تغتر فتنظر الى الصديق ومسامحته نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر
الى من صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة حتى يهلك والذي
يدل على ان تقدير الطعام بمقدار يسير ووقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا
في نفسه وانما هو مجاهدة نفس متباعدة عن الحق غير بالغة رتبة الكمال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت ولا وقت لطعامه فقالت عائشة رضي الله
عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى تقول لا يفطر ويفطر حتى تقول
لا يصوم

لا نصوم وكان يدخل على اهله فيقول هل عندكم من شي فان قالوا نعم اكل وان
قالوا لا قال اني اذا صوم وقد كان يقدم اليه الشي فيقول اما اني كنت اردت
الصوم ثم ياكل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال اني صايم فقالت
عايشة رضي الله عنها قد اهدي لنا حيس فقال كنت اردت الصوم ولكن
قربيه ولذلك حكي ان سهلا قيل له كيف كنت في بدايتك فاخبر بضروب من الرياضات
منها انه كان يقتات ورق النبق مدة ومنها انه اكل دقاق التبن ثلاث سنين
ثم ذكر انه اقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين فقيل له كيف انت في وقتك فقال
اكل بلا حد ولا توقيت وليس المراد بقوله بلا حد اكل كثيرا اي لا اقدر بمقدار
واحد ما اكله وقد كان معروف الكرخي يهدي اليه طيبات الطعام فياكل فقيل
له ان اخاك بشرا لا ياكل من هذا فيقول اخي بشر قبضه الورع وانا بسطتني
المعرفة ثم قال انما انا ضيف في دار مولاي اذا اطعمني اكلت واذا جوعني صبرت
ما لي والاعتراض والتمييز ودفع ابراهيم بن ادهم الى بعض اخوانه دراهم
فقال خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبزا حوارى فقال يا ابا اسحاق بهذا كله
فقال ويحك اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال
واصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا نفرا يسيرا فيهم الاوزاعي والثوري فقال
له الثوري اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ليس في الطعام اسراف
انما الاسراف في اللباس والاثاث فالذي ياخذ العلم من السماع والنقل تقليدا
يرى هذا من ابراهيم بن ادهم ويسمع من مالك بن دينار انه قال ما دخل الملح
بيتي منذ عشرين سنة وعن سري السقطي انه منذ اربعين سنة اشتهى
ان يغمس جزرة في دبس فلم يفعل فيراه متناقضا فيتحير او يقطع بان احدهما
مخطي والبصير باسرار القلوب يعلم ان كل ذلك حق ولكن بالاضافة الى اختلاف
الاحوال ثم هذه الاحوال المختلفة يسمعها فطن محتاط وغبي مغرور فيقول
المحتاط ما انا من جملة العارفين حتى اسامح نفسي فلست نفسي اطوع من نفس
سري السقطي ومالك بن دينار وهما من الممتنعين عن الشهوات فيقتدي
بهم والمغرور يقول ما نفسي باعصى علي من نفس معروف الكرخي وابراهيم بن
ادهم فاقتدي بهم وارفع التقدير عن ماكولي فانا ايضا ضيف في دار مولاي فما لي
والاعتراض ثم انه لو قصر احد في حقه وفي توقيره او في ماله وجاهه بشطر نعم واحد

فامتا لقيا منه عليه واشتغل بالاعتراض وفي هذا المحال رحب للشيطان مع الحمق
بل دفع التقدير في الطعام والصيام واكل الشهوات لا يسلم الا لمن ينظر من
مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله وانقباضه
ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية حتى يكون اكله
اذا اكل على نية كما يكون امساكه بنية فيكون عاملا لله في اكله وصومه وينبغي
ان يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحب العسل ويأكله ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرض عليه ماء مبرد بالعسل جعل
يدير الاناء في كفه فيقول اشربها فتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها اعزلوا عني حسابها
وتركها فهذه اسرار لا ينبغي ان يكاشف الشيخ بها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط
ولا يدعوه الى الاعتدال فانه يقصر لا محالة عما يدعوه اليه فينبغي ان يدعوه الى
غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له ان العارف الكامل يستغني عن الرياضة
فان الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيلقي اليه كل ساعة انك عارف كامل وما
الذي فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة ابراهيم الخواص ان يخوض مع المريد
في كل رياضة كان يأمره بها كي لا يخطر بباله ان الشيخ يأمره بما لا يفعله فينفره
ذلك عن رياضته والقوي اذا اشتغل بالرياضة واصلاح الغير لزمه النزول الى حد
الضعفاء تشبها بهم وتلطفا في سياقتهم الى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للانبيا
والاولياء واذا كان حد الاعتدال خفيا في كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي
ان لا يترك في كل حال ولذلك ادب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله اذ دخل عليه فوجده
يأكل لحما مأدوما بسمن فعلاه بالدرة وقال لا ام لك كل يوما خبزا ولحما
ويوما خبزا ولبنا ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا
ويوما خبزا قفارا وهذا هو الاعتدال فاما المواظبة على اللحم والشهوات فافراط
واسراف ومهاجرة اللحم اقتار وهذا قوام بين ذلك **بيان آفة الريا المتطرق
الى من يترك اكل الشهوات ويقلل الاكل** اعلم انه يدخل على تارك الشهوات آفتان
عظيمتان هما اعظم من اكل الشهوات احداهما ان لا تقدر النفس على ترك بعض
الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد ان يعرف بانه يشتهيها فيخفي الشهوة
ويأكل في الخلوة ما لا يأكل في الجماعة وهذا هو الشرك الخفي سئل بعض العلماء
عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له تعلم به بأسا فقال يأكل في الخلوة ما لا
يأكل

يأكل في الملا وهذه افة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلي بالشهوات وحبها ان يظهرها
فان هذا اصدق الحال وهو بدل على فوات المجاهدة بالاعمال فان اخفا النقص
واظهار ضده من الكمال هو نقصانان متضاعفان والكذب مع الاخفا
كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين ولذلك شدد امر المنافقين
فقال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لان الكافر كفر واظهر وهذا
كفر وستر وكان ستره لكفره كفرا اخر لانه استخف بنظر الله الى قلبه
وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي
ولا يبتلون بالريا والغش والاخفا بل كمال العارف ان يترك الشهوات لله
ويظهر من نفسه الشهوة اسقاطا لمنزلته عن قلوب الخلق وقد كان بعضهم
يشتري الشهوات ويعلقها في بيته وهو فيها من الزاهدين ولكن يقصد به
تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشوا عليه حاله
فنهاية الزهد الزهد في الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه
جمع بين صدقين كما ان الاول جمع بين كذبين فهذا قد حمل على النفس ثقلين
وجرعها كاسين من الصبر مرتين مرة بشربه ومرة بقذفه فلا جرم اولئك
يوتون اجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من ياخذ ما يعطى جهرا
ويرده سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا فمن فاته هذا فلا
ينبغي ان يفوته اظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه ولا ينبغي ان يغره قول
الشيطان انك اذا اظهرته اقتدى بك غيرك فاستره اصلاحا لغيرك فانه لو
قصد اصلاح غيره لكان اصلاح نفسه اهم من غيره فهو انما يقصد الريا المجرد
ويروجه الشيطان في معرض اصلاح غيره ولذلك يثقل عليه ظهور ذلك
منه وان علم ان من يطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل اذ لا ينزجر بعلمه بانه
تارك للشهوات الافة الثانية ان يقدر على ترك الشهوة ولكن يفرح بان يعرف
به ويشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة
الاكل واطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وذلك هي الشهوة الخفية
فمهما احس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة اهم من كسر شهوة
الطعام فليأكل فهو اولى به قال ابو سليمان اذا قدمت اليك الشهوة
وقد كنت تاركها فاصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مناها

فتكون قد اسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد تغضبت على نفسك اذ لم تعطها شهوتها
وقال جعفر بن محمد الصادق اذا اقبلت الي شهوة نظرت الى نفسي فان اظهرت شهوتها
لي اطعمتها منها وكان ذلك افضل من منعها فان اخفت شهوتها واظهرت
العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم انلها منها شيا وهذا طريق في عقوبة النفس
كبيرا على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة
الريا كان كمن هرب من عقرب وفزع الى حية لان شهوة الريا اضر بكثير من
شهوة الطعام **القول في شهوة الفرج** اعلم ان شهوة الوقاع سلطت
على الانسان لفايدتين احداهما ان يدرك لذته فيقيس بها لذات الاخرة فان لذة
الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان النار والامها اعظم الام الاجساد
والترغيب والترهيب يسوق الخلق الى سعادتهم وليس ذلك الا بالم محسوس
ولذة محسوسة مدركة فان ما لم يدرك بالذوق لم يعظم اليه الشوق الفايدة الثانية بقا النسل
ودوام الوجود فهذه فايدتها ولكن فيها من الافة ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط
ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال وقد قيل في قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة
لنا به معناه الغلمة وعن ابن عباس في قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب
هو قيام الذكر وقد اسنده بعض الرواة الى النبي صلى الله عليه وسلم الا انه قال في
تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان
صلى الله عليه وسلم يقول اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي وقال
النسا حبايل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنسا سلطنة على
الرجال وروي ان موسى عليه الصلاة والسلام كان جالسا في بعض مجالسه
اذ اقبل ابليس وعليه برنس يتلون فيه الوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم اتاه فقال
السلام عليك فقال موسى من انت قال انا ابليس قال فلا حياك الله ما جاء بك قال جيت
لاسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانتك منه قال فما الذي رايت عليك قال به اختطف
قلوب بني ادم قال فما الذي اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا اعجبته
نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه واحذرك ثلاثا لا تخل بامراة لا تحل لك فانه ما خلا
رجل بامراة لا تحل له الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى افتنه بها ولا تعاهد الله
عهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا امضيتها فانه ما اخرج رجل صدقة ولم
يمضها الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى احول بينه وبين الوفا بها ثم ولى وهو
يقول

يقول يا ويلتاه علم موسى ما لقي ربو بني ادم وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث الله
نبيا فيما خلا الا لم ييأس ابليس ان يهلكه بالنسا ولا شي اخوف عندي منهن وما بالمدينة
بيت ادخله الا بيتي وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعة ثم اروح وقال بعضهم ان الشيطان
قال للمراة انت نصف جندي وانت سهمي الذي ارمي به فلا اخطي وانت موضع سري وانت
رسولي في حاجتي فنصف جندي الشهوة ونصف الغضب واعظم الشهوة شهوة النسا
وهذه الشهوة ايضا لها افراط وتفريط واعتدال اما الافراط ما يقهر العقل حتى يصرف
همة الرجل الى التمتع بالنسا والجواري فيخرج عن سلوك طريق الاخرة او يقهر الدين
حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهي افراطها بطائفة الى امرين شنيعين
احدهما ان يتناولوا ما يقوي شهوتهم لاستكثار الوقاع كما قد يتناول بعض
الناس ادوية تقوي المعدة لتقوى شهوتها للطعام وما مثال ذلك الا كمن بلي
بسباع ضارية وبحيات عادية فتنام عنه في بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها
ثم يشتغل باصلاحها وعلاجها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق الام يريد
الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص فان قلت فقد روي في
غريب الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال شكوت الى جبريل ضعف الجماع فامرني
باكل الهريسة فاعلم انه كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالامتاع
وحرم على غيره نكاحهن وان طلقهن فكان طلبه القوة لهذا لا للتمتع والامر الثاني
انه قد تنتهي هذه الشهوة ببعض الضلال الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع
له الوقاع وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم لان المتعشق ليس يقنع باراقة شهوة
الوقاع وهي اقبح الشهوات واجدرها بان يستحيى منها حتى اعتقد ان
الشهوة لا تنقضي الا من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة اين اتفق فتكتفي وهذا
لا يكتفي الا بواحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية وحتى
يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة
ومحتالا لاجلها وما العشق الا افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا همة له وانما
يجب الاحتراز من اوائله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر
دفعه وكذلك عشق الجاه والمال والعقار والاولاد وحتى حب اللعب بالطيور
والنرد والشطرنج بل هذه الامور قد تستولي على طائفة بحيث تنغص عليهم
الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر سورة العشق في اول انبعاثه

مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب لتدخله وما اهون منعها
بصرف عنانها ومثال علاج من يحتاج استحكامها ان تترك الدابة حتى تدخل وتجاوز
الباب ثم تاخذ بذنبها وتجرها الى ورائها وما اعظم التفاوت بين الامرين في
اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات الامور واما في اواخرها فلا تقبل العلاج
الا بجهد شديد يكاد يوازي نزع الروح فاذا افراط الشهوة ان تغلب العقل
الى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفريطها بالعنة او بالضعف عن امتاع المنكوحة
وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في انبساطها
وانقباضها ومهما افرطت فكسرها بالجوع والنكاح قال صلى الله عليه وسلم معاشر
الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجا ٥٤

بيان ما على المريد في ترك التزويج اعلم ان المريد في ابتدا امره لا ينبغي
ان يشغل نفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل يمنعه عن السلوك ويستجره
الى الانس بالزوجة ومن انس بغير الله شغل عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله فلا تقاس
الملائكة بالحدادين ولذلك قال ابو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن الى الدنيا
وقال ما رايت مريدا تزوج فثبت على ما كان وقيل له ما احوجك الى امراة تستانس
بها فقال لا انسني الله بها اي ان الانس بها يمنع الانس بالله وقال ايضا ما شغلك
عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشوم وكيف يقاس غير رسول الله صلى الله
عليه وسلم به وكان استغراقه بحب الله بحيث كان يجد احتراقه فيه الى حد كان
يخشى في بعض الاحوال ان يسري ذلك الى قالبه فيهدمه فلذلك كان يضرب يده على
فخذ عائشة احيانا ويقول كلميني يا عايشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه
لقصور طاقة قالبه عنه فقد كان طبعه الانس بالله وكان انسه بالخلق عارضا رفقا
ببدنه ثم كان لا يطيق الصبر مع الخلق اذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال ارحنا يا بلال
حتى يعود الى ما هو قرة عينه فالضعيف اذا لاحظ احواله في مثل هذا فهو مغرور
لان الافهام تقصر عن الوقوف على اسرار افعاله فشرط المريد العزوبة في الابتدا
الى ان يقوى في المعرفة وهذا اذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة
فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدايم فان لم تنقمع الشهوة لذلك وكان
بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له اولى
ليسكن

لتسكن الشهوة والا فمهما لم تنحفظ العين لم ينحفظ الفكر ويتفرق الهم وربما يقع في
بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغاير وقد يؤدي به على القرب الى الكبيرة
الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه قال
عيسى عليه الصلاة والسلام اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها
فتنة وقال داود لابنه عليهما الصلاة والسلام يا ابني امش خلف الاسد
والاسود ولا تمش خلف المراة وقيل ليحيى زكريا عليهم الصلاة والسلام ما
بدا الزنا قال النظر والتمني وقال الفضيل يقول ابليس هي قوسي المعلقة وسهمي

الفضيل

الذي لا اخطي به يعني النظرة وقال النبي صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من
سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله تعالى اعطاه الله ايمانا يجد به حلاوته في قلبه
وقال صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء وقال اتقوا
فتنة الدنيا وفتنة النسا فان اول فتنة بني اسرايل كانت من النساء وقال تعالى
قل للمومنين يغضوا من ابصارهم الاية وقال صلى الله عليه وسلم لكل ابن ادم حظ
من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش
والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبلة والقلب يهم او يتمنى
ويصدق ذلك الفرج او يكذبه وقالت ام سلمة رضي الله عنها استاذن ابن ام
مكتوم الاعمى وانا وميمونة جالستان فقال صلى الله عليه وسلم احتجبا فقلنا
اليس باعمى لا يبصرنا فقال وانتما لا تبصرانه وهذا يدل على انه لا يجوز للنسا
مجالسة العميان ويحرم على المراة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه لغير حاجة
وانما جوز للنسا محادثة الرجال والنظر اليهم لاجل عموم الحاجة اليه وان
قدر على حفظ عينه من النسا ولا يقدر على حفظها من الصبيان فالنكاح اولى
به فان الشر في الصبيان اكثر فانه لو مال قلبه الى امراة امكنه الوصول الى
استباحتها بالنكاح والنظر الى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتاثر
قلبه بجمال صورة الامرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر
فان قلت فكل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة ولم تزل وجوه
الصبيان مكشوفة فاقول لست اعني تفرقة العين فقط بل ينبغي
ان يكون ادراكه التفرقة بين شجرة خضرا واخرى يابسة وبين ماء صاف وماء كدر
وشجرة عليها ازهارها وانوارها وشجرة تساقطت اوراقها فانه يميل

الى احد طما عنه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولذلك لا يشتهي ملامسة
الازهار والانوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي ولذلك الشيبة الحسنة قد
تميل العين اليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة
فيها ويعرف ذلك بميل النفس الى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل
في قلبه وادرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والاثواب المنقشة
والسقوف المزخرفة فنظره نظر شهوة فهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس
ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون وقال بعض التابعين ما انا باخوف على
الشاب الناسك من سبع ضار من غلام امرد يجلس اليه وقال سفيان الثوري
لو ان رجلا عبث بغلام بين اصبعين من اصابع رجله يريد الشهوة لكان لواطا
وعن بعض السلف قال سيكون في هذه الامة ثلاثة اصناف لوطيون صنف
ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون فاذن افة النظر الى الاحداث عظيمة
فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له ان يكسر شهوته
بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع قال بعضهم غلبتني شهوتي في بدء ارادتي
بما لم اطق فاكثرت الضجيج الى الله تعالى فرايت شخصا في المنام فقال ما لك
فشكوت اليه فقال تقدم الي فتقدمت فوضع يده على صدري فوجدت بردها في
فؤادي وجميع جسدي فاصبحت وقد زال عني ما كان بي وبقيت معافا سنة ثم
عاودني ذلك فاكثرت الاستغاثة فجاءني شخص في المنام فقال اتحب ان يذهب ما تجد
واضرب عنقك قلت نعم قال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور وضرب
بها عنقي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافا سنة ثم عاودني ذلك او اشد منه
فرايت شخصا فيما بين صدري وجنبي ويقول ويحك كم تسال الله رفع ما لا
يحب رفعه قال فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي ومهما احتاج الى النكاح فلا ينبغي
ان يترك شرط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه اما في الابتداء فبالنية الحسنة
وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا
جميع ذلك في اداب النكاح فلا نطول باعادته وامارة صدق الارادة ان
ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية قال بعضهم من تزوج غنية كان له منها
خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة
النفقة واذا اراد طلاقها لم يقدر خوفا من ذهاب مالها والفقيرة بخلاف
ذلك

شهو

ذلك وقد قال بعضهم ينبغي ان تكون المراة دون الرجل باربع والا استحقرته
بالسن والطول والمال والحسب وان تكون فوقه باربع بالجمال والادب والورع
والخلق وعلامة صدق الارادة في دوام النكاح الخلق تزوج بعض المريدين
امراة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المراه وشكت الى الاب وقالت قد تحيرت
في هذا الرجل انا في منزله منذ سنين ما ذهبت الى الخلا قط الا وحمل الما
قبلي اليه وتزوج بعضهم امراة ذات جمال فلما قرب الزفاف اصاب المراة الجدري
فاشتد حزن اهلها لذلك خوفا من ان يستقبحها فاراهم الرجل انه قد رمد ثم اذهب
بصره حتى زفت اليه المراه وزال عن اهل بيتها ذلك الحزن فبقيت معه عشرين
سنه ثم توفيت ففتح عينيه فقيل له في ذلك فقال تعمدت لاجل اهل بيتها حتى لا
يحزنوا فقيل له قد سبقت اقرانك بهذا الخلق وتزوج بعض الصوفية امراه
سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال اخشى ان يتزوجها من
لا يصبر على خلقها فيتاذى بها فان نكح المريد فهكذا ينبغي ان يكون وان قدر
على الترك فهو له اولى اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم
ان ذلك يشغله عن حاله كما روي ان محمد بن سليمان الهاشمي وكان يملك
غلة ثمانين الف درهم في كل يوم فكتب الى اهل البصرة وعلمائهم
في امراة يتزوجها فاجمعوا كلهم على رابعة العدوية رحمها الله فكتب اليها بسم الله
الرحمن الرحيم اما بعد فان الله قد ملكني من غلة الدنيا في كل يوم ثمانين الف درهم
وليس يمضي الليالي والايام حتى اتمها مائة الف وانا اصير لك مثلها فاجيبيني
فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الزهد في الدنيا راحة القلب والرغبة
فيها تورث الهم والحزن فاذا اتاك كتابي هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك
ولا تجعل الناس اوصياك فيقتسموا تراثك وصم الدهر واجعل فطرك
الموت واما انا فلو ان الله تعالى خولني امثال ما خولك واضعافه ما سرني ان اشتغل
عن الله طرفة عين وهذه اشارة الى ان كل ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان فلينظر
المريد الى حاله وقلبه فان وجده في العزوبة فهو اقرب وان عجز فالنكاح اولى به ودوا
هذه الشهوة ثلاثة امور الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولي على القلب
فان لم ينفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستاصل مادتها فقط ولهذا كان السلف
يبادرون الى النكاح الى تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من احد

حزنهم

البدن

الا اتاه من قبل النسا وقال سعيد وهو ابن اربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى عينيه
وهو يعشو بالاخرى ما شي اخوف عندي من النسا وعن كثير بن المطلب بن ابي وداعة قال كنت اجالس
سعيد بن المسيب ففقدني اياما فلما جيته قال اين كنت فقلت توفيت زوجتي واشتغلت بها
فقال الا اخبرتنا فشهدناها قال ثم اردت ان اقوم فقال هل استحدثت امراة فقلت يرحمك
الله ومن يزوجني وما املك الا درهمين او ثلاثة فقال انا فقلت وتفعل قال نعم ثم حمد الله تعالى
وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين او قال ثلاثة فقمت وما ادري ما اصنع من
الفرح فصرت الى منزلي وجعلت اتفكر ممن اخذ واستدين وصليت المغرب وانصرفت الى منزلي
وكنت وحدي واسرجت وكنت صايما وقدمت عشاي لافطر وكان خبزا وزيتا فاذا الباب يقرع فقلت
من قال سعيد ففكرت في كل من اسمه سعيد بالمدينة الا سعيد بن المسيب فانه لم ير اربعين سنة الا
من بيته والمسجد فقمت وخرجت فاذا انا بسعيد بن المسيب فظننت انه بدا له فقلت يا ابا محمد
الا ارسلت الي فاتيك قال انت احق ان تؤتى قلت فما تامر قال انك كنت رجلا عزبا وتزوجت
فكرهت ان ابيتك الليلة وحدك وهذه امراتك واذا هي قايمة خلفه في طوله فاخذ بيدها
ودفعها في الباب ورد الباب فسقطت المراة من الحيا فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الى
القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعته في ظل السراج لكي لا تراه ثم صعدت السطح فرميت
الجيران فجاوني فقالوا ما شانك فقلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد
جاء بها الليلة على غفلة فقالوا وسعيد زوجك فقلت نعم فقالوا وهي في الدار قلت نعم وهذه
هي في الدار فنزلوا اليها وبلغ ذلك امي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل ان اصلحها
الى ثلاثة ايام فاقمت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هي من اجمل الناس واحفظهم لكتاب الله
واعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واعرفهم بحق الزوج فمكثت شهرا لا ياتيني
ابوها ولا اتيه فلما كان قرب الشهر اتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام
ولم يكلمني حتى تفرق اهل المجلس فقال ما حال ذلك الانسان قلت خيرا يا ابا محمد على ما يحب
الصديق ويكره العدو قال ان رابك شي فالعصا فانصرفت الى منزلي فوجه الي بعشرين
الف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد قد خطبها عبد الملك بن مروان لابنه
الوليد حين ولاه العهد فابى سعيد ان يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى
ضربه مايه سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ما والبسه جبة صوف فاستعجال سعيد
في الزفاف تلك الليلة تعرفك غايلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين الى تطفية نارها بالنكاح

بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين اعلم ان هذه الشهوة اغلب
الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل الا ان مقتضاها
قبيح يستحيا منه ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها
استعداها

وعن عبد الله بن ابي وداعة

قرب

الامتحان

استقصائها اما لعجز او لخوف او لحيا او لحيا فظة على جسمه وليس في شي من ذلك
ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ اخر نعم من العصمة ان لا يقدر ففي
هذه العوائق فايدة وهو دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب
كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع
الموانع وتيسير الاسباب لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عشق فعف وكتم فمات فهو شهيد وقال
صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل الا ظله وعد منهم
رجل دعته امراة ذات حسن وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين
وقصة يوسف وامتناعه من زليخا مع القدرة ومع رغبتها وجمالها فهي معروفة
وقد اثنى الله عليه بذلك في كتابه وهو امام لكل من وفق لمجاهدة الشيطان
في هذه الشهوة العظيمة وروي ان سليمان بن يسار وكان من احسن الناس
وجها دخلت عليه امراة فالحت عليه في نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا
من منزله وتركها فيه قال سليمان فرايت في المنام يوسف عليه الصلاة والسلام
وكاني اقول له انت يوسف قال انا يوسف الذي هممت وانت سليمان الذي
لم تهم اشارة الى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه وعن
سليمان ايضا ما هو اعجب من هذا انه خرج حاجا من المدينة ومعه رفيق حتى نزلوا بالابوا
فقام رفيقه واخذ السفرة وانطلق الى السوق ليبتاع شيا وقعد سليمان
في الخيمة وكان جميلا ورعا فبصرت به اعرابية من قلة الجبل فلما رات حسنه وجماله
انحدرت وعليها البرقع والقفازات فجاءته ووقفت بين يديه واسفرت عن وجهها
كانه فلقة قمر كانه البدر فقالت اهنئني فظن انها تريد طعاما فقام الى فضل السفرة
ليعطيها فقالت لست اريد هذا انما اريد ما يكون من الرجل الى اهله فقال جهزك
الي ابليس ثم وضع راسه بين كميه واخذ في النحيب فلم يزل يبكي فلما رات ذلك
سدلت البرقع ورجعت الى خيمتها فجاء رفيقه فراه قد انتفخت عيناه من البكا
وانقطع حلقه فقال ما يبكيك فقال خير ذكرت صبيتي فقال لا الا ان لك قصة
فان عهدك بصبيتك منذ ثلاث او نحوها فلم يزل به رفيقه حتى اخبره بشان
الاعرابية فوضع السفرة وجعل يبكي بكا شديدا فقال له سليمان وانت ما
يبكيك قال انا احق بالبكا منك لاني اخشى ان لو كنت مكانك لما صبرت عنها

وكان من اجمل الناس وجها واورعهم

هشي

فلم يزل يبكيان طويلا فلما انتهى سليمان الى مكة وطاف وسعى اتى الحجر الاسود واحتبى
بثوبه ونعس فاذا رجل وسيم جميل طويل يشرح له ثنايا حسنة ورائحة طيبة
فقال لسليمان من انت يرحمك الله قال انا يوسف الصديق قال نعم قال ان في
شانك وشان امراة العزيز لشانا عجيبا فقال له يوسف عليه الصلاة والسلام
شانك وشان صاحبة الابواء اعجب وروي عن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى اواهم المبيت الى غار
فدخلوا فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من
الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم فقال رجل منهم اللهم انك تعلم انه كان
لي ابوان شيخان كبيران فكنت لا اغبق قبلهما اهلا ولا ولدا فنأى بي في السحر
يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت ان اغبق
قبلهما اهلا او ولدا فلبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر
والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت
تعلم اني فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت
شيئا لا يستطيعون الخروج منه وقال الاخر اللهم كانت لي ابنة عم وكانت احب
الناس الي فاردتها على نفسها فامتنعت مني حتى المت بها سنة من السنين
فجاءتني فاعطيتها مائة دينار ومائة وعشرين دينارا على ان تخلي بيني وبين
نفسها ففعلت حتى قدرت عليها فقالت لا احل لك ان تفض الخاتم الا بحقه
فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي احب الناس الي وتركت الذهب
الذي اعطيتها اللهم ان كنت فعلته ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه
فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها قال الثالث اللهم اني
استاجرت اجراء واعطيتهم اجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت
اجره حتى كثرت الاموال فجاءني بعد ذلك فقال يا عبد الله اد الي اجري فقلت
كل ما ترى من اجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ
بي فقلت اني لا استهزئ بك فاخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم
ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا
يمشون فهذا افضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف ويقرب منه من تمكن
من شهوة العين فان النظر مبدا الزنا فحفظه مهم وهو عسير من حيث انه قد
يستهان

قال يوسف ع

فنأى بي طلب الشجر

يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها تنشأ منه من النظرة الأولى فإذا لم
تقصد لم يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال صلى الله عليه وسلم لك الأولى وعليك
الثانية أي النظرة وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء امرأة
فإن النظر يجعل في القلب شهوة وقلما يخلو الإنسان في تردده عن وقوع البصر
على النساء والصبيان فمهما تخايل إليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده
ينبغي أن يقرر في نفسه أن هذه المعاودة عين الجهل فإنه إن حقق النظر واستحسن
تحركت الشهوة وعجز عن الوصول ولا يحصل له إلا التحسر وإن استقبح لم
يتلذذ وتألم لأنه قصد التلذذ فإنه قد فعل ما آلمه فلا يخلو في كلتا حالتيه
عن معصية وعن ألم وتحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه
كثير من الآفات وإن أخطأت عينه وحفظ فرجه مع التمكن فذلك يستدعي غاية
القوة ونهاية التوفيق وروي عن أبي بكر بن عبد الله المزني أن قصابا أولع
بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها إلى حاجة لهم إلى قرية أخرى فتبعها
فراودها عن نفسها فقالت لا تفعل لأنا أشد حبا لك منك لي ولكني أخاف
الله قال فأنت تخافينه وأنا لا أخافه فرجع تائبا فأصابه العطش حتى
كاد ينقطع عنقه فإذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل فسأله فقال
ما لك قال العطش قال تعال حتى ندعو حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية
قال ما لي من عمل فأدعو قال فأنا أدعو وأمن أنت فدعا الرسول وأمن هو
فأظلتهما سحابة حتى انتهيا إلى القرية فأخذ القصاب إلى مكانه ومالت السحابة
معه فقال له زعمت أن ليس لك من عمل وأنا الذي دعوت وأنت الذي
أمنت فأظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني بأمرك فأخبره فقال الرسول إن
التائب من الله بمكان ليس أحد من الخلق بمكانه وعن أحمد بن سعيد العابد
عن أبيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد ملازم المسجد الجامع لا يكاد
يخلو منه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت إليه امرأة
ذات جمال وعقل فشغفت به وطال ذلك عليها فلما كان ذات يوم وقفت
له على طريقه وهو يريد المسجد فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات أكلمك بها
ثم اعمل ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله
فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات أكلمك بها قال فأطرق مليا وقال لها هذا موقف

المزني

بها

نعمة وانا اكره ان اكون للتهمة موضعا فقالت والله ما وقفت موقفي هذا جهالة
مني بامرك ولكن معاذ الله ان يشرف العباد الى مثل هذا والذي حملني على ان
لقيتك في هذا الامر بنفسي لمعرفتي ان القليل من هذا عند الناس كثير وانتم
معاشر العباد في مثال القوارير ادنى شي يعيبها وجملة ما اكلمك به ان جوارحي
كلها مشغولة بك فالله الله في امري وامرك قال فمضى الشاب الى منزله فاراد
ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج من منزله
فاذا بالمراة واقفة في موضعها فالقى اليها الكتاب ورجع الى منزله وكان في الكتاب
بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي ايتها المراة ان الله تعالى اذا عصي حلم وان عاد العبد
الى المعصية ستره فاذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة
تضيق منها السموات والارض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه
فان كان ما ذكرتيه باطلا فاني اذكرك يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن
وتجثوا الامم لصولة الجبار العظيم فانا والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف
باصلاح غيري وان كان ما ذكرتيه حقا فانا ادلك على طبيب هدى يداوي الكلوم
الممرضة والاسقام المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصديه على صدق المسالة
فاني متشاغل عنك بقوله وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما
للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فاين
المهرب من هذه الاية ثم جاءت بعد ذلك بايام فوقفت له على طريقه فلما راها
من بعيد اراد الرجوع الى منزله لئلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى
بعد هذا ابدا الا بين يدي الله تعالى وبكت بكاء شديدا وقالت اسال الله الذي
بيده مفاتيح قلبك ان يسهل ما قد عسر من امرك ثم تبعته وقالت امنن علي
بموعظة احملها واوصني بوصية اعمل بها فقال لها الفتى اوصيك بحفظ
نفسك من نفسك واذكرك قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار
قال فاطرقت وبكت بكاء شديدا اشد من بكائها الاول ولزمت بيتها واخذت في
العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا وكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي
عليها فيقال له مم بكاؤك وانت قد ايستها فيقول اني قطعت طمعها مني في
اول امرها وجعلت قطعها ذخيرة لي عند الله وانا استحيي من الله عز وجل ان استرد
ذخيرة ادخرتها عنده انتهى اخر كتاب النشوة بين البطن والفرج اللهم اختم بالصالحات
اعمالنا

اعلمك ح

متشاغل ح

اعمالنا اللهم انا نسالك حسن الخاتمة اللهم صل على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم كلما ذكره
الذاكرون وكلما غفل عن ذكره الغافلون يتلوه ان شا الله كتاب افات اللسان وهو
الكتاب الرابع من ربع المهلكات بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

كتاب افات اللسان الحمد لله الذي احسن خلق الانسان وعدله والهمه نور الايمان
فزينه به وجمله وعلمه البيان فقدمه به وفضله وافاض على قلبه خزاين العلوم فاكمله ثم
ارسل عليه سترا من رحمته واسبله ثم امده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف
عنه ستره الذي ارسله فاطلق بالحق مقوله وافصح بالشكر عما اولاه وخوله من علم حصله ونطق
سهله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله الذي اكرمه وبجله
ونبيه الذي ارسله بكتاب انزله واية فصله ودين سهله صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه
ومن قبله ما كبر عبد وهلله **اما بعد** فان اللسان من نعم الله العظيمة ولطايف صنعه
الغريبة فانه صغير جرمه وعظيم طاعته وجرمه اذ لا يستبين الكفر والايمان الا بشهادة
اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان ثم انه ما من موجود ومعدوم وخالق او مخلوق
~~ما من موجود ومعدوم~~ متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض
له بالنفي والاثبات فان كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان اما بحق او باطل وهذه
خاصة لا توجد في ساير الاعضا فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن
لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا ساير الاعضا واللسان
رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد فله في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل
سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان
وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى البوار ولا يكب الناس في جهنم على مناخرهم الا حصايد
السنتهم ولا ينجو من شر اللسان الا ان يقيده بلجام الشرع فلا يطلقه
الا فيما ينفعه في الدنيا والاخرة ويكفه عن كل ما يخشى غايلته في عاجله واجله وعلم ما يحمد فيه
اطلاق اللسان او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير
واعصى الاعضا على الانسان اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا مونة في اطلاقه وقد
تساهل الخلق في الاحتراز عن افاته وغوايله والحذر من مصايده وحبايله وانه اعظم
الة الشيطان في استغوا الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن تيسيره نفصل مجامع
افات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها واسبابها وغوايلها
ونعرف طريق الاحتراز منها ونورد ما ورد من الاخبار والاثار في ذمها فنذكر

والطغيان ح

فنذكر اولا فضل الصمت ونردفه بذكر افة الكلام فيما لا يعني ثم افة بيان عظم خطر اللسان ثم افة
فضول الكلام ثم افة الخوض في الباطل ثم افة المرا والمجادلة ثم افة الخصومة ثم افة في الكلام بالتشدق
وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة
ثم افة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم افة اللعن اما لحيوان او جماد او انسان ثم افة
الغنا والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغنا وما يحل فلا نعيده ثم افة المزاح ثم
افة المزاح ثم افة السخرية والاستهزا ثم افة افشا السر ثم افة الوعد الكاذب ثم افة الكذب في
القول واليمين ثم افة الغيبة ثم افة النميمة ثم افة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين فيكلم
كل واحد بكلام يوافقه ثم افة المدح ثم افة الغفلة عن دقايق الخطا في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق
بالله وصفاته ويرتبط باموره الدين ثم افة السوال اعني سوال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه
وعن الحروف وانها قديمة او محدثة وهي اخر الافات وجملتها العشرون منها

بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت

اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت
فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال عليه الصلاة والسلام من صمت نجا وقال الصمت
حكم وقليل فاعله اي هو حكمة وحزم وروى عبد الله بن سفيان عن ابيه قال قلت
يا رسول الله اخبرني عن الاسلام بامر لا اسال عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم
قلت فما اتقي قال فاوما بيده الى لسانه وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة فقال
املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال سهل بن سعد الساعدي قال
عليه الصلاة والسلام من يتوكل لي بما بين لحييه ورجليه اتوكل له الجنة وقال عليه الصلاة
والسلام من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن والذبذب الفرج
واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك اكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر
افات اللسان لما فرغنا من ذكر افة الشهوتين البطن والفرج فقد سيل النبي صلى الله عليه وسلم
عن اكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسيل عن اكثر ما يدخل النار فقال
الاجوفان الفم والفرج فيحتمل ان يراد بالفم افة اللسان لانه محله ويحتمل ان يراد البطن
لانه منفذه وقال معاذ قلت يا رسول الله انوا خذ بما نقول فقال ثكلتك امك يا ابن جبل وهل
يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصايد السنتهم وقال عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني
بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسانه
ثم قال هذا وروي ان معاذا قال يا رسول الله اي الاعمال افضل فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
لسانه ثم وضع عليه اصبعه وقال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستقيم
ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل
لا يامن

التقعر

وذبذبه

يستقيم

لا يامن جاره بوايقه وقال عليه الصلاة والسلام من سره ان يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير
مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اصبح ادم اصبحت الاعضا تذكر اللسان تقول اتق الله
فينا فانك اذا استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وروي ان عمر اطلع على ابي بكر رضي الله
عنهما وهو يحيد لسانه فقال ان هذا اوردني الموارد وروي ان النبي عليه الصلاة والسلام قال
ليس شي من الجسد الا يشكو الى الله اللسان على حدته وعن ابن مسعود انه كان على الصفا يلبي
ويقول يا لسان قل خيرا تغنم او اصمت تسلم من قبل ان تندم فقيل له يا ابا عبد الرحمن هذا شي
تقوله او شي سمعته قال بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اكثر خطايا ابن ادم
في لسانه وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف لسانه ستر الله عورته ومن
ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره وروي ان معاذ بن جبل قال
يا رسول الله اوصني قال اعبد الله كانك تراه واعدد نفسك في الموتى وان شئت انباتك بما هو املك
لك من هذا كله واشار بيده الى لسانه وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت وحسن الخلق وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليسكت وقال
الحسن ذكر لنا ان النبي عليه الصلاة والسلام قال رحم الله عبدا تكلم فغنم او سكت فسلم
وقال ابو سفيان قالوا لعيسى عليه الصلاة والسلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا
ابدا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا الا بخير وقال سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام
ان كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب وعن البرا قال جا اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
دلني على عمل يدخلني الجنة قال اطعم الجايع واسق الظمان وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق
فكف لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال عليه الصلاة والسلام ان الله عند
كل لسان قايل فليتق الله امرو علم ما يقول وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم المومن صموتا وقورا
فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ثلاثة
غانم وسالم وشاجب فالغانم الذي يذكر الله والسالم الساكت والشاجب الذي يخوض في الباطل وقال
النبي عليه الصلاة والسلام ان لسان المومن ورا قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشي تدبره بقلبه ثم
امضاه بلسانه وان لسان المنافق امام قلبه فاذا هم بالشي امضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه
وقال عيسى عليه الصلاة والسلام العبادة عشرة اجزا تسعة منها في الصمت وجزو في الفرار
من الناس وقال نبينا عليه الصلاة والسلام من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت
ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار اولى به **الاثار** كان ابو بكر رضي الله عنه يضع حصاة

يمد

في قبر يمنع به نفسه من الكلام وكان يشير الى لسانه ويقول هذا اوردني الموارد وقال ابن مسعود
والله الذي لا اله الا هو ما شيء احوج الى طول سجن من لسان وقال طاوس لساني سبع ان اطلقته
اكلني وقال وهب بن منبه في حكمة ال داود حق على العاقل ان يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه
مقبلا على شانه وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الاوزاعي كتب الينا عمر بن عبد
العزيز اما بعد فان من اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه
فيما لا يعنيه او قال فيما لا ينفعه وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والفهم
عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا ابا يحيى حفظ اللسان على الناس اشد على
الناس من حفظ الدنانير والدراهم وقال يونس بن عبيد ما من احد يكون لسانه منه على بال الا رايت
الارايت صلاح ذلك في ساير عمله وقال الحسن تكلموا عند معاوية والاحنف ساكت
فقالوا ما لك لا تتكلم يا ابا بحر فقال اخشى الله ان كذبت واخشاكم ان صدقت وقال ابو بكر بن عياش
اجتمع اربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال بعضهم انا اندم على ما قلت ولا اندم
على ما لم اقل وقال اخر اني اذا تكلمت بالكلمة ملكتني ولم املكها واذا لم اتكلم بها ملكتها ولم تملكني
وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت عليه كلمته ضرته وان لم ترجع لم تنفعه
وقال الرابع انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت وقيل اقام المنصور بن
المعتمر لم يتكلم بكلمة بعد العشاء الاخرة اربعين سنة وكان اذا اصبح وضع قرطاسا
وقلما فكل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المسا فان قلت فهذا الفضل
الكبير للصمت ما سببه فاعلم ان سببه كثرة افات اللسان من الخطا والكذب
والنميمة والغيبة والريا والنفاق والفحش والمرا وتزكية النفس والخصومة
والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان وايذا الخلق
وهتك العورات فهذه افات كثيرة وهي سباقة الى اللسان لا تثقل على اللسان
ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخايض
فيها قل ما يقدر على ان يزم اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فان ذلك
من غوامض العلم كما سياتي تفصيله ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك
عظم فضله هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والعبادة والذكر
والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الاخرة وقد قال تعالى ما
يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ويدلك على لزوم الصمت امر وهو ان الكلام
اربعة اقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة
وقسم

(هامش: رجعت — كلمه — وقيل ان الربيع بن خثيم لم يتكلم بكلام الدنيا عشرين سنة)

وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة اما هو الذي ضرر محض فلا بد من السكوت عنه
وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر واما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول
والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع
فقد سقط ثلاثة ارباع الكلام وهذا الربع فيه خطر اذ يمتزج به ما فيه اثم
من دقائق الريا والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى مدركه
فيكون الانسان به مخاطرا ومن عرف دقائق افات اللسان على ما سنذكره علم
قطعا ان ما ذكره النبي عليه الصلاة والسلام هو فصل الخطاب حيث قال من
صمت نجا فلقد اوتي والله جواهر الحكم وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت احاد
كلماته من بحار المعاني الا خواص العلماء فيما سنذكره من الافات وعسر الاحتراز
عنها ما يعرفك حقيقة ذلك ان شا الله ونحن الان نعد ونذكر افات اللسان
ونبتدي باخفها ونترقى الى الاغلظ منها قليلا قليلا ونوخر الكلام في الغيبة
والنميمة والكذب فان النظر فيها اطول وهي عشرون افة الافة الاولى الكلام
فيما لا يعنيك اعلم ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك عن جميع الافات التي ذكرناها
من الغيبة والكذب والريا والنفاق وغيره وتتكلم بما هو مباح لا ضرر فيه
عليك ولا على مسلم اصلا الا انك تتكلم بما انت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك
مضيع به زمانك ومحاسب على لسانك وتستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير لانك
لو صرفت زمان الكلام الى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند
الفكر ما يعظم جدواه او لو هللت الله تعالى وسبحته وذكرته لكان خيرا لك فكم
من كلمة يبنى به قصر في الجنة ومن قدر على ان ياخذ كنزا من الكنوز فاخذ بدله مدرة
لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى
واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان لم ياثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله
فان المومن لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا عبرة ونطقه الا ذكرا هكذا قاله النبي
عليه الصلاة والسلام بل راس مال العبد اوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه
ولم يدخر بها ثوابا في الاخرة فقد ضيع راس ماله ولهذا قال عليه الصلاة والسلام
من حسن اسلام المرو تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو اشد من هذا قال انس
استشهد غلام منا يوم احد فوجدنا على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت
امه التراب عن وجهه فقالت هنيا لك الجنة يا بني فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما

يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يغنيه وفي حديث آخر ان النبي صلى الله
عليه وسلم فقد كعبا فسال عنه فقالوا انه مريض فخرج يمشي حتى اتاه فلما دخل عليه
قال ابشر يا كعب فقالت امه هنيا لك الجنة يا كعب فقال من هذه المتالية على الله
قال هي امي يا رسول الله قال وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه او منع
ما لا يغنيه ومعناه انه انما تتهيا الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب
عليه وان كان كلامه مباحا فلا تتهنا الجنة مع المناقشة في الحساب فانه نوع
من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من يدخل من
هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام اليه ناس من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك وقالوا اخبرنا باوثق عملك في
نفسك ترجوه فقال اني لضعيف وان اوثق ما ارجو الله به سلامة الصدر وترك ما لا
يعنيني وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمك بعمل خفيف
على البدن ثقيل في الميزان قلت له بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق
وترك ما لا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول خمس لهن
احسن من الدهم الموقوفة لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه فضول ولا امن عليك الوزر ولا
تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في امر يعنيه قد وضعه في غير
موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك والسفيه يؤذيك واذكر
اخاك اذا تغيب عنك بما تحب ان يذكرك به واعفه مما تحب ان يعفيك منه
واعمل عمل رجل يرى انه مجازى بالاحسان ماخوذ بالاجرام وقيل للقمان الحكيم
ما حكمتك قال لا اسال عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني وقال مورق العجلي
امر انا في طلبه منذ عشرين سنة لم اقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما
هو قال الصمت عما لا يعنيني وقال عمر رضي الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك
واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الامين ولا امين الا من خشي الله
ولا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين
يخشون الله عز وجل وحد ما لا يعنيك ان تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تاثم
ولا تتضرر في حال او مال مثاله ان تجلس مع قوم فتحكي معهم اسفارك
وما رايت فيها من جبال وانهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من
الاطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه امور

كغيبة

لو سكت

لو سكت عنها لم تاثم ولم تتضرر واذا بالغت في الاجتهاد حتى لم يمتزج بعملك زيادة
ولا نقصان ولا تزكية النفس من حيث التفاخر بتعداد الاحوال العظيمة ولا
اغتياب لشخص ولا مذمة لشي مما خلقه الله تعالى فانت مع ذلك كله مضيع زمانك
واني تسلم من الافات كلها التي ذكرناها ومن جملته ان تسال غيرك عما لا يعنيك
وانت بالسوال مضيع وقتك وقد الجات صاحبك ايضا بالجواب الى التضييع
هذا اذا كان الشي مما لا يتطرق الى السوال عنه افة واكثر الاسولة فيها
فيها افات فانك تسال غيرك عن عبادته فتدخل عليه الريا وان لم يدخل سقطت
عبادته فيقول ~~هل انت صايم فان قال نعم كان مظهر العبادته~~ من ديوان السر
وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان سكت
كان مستحقرا اياك وتاذيت به وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى جهد وتعب
وتعب فيه فقد عرضته بالسوال اما للريا واما للكذب او للاستحقار او للتعب
او للتعب في حيلة الدفع وكذلك سوالك عن ساير عباداته وكذلك سوالك
عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحيي منه وسوالك عما حدث
به غيرك فتقول ماذا تقول وفيم انتم وكذلك ترى انسانا في الطريق
فتقول من اين فربما يمنعه مانع من ذكره فان ذكره تاذى واستحيى وان
لم يصدق وقع في الكذب وكنت انت السبب فيه وكذلك تسال عن مسلة لا
حاجة بك اليها والمسول ربما لا تسمح نفسه بان يقول لا ادري فيجيب
عن غير بصيرة ولست اعني بالتكلم بما لا يعني هذه الاجناس فان
هذا يتطرق اليه اثم او ضرر وانما مثال ما لا يعني ما روي ان لقمان دخل
على داود عليه الصلاة والسلام وهو يسرد الدرع ولم يكن راها فجعل
يتعجب مما يرى فاراد ان يساله عن ذلك فمنعته حكمته فامسك نفسه
ولم يساله فلما فرغ قام داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال
لقمان الصمت حكم وقليل فاعله اي حصل العلم به من غير سوال فاستغنى
عن السوال وقيل كان يتردد اليه سنة وهو يريد ان يعلم ذلك ولم
يسال فهذا وامثاله من الاسولة اذا لم يكن فيها ضرر وهتك ستر وتوريط
في ريا وكذب فهو مما لا يعني وتركه من حسن الاسلام فهذا حده واما
سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة اليه او المباسطة بالكلام

حكاية

فتقول هل انت صايم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته صح

على سبيل التودد او تزجية الاوقات بحكايات احوال لا فايدة فيها وعلاج ذلك
ذلك كله ان يعلم ان الموت بين يديه وانه مسول على كل كلمة وان انفاسه
راس ماله وان لسانه شبكة يقدر على ان يقتنص بها الحور العين فاهماله
وتضييعه خسران هذا علاجه من حيث العلم واما من حيث العمل فالعزلة
او ان يضع حجرا في فيه وان يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليعود اللسان
ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد
جدا **الآفة الثانية** فضول الكلام وهو ايضا مذموم وهو يتناول
الخوض فيما لا يعني والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة فان من يعنيه
امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه ان يجسمه ويقرره ويكرره
ومهما تادى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول اي
فضل على الحاجة وهو ايضا مذموم لما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر
قال عطا بن ابي رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام
وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله وسنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم او امرا بمعروف او نهيا عن منكر او تنطق في حاجتك في
معيشتك التي لا بد لك منها اتنكرون ان عليكم حافظين كراما كاتبين
وعن اليمين وعن الشمال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما
قعيد
يستحي احدكم لو نشرت صحيفته التي املى صدر نهاره وكان اكثر ما فيها
ليس من امر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة قال ان الرجل ليكلمني
بكلام لجوابه اشهى الي من الماء البارد الى الظمان فاترك جوابه خيفة
ان يكون فضولا وقال مطرف ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه
عند مثل قول احدكم للكلب وللحمار اللهم اخزه وما اشبه ذلك واعلم
ان فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى لا خير في
كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقال
عليه الصلاة والسلام طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من
ماله فانظر كيف قلب الناس الامر في ذلك فامسكوا فضل المال واطلقوا
فضل اللسان وعن مطرف بن عبد الله عن ابيه قال قدمت على النبي
صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا انت والدنا وانت سيدنا وانت
افضلنا علينا فضلا وانت اطولنا علينا طولا وانت الجفنة الغراء وانت

وانت

وانت فقال قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان اشارة الى ان اللسان اذا
اطلق في الثنا ولو بالصدق فيخشى ان يستهويه الشيطان ~~اشارة الى ان اللسان~~
~~اذا اطلق في الثنا~~ الى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود انذركم فضول
الكلام حسب المرء ما بلغ به حاجته وعن مجاهد قال ان الكلام ليكتب حتى ان الرجل
ليسكت ولده ابنه فيقول ابتاع لك كذا وكذا فيكتب له كذبة وقال الحسن يا ابن
ادم بسطت لك صحيفة ووكل بها ملكان يكتبان عملك فاعمل ما شئت واكثر
او اقلل وروي ان سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام بعث بعض عفاريته
وبعث نفرا ينظرون ما يقول فيخبرونه قال فاخبروه انه مر على السوق فرفع
راسه الى السما ثم نظر الى الناس وهز راسه فسال سليمان فقال عجبت من الملائكة
على رؤوس الناس ما اسرع ما يكتبون ومن الذين اسفل ما اسرع ما يملون وقال
ابراهيم التيمي المومن اذا اراد ان يتكلم نظر فان كان له تكلم والا امسك والفاجر
انما لسانه رسلا رسلا وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثرت
ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله
عليه وسلم فاكثر فقال عليه الصلاة والسلام كم دون لسانك من باب فقال
شفتاي واسناني قال اما كان في ذلك ما يرد كلامك وفي رواية انه قال ذلك
في رجل اثنى عليه فاستهتر في الكلام ثم قال ما اوتي رجل شرا من فضل في لسان
وقال عمر بن عبد العزيز انه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة وقال بعض الحكما
اذا كان المرء في المجلس فاعجبه الحديث فليسكت وان كان ساكتا فاعجبه السكوت
فليتكلم قال يزيد بن ابي حبيب من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع
وان وجد من يكفيه وان في الاستماع سلامة وفي الكلام تزيينا وزيادة ونقصانا
وقال ابن عمر ان احق ما طهر الرجل لسانه ورأى ابو الدردا امراة سليطة
فقال لو كانت هذه خرسا لكان خيرا لها وقال ابراهيم يهلك الناس في خلتين
فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة كثرة الكلام فيما لا يعني الافة
الثالثة الخوض في الباطل وهو الكلام في المعاصي كحكاية احوال النسا ومجالس
الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنيا وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة
واحوالهم المكروهة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه فهو حرام واما
الكلام فيما لا يعني او اكثر مما يعني فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه نعم من يتكلم

الكلام فيما لا يعني لا بو من عليه الخوض في الباطل واكثر الناس يتجالسون للتفرج
بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه باعراض الناس والخوض في الباطل وانواع الباطل
لا يمكن ان تحصى لكثرتها وتفننها ولذلك لا مخلص منه الا بالاقتصار على ما يعني من
مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس من الكلمات المهلكات ما يهلك صاحبها
وهو مستحقر لها وقد قال بلال بن الحارث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل
ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه
الى يوم القيامة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت
يكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيامة فكان علقمة يقول كم من كلام منعنيه
حديث بلال بن الحارث وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي
لها بالا يرفعه الله بها في الجنة وقال عليه الصلاة والسلام اعظم الناس خطايا
يوم القيامة اكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى فلا تقعدوا معهم
حتى يخوضوا في حديث غيره وقال سلمان ان اكثر الناس ذنوبا يوم القيامة
اكثرهم كلاما في معصية الله وقال ابن سيرين كان الرجل من الانصار يمر بمجلس لهم
فيقول توضؤا فان بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل وهو
وراء ما سياتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيره بل هو الخوض في ذكر محظورات
سبق وجودها او تدبر التوصل اليها من غير حاجة داعية الى ذكرها ويدخل
فيه ايضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من قتال
الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والحديث فيه خوض في
باطل الآفة الرابعة المراء والمجادلة وذلك منهي عنه قال النبي صلى الله عليه
وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال عليه الصلاة والسلام
ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته وقال عليه الصلاة والسلام من
ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في
ربض الجنة وعن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما عهد
الي ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال
ايضا ما ضل قوم بعد ان هداهم الله الا اوتوا الجدل وقال ايضا لا يستكمل عبد حقيقة ٨١
الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا وقال ايضا ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان
الصيام في الصيف وضرب اعداء الله بالسيف وتعجيل الصلاة في يوم الدجن والصبر

على المصيبات

على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المرا وهو صادق وقال الزبير لابنه
لا تجادل الناس بالقران فانك لا تستطيعهم وعليك بالسنة وقال عمر بن عبد
العزيز من جعل دينه غرضا للخصومات اكثر التنقل وقال مسلم بن يسار اياكم
والمرا فانها ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته وقيل ما ضل قوم
بعد اذ هداهم الله الا بالجدال وقال مالك بن انس ليس هذا الجدال في الدين بشي
وقال ايضا المرا يقسي القلوب ويورث الضغاين وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل
العلما فيمقتوك وقال بلال بن سعد اذا رايت الرجل لجوجا ممارا معجبا برايه
فقد تمت خسارته وقال سفيان لو خالفت اخي في رمانة فقال حلوة وقلت
حامضة لسعى بي الى السلطان وقال سفيان ايضا صاف من شئت ثم اغضبه
بالمرا فليرمينك بداهية تمنعك العيش وقال ابن ابي ليلى لا امارى صاحبي
فاما ان اكذبه واما ان اغضبه وقال ابو الدردا كفى بك اثما ان لا تزال مماريا
وقال عيسى عليه الصلاة والسلام يكفيك كل لجاج لجاج [illegible] وقال عمر رضي
الله عنه لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث لا تتعلمه لتماري به ولا تباهي به
ولا ترائي به ولا تتركه حيا من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضى بالجهل منه وعن عيسى
عليه الصلاة والسلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروته
ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن مهران ما لك
لا تفارق اخا لك عن قلى قال لاني لا اشاريه ولا اماريه وما ورد في ذم المراء والجدال
كثير وحد المرا هو كل اعتراض في كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما
في المعنى واما في قصد المتكلم وترك المرا بترك الانكار والاعتراض وكل كلام
تسمعه فان كان حقا فصدق به وان كان باطلا ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت
عنه والطعن في كلام الغير بان يكون في لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو او
من جهة اللغة العربية او من جهة النظم والترتيب بسو تقديم وتاخير وذلك يكون
تارة يكون من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيف ما كان فلا وجه
لاظهار خلله واما في المعنى بان تقول ليس كما تقول وقد اخطات فيه من كذا وكذا
واما في قصده مثل ان تقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما انت
فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس ان جرى في مسئلة علمية ربما خص باسم
الجدال وهو ايضا مذموم بل الواجب السكوت او السؤال في معرض الاستفادة لا على
جهة العناد والنكارة او التلطف في التعريف لا في معرض الطعن واما المجادلة

[illegible] الجدال

عبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته الى القصور
والجهل فيه وآية ذلك ان يكون تنبيهه للحق من جهة اخرى مكروها عند المجادل
يحب ان يكون هو المظهر له خطأه ليبين به فضل نفسه ونقصان صاحبه ولا
نجاة من هذا الا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت عنه واما الباعث على هذا فهو
الترفع باظهار الفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان
للنفس قويتان لها اما اظهار الفضل فمن قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد
من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية واما تنقيص الآخر فهو
من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضي ان يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان
صفتان مذمومتان مهلكتان وانما قوتهما المراء والجدال فالمواظب على المراء والجدال
مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهة بل هو معصية
مهما حصل فيه ايذاء الغير ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب وحمل
المعترض عليه على ان يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق او باطل ويقدح في قائله
بكل ما يتصور له فيثور الشجار بين المتماريين كما يثور الهراش بين
الكلبين يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو اعظم نكاية واقوى
في افحامه والجامه واما علاجه فبان يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله والسبعية
الباعثة له على تنقيص غيره كما سيأتي ذلك في كتاب الكبر والغضب فان علاج كل
علة باماطة سببها وسبب المراء ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا
حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه روي ان ابا حنيفة قال لداود الطائي لم
آثرت الانزواء فقال لاجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واستمع ما
يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة اشد علي منها وهو كما قال
لان من يسمع من غيره خطأ وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عنه جدا ولذلك
قال عليه الصلاة والسلام من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة لشدة ذلك
على النفس واكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد فان المراء طبع فاذا ظن ان له عليه
ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع وذلك خطأ محض بل ينبغي
للانسان ان يكف لسانه عن اهل القبلة واذا رأى مبتدعا تلطف في نصحه
في خلوة لا بطريق المجادلة فان المجادلة تخيل اليه انها حيلة منه في التلبيس
وان ذلك صنعة يقدر المجادلون من اهل مذهبه على امثالها لو ارادوا فتستقر

البدعة

البدعة في قلبه بالجدل وساكن فاذا عرف ان النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه قال النبي عليه
الصلاة والسلام رحم الله امرأ كف لسانه عن اهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه وقال
هشام بن عروة كان عليه السلام يردد قوله هذا سبع مرات وكل من تعود الجدال
مدة واثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا تقوت فيه هذه المهلكات
فلا يستطيع عنها نزوعا اذا اجتمع عليه سلطان الكبر والغضب والرياء وحب
الجاه والتعزز بالفضل واحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها
الافة الخامسة الخصومة وهي ايضا مذمومة وهي وراء المراء والجدال فالمرا
طعن في كلام الغير لاظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى تحقير
الغير واظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن امر يتعلق باظهار المذاهب
وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مال او حق مقصود وذلك
تارة يكون ابتدا وتارة يكون اعتراضا والمرا لا يكون الا باعتراض على كلام سبق
فقد قالت عايشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادل في خصومة بغير علم
لم يزل في سخط الله حتى ينزع وقال بعضهم اياكم والخصومة فانها تمحق الدين وقال
بعضهم ويقال ما خاصم ورع قط في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله
ابن ابي بكرة فقال ما يجلسك فقلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال ان لابيك عندي يدا
واني اريد ان اجزيك بها واني والله ما رايت شيا اذهب للدين ولا انقص للمروة
ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب من خصومة قال فقمت لارجع فقال خصمي ما لك
قلت لا اخاصمك قال عرفت انه حقي قلت لا ولكني اكرم نفسي عن هذا قال فاني
لا اطلب منك شيا هو لك فان قلت اذا كان للانسان حق فلا بد من الخصومة في طلبه
فاعلم ان هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي
فانه قبل ان يتعرف ان الحق في اي جانب يتوكل في الخصومة من اي جانب كان فيخاصم
من غير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد
في الخصومة على قصد التسلط او على قصد الايذا ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات
موذية ليس يحتاج اليها في نصرة الحجة واظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة
محض العناد لقهر الخصم وكسره مع انه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفي الناس من يصرح
به ويقول انما قصدي عناده وكسر عرضه واني ان اخذت هذا المال رميت به في بير ولا ابالي

المال وعناده فيه في يسير ولا ابالي فهذا مقصوده اللدد واللجاج وهو مذموم
جدا اما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة
لجاج على الحاجة ومن غير قصد عناد وايذا ففعله ليس بحرام ولكن الاولى
تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال
متعذر والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب واذا اهاج الغضب
نسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتنازعين حتى يفرح كل واحد بمساءة
صاحبه ويحزن لمسرته ويطلق اللسان في عرضه فمن ابتدا بالخصومة
فقد تعرض لهذه المحظورات واقل ما فيه تشويش خاطره حتى انه في صلاته
يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الامر على حد الواجب والخصومة مبدا كل
شر وكذا الجدال والمرا فينبغي ان لا يفتح بابه الا لضرورة وعند الضرورة
ينبغي ان تحفظ الغوايل ويحرس اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك
متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب في خصومته فسلم عن الاثم ولا تذم خصومته
الا انه ان كان مستغنيا عن الخصومة فيما خاصم فيه لان معه ما يكفيه فيكون
تاركا للاولى ولا يكون اثما نعم اقل ما يفوته في الخصومة والمرا والجدال طيب الكلام
اظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام اعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله
اما تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره او ماراه او خاصمه فقد جهله
او كذبه فيفوت به طيب الكلام واطعام الطعام وقد قال تعالى وقولوا
للناس حسنا وقد قال ابن عباس من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه
وان كان مجوسيا لان الله تعالى يقول واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها
او ردوها وقال ايضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه خيرا وقال انس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها
اعدها الله تعالى لمن اطعم الطعام واطاب الكلام وصلى بالليل والناس
نيام وروي ان عيسى عليه الصلاة والسلام مر به خنزير فقال مر بسلام فقيل
يا روح الله تقول هذا للخنزير فقال اكره ان اعود لساني الشر وقال نبينا عليه
الصلاة والسلام الكلمة الطيبة صدقة وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة
فان لم

وقال صلى الله عليه وسلم يمكنكم من الجنة طيب الكلام

فان لم يكن فكلمة طيبة وقال عمر رضي الله عنه البر شي هين وجه طليق ولسان
لين وقال بعض الحكما كل كلام لا تسخط ربك الا انك ترضي به جليسك فلا
تكن به عليه بخيلا فلعله يعوضك منه ثواب المحسنين وقال بعض الحكما الكلام
اللين يغسل الضغاين المستكنة في الجوارح فهذا كله في فضل الكلام الطيب
ويضاده الخصومة والمرا واللجاج والجدال فانه كلام مستنكر موحش
مود للقلب منغص للعيش مهيج للغضب موغر للصدر الافة السادسة
التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات
والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة فكل ذلك من
التصنع المذموم وهو التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا والاتقيا من امتي برا من التكلف وقال صلى الله عليه وسلم ان ابغضكم الي وابعدكم
مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون المتشدقون وقالت فاطمة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ياكلون الوان
الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال صلى الله عليه
وسلم الا هلك المتنطعون ثلاث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصا
وقال عمر رضي الله عنه ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان وجا عمر بن
سعد الى ابيه سعد يساله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت
من حاجتك ابعد منك اليوم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ياتي على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقرة الكلا بالسنتها
وكانه انكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة
وهذا ايضا من افات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح
الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من لا اكل ولا
شرب ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال عليه الصلاة والسلام اسجع
كسجع الاعراب الكهان وانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بين عليه
بل ينبغي ان يقتصر في كل شي على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض
فما ورا ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا تحسين الفاظ
الخطابة والتذكير من غير افراط واغراب لان المقصود منها تحريك

القلوب والتشويق وقبضها وبسطها ولرشاقة اللفظ تاثير في القلوب
فهو لائق بهذا المقام فاما المحاورات التي تجري في قضا الحاجات فلا يليق بها
التسجيع والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الريا
واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع
ويزجر عنه الآفة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان وهو منهي
عنه مذموم ومصدره الخبث واللوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والفحش
فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسب قتلى بدر
من المشركين فقال لا تسبوا هؤلا فانه لا يخلص اليهم شي مما تقولون وتوذون
الاحيا الا ان البذا لوم وقال صلى الله عليه وسلم ليس المومن بالطعان ولا اللعان
ولا الفاحش ولا البذي وقال عليه الصلاة والسلام الجنة حرام على كل فاحش
ان يدخلها وقال عليه الصلاة والسلام اربعة يوذون اهل النار على ما بهم من
الاذى يسعون بين الجحيم والحميم يدعون بالويل والثبور فذكر منهم رجلا
يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد اذانا على ما بنا من الاذى فيقول
ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذ بها كما يستلذ الرفث
وقال عليه الصلاة والسلام يا عايشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سو
وقال عليه الصلاة والسلام البذا والبيان شعبتان من شعب النفاق فيحتمل
ان يكون المراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل ايضا المبالغة في
الايضاح حتى ينتهي الى حد التكلف ويحتمل ايضا المبالغة في امور الدين وفي
وفي صفات الله تعالى فان القا ذلك مجملا الى اسماع العوام اولى من المبالغة
في بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس واذا اجملت
بادرت القلوب الى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذا يشبه
ان يكون المراد به الجاهر بما يستحيي الانسان من بيانه فان الاولى في مثله
الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال عليه الصلاة والسلام ان الله
لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الاسواق وقال جابر بن سمرة كنت جالسا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي امامي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شي وان احسن الناس اسلاما

واذا

احاسنهم

احاسنهم اخلاقا وقال ابراهيم بن ميسرة يؤتى بالفاحش المتفحش يوم
القيامة في صورة كلب او في جوف كلب وقال الاحنف بن قيس الا اخبركم بادوا
الدا اللسان البذي والخلق الدني فهذه مذمة الفحش فاما حده وحقيقته
فهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة واكثر ذلك يجري في الفاظ
الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها
واهل الصلاح يتحاشون عن التعرض لها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز
يذكرون ما يقاربها وما يتعلق بها قال ابن عباس ان الله حيي كريم يعف ويكني كنى
باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع
ليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل اكثرها
في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها افحش من بعض
وربما اختلف ذلك بعادة البلاد واوايلها مكروهة واواخرها محظورة وبينهما
درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية عن غيره ايضا
مما هو في معناه مامور بها كالكناية بقضا الحاجة عن البول والتغوط اولى
من لفظ التغوط والخراه فان هذا ايضا مما يخفى فكل ما يخفى ويستحيى منه
فلا ينبغي فلا ينبغي ان تذكر الفاظه الصريحة فانه فحش وكذلك يستحسن في
العادة الكناية عن النسا فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجره
او قيل من ورا الستر او قالت ام الاولاد كذا والتلطف في مثل هذه الالفاظ
محمود والتصريح فيها يفضي الى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيى منها فلا ينبغي
ان يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض
الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك
من افات اللسان قال العلا بن هارون كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في
منطقه فخرج خراج في ابطه فاتيناه نسأله لننظر ما يقول فقلنا من اين خرج
فقال من باطن اليد والباعث على الفحش اما قصد الايذا واما الاعتياد
الحاصل من مخالطة الفساق واهل الخبث واللوم ومن عادتهم السب
وقال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال عليك بتقوى
الله وان امرؤ عيرك بشي يعلمه فيك فلا تعيره بشي تعلمه فيه يكن
وباله عليه واجره لك ولا تسبن شيا من خلق الله قال فما سببت شيا

بعده وقال عياض بن حمار قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني اعلي
شي ان انتصرت منه فقال المتسابان شيطانان يتعاويان ويتهاتران وقال
عليه الصلاة والسلام المستبان ما قالا فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم
وقال عليه الصلاة والسلام سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وقال عليه
الصلاة ملعون من سب والديه وفي رواية من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه
قالوا يا رسول الله وكيف يسب والديه قال يسب ابا الرجل فيسب اباه
الثامن اللعن اما لحيوان او جماد او انسان وكل ذلك مذموم قال النبي عليه
السلام المومن ليس بلعان وقال لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم
وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول وقال عمران بن حصين
بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره اذا امراة من الانصار على
ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال عليه الصلاة والسلام خذوا ما
عليها واعروها فانها ملعونة قال فكاني ارى تلك الناقة تمشي في الناس
لا يعرض لها احد وقال ابو الدردا ما لعن احد الارض الا قالت لعن الله اعصانا لله
وقالت عائشة رضي الله عنها سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر وهو يلعن بعض
رقيقه فالتفت اليه فقال يا ابا بكر اللعانين والصديقين كلا ورب الكعبة مرتين
او ثلاثا فاعتق ابو بكر يومئذ بعض رقيقه وجا الى النبي صلى الله عليه وسلم
وقال لا اعود وقال عليه الصلاة والسلام ان اللعانين لا يكونون شفعا
ولا شهدا يوم القيامة وقال انس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
على بعير فلعنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله لا تسر معنا
على بعير ملعون وقال ذلك انكارا واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من
الله تعالى وذلك غير جائز الا على من يتصف بصفة تبعده من الله تعالى وذلك
هو الظلم وهو الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي
ان يتبع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا عظيما لانه حكم على الله تعالى بانه
ابعد الملعونين وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسوله
عليه الصلاة والسلام اذا اطلعه الله عليه والصفات المقتضية للعن
ثلاث الكفر والبدعة والفسق واللعن في كل واحد على ثلاث مراتب الاولى
اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعة والفسقة والثانية

اللعن

الأمور فلا يذم لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إني لأمزح ولا أقول
إلا حقا ومثله عليه الصلاة والسلام يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقا وأما
غيره إذا فتح باب المزاح كان غرضه أن يضحك الناس كيف كان وقد قال عليه
الصلاة والسلام إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها أبعد
من الثريا وقال عمر رضي الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف
به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه
ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولأن الضحك يدل على
الغفلة عن الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا وقال رجل لأخيه يا أخي هل أتاك أنك وارد النار فقال
نعم قال فهل أتاك أنك خارج منها فقال لا قال ففيم الضحك قال فما رؤي
ضاحكا حتى مات وقال يوسف بن أسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك
وقيل إن عطاء السلمي لم يضحك أربعين سنة ونظر وهيب بن الورد إلى قوم يضحكون
في يوم فطر فقال إن كان هؤلاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وإن لم يغفر
لهم فما هذا فعل الخائفين وكان عبد الله بن أبي يعلى يقول لنفسه أتضحك ولعل
أكفانك قد خرجت من القصار وقال ابن عباس من أذنب ذنبا وهو يضحك
دخل النار وهو يبكي وقال محمد بن واسع إذا رأيت في الجنة رجلا يبكي ألست
تعجب من بكائه قيل بلى قال فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ما يصير هو
أعجب منه فهذه آفة الضحك والمذموم منه أن يستغرق ضحكا والمحمود
التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع الصوت كذلك كان ضحك رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى النبي
صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعبة فسلم فجعل كلما دنا إلى النبي صلى الله
عليه وسلم ليسأله تنفر به وجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون به ففعل
ذلك ثلاث مرات ثم وقصته فقتلته فقيل يا رسول الله إن الأعرابي قد
صرعته قلوصه فهلك قال نعم وأفواهكم ملأى من دمه وأما أداء المزاح
إلى إسقاط الوقار فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن المنكدر
قالت لي أمي لا تمازح الصبيان فتهون عليهم وقال سعيد بن العاص لابنه يا بني
لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدني فيجترئ عليك وقال عمر بن

عند العزيز اتقوا الله واياكم والمزاح فانه يورث الضغينة ويجر الى القبيح تحدثوا
بالقرآن وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن من احاديث الرجال وقال
عمر رضي الله عنه اتدري لما سمي المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه زاح عن الحق وقال
لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح ويقال المزاح مسلبة للبهاء مقطعة للاصدقاء
فان قلت فقد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فكيف ينهى عنه
فنقول ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو انه يمزح ولا
يقول الا حقا ولا يؤذي قلبا ولا يفرط فيه وتقتصر عليه على الندور فلا حرج
عليك فيه ولكن من الغلط العظيم ان يتخذ الانسان المزاح حرفة ويواظب عليه
ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل النبي صلى الله عليه وسلم وهو كمن يدور مع الزنوج
ابدا لينظر الى رقصهم ويتمسك بان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لعائشة في
النظر الى رقص الزنوج وهو خطأ اذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالاصرار ومن
المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي ان يغفل عن ذلك نعم روى
ابو هريرة انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا فقال اني وان داعبتكم
فلا اقول الا حقا وعن عطاء ان رجلا سأل ابن عباس فقال اكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمزح فقال ابن عباس نعم فقال الرجل فما كان مزاحه فقال
ابن عباس ان مزاحه صلى الله عليه وسلم كسا ذات يوم امرأة من نسائه
ثوبا واسعا فقال لها البسيه واحمدي الله وجري منه ذيلا كذيل العروس
وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان من افكه الناس مع نسائه وكان كثير
التبسم وعن الحسن قال اتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله
عليه وسلم ان العجوز لا تدخل الجنة فبكت فقال انك لست يومئذ بعجوز قال الله
تعالى انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وروى زيد بن اسلم ان امرأة
يقال لها ام ايمن جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي يدعوك فقال
ومن هو أزوجك هو الذي بعينه بياض فقالت والله ما بعينه بياض
فقال ان بعينه بياضا فقالت لا والله فقال عليه الصلاة والسلام ما
من احد الا بعينه بياض اراد به البياض المحيط بالحدقة وجاءت امرأة
اخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال بل نحملك على ابن البعير
فقالت ما اصنع به لا يحملني فقال عليه الصلاة والسلام وهل من بعير
الا و

الا وهو ابو نجير وكان يمزح معنا وقال انس كان لابي طلحة ابن يقال له ابو عمير
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتيه فيقول يا ابا عمير ما فعل النغير
لنغير كان يلعب به ويقولوا لعصفور وقالت عايشة رضي الله عنها خرجت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تعالي حتى اسابقك فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطا فقمنا عليه
فاستبقنا فسبقني فقال هذه مكان ذي المجاز وكان جاءنا ونحن بذي
المجاز وانا جارية قد بعثني ابي بشيء فقال اعطنيه فابيت وسعيت فسعى
على اثري فلم يدركني وقالت عايشة سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته
فلما حملت اللحم سابقني فسبقني فقال هذه بتلك وقالت عايشة كان عندي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة فصنعت خزيرا وجئت به وقلت لسودة
كلي فقالت لا احبه فقلت والله لتاكلن او لالطخن وجهك فقالت ما انا بذايقته
فاخذت من الصحفة شيا فلطخت وجهها به ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر
جالس بيني وبينها فخفض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتيه لتستقيد
مني فتناولت من الصحفة شيا فمسحت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يضحك وروي ان الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلا دميما قبيحا فلما بايعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له يا رسول الله عندي امرأتان من هذه الحميرا
افلا انزل لك عن احداهما فتتزوجها وعايشة جالسة تسمع قبل ان يضرب الحجاب
فقالت اهي احسن ام انت فقال بل انا احسن منها واكرم فضحك رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مسألة عايشة اياه لانه كان دميما وروي علقمة عن ابي سلمة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدلع لسانه للحسن بن علي فيرى الصبي
لسانه فيهش له فقال له عيينة بن بدر الفزاري والله ليكونن لي الابن
رجلا قد خرج وجهه وما قبلته قط فقال عليه الصلاة والسلام ان من لا
يرحم لا يرحم واكثر هذه الطيبات منقولة عنه عليه الصلاة والسلام مع
النسا والصبيان وكان ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف
قلوبهم من غير ميل الى هزل وقال عليه الصلاة والسلام لصهيب وهو رمد
ويأكل التمر تاكل التمر وانت رمد فقال انما اكل بالشق الاخر فتبسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال بعض الرواة حتى نظرت الى نواجذه وروي

ان خوات ابن جبير كان جالسا الى نسوه من بني كعب بطريق مكه فطلع لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا عبد الله ما لك مع النسوه قال يفتلن ضفيرا
لجمل لي شرود قال فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم طلع فقال يا ابا عبد الله
اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فسكت واستحييت قال فكنت بعد ذلك افر
منه كلما رايته حيا منه حتى قدمنا المدينه وبعد ما قدمت المدينه حتى اطلع
علي يوما وانا اصلي في المسجد فجلس الي فطولت فقال لا تطول فاني انتظرك فلما
فرغت قال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت
فقام فكنت افر منه حتى لحقني وهو على حمار وقد جعل رجليه من شق واحد
فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فقلت والذي بعثك بالحق
ما شرد منذ اسلمت قال الله اكبر الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه
وهداه الله وكان نعيمان رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به النبي صلى الله عليه وسلم
فيضربه بنعليه ويامر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من
الاصحاب لعنك الله فقال له صلى الله عليه وسلم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله قال وكان
لا يدخل المدينه رسل ولا طرفه الا اشترى منها ثم ياتي به النبي صلى الله عليه وسلم
وقال يا رسول الله اعط هذا ثمن متاعه فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم تهده لنا
فيقول يا رسول الله انه لم يكن عندي والله ثمنه واحببت ان تاكله فيضحك عليه الصلاه
والسلام ويامر لصاحبه بثمنه فهذه مطايبات يباح مثلها على الندوره
لا على الدوام والمواظبه عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب الافه
الحاديه عشر السخريه والاستهزا وهذا محرم مهما كان موذيا كما قال الله تعالى
لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ومعنى السخريه الاستحقار
والاستهزا والتنبيه على العيوب والنقايص على وجه يضحك منه وقد يكون
ذلك بالمحاكاه في الفعل والقول وقد يكون بالاشاره والايما واذا كان بحضره
المستهزا به لم يسم ذلك غيبه وفيه معنى الغيبه قالت عايشه رضي الله عنها
حكيت انسانا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما احب اني حكيت انسانا ولي كذا وكذا
وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيره
ولا كبيره الا احصاها ان الصغيره التبسم بالاستهزا بالمومن والكبيره القهقهه
بذلك وهذا اشاره الى ان الضحك على الناس من الجرايم والذنوب وعن عبد الله بن
زمعه

فيقول اهديت لك فاذا جاء صاحبها يطلب ثمنها جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم

وروي أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب الناس فوعظهم في ضحكهم من
الضرطة وقال علام يضحك أحدكم مما يفعل وقال عليه الصلاة والسلام إن
المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجي بكربه وغمه
فإذا جا أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال له هلم هلم فيجي بكربه وغمه فإذا جا
أغلق دونه فما يزال كذلك حتى إن الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم فما يأتيه
وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم من عير أخاه بذنب قد تاب منه
لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع إلى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به
واستصغارا له وعليه نبه قوله تعالى عسى أن يكونوا خيرا منهم أي لا تستحقر
به استصغارا فلعله خير منك وهذا إنما يحرم في حق من يتأذى به فأما
من جعل نفسه مسخرة وربما فرح بأن يسخر منه كانت السخرية في حقه من جملة المزاح
وقد سبق ما يذم منه وما يحمد وإنما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به
لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة يجري بأن يضحك على كلامه إذا تخبط
ولم ينتظم أو على أفعاله إذا كانت مشوشة كالضحك على خطه أو على صنعته
أو على صورته وخلقته إذا كان قصيرا أو ناقصا بعيب من العيوب فالضحك
في جميع ذلك داخل في السخرية المنهي عنها المذمومة الآفة الحادية
عشر إفشاء السر وهو منهي عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحقوق المعارف
والأصدقاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت
فهي أمانة وقال عليه الصلاة والسلام مطلقا الحديث بينكم أمانة وقال
الحسن إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك ويروى أن معاوية أسر إلى الوليد
بن عتبة حديثا فقال لأبيه يا أبت إن أمير المؤمنين أسر إلي حديثا وما أراه يطوي
عنك ما بسطه إلى غيرك قال فلا تحدثني به فإن من كتم سرا كان الخيار له ومن
أفشاه كان الخيار عليه قال فقلت يا أبت وإن هذا ليدخل بين الرجل وبين
ابنه فقال لا والله يا بني ولكن أحب أن لا تذلل لسانك بأحاديث السر
فتعود نفسك إفشاءه قال فأتيت معاوية فحدثته فقال يا وليد أعتقك أخي
من رق الخطأ فإفشاء السر خيانة وهو حرام إذا كان فيه إضرار ولؤم وإن لم يكن
فيه إضرار وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة فلا نعيده
الآفة الثانية عشر الوعد الكاذب فإن اللسان سباق إلى الوعد ثم النفس

إلى

ربما لا تسمح بالوفا فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق وقد قال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود وقال عليه الصلاة والسلام العدة
عطية وقال الواي مثل الدين او افضل والواي الوعد وقد اثنى الله تعالى
على نبيه اسمعيل عليه الصلاة والسلام فقال انه كان صادق الوعد
وكان رسولا نبيا فقيل انه واعد انسانا في موضع ولم يرجع اليه اثنين وعشرين
يوما في انتظاره ولما حضرت عبد الله بن عمرو الوفاة قال انه كان خطب الى
ابنتي رجل من قريش وقد كان الي منه شبه الوعد فوالله لا القى الله بثلث
النفاق اشهدوا اني قد زوجته ابنتي وعن عبد الله بن ابي الحمسا قال بايعت
النبي صلى الله عليه وسلم فوعدته ان اتيه في مكانه ذلك فنسيت يومي والغد فاتيته
في اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى قد شققت علي انا ههنا منذ ثلاث
انتظرك وقيل لابراهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجي قال ينتظر ما بينه
وبين ان يدخل وقت الصلاة التي تجي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
وعد وعدا قال عسى وكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شا
الله وهو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفا الا ان يتعذر
فان كان عند الوعد عازما ان لا يفي فهذا هو النفاق قال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم
انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقال عبد الله
ابن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه فهو منافق ومن كانت
فيه واحدة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا
وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو
على عزم الخلف او ترك الوفا من غير عذر فاما من عزم على الوفا وعن له
عذر منعه من الوفا لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن
ينبغي ان يحترز من صورة النفاق ايضا كما يحترز من حقيقته فلا ينبغي ان يجعل
نفسه معذورا من غير ضرورة حاجزة فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
وعد ابا الهيثم بن التيهان خادما
فاتي بثلاثة من السبي فاعطى اثنين وبقي واحد فاتت فاطمة بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم تطلب منه خادما وقالت الا ترى اثر الرحا بيدي
فذكر

فذكر موعده لأبي الهيثم فجعل يقول كيف بموعدي لأبي الهيثم فآثره بها على فاطمة
لما سبق له من موعده له مع أنها كانت تدير الرحا بيديها الضعيفتين ولقد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه
رجل من الناس فقال إن لك عندي موعدا يا رسول الله قال صدقت فاحتكم
ما شئت فقال أحتكم ثمانين ضائنة وراعيها فقال عليه الصلاة والسلام هي
لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى عليه الصلاة والسلام التي دلته
على عظام يوسف عليه الصلاة والسلام كانت أحزم وأجزل حكما منك
حين حكمها موسى عليه الصلاة والسلام فقالت حكمي أن تردني شابة وأدخل
معك الجنة قيل فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلا يقولون
أقنع من صاحب الثمانين والراعي وقال عليه الصلاة والسلام ليس الخلف
أن يعد الرجل الرجل ومن نيته أن يفي وفي لفظ آخر إذا وعد الرجل أخاه
وفي نيته أن يفي فلم يجد فلا إثم عليه الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول
واليمين وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال إسماعيل
ابن أوسط بن أيوب سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة
النبي صلى الله عليه وسلم فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي
هذا عام أول ثم بكى وقال إياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار وقال
أبو أمامة قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الكذب باب من أبواب النفاق وقال
الحسن كان يقال إن من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل
والمدخل والمخرج فإن الأصل الذي بني عليه النفاق الكذب وقال عليه الصلاة والسلام
كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب وقال ابن مسعود
قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب
عند الله كذابا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان
يقول أحدهما والله لا أنقصك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا أزيدك على
كذا وكذا فمر بالشاة بعد ذلك وقد اشتراها المشتري فقال أوجب أحدهما
بالإثم والكفارة وقال عليه الصلاة والسلام الكذب ينقص الرزق وقال
عليه الصلاة والسلام إن التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله أليس الله قد
أحل البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون

وقال عليه الصلاة والسلام ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم
ولا يزكيهم المنان الذي لا يعطي شيئا الا منه والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل
ازاره وقال عليه الصلاة والسلام ما حلف حالف بالله عز وجل فادخل فيها مثل جناح
البعوضة الا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيامة وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاثة يحبهم الله رجل كان في فئة فنصب نحره حتى يقتل او يفتح الله عليه
او على اصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه فصبر على اذاه حتى يفرق بينهما موت
او ظعن ورجل كان مع قوم في سفر او سرية فاطالوا السرى حتى اذا اعجبهم ان
يمسوا الارض للراحة فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ اصحابه للرحيل وثلاثة
يشنؤهم الله التاجر او البائع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال عليه
الصلاة والسلام ويل للذي يحدث بالكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال
عليه السلام رايت كان رجلا جاءني فقال لي قم فقمت معه فاذا انا برجلين
احدهما قائم والاخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدق الجالس
فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الاخر فيمده فاذا مده
رجع الاخر كما كان فقلت للذي اقامني ما هذا قال هذا رجل كذاب يعذب
في قبره الى يوم القيامة وعن عبد الله بن جراد انه سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا نبي الله هل يزني المومن فقال قد يكون ذلك فقال رسول الله هل يكذب المومن
فقال لا ثم اتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انما يفتري الكذب
الذين لا يومنون الاية وقال ابو سعيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعو يقول اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب وقال
عليه الصلاة والسلام ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم
عذاب اليم الشيخ الزاني والملك الكذاب والعائل المستكبر وقال عبد الله بن عامر
جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وانا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت
امي يا عبد الله تعال اعطيك فقال عليه السلام وما اردت ان تعطيه فقالت
تمرا فقال اما لو لم تفعلي لكتبت عليك كذبة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو افاء الله علي نعما عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا
جبانا وقال عليه الصلاة والسلام وكان متكئا الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك
بالله وعقوق الوالدين ثم قعد فقال الا وقول الزور وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه

اذا

ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال
انس قال النبي صلى الله عليه وسلم تقبلوا لي بست اتقبل لكم بالجنة قالوا وما هي يا رسول
الله قال اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا اوتمن فلا يخن وغضوا
ابصاركم وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان
كحلا ولعوقا ونشوقا فاما لعوقه فالكذب واما نشوقه فالغضب واما كحله
فالنوم وخطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجابية فقال قام فينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم كمقامي فيكم فقال احسنوا الى اصحابي ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب
حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد وقال عليه الصلاة والسلام
من حدث بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين وقال عليه الصلاة والسلام
من حلف على يمين باثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله يوم القيامة
وهو عليه غضبان وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم رد شهادة رجل في كذبة كذبها
وقال عليه الصلاة والسلام كل خصلة يطبع المؤمن او يطوى عليها الا
الخيانة والكذب وقالت عائشة رضي الله عنها ما كان من خلق اشد على اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع
على الكذب من بعض اصحابه فما ينحل من صدره حتى يعلم انه قد احدث لله عز وجل
منه توبة وقال موسى عليه الصلاة والسلام يا رب اي عبادك خير عملا قال من لا يكذب
لسانه ولا يفجر قلبه وقال لقمان لابنه يا بني اياك والكذب فانه شهي كلحم العصفور
عما قليل يقلاه صاحبه وقال عليه الصلاة والسلام في مدح الصدق اربع
اذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق حديث وحفظ امانة وحسن
خليقة وعفة طعمة وقال ابو بكر رضي الله عنه في خطبته بعد وفاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام اول ثم
بكى وقال عليكم بالصدق فانه مع البر وهما في الجنة وقال معاذ قال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث واداء الامانة
والوفاء بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح **واما الآثار** فقال علي رضي الله عنه اعظم
الخطايا عند الله عز وجل اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة
وقال عمر بن عبد العزيز ما كذبت كذبة منذ شددت علي ازاري وقال عمر
رضي الله عنه احبكم الينا ما لم نركم احسنكم اسما فاذا رأيناكم فاحبكم الينا

اقسمكم خلقا فاذا اختبرناكم فاحسنكم لسانا اصدقكم حديثا واعظمكم امانة وعن
ميمون بن ابي شبيب قال جلست اكتب كتابا فمررت بحرف ان انا كتبته زينت
الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فنوديت من جانب البيت
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة وقال الشعبي
ما ادري ايهما ابعد غورا في النار الكذب او البخل وقال ابن السماك ما اراني اوجر
على ترك الكذب لاني انما ادعه انفة وقيل لخالد بن صبيح يسمى من يكذب كذبة واحدة
كذابا قال نعم وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب ما من خطيب
الا وتعرض خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وان كان كاذبا قرضت شفتاه
بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال مالك بن دينار الصدق والكذب
يعتركان في القلب حتى يخرج احدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد في
شيء فقال له كذبت فقال عمر بن عبد العزيز ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين
صاحبه

بيان ما رخص فيه من الكذب

اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه
من الضرر على المخاطب او على غيره فان اقل درجاته ان يعتقد المخبر الشيء على
خلاف ما هو به فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة
ومصلحة فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون مأذونا فيه وربما كان واجبا
قال ميمون بن مهران الكذب في بعض المواطن خير من الصدق أرأيت لو ان رجلا
سعى في اثر انسان بالسيف ليقتله فدخل دارا فانتهى اليك فقال رأيت فلانا ما
كنت قائلا الست تقول لم اره وما تصدق فهذا الكذب واجب فنقول الكلام
وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب
جميعا فالكذب فيه حرام وان امكن التوصل بالكذب دون الصدق فالكذب
فيه مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا
كما ان عصمة دم المسلم واجبة فمهما كان في الصدق سفك دم مسلم قد اختفى
من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود الحرب او اصلاح ذات البين
او استمالة قلب المجني عليه الا بالكذب فالكذب فيه مباح الا انه ينبغي ان يحترز
منه ما امكن لانه اذا فتح على نفسه باب الكذب فيخشى ان يتداعى الى ما
يستغنى عنه والى ما لا يقتصر به على حد الواجب ومقدار الضرورة فكان الكذب حرام
في الاصل الا لضرورة والذي يدل على الاستثناء ما روي عن ام كلثوم قالت ما سمعت

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شي من الكذب الا في ثلث الرجل يقول القول
يريد به الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرته والمراة تحدث
زوجها وقالت ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين
اثنين فقال خيرا او نمى خيرا وقالت اسما بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كل الكذب يكتب على ابن ادم الا رجل كذب بين اثنين يصلح بينهما وروي عن
ابي كاهل قال وقع بين اثنين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما
فلقيت احدهما فقلت ما لك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثنا ولقيت الاخر
فقلت مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت اهلكت نفسي واصلحت بين هذين فاخبرت
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا كاهل اصلح بين الناس ولو يعني بالكذب
وقال عطا بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اكذب اهلي قال
لا خير في الكذب قال اعدها واقول لها قال لا جناح عليك وروي ان ابن ابي عذرة
الدؤلي وكان في خلافة عمر يخلع النسا اللاتي يتزوج فطار له في الناس من ذلك
احدوثة يكرهها فلما علم بذلك قام بعبد الله بن ارقم حتى ادخله بيته وقال لامراته
انشدك الله هل تبغضيني قالت لا تنشدني قال فاني انشدك الله قالت نعم فقال
لابن ارقم اسمع ثم انطلقا الى عمر فقال انكم تحدثون الى اظلم النسا واخلعهن
فسال ابن ارقم فساله فاخبره فارسل عمر الى امراة ابن عذرة فجات هي وعمتها فقال
لها انت التي تحدثين لزوجك انك تبغضينه فقالت انا اول من تاب وراجع امر الله
انه ناشدني فتحرجت ان اكذب افاكذب يا امير المومنين قال نعم فاكذبي فان كانت
احداكن لا تحب احدنا فلا تحدثه بذلك فان اقل البيوت الذي تبنى على الحب ولكن
الناس يتعاشرون بالاسلام والاحساب وعن النواس بن سمعان الكلابي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لي اراكم تتهافتون على الكذب تهافت
الفراش في النار كل الكذب مكتوب كذبا لا محالة الا ان يكذب الرجل في الحرب فان
الحرب خدعة او يكون بين رجلين شحنا فيصلح بينهما او يحدث امراته يرضيها
وقال ثوبان الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلم او دفع عنه وقال علي رضي الله عنه اذا
حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان اخر من السما احب الي من ان اكذب عليه
واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثنا
وفي معناها ما عداها اذا ارتبط به مقصود صحيح له او لغيره اما ماله فمثل ان ياخذه

فقلت

وعمتها

ظالم

فالظالم اذا سأله عن ماله فله ان ينكر او يأخذه السلطان فيسأله عن فاحشة بينه
وبين الله عز وجل ارتكبها فله ان ينكر ويقول ما زنيت ولا شربت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك
لان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى فللرجل ان يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ
ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا واما عرض غيره فبان يسأل عن سر اخيه
فله ان ينكر وان يصلح بين اثنين وان يصلح بين الضرات من نسائه بان يظهر لكل
واحدة بانها احب اليه من صاحبتها او كانت امرأته لا تطيعه الا بوعد لا يقدر عليه
فيعدها في الحال تطييبا لقلبها او يعتذر الى انسان بالكذب اذا كان لا يطيب قلبه
الا بالكذب في انكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به ولكن الحد فيه ان الكذب
محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور فينبغي ان يقابل احدهما
بالاخر ويزن بالميزان فاذا علم ان المحذور الذي يحصل بالصدق اشد وقعا
في الشرع من الكذب فله الكذب وان كان ذلك المقصود اهون من مقصود
الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الامر بحيث يتردد فيه وعند ذلك الميل
الى الصدق اولى لان الكذب مباح لضرورة او حاجة مهمة فان شك في كون
الحاجة مهمة فالاصل التحريم فليرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب المقاصد
ينبغي ان يحترز الانسان من الكذب ما امكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب
له ان يترك اغراضه ويهجر الكذب فاما اذا تعلق ذلك بغرض غيره فلا تجوز المسامحة
لحق الغير والاضرار به واكثر كذب الناس انما هو لحظوظ انفسهم ثم هو
لزيادة المال والجاه ولامور ليس فواتها محذورا حتى ان المرأة لتحكي عن زوجها
ما تفخر به وتكذب لاجل مراغمة الضرات وذلك حرام قالت اسماء سمعت امرأة
تسأل النبي صلى الله عليه وسلم قالت ان لي ضرة واني اتكثر من زوجي بما لم يفعل
اضارها بذلك فهل علي فيه شيء قال المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي
زور وقال عليه الصلاة والسلام من تطعم بما لم يطعم وقال لي وليس له
واعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيامة ويدخل في هذا فتوى
العالم بما لا يتحققه وروايته الحديث الذي لم يتثبت فيه ورايته اذ
غرضه ان يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف من ان يقول لا ادري
وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فان الصبي اذا كان لا يرغب
في المكتب

في المكتوب الا بوعد او وعيد ويحيف كان ذلك مباحا نعم روينا في الاخبار ان
ذلك يكتب له ولكن الكذب المباح ايضا يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح
قصده فيه ثم يعفى عنه لانه انما ابيح بقصد الاصلاح ويتطرق اليه غرور كثير
فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وانما يتعلل
ظاهرا بالاصلاح فلهذا يكتب وكل من اتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم
ان المقصود الذي كذب له هل هو اهم في الشرع من الصدق ام لا وذلك غامض
جدا فالحزم في تركه الا ان يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما لو ادى الى سفك دم
او ارتكاب معصية كيفما كان وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاخبار في فضائل
الاعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد منه صحيح وهو خطأ محض اذ
قال عليه الصلاة والسلام من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وهذا لا
يرتكب الا لضرورة ولا ضرورة اذ في الصدق مندوحة عن الكذب ففيما ورد
من الايات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القايل ان ذلك تكرر على الاسماع
وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه اعظم فهذا هوس اذ ما هذا من الاغراض التي
تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويودي
فتح بابه الى امور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شر الكذب
على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكباير التي لا يقاومها شي

بيان الحذر من الكذب بالمعاريض

وقد نقل عن السلف ان في المعاريض مندوحة عن الكذب وروي مرفوعا
قال عمر رضي الله عنه اما في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب وروي ذلك عن ابن
عباس وغيره وانما ارادوا بذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم يكن
حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض والتصريح جميعا ولكن التعريض اهون
ومثل المعاريض ما روي ان مطرفا دخل على زياد فاستبطاه فتعلل بمرض وقال
ما رفعت جنبي منذ فارقت الامير الا ما رفعني الله وقال ابراهيم اذا بلغ الرجل
عنك شي فكرهت ان تكذب فقل ان الله ليعلم ما قلت من ذلك من شي فيكون ذلك
عند المستمع النفي وعندك للابهام وكان معاذ عاملا لعمر فلما رجع قالت
امراته ما جيت به مما ياتي به العمال من هدية الى اهليهم وكان لم ياتها بشي فقال
لها كان معي ضاغط قالت كنت امينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
والى بكر فبعث عمر معك ضاغطا فقامت بذلك في نسايها واشتكت عمر

فلما سمع عمر ذلك دعا معاذا وقال عمر ابعثت معك ضاغطا فقال لم اجد
ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر واعطاه شيئا وقال ارضها به واراد
بالضاغط ربه تعالى وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري لك سكرا ولكن
يقول ارايت لو اشتريت لك سكرا فانه ربما لا يتفق لها ذلك وكان ابراهيم اذا طلبه في الدار
من يكرهه قال للجارية قولي له اطلبوه في الدار من يكرهه قال للجارية قولي له اطلبوه في
المسجد وكان لا يقول لها قولي ليس هو ههنا كيلا يكون كذبا وكان الشعبي اذا طلب في البيت
وهو يكرهه خط دائرة ويقول للجارية ضعي الاصبع فيها وقولي ليس هو ههنا وهذا
كله في موضع الحاجة فاما في غير موضع الحاجة فلا لان هذا تعريض للكذب وان لم
يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روي عن ابن عبد الله بن عتبة قال دخلت
مع ابي على عمر بن عبد العزيز فخرجت وعلي ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساك
امير المؤمنين فكنت اقول جزى الله امير المؤمنين خيرا فقال لي ابي يا بني اتق الكذب
اياك والكذب وما اشبهه فنهاه عن ذلك لان فيه تقريرا لهم على ظن كاذب لاجل
غرض المفاخرة وهو غرض باطل فلا فايدة فيه نعم المعاريض تباح لغرض خفيف
كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله عليه الصلاة والسلام لا يدخل الجنة عجوز وفي عين
زوجك بياض ونحملك على ولد البعير وما اشبهه فاما الكذب الصريح كما فعله نعيمان
الانصاري مع عثمان في قصة الضرير اذ قال انه نعيمان وما يعتاده الناس
من ملاعبة الحمقى بتغريرهم بان امراة قد رغبت في تزويجك فان كان فيه ضرر
يؤدي الى ايذاء قلب فهو حرام وان لم يكن الا لمطايبة فلا يوصف صاحبها بالفسق
ولكن ينقص ذلك من درجة ايمانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستكمل
المرء حقيقة الايمان حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه.
واما قوله عليه الصلاة والسلام ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوي
بها ابعد من الثريا اراد به ما فيه غيبة مسلم او ايذاء قلب دون محض المزاح ومن
الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في المبالغة كقولك قلت لك كذا
وكذا مائة مرة وطلبتك مائة مرة فانه لا يراد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم
المبالغة فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبا وان طلبه مرات لا يعتاد
مثلها في الكثرة فلا ياثم وان لم يبلغ مائة مرة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان
بالمبالغة فيها لخطر الكذب ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل فيه ان يقول الانسان
كل

كلوا الطعام فيقول لا اشتهيه وذلك منهي عنه وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح
قال مجاهد قالت اسما بنت عميس كنت صاحبة عايشة رضي الله عنها التي هيأتها
وادخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا
عنده قرى الا قدحا فيه لبن فشرب ثم ناوله عايشة رضي الله عنها قالت فاستحيت
الجارية فقلت لا تردي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذي منه قالت فاخذته
على حيا فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك فقلنا لا نشتهيه فقال لا تجمعن
جوعا وكذبا فقلت يا رسول الله اذا قالت احدانا لشي تشتهيه لا اشتهيه
ايعد ذلك كذبا قال ان الكذب ليكتب حتى تكتب الكذيبة كذيبة وقد كان اهل الورع
يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كان لسعيد
ابن المسيب رمد فكانت عيناه ترمص حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له
لو مسحت هذا الرمص فيقول واين قول الطبيب وهو يقول لا تمس عينيك فاقول
لا افعل مراقبة اهل الورع ومن ترك لسانه مسترسلا غير مقيد فيكذب ولا يدرك
وعن خوات التيمي قال جاءت اخت الربيع بن خثيم عايدة لبني لها مريضا فاكبت
عليه وقالت كيف انت يا بني فجلس الربيع فقال ارضعتيه قالت لا قال فما عليك
لو قلتي يا ابن اخي فصدقت ومن العادة ان يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى
عليه الصلاة والسلام ان من اعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد ان الله يعلم
لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان من اعظم الفرية ان يدعى الرجل الى غير ابيه او يرى عينيه في المنام ما لم تر
او يقول علي ما لم اقل وقال عليه الصلاة والسلام من كذب في حلمه كلف
يوم القيامة ان يعقد بين شعيرتين **الافة الخامسة عشر** الغيبة والنظر فيها
طويل فنذكر اولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه
على ذمها في كتابه وشبه صاحبها باكل لحم الميتة فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا
ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال عليه الصلاة والسلام كل المسلم
على المسلم حرام دمه وعرضه وماله والغيبة تتناول العرض وقد جمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينه وبين الدم والمال وقال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ~~بينه وبين الدم~~ لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا
عباد الله اخوانا ولا يغتب بعضكم بعضا وعن جابر وابي سعيد قالا قال رسول الله

٢ ى هذا صح

صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل قد يزني فيتوب
فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر الله له حتى يغفر له صاحبه وقال النبي
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم
باظافرهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون
في اعراضهم وقال سليم بن جابر اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت علمني
خيرا ينفعني الله به قال لا تحقرن من المعروف شيا ولو ان تصب من دلوك في دلو اخيك
وان تلقى اخاك ببشر حسن واذا ادبر فلا تغتبه وقال البرا خطبنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى اسمع العواتق في بيوتهن فقال يا معشر من امن بلسانه ولم
يومن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه تتبع
الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته واوحى الله تعالى الى موسى عليه
الصلاة والسلام من مات تائبا من الغيبة فهو اخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا
عليها فهو اول من يدخل النار وقال انس امر رسول الله صلى الله بصوم يوم وقال
لا يفطرن احدكم حتى اذن له فصام الناس حتى اذا امسوا جعل الرجل يجي
فيقول يا رسول الله ظللت اليوم صايما فاذن لي لافطر فاذن له ثم
الرجل ثم الرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من اهلي ظلتا
صايمتين وهما يستحيان ان ياتياك فاذن لهما فليفطرا فاعرض عنه ثم عاوده فاعرض
عنه ثم عاوده فقال انهما لم يصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم ياكل لحوم الناس
اذهب فمرهما ان كانتا صايمتين ان يستقيا فرجع اليهما فاخبرهما فاستقاتا
فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
فقال والذي نفسي بيده لو بقيتا في بطونهما لاكلتهما النار وفي رواية انه لما اعرض
عنه جاه بعد ذلك وقال يا رسول الله انهما والله لقد ماتتا او كادتا
ان تموتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ايتوني بهما فجاءتا فدعا بعس او قدح فقال
لاحدهما قي فقاءت قيحا ودما وصديدا حتى ملات القدح وقال للاخرى قي
فقاءت كذلك فقال عليه الصلاة والسلام ان هاتين صامتا عما احل الله لهما وافطرتا
على ما حرم الله عليهما جلست احداهما الى الاخرى فجعلتا ياكلان لحوم الناس
وقال انس خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الزنا وعظم شانه

وقال

وقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين
زنية يزنيها الرجل وان اربى الربا عرض الرجل المسلم وقال جابر كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فاتى على قبرين يعذبان فقال اما انهما
ليعذبان وما يعذبان في كبير اما احدهما فكان لا يستنزه من البول واما الاخر
فكان يمشي بالنميمة وفي رواية يغتاب الناس ثم دعا بجريدة رطبة فكسرها نصفين
وغرس نصفا على كل قبر وقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا ولما رجم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزا في الزنا قال رجل لصاحبه هذا اقعص
كما يقعص الكلب فمر النبي صلى الله عليه وسلم بجيفة وهما معه فقال انهشا
منها فقالا يا رسول الله اننهش جيفة فقال ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه
وكان الصحابة يتلاقون بالبشر ولا يغتابون في الغيبة ويرون ذلك من افضل
الاعمال ويرون خلافه عادة المنافقين وقال ابو هريرة من اكل لحم اخيه في
الدنيا قرب اليه لحمه في الاخرة فيقال له كله ميتا كما اكلته حيا فياكله ويضج
ويكلح وروي مرفوعا كذلك وروي ان رجلين كانا قاعدين عند باب من ابواب
المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذلك فقالا لقد بقي فيه منه شيء واقيمت الصلاة
فدخلا فصليا مع الناس فجال في انفسهما ما قالا فاتيا عطا فسالاه فامرهما
ان يعيدا الوضوء والصلاة وان كانا صائمين امرهما ان يقضيا صيام ذلك
اليوم وعن مجاهد قال ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة
الذي ياكل لحوم الناس وقال قتادة ذكر لنا ان عذاب القبر ثلاثة اثلاث ثلثه
من الغيبة وثلث من البول وثلث من النميمة وقال الحسن والله للغيبة اسرع
فسادا في دين المومن من الاكلة في جسده وقال بعضهم ادركنا السلف
وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن اعراض الناس
وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوب نفسك وقال
ابو هريرة يبصر احدكم القذى في عين اخيه ويدع الجذع في عين نفسه وكان الحسن
يقول ابن ادم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك
وحتى تبدا باصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك
في خاصة نفسك واحب العباد الى الله من كان هكذا وقال مالك بن دينار مر
عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام والحواريون على جيفة كلب فقال الحواريون
علمه

اصبتما

ما أنتن ريح هذا الكلب فقال عيسى عليه الصلاة والسلام ما أشد بياض أسنانه
كأنه نبههم عن غيبة الكلب ونبههم على أنه لا يذكر شيء من خلق الله إلا الخير ولا نظر
إلا حسنه وسمع علي بن الحسين رجلا يغتاب آخر فقال إياك والغيبة فإنه إدام
كلاب الناس وقال عمر رضي الله عنه عليكم بذكر الله فإنه شفاء وإياكم وذكر الناس فإنه
داء

بيان معنى الغيبة وحدها

اعلم أن حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه
سواء ذكرته بنقص في بدنه أو في نسبه أو في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو
في دنياه حتى في ثوبه أو في داره أو في دابته أما في البدن فكذكرك العمش والحول والقرع
والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه وأما
في النسب فبأن تقول أباه نبطي أو هندي أو فاسق أو خسيس أو إسكاف أو
زبال أو شيء يكرهه كيف كان وأما الخلق فبأن تقول إنه سيء الخلق بخيل متكبر مرائي
شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه وأما
في أفعاله المتعلقة بالدين كقولك سارق وكذاب وشارب خمر وخائن وظالم متهاون
بالصلاة وبالزكاة ولا يحسن الركوع والسجود ولا يحترز عن النجاسات وليس بارا
بوالديه ولا يضع الزكاة مواضعها ولا يحسن قسمتها ولا يحرس صومه عن الرفث
والغيبة والتعرض لأعراض الناس ولا يرى لأحد عليه حقا ويرى لنفسه حقا وأنه
لكثير الكلام كثير الأكل وأنه نؤوم وينام في غير وقته ويجلس في غير موضعه وأما في
ثوبه فإنه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب وقال قوم لا غيبة في الدين لأنه ذم
ما ذمه الله سبحانه فذكره بالمعاصي وذمه يجوز بدليل ما روي أنه ذكر لرسول الله صلى
الله عليه وسلم امرأة وكثرة صومها وصلاتها لكنها تؤذي جيرانها فقال إنها في النار
وذكرت امرأة أخرى بخيلة فقال وما خيرها خيرا إذا وهذا فاسد لأنهم كانوا
يذكرون ذلك لحاجتهم إليه في تعرف الأحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقص ولا
يحتاج إليه في غير مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم والدليل عليه إجماع الأمة أن
من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لأنه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه
وسلم في حد الغيبة فكل هذا وإن كنت صادقا فيه فأنت به مغتاب عاص لربك
وآكل لحم أخيك بدليل ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون ما
الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قال أرأيت إن كان في أخي
ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته وقال معاذ
ابن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه فقال عليه الصلاة
والسلام اغتبتم صاحبكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال إن قلتم ما ليس فيه
فقد

فقد بهته وعن حذيفة عن عائشة انها ذكرت امراة فقالت انها قصيرة فقال
النبي عليه الصلاة والسلام اغتبتيها وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة اقسام الغيبة
ثم البهتان ثم الافك وكل في كتاب الله عز وجل فالغيبة ان تقول في اخيك
ما فيه والبهتان ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين
رجلا فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله اني اراني قد اغتبته
وذكر ابن سيرين ابراهيم النخعي فقيل الاعور فقال لا تقل الاعور وقالت عائشة
رضي الله عنها لا يغتابن احد منكم احدا فاني قلت لامراة مرة عند النبي
صلى الله عليه وسلم انها لطويلة الذيل فقال الفظي الفظي فلفظت بضعة
لحم **بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان** اعلم ان الذكر باللسان انما حرم
لان فيه تفهيم الغير نقصان اخيك وتعريفه بما يكرهه والتعريض به كالتصريح والفعل
فيه كالقول والاشارة والايماء والغمز والرمز والكتبة والحركة وكل ما يفهم
المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام ومن ذلك قالت عائشة رضي الله
عنها دخلت علينا امراة فلما ولت اومات بيدي اي قصيرة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد اغتبتيها ومن ذلك المحاكاة بان يمشي متعارجا
او كما تمشي فهو غيبة بل هو اشد من الغيبة لانه اعظم في التصوير
والتفهيم ولما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة حكت فقال عليه
الصلاة والسلام ما يسرني اني حاكيت ولي كذا وكذا وكذلك الغيبة
بالكتابة فان القلم احد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه
في الكتاب غيبة الا ان يقترن به شيء من الاعذار المحوجة الى ذكره كما سياتي
ان شاء الله تعالى واما قوله قال قوم كذا فليس بغيبة وانما الغيبة التعرض
لشخص معين اما حي واما ميت ومن الغيبة ان تقول بعض من مر بنا اليوم او
بعض من رايناه اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لان المحذور ما يحصل
به التفهيم فاذا لم يفهم منه غيبة جاز فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
كره من انسان شيئا قال ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا وكان لا يعين وقولك
بعض من قدم من السفر وبعض من يدعي العلم اذا كان معه قرينة تفهم عين الشخص
فهو غيبة واخبث انواع الغيبة غيبة القرا المرايين فانهم يفهمون المقصود على
صيغة اهل الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود

الصلاح ليظهروا

ولا يدرون لجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الريا والغيبة وذلك مثل ان يذكر
عنده انسان فيقولون الحمد لله الذي لم يبتلينا بالدخول على السلطان والتبذل
في طلب الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة الحيا نسال الله ان يعصمنا منه وانما
قصده ان يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعا وكذلك قد يقدم مدح من يريد
غيبته ما احسن احوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور
وابتلي بما يبتلي به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره
في ضمن ذلك ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم انفسهم فيكون مغتابا ومرائيا
ومزكيا لنفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو بجهله يظن انه من الصالحين المتعففين
عن الغيبة ولذلك يلعب الشيطان باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم
فانه يتبعهم ويحبط بمكايده اعمالهم ويضحك عليهم ويسخر بهم ومن ذلك ان يذكر
عيب انسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما اعجب هذا حتى يصغي
اليه ويعلم ما يغتاب به فيذكر اسم الله تعالى ويستعمل اسمه آلة له في تحقيق
خبثه وهو يمتن على الله تعالى بذكره جهلا منه وغرورا ولذلك يقول ساءني
ما جرى على صديقنا فلان من الاستخفاف فنسال الله تعالى ان يروح نفسه
ويكون كاذبا في دعوى الاغتمام وفي اظهار الدعا بل لو قصد الدعا للنعيم
لاخفاه في خلوة ودعا له عقيب صلواته ولو كان يغتم به لاغتم اذ اظهار ما
يكرهه ولذلك يقول ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه وهو
في كل ذلك يظهر الدعا والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله
لا يدري انه قد تعرض لمقت اعظم مما يتعرض له الجهال اذا جاهروا ومن
ذلك الاصغا الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر التعجب ليزيد
نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيها وكانه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق
فيقول عجبت مما ذكرته ما كنت اعلم بذلك الى الآن ما كنت اعرف من فلان
هذا اعاذنا الله من بلايه فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة
غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم المستمع احد المغتابين وروي عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ان احدهما
قال لصاحبه فلان لنؤوم ثم طلبا ادما من رسول الله صلى الله عليه وسلم لياكلا به
مع الخبز فقال عليه الصلاة والسلام قد ائتدمتما فقالا ما نعلمه فقال بلى انكما اكلتما
من لحم صاحبكما فجمعهما في الجواب وكان القائل احدهما والاخر مستمع وقال
للرجلين اللذين قال احدهما لصاحبه اقعص الرجل كما يقعص الكلب انهشا
من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا ان ينكر بلسانه
وان خاف

وان خاف فبقلبه وان قدر على القيام او قطع الكلام بكلام اخر فلم يفعله لزمه وان
قال بلسانه اسكت وهو يشتهي بقلبه ذلك فذلك نفاق ولا يخرجه عن الاثم ما لم يكرهه
ولكرهه
بقلبه ولا يكفي ان يشير باليد اي اسكت او يشير بحاجبه وجبينه فان ذلك استحقار
للمذكور بل ينبغي ان يعظم فيذب عنه صريحا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذل
عنده مومن فلم ينصره وهو يقدر على ان ينصره اذله الله يوم القيامة على رووس
الاشهاد وقال ابو الدردا قال النبي عليه الصلاة والسلام من رد عن عرض اخيه
بالغيب كان حقا على الله عز وجل ان يرد عن عرضه يوم القيامة وقال ايضا من ذب عن عرض
اخيه بالغيبة كان حقا على الله ان يعتقه من النار وقد ورد في نصرة المسلم
في الغيبة وفي فضل ذلك اخبار كثيرة اوردناها في كتاب اداب الصحبة وحقوق المسلم
فلا نطول بالاعادة

بيان الاسباب الباعثة على الغيبة

العصبه

اعلم ان البواعث على الغيبة
كثيرة ولكن يجمعها احد عشر سببا ثمانية تطرد في حق العامة وثلاثة تختص
في اهل الدين والخاصة اما الثمانية فالاول ان يشفي الغيظ وذلك اذا جرى سبب
غضب به عليه فاذا هاج غضبه يشتفي بذكر مساويه ويسبق اللسان اليه بالطبع
ان لم يكن دين وازع وقد يمتنع عن تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب
في الباطن ويصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي فاذا الحقد والغضب
من البواعث العظيمة على الغيبة الثاني موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء
ومساعدتهم على الاعراض وعلى الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض
فيرى انه لو انكر او قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك
من حسن المعاشرة ويظن انه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج
الى ان يغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في
ذكر العيوب والمساوي الثالث ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول
لسانه فيه او يقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل ان يقبح
حاله ويطعن فيه ليسقط اثر شهادته او يبتدي بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه
بعده فيروج كذبه بالصدق الاول ويستشهد ويقول ما من عادتي الكذب فاني
اخبرتكم بكذا وكذا من احواله فكان كما قلت الرابع ان ينسب الى شي فيريد ان
يتبرا منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه ان يبري نفسه ولا يذكر الذي فعله فلا ينسب
غيره اليه او يذكر غيره بانه كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله
الخامس ارادة التصنع والمباهاة وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره

فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك
فضل نفسه ويريهم أنه أفضل منه أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيقدح
لذلك السادس الحسد وهو ربما يحسد من يثني عليه الناس ويحبونه ويكرمونه
فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد إليه سبيلا إلا بالقدح فيه فيريد أن يسقط
ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه لأنه يثقل عليه أن
يسمع ثناء الناس عليه وإكرامهم له وهذا هو الحسد وهو غير الحقد
والغضب فإن ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون
مع الصديق المحسن والقريب الموافق السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت
بالضحك فيذكر عيوب غيره بما يضحك على سبيل المحاكاة والتعجب والتعجيب للناس السخرية
والاستهزاء استحقارا فإن ذلك قد يجري في الحضور ويجري أيضا في الغيبة
ومنشأ التكبر واستصغار المستهزأ به وأما الأسباب الثلاثة التي في الخاصة
فهي أغمضها وأدقها لأنها شرور خبأها الشيطان في معرض الخيرات
الشيطان الشر الأول أن تنبعث من الدين داعية التعجب في إنكار
المنكر والخطأ في الدين فيقول ما أعجب ما رأيت من فلان فإنه قد يكون
صادقا فيكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل
الشيطان عليه ذكر اسمه في إظهار تعجبه فصار به مغتابا من حيث لا يدري
ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف
يجلس بين يدي فلان وهو جاهل الثاني الرحمة وهو أن يغتم بسبب
ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمني أمره وما ابتلي به فيكون صادقا في
اغتمامه ويلهيه الغم عن الحذر عن ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون
غمه ورحمته خيرا وكذا التعجب ولكن ساقه إلى الشر من حيث لا يدري والترحم
والتغمم ممكن دون ذكر اسمه ليبطل بذلك ثواب اغتمامه وترحمه الثالث
الغضب لله تعالى فإنه قد يغضب على منكر قارفه إنسان إذا رآه أو سمعه
فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف
ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض
دركها على العلماء فضلا عن العوام فإنهم يظنون أن الرحمة والغضب إذا كان لله تعالى
عذرا في ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها
عنه ذكر الاسم كما سيأتي إن شاء الله تعالى روي عن عامر بن واثلة أن رجلا مر على قوم

في حياته

الشيطان

مغتابا

في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال
رجل منهم إني لأبغض هذا في الله فقال له أهل المجلس بئس والله ما قلت والله لننبئنه ما قلت
ولننبئنه قم يا فلان لرجل منهم فأدركه فأخبره بما قال فأدركه رسولهم
فأخبره فأتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال وسأله أن يدعوه فدعاه
وسأله فقال قد قلت ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبغضه قال إني جاره
وأنا به خبير والله ما رأيته يصلي صلاة قط إلا هذه المكتوبة قال الرجل فسله يا رسول الله
هل رآني أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو الركوع أو السجود فيها فسأله
فقال لا فقال ما رأيته يصوم شهرا قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر
قال فاسأله يا رسول الله هل رآني قط أفطرت فيه أو نقصت من حقه شيئا
فسأله فقال لا فقال والله ما رأيته يعطي سائلا قط ولا مسكينا ولا رأيته ينفق من ماله
شيئا في سبيل الخير إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر قال فاسأله هل رآني نقصت منها
أو ماكست فيها طالبها الذي يسألها فسأله فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للرجل قم
فلعله خير منك

بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة

اعلم أن مساوي الأخلاق كلها إنما
تعالج بمعجون العلم والعمل وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن سببها وعلاج كف
اللسان عن الغيبة على وجهين أحدهما على الجملة والآخر على التفصيل أما على الجملة فهو أن يعلم
تعرضه لسخط الله عز وجل بغيبته بهذه الأخبار التي رويناها وأن يعلم أنها تحبط
حسناته فإنه تنقل يوم القيامة حسناته إلى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فإن لم تكن له
حسنات نقل من سيئاته وهو مع ذلك متعرض لمقت الله تعالى ومشبه عنده بآكل الميتة
بل العبد يدخل النار بأن تترجح كفة سيئاته ~~وهو مع ذلك متعرض لمقت الله تعالى ومشبه~~
وإنما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار وإنها أقل
الدرجات أن ينقص من ثواب أعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب
والحساب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات
وروي أن رجلا قال للحسن بلغني أنك تغتابني فقال له ما بلغ من قدرك عندي أن أحكمك في
حسناتي فمهما آمن العبد بما وردت به الأخبار لم يطلق لسانه بالغيبة خوفا من ذلك وينفعه
أيضا أن ينظر في نفسه فإن وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم
طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيبا فينبغي أن يستحي من أن يترك نفسه
ويذم غيره بل ينبغي أن يعلم أن عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه إن كان
ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وإن كان أمرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فإن من ذم صنعة
فقد ذم الصانع قال رجل لبعض الحكماء يا قبيح الوجه فقال ما كان خلق وجهي إلي فأحسنه وإن لم يجد
العبد عيبا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه بأعظم الذنوب فإن ثلب الناس وأكل

نحو الميتة من أعظم العيوب بل لو انصفت لعلمت أن ظنك بنفسك أنه بريء من كل عيب جهل بنفسه
وهو من أعظم العيوب وينفعه أن يعلم أن من لم يعرف عيب نفسه غبي له فإذا كان لا يرضى لنفسه
مثله فما لحالك جملة أما التفصيل فهو أن ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فإن علاج العلة
بقطع سببها وقد قدمنا الأسباب أما الغضب فتعالجه بما ذكرناه في كتاب آفات الغضب
وهو أن تقول إن أمضيت غضبي عليه لعل الله يمضي غضبه علي بسبب الغيبة إذ نهاني عنها فاستجرأت
على نهيه واستخففت بزجره وقال عليه الصلاة والسلام إن لجهنم بابا لا يدخله
إلا من شفى غيظه بمعصية الله عز وجل وقال عليه الصلاة والسلام من اتقى
ربه أمسك لسانه ولم يشف غيظه وقال عليه الصلاة والسلام من كظم غيظا
وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى
يخيره في أي الحور شاء وفي بعض كتب الله عز وجل يا ابن آدم اذكرني حين تغضب
أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق وأما الموافقة فبأن تعلم أن الله يغضب
عليك إذا طلبت سخطه في رضى المخلوقين فكيف ترضى لنفسك أن تحقر مولاك
وتوقر غيره فتترك رضاه لرضاهم إلا أن يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب
أن تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي أن تغضب لله على رفقائك إذا ذكروه
بالسوء فإنهم عصوا ربك بأفحش الذنوب وهي الغيبة وأما تنزيه النفس
بنسبة الخيانة إلى الغير حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالجه بأن تعرف
أن التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت الخلق فإنك بالغيبة
متعرض لسخط الله تعالى يقينا ولا تدري أنك تتخلص من سخط الناس أم لا
فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة أو تخسر حسناتك
بالحقيقة وتحصل ذم الله تعالى لك نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا
غاية الجهل والخذلان وأما عذرك كقولك إن أكلت الحرام ففلان يأكله وإنه
قبلت مال السلطان ففلان يقبله فهذا جهل لأنك تعتذر بالاقتداء
بمن لا يجوز الاقتداء به فإن من خالف أمر الله تعالى لا يقتدى به كائنا من كان
ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته
سفه عقلك فما ذكرته غيبة وزيادة معصية أضفتها إلى ما اعتذرت
عنه وأعربت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة
تنظر إلى المعز تردي نفسه من الجبل فهي أيضا تردي نفسها ولو كان لها لسان
ناطق وصرحت بالعذر فقالت أنا أردي لأن المعز أكيس مني وقد أردى نفسه
لكنته

نفسي صح

لكنت تضحك منها لجهلها وحالك مثل حالها ثم لا تتعجب ولا تضحك من نفسك واما
قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بان تقدح في غيرك فينبغي
ان تعلم انك بما ذكرته ابطلت فضلك عند الله تعالى وانت من اعتقاد الناس
فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب الناس فتكون
قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوق وهما ولو حصل لك ما عند المخلوقين
واعتقدوا فيك الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا واما الغيبة للحسد
فهو جمع بين عذابين لانك حسدته على نعمة الدنيا وكنت معذبا بالحسد فما
قنعت بذلك حتى اضفت اليه عذابا في الاخرة فكنت خاسرا في الدنيا فجعلت
نفسك ايضا خاسرا في الاخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك
فاصبت نفسك واهديت اليه حسناتك فانت اذا صديقه وعدو نفسك
اذ لا تضره غيبتك وتضرك وتنفعه اذ تنقل اليه حسناتك او تنقل اليك
سيئاته ولا تنفعك فقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك
وقدحك سبب انتشار فضل محسودك فقد قيل واذا اراد الله نشر فضيلة
طويت اتاح لها لسان حسود واما الاستهزاء فمقصودك منه اخزاء
غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين
فلو تفكرت في خزيك وحسرتك وحيائك وخجلتك يوم تحمل سيئات من
استهزات به وتساق الى النار لادهشك ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت
حالك لكنت اولى ان تضحك منك فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت
نفسك لان ياخذ بيدك في القيامة على ملا من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما
يساق الحمار الى النار مستهزئا بك فرحا بخزيك ومسرورا بنصر الله اياه
وتسليطه على الانتقام منك واما الرحمة له على اثمه فهو حسن ولكن حسدك
ابليس فاستنطقك بما ينقل من حسناتك اليه ما هو اكثر من رحمتك فيكون
جبرا لاثمه ويخرج عن كونه مرحوما وتنقلب انت مستحقا لان تكون مرحوما اذ
حبط اجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب الغيبة
وانما حبب اليك الشيطان الغيبة ليحبط اجر غضبك ويصير معرضا لغضب
الله تعالى بالغيبة واما التعجب اذا اخرجك فتعجب من نفسك
انك كيف اهلكت دينك بدين غيرك او بدنياه وانت مع ذلك لا تامن عقوبة

العجب الى الغيبة

الدنيا وهو ان يهتك الله تعالى سترك كما هتكت بالتعجب ستر اخيك فاذا علاج
جميع ذلك المعرفة فقط والتحقيق لهذه الامور التي هي من ابواب الايمان فمن
قوي ايمانه بجميع ذلك انكف عن الغيبة لا محالة

بيان تحريم الغيبة بالقلب

اعلم ان سوء الظن حرام مثل سوء القول وكما يحرم عليك ان تحدث غيرك
بلسانك بمساوي الغير فليس لك ان تحدث نفسك بذلك ولا ان تسيء الظن
باخيك ولست اعني به الا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء واما الخواطر
وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك معفو عنه ولكن المنهي عنه ان يظن
والظن عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب وقد قال تعالى اجتنبوا
كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسبب تحريمه ان اسرار القلوب لا يعلمها
الا علام الغيوب فليس لك ان تعتقد في غيرك سوءا الا اذا انكشف لك بعيان لا
يحتمل التاويل فعند ذلك لا يمكنك الا ان تعتقد ما علمته مشاهدة وما لم
تشاهده بعينك ولم تسمعه بأذنك ثم وقع في قلبك فانما الشيطان يلقيه
اليك فينبغي ان تكذبه فانه فاسق قد جابنا انبا بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فلا يجوز تصديق ابليس
وان كانت ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز ان تصدق به وان كان يتصور
ان يصدق الفاسق في خبره لكن لا يجوز لك ان تصدق به حتى ان من استنكه
فوجد في فمه رائحة الخمر لا يجوز ان يحد اذ يقال يمكن انه تمضمض بالخمر ومجه وما
شربه او حمل عليه قهرا فكل ذلك دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب ولا
اساءة الظن بالمسلم فقد قال عليه الصلاة والسلام ان الله حرم من المسلم دمه
وماله وان يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء الا بما يستباح به المال وهو
تعيين مشاهدة او بينة عادلة فاذا لم يكن كذلك وخطر لك سوء الظن فينبغي
ان تدفعه عن نفسك وتقرر عندها ان حاله عندك مستور كما كان فان ما رايته
منه يحتمل الخير والشر فان قلت فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج
والنفس تحدث فاقول امارة عقد الظن ان يتغير القلب معه كما كان عليه
وينفر عنه نفورا ما ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام
بسببه فهذه امارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال عليه الصلاة والسلام ثلاث
في المومن لا تستحسن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن ان لا يحققه اي لا يحقق
في نفسه

في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح اما في القلب فبتغيره الى النفرة
والكراهة وفي الجوارح بالعمل بموجبه والشيطان يقرر على القلب بادنى مخيلة
مساءة الناس ويلقي اليه ان هذا من فطنتك وسرعة تنبهك وذكائك وان
المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق ناطق بغرور الشيطان وظلمته
فاما اذا اخبرك به عدل فمال ظنك الى تصديقه كنت معذوراً لانك لو كذبته لكنت
جانياً على هذا العدل اذ ظننت به الكذب وذلك ايضاً من سوء الظن فلا ينبغي
ان تحسن الظن بواحد وتسيء الظن بآخر نعم ينبغي ان تبحث هل بينهما عداوة
ومحاسدة وتعنت فتتطرق التهمة بسببه فقد رد الشرع شهادة الاب
العدل للتهمة ورد شهادة العدو على عدوه فلك عند ذلك ان تتوقف في
اخباره وان كان عدلاً فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول هذا المذكور حاله
كان في ستر الله عني وكان امره محجوباً وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من امره
وقد يكون الرجل ظاهر العدالة ولا تحاسد بينه وبين المذكور ولكن يكون من
عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن انه عدل وليس بعدل فان
المغتاب فاسق واذا كان ذلك من عادته ردت شهادته الا ان الناس لكثرة الاعتياد
تساهلوا في الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر بسوء
على مسلم فينبغي ان تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان
ويدفعه عنك فلا يلقي اليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالمراعاة والدعاء
ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك
الى اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وانت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر اليك
بعين التعظيم وتنظر الى نفسه بعين الاستحقار وتستصغره وتترفع عليه
بايلام الوعظ وليكن قصدك تخليصه من الاثم وانت حزين كما تحزن على نفسك
اذا دخل عليك نقصان وينبغي ان يكون تركه لذلك من غير نصيحتك احب اليك
من تركه بالنصيحة فاذا انت فعلت ذلك فقد جمعت بين اجر الوعظ واجر
الغم بمصيبته واجر الاعانة على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان
القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو ايضاً منهي عنه
في آية واحدة ومعنى التجسس ان لا يترك عباد الله تحت ستره فيتوصل الى الاطلاع
وهتك الستر حتى ينكشف لك ما لو كان مستوراً عنك كان اسلم لقلبك
ولدينك وقد ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حكم التجسس

وحقيقته بيان الاعذار المرخصة في الغيبة اعلم ان المرخص في ذكر مساوئ الغير
هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وهي ستة امور
الاول التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا ان لم يكن
مظلوما اما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفا
حقه الا بذلك وقد قال عليه الصلاة والسلام مطل الغني ظلم وقال لي الواجد يحل عرضه وعقوبته
الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الصلاح كما روي ان عمر مر على عثمان وقيل على
طلحة رضي الله عنهم فسلم عليه فلم يرد فذهب الى ابي بكر رضي الله عنه فذكر له ذلك فجاء ابو بكر ليصلح
بينهما ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك لما قيل لعمر رضي الله عنه ان ابا جندل قد عاقر الخمر بالشام
فكتب اليه عمر بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب الاية فتاب ولم ير ذلك عمر ممن قاله غيبة اذ كان قصده ان ينكر عليه عمر فينفعه
نصحه ما لا ينفعه نصح غيره وانما اباحة هذا بالقصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما
الثالث الاستفتا كما تقول للمفتي قد ظلمني ابي او زوجي او اخي فكيف طريقي في الخلاص والاسلم
التعريض بان يقول في رجل ظلمه ابوه او زوجته ولكن التعيين مباح بهذا القدر لما روي عن
هند انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني انا وولدي
افاخذ من غير علمه فقال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم
يزجرها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان قصدها الاستفتا الرابع تحذير المسلم من
الشر فاذا رايت متفقها يتردد الى مبتدع او فاسق وخفت ان تتعدى اليه بدعته فلك
ان تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف على سراية البدعة او الفسق فهو
وذلك موضع الغرور اذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة
على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة او الفسق او بعيب اخر فلك
ان تذكر ذلك فان في سكوتك ضررا على المشتري وفي ذكرك ضررا بالبايع والمشتري
اولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي اذا سئل عن الشاهد فله الطعن ان علم مطعنا وكذلك
المستشار في التزويج وايداع الامانة له ان يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير
لا على قصد الوقيعة وان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا يصلح فهو الواجب فان علم انه
لا ينزجر الا بالتصريح بعيبه فله ان يصرح به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترعوون عن
ذكر الفاسق اذكروه بما هو فيه حتى يحذره الناس وكانوا يقولون
ثلاثة لا غيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه الخامس ان يكون الانسان
معروفا بلقب يعرب عن عيبه كالاعرج والاعمش وما يجري مجراه فقد فعل العلماء ذلك
لضرورة التعريف ولانه صار ذلك بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد ان صار مشهورا
به نعم لو وجد عنه معدلا وامكنه التعريف بعبارة اخرى فهو اولى ولذلك يقال للاعمى
البصير عدولا عن اسم النقص السادس ان يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب

الماخور

الماجن والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان بحيث لا يكره ما يستنكف ان يذكر به فاذا
منه ما يتظاهر به فلا اثم عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من القى جلباب الحيا عن وجهه
فلا غيبة له وقال عمر رضي الله عنه ليس لفاجر حرمة واراد به المجاهر دون المستتر اذ المستتر
لا بد من مراعاة حرمته وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاجر المعلن بفجوره ذكري
له بما فيه غيبة له قال لا ولا كرامة وقال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن
بالفسق والامام الجائر فهؤلاء الثلاثة يجمعهم انهم متظاهرون به وربما يتفاخرون به فكيف
يكرهون ذلك وهم يقصدون اظهاره نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به اثم قال عوف دخلت على
ابن سيرين فتناولت عنده الحجاج فقال ابن سيرين ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما
ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله غدا كان اصغر ذنب اصبته اشد عليك من اعظم
ذنب اصابه الحجاج **بيان كفارة الغيبة** اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتاسف
على ما فعله ليخرج من حق الله تعالى ثم يستحل المغتاب فيحله فيخرج عن مظلمته وينبغي ان يستحله
وهو حزين متاسف نادم على ما فعله اذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون
نادما فيكون قد قارف معصية اخرى وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما احتج
في ذلك بما روي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته
ان تستغفر له وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بخير وسيل عطا بن
ابي رباح عن التوبة من الغيبة قال تمشي الى صاحبك وتقول كذبت فيما قلت وظلمت واسات
فان شئت اخذت بحقك وان شئت عفوت وهذا هو الاصح وقول القائل العرض لا عوض له
فلا يجب الاستحلال بخلاف المال كلام ضعيف اذ وجب في العرض حد القذف وتثبت المطالبة به
بل في الحديث الصحيح ما روي انه عليه الصلاة والسلام قال من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال
فليستحللها منه قبل ان ياتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يوخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات
اخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته وقالت عايشة رضي الله عنها لامراة قالت لاخرى انها طويلة
الذيل قد اغتبتيها فاستحليها فلا بد من الاستحلال ان قدر عليه فان كان غايبا او ميتا فينبغي
ان يكثر الاستغفار له والدعا ويكثر من الحسنات فان قلت فالتحليل هل يجب فاقول لا لانه تبرع والتبرع
فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر ان يبالغ في الاعتذار وفي الثناء عليه والتودد
اليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له تقابل
بها سيئة الغيبة في القيامة وكان بعض السلف لا يحلل قال سعيد بن المسيب لا احلل من ظلمني وقال ابن
سيرين اني لم احرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحلل ما حرم الله ابدا فان قلت
ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبغي ان يستحلها وتحليل ما حرم الله غير ممكن فنقول
المراد به العفو عن المظلمة لا ان ينقلب الحرام حلالا وما ذكره ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة

فانه لا يجوز ان يحلل الخبيث الغيبة فان قلت فما معنى قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني تصدقت
بعرضي على الناس فكيف يتصدق بالعرض ومن اباحه فهل يباح وان كان لا ينفذ صدقته
فما معنى الحث عليه فنقول معناه اني لا اطلب مظلمة في القيامة ولا اخاصمه
والا فلا تصير الغيبة حلالا بذلك ولا تسقط المظلمة به لانه عفو قبل الوجوب الا
انه وعد وله العزم على الوفا بان لا يخاصم وان رجع وخاصم كان قياس سائر الحقوق
ان له ذلك بل صرح الفقها بان من اباح القذف لم يسقط حقه من حد القذف
ومظلمة الاخرة مثل مظلمة الدنيا وبالجملة فالعفو افضل قال الحسن اذا
جثت الامم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة نودوا ليقم من كان له اجر على
الله فلا يقوم الا العافون عن الناس في الدنيا وقال تعالى خذ العفو الاية فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا فقال ان الله تعالى يامرك ان تعفو
عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وقد روي عن الحسن ان رجلا
قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من الرطب وقال بلغني انك قد
اهديت الي من حسناتك فاردت ان اكافيك عليها واني لا اقدر ان اكافيك
على التمام الافة السادسة عشر النميمة وقد قال الله تعالى هماز مشا
بنميم الى عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك هو ولد الزنا لا يكتم الحديث
ومشى بالنميمة دل على انه ولد زنا استنباطا من قوله تعالى عتل بعد ذلك
زنيم والزنيم هو الدعي وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة النمام واللمزة
المغتاب وقال حمالة الحطب كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى فخانتاهما
قيل كانت امراة لوط تخبر بالضيفان وامراة نوح تخبر انه مجنون وقال النبي
صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وفي حديث اخر لا يدخل الجنة قتات والقتات
هو النمام وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبكم الى الله
احسنكم اخلاقا الموطون اكنافا الذين يالفون ويولفون وان ابغضكم
الى الله المشاون بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون
للبرا العثرات وقال عليه الصلاة والسلام الا اخبركم بشراركم قالوا بلى قال
المشاون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرا العيب وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشاد على مسلم كلمة ليشينه بها بغير
حق شانه الله عز وجل بها في النار يوم القيامة وقال ابو الدردا قال رسول الله
صلى الله عليه

للبرآ إلى
الباغون

صلى الله عليه وسلم ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها بري ليشينه
بها في الدنيا كان حقا على الله عز وجل ان يذيبه بها يوم القيامة في النار وقال ابو
الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم بشهادة ليس
لها باهل فليتبوأ مقعده من النار ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة
وعن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لما خلق الجنة قال لها
تكلمي قالت سعد من دخلني قال الجبار عز وجل وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية
نفر لا يسكنك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا
شرطي ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول علي عهد الله ان لم افعل كذا وكذا ثم
لم يف بذلك وروي ان كعب الاحبار ان بني اسرائيل قحط فاستسقى موسى مرات
وما اجيب فاوحى الله تعالى اليه اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر
على النميمة قال موسى من هو يا رب حتى اخرجه من بيننا فقال سبحانه يا موسى
انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا ويقال اتبع رجل حكيما
سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال اني جئتك للذي اتاك الله من العلم
اخبرني عن السما وما اثقل منها وعن الارض وما اوسع منها وعن الحجر وما
اقسى منه وعن النار وما احر منها وعن الزمهرير وما ابرد منه وعن البحر وما
اغنى منه وعن اليتيم وما اذل منه قال البهتان على البري اثقل من السموات
والحق اوسع من الارض والقلب القانع اغنى من البحر والحرص والحسد احر من
النار والحاجة الى القريب اذا لم تنجح ابرد من الزمهرير وقلب الكافر اقسى من الحجر
والنمام اذا بان امره اذل من اليتيم

بيان حد النميمة وما يجب في ردها

اعلم ان اسم النميمة انما يطلق في الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما
تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست النميمة مختصة بالمقول فيه
بل حدها كشف ما يكره كشفه سوا كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه
ثالث وسوا كان الكشف بالقول او بالكتابة او بالرمز او بالايما وسوا كان
المنقول من الاقوال او من الاعمال وسوا كان ذلك عيبا او نقصا على المنقول
عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة افشا السر وهتك الستر عما يكره كشفه
بل كل ما راه الانسان من الاحوال الناس فينبغي ان يسكت عنه الا ما في حكايته
فايدة لمسلم او دفع لمعصية كما اذا راى من يتناول مال غيره فعليه ان يشهد به

مراعاة لحق المشهود له فاما اذا رآه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وافشا
السر فان كان ما ينم به نقصانا وعيبا في المحكي عنه فقد جمع بين الغيبة والنميمة والباعث
على النميمة اما ارادة السوء بالمحكي عنه او اظهار الحب للمحكي له او التفرج بالحديث
او الخوض في الفضول وكل من حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا وكذا
او فعل فيك كذا او هو يدبر في فساد امرك او في ممالاة عدوك او في تقبيح حالك
او ما يجري مجراه فعليه ستة امور الاول ان لا يصدقه لان النمام فاسق وهو
مردود الشهادة قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان
تصيبوا قوما بجهالة والثاني ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله قال الله
تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر الثالث ان يبغضه في الله فانه بغيض عند
الله ويجب بغض من يبغضه الله تعالى الرابع ان لا تظن باخيك الغائب السوء لقوله
تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن الخامس ان لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث
لتحقق ذلك لقوله تعالى ولا تجسسوا السادس ان لا ترضى لنفسك ما نهيت
النمام عنه فلا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى كذا وكذا فتكون نماما ومغتابا وتكون
قد اتيت ما عنه نهيت وقد روي عن عمر بن عبد العزيز انه دخل فذكر عنده رجل شي
فقال عمر ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الاية ان
جاءكم فاسق بنبا فتبينوا وان كنت صادقا فانت من اهل هذه الاية هماز مشاء
بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا امير المؤمنين لا اعود اليه ابدا وذكر ان حكيما
من الحكما زاره بعض اخوانه واخبره بخبر عن غيره فقال له الحكيم قد ابطات في
الزيارة واتيتني بثلاث جنايات بغضت الي اخي وشغلت قلبي الفارغ
واتهمت نفسك الامينة وروي ان سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده
الزهري فجاءه رجل فقال له سليمان بلغني انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال
الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان ان الذي اخبرني صادق فقال
الزهري لا يكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت اذهب بسلام وقال الحسن
من نم اليك نم عليك وهذه اشارة الى ان النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق بصداقته
وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد
والنفاق والافساد بين الناس والخديعة وهو ممن سعى في قطع ما امر الله به ان
يوصل قال الله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض
وقال تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق
والنمام منهم وقال عليه الصلاة والسلام ان من شر الناس ذا الوجهين يأتي

هاولا

كذا وكذا

بعا قلا بوجه وهاولا بوجه وقال ايضا ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره
والنمام منهم وقال لا يدخل الجنة قاطع قيل هو القاطع بين الناس وهو النمام وقيل
الرحم وروي عن علي رضي الله عنه ان رجلا اتاه يسعى اليه برجل فقال يا هذا انا نسأل
عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك
اقلناك قال اقلني يا امير المؤمنين وقيل لمحمد بن كعب القرظي اي خصال المؤمن اوضع له
قال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول قول كل احد وقال رجل لعمر بن عبد الله
ابن معمر وكان اميرا بلغني ان فلانا اعلم الامير اني ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال
فاخبرني بما قال لك حتى اظهر كذبه عندك قال ما احب ان اشتم نفسي بلساني وحسبي
اني لم اصدقه فيما قال ولا اقطع عنك الوصال وذكرت السعاية عند بعض الصالحين
فقال ما ظنك بقوم الحمد لا يصدق من كل طبقة من الناس الا منهم وقال مصعب بن
الزبير نرى ان قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة
وليس من دل على شيء فاخبر به كمن قبله واجازه فاتقوا الساعي فلو كان في قوله
صادقا لكان في صدقه اثما لئيما حيث لم يحفظ الحرمة ولا يستر العورة والسعاية
هي النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة يعني ليس ولد حلال ودخل رجل على
سليمان بن عبد الملك فاستاذنه في الكلام وقال اني مكلمك يا امير المؤمنين بكلام
فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته فقال قل يا امير المؤمنين انه
قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله
ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصغ فيهم ما استحفظك
الله اياه فانهم لن يألوا الامة خسفا والامانة تضييعا والاعراض تمزيقا والحرمات
انتهاكا اعلى قربهم البغي والنميمة واجل وسائلهم الغيبة والوقيعة وانت
مسؤول عما اجترحوا وليسوا بمسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد
آخرتك وان اعظم الناس غبنا بائع آخرته بدنيا غيره وسعى رجل بزياد بن
الاعجم الى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما فاقبل زياد على الرجل فقال وانت امرؤ
اما ائتمنتك خاليا فخنتني واما قلت قولا بلا علم فانت من الامر الذي كان بيننا
بين منزلة الخيانة والاثم وقال رجل لعمرو بن عبيد ان الاسواري لم يزل يذكرك
في قصصه بشر فقال له عمرو ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت الينا حديثه
ولا اديت حقي حين اعلمتني عن اخي ما اكره ولكن اعلمه ان الموت يعمنا والقبر يضمنا

لعمر بن عبد الله بن معمر

كرهته

والله الحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض السعاة إلى الصاحب ابن عباد رقعة
نبه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرته فلما بلغت إليه الرقعة وقراها فكتب
على ظهرها السعاية قبيحة وإن كانت صحيحة الميت رحمه الله واليتيم جبره الله
والمال ثمره الله والساعي لعنه الله وقال لقمان الحكيم لابنه يا بني أوصيك بخلال
إن تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك
عن الكريم واللئيم واحفظ إخوانك وصل أقاربك وآمنهم من قبول ساع وسماع باغ
يريد فسادك ويروم خداعك وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم
ولم يعيبوك وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي أثافي
الذل وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام إليك لكان هو المجترئ بالشتم إليك
والمنقول عنه أولى بحلمك لأنه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم
ينبغي أن يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا فقال للمشتري ما فيه عيب
إلا النميمة قال رضيت فاشتراه فمكث الغلام أياما ثم قال لزوجة مولاه إن زوجك
لا يحبك وهو يريد أن يتسرى عليك وأنا أسحره لك في شعره فقالت له وكيف أقدر
على أخذ شعره فقال إذا نام فخذي الموسى واحلقي من شعر قفاه عند نومه ثم قال
للزوج إن امرأتك اتخذت خليلا وهي تريد قتلك فتناوم لها حتى تعرف
فتناوم لها فجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تقتله فقام فقتلها فجاء أهلها
وقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين فطال الأمر. الآفة السابعة عشر
كلام ذي اللسانين [illegible] بوجه ويتردد بين المتعاديين ويكلم
كل واحد بكلام يوافقه وقلما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق
قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان في الدنيا
كان له لسانان من نار في الآخرة وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أمينا عند الله تعالى وقال مالك بن دينار قرأت
في التوراة بطلت الأمانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغض خليقة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون
الذين يكثرون البغضاء لإخوانهم في صدورهم فإذا لقوهم تحببوا لهم ويحلفون
على ذلك وإذا دعوا إلى الله ورسوله أبطئوا وإذا دعوا إلى الشيطان وأمره أسرعوا
وقال ابن مسعود لا يكونن أحدكم إمعة قالوا وما الإمعة قال الذي يجري مع
كل ريح واتفقوا على أن ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات
كثيرة

بوجه صح

كثيرة وهذا من جملتها وقد روي أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات
فلم يصل عليه حذيفة فقال عمر يموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا تصلي عليه فقال يا أمير المؤمنين إنه منهم قال فنشدتك الله أنا منهم أم لا فقال
اللهم لا ولا آمن منها أحدا بعدك فإن قلت فبما يصير ذا اللسانين وما حد ذلك
فأقول إذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا
ولا ذا اللسانين فإن الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة
لا تنتهي إلى حد الأخوة إذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الأعداء كما
ذكرنا في كتاب آداب الصحبة والأخوة نعم لو نقل كلام كل واحد إلى الآخر فهو ذو لسانين
وذلك شر من النميمة وإن لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد ما هو عليه
من المعاداة مع صاحبه فهو ذو لسانين وكذلك إذا وعد كل واحد منهما بأنه
ينصره وكذا إذا أثنى على كل واحد منهما في معاداته وكذلك إذا أثنى على كل واحد
منهما في وجهه وكان إذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي أن يسكت
أو يثني على المحق من المتعاديين ويثني في حضوره وفي غيبته وبين يدي عدوه وقيل
لابن عمر إنا ندخل على أمرائنا فنقول القول فإذا خرجنا قلنا غيره فقال كنا
نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا نفاق مهما كان
مستغنيا عن الدخول على الأمير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن
إذا دخل يخاف إن لم يثن فهو نفاق لأنه الذي أحوج نفسه إليه وإن كان يستغني
عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى
وأثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق
في القلب كما ينبت الماء البقل لأنه يحوج إلى الأمراء وإلى مراعاتهم ومراءاتهم فأما إذا
ابتلي به لضرورة وخاف إن لم يثن فهو معذور فإن اتقاء الشر جائز قال أبو الدرداء
إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة استأذن رجل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة فلما
دخل ألان له القول قالت فلما خرج راجعته في ذلك فقال يا عائشة إن من شر
الناس الذي يكرم اتقاء شره ولكن هذا ورد في الإقبال وفي الكشر
والتبسم فأما الثناء فهو كذب صريح ولا يجوز إلا لضرورة أو إكراه يباح الكذب
بمثلها كما ذكرنا في آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس
في معرض التقرير على كل كلام باطل فإن فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي أن ينكر بلسانه

وبقلبه فان لم يقدر فليمسكه بلسانه ولينكر بقلبه الآفة الثامنة عشر
المدح وهو منهي عنه في بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا
حكمهما والمدح يدخله ستة آفات اربع في المادح واثنان في الممدوح فاما المادح
فالاولى انه قد يفرط فينتهي به الامداح الى الكذب قال خالد بن معدان من مدح
اماما او احدا بما ليس فيه على رؤس الاشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه
الثانية انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا
لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا الثالثة انه قد يقول ما لا يتحققه ولا
سبيل له الى الاطلاع عليه وروي ان رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال صلى الله عليه وسلم ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح ثم قال
ان كان لا بد احدكم مادحا اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا
حسيبه ان كان يرى انه كذلك وهذه الآفة تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة
التي تعرف بالادلة كقولك انه متقي وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه اما
اذا قال رايته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه امور مستيقنة ومن ذلك قوله
انه عدل رضي فان ذلك خفي فلا ينبغي ان يجزم القول فيه الا بعد خبرة باطنة
سمع عمر رضي الله عنه رجلا يثني على رجل فقال اسافرت معه قال لا قال
اخالطته في المبايعة والمعاملة قال لا فقال والله الذي لا اله الا هو لا اراك تعرفه
الرابعة انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم او فاسق وذلك غير جائز قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن
من دعا لظالم بالبقا فقد احب ان يعصى الله في الارض فالظالم الفاسق
ينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح واما الممدوح فيضره من وجهين احدهما
انه يحدث فيه كبرا او عجابا وهما مهلكان قال الحسن كان عمر رضي الله عنه قاعدا
ومعه الدرة والناس حوله اذ اقبل الجارود فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها
عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال ما لي ولك يا امير
المؤمنين قال ما لي ولك اما انك قد سمعتها قال سمعتها فمه قال خشيت ان يخالط قلبك منها
شيء فاحببت ان اطاطي منك الثاني هو انه اذا اثني عليه بالخير فرح به وفتر
ورضي عن نفسه ومن اعجب بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من
يرى نفسه مقصرا فاما اذا انطلقت الالسنة بالثناء عليه ظن انه قد ادرك ولهذا
قال

قال لا فانت جاره صباحه ومساءه قال لا

قال النبي صلى الله عليه وسلم قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح وقال صلى الله عليه
وسلم اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه موسى رميضا وقال
ايضا لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت ثناء او
مدحة الا تصاغرت الي نفسي وقال زياد بن ابي مسلم ليس احد يسمع ثنا عليه
او مدحة الا ترايا له الشيطان ولكن المومن من تواضع وقال ابن المبارك قد صدق كلاهما
اما ما قال زياد فذلك قلوب العوام واما ما قال مطرف فذلك قلوب الخواص وقال
صلى الله عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خير له من ان يثني عليه في
وجهه وقال عمر رضي الله عنه المدح الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن
العمل والمدح يوجب الفتور ولان المدح يورث الكبر والعجب وهو مهلك كالذبح
فلذلك شبهه به فان سلم المدح عن هذه الافات في حق المادح والممدوح لم يكن
به باس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك اثنى عليه وسلم على الصحابة حتى قال لو وزن ايمان
ابي بكر بايمان العالمين لرجح وقال لعمر لو لم ابعث لبعثت يا عمر واي ثنا يزيد على هذا
ولكنه قال عن صدق وبصيرة وكانوا اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا
بل مدح الرجل لنفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر وقال صلى الله عليه وسلم انا سيد
ولد ادم ولا فخر اي لست اقول هذا فخرا كما يقصده الناس بالثنا على انفسهم وذلك
لان افتخاره صلى الله عليه وسلم كان بالله وبالقرب من الله لا بتقدمه على
ولد ادم ولم يفتخر بكونه من ولد ادم ولا بتقدمه عليهم كما ان المقبول عند الملك قبولا
عظيما انما يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الافات
تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه اذ قال صلى الله عليه وسلم وجبت لما اثنوا على
بعض الموتى ثم قال انتم شهدا الله في الارض وقال مجاهد ان لبني ادم جلساء من الملائكة
فاذا ذكر الرجل المسلم اخاه بخير قالت الملائكة ولك بمثله واذا ذكره بسوء قالت الملائكة
يا ابن ادم المستور عورته اربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عورتك فهذه افات المدح

بيان ما على الممدوح اعلم ان على الممدوح ان يكون شديد الاحتراز عن افة
الكبر والعجب وافة الفتور والرياء ولا ينجو منه الا بان يعرف نفسه
ويتامل في خطر الخاتمة ودقايق الريا وافات الاعمال فانه يعرف من نفسه
ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري على خواطره
لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهة المدح باذلال المادح [illegible]

لقوله صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين قال سفيان بن
عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه واثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم
ان هولا لا يعرفونني وانت تعرفني وقال اخر لما اثني عليه اللهم ان عبدك هذا تقرب
الي بمقتك وانا اشهدك على مقته وقال علي رضي الله عنه لما اثني عليه اللهم اغفر لي
ما لا يعلمون ولا تواخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون واثنى رجل
على عمر فقال اتهلكني وتهلك نفسك واثنى رجل على علي في وجهه وكان قد بلغه
انه يقع فيه فقال علي انا دون ما قلت وفوق ما في نفسك الآفة الخامسة عشر
في الغفلة عن دقائق الخطا في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته
ويرتبط بامور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في امور الدين الا العلما الفصحا
فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يعفو عنه لجهالته
مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم ما شا الله وشئت
ولكن ليقل ما شا الله ثم شئت وذلك لان في العطف المطلق بالواو تشريكا وتسوية
وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضي الله عنه جا رجل الى رسول الله
عليه وسلم فكلمه في بعض الامر فقال ما شا الله وشئت فقال عليه الصلاة
والسلام اجعلتني لله عديلا بل ما شا الله وحده وخطب رجل عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى
فكره قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع وكان ابراهيم يكره ان يقول الرجل اعوذ
بالله وبك ويجوز ان يقول اعوذ بالله ثم بك وان يقول لولا الله ثم فلان ويكره
لولا الله وفلان وكره بعضهم ان يقول اللهم اعتقنا من النار ويقولون العتق بعد
الورود وكانوا يستجيرون من النار ويتعوذون من النار وقال رجل اللهم اجعلني
ممن تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فقال حذيفة ان الله يغني المومنين عن شفاعة
محمد صلى الله عليه وسلم وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين وقال ابراهيم
اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قال الله تعالى يوم القيامة حمارا رايتني خلقته
خنزيرا رايتني خلقته وعن ابن عباس ان احدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه يقول
لولا لسرقنا الليلة وقال عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان
تحلفوا بابائكم قال عمر والله ما حلفت بذلك منذ سمعته من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل
المسلم

المسلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي وامتي
كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقل
المملوك ربي ولا ربتي وليقل سيدي وسيدتي فكلكم عبيد الله والرب الله وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال انا بريء من الاسلام فان كان صادقا فهو كما
قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام سالما وامثاله مما يدخل في الكلام
ولا يمكن حصره ومن تامل جميع ما اوردناه من آفات اللسان علم انه اذا اطلق
لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم من صمت نجا لان
هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم فان سكت سلم من
الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حاجز
ومراقبة لازمة ويقلل من الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك
لا ينفك عن الخطر فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت
فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات
الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف هل هي قديمة او محدثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل
بما في القرآن الا ان ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامي
يفرح بان يخوض في العلم اذ الشيطان يخيل اليه انك من العلماء واهل الفضل فلا
يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري فكل كبيرة يرتكبها العامي فهو
اسلم له من ان يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته وانما شأن العوام
الاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاءت به الرسل
من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء ادب منهم يستحقون به
المقت من الله تعالى ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب
عن اسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه
تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامي ولذلك قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم
ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وقال انس بن
مالك سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد
المنبر فقال سلوني فلا تسألوني عن شيء الا انبأتكم به فقام اليه رجل فقال يا رسول الله

للفاسق

حاجز

٢ من هنا صح

من ابى فقال ابوك حذافة فقام اليه شابان اخوان فقالا يا رسول الله من ابونا فقال
ابوكما الذى تدعيان اليه ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله افى الجنة انا او فى النار فقال لا
بل فى النار فلما راى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم امسكوا فقام عمر وقال
رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال اجلس يا عمر رحمك
الله انك ما علمت لموفق وفى الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل
والقال وكثرة السؤال واضاعة المال وقال صلى الله عليه وسلم يوشك ان يسال الناس
حتى يقولوا هذا خلق الله فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا الله احد الله الصمد
حتى تختموا السورة ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان
الرجيم وقال جابر ما نزلت اية التلاعن الا لكثرة السؤال وفى قصة موسى والخضر
عليهما الصلاة والسلام تنبيه على المنع من السؤال قبل اوان استحقاقه اذ قال
فان اتبعتنى فلا تسالنى عن شى حتى احدث لك منه ذكرا فلما سال عن السفينة انكر
عليه حتى اعتذر وقال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من امرى عسرا فلما لم يصبر
وسال ثلاثا قال هذا فراق بينى وبينك وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من
اعظم الافات وهى من المثيرات للفتن فيجب قمعهم ومنعهم من الخوض فى حروف القران
ونظيره لكن العلوم فنظرهم فى ذلك نظير من اشتغل من كتب اليه الملك كتابا
يرسم له فيه امورا فلم يشتغل بشى منها وضيع زمانه فى السؤال عن قرطاس الكتاب هل
هو عتيق او حديث فيستحق العقوبة لا محالة فكذا تضييع العامى حدود القران واشتغاله
بالسؤال عن حروفه انها قديمة او حديثة وكذا سائر صفات الله تعالى تم كتاب
افات اللسان بحمد الله وعونه ومنه وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم
يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب افات الغضب والحقد والحسد وحسبنا الله
ونعم الوكيل بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

كتاب ذم افة الغضب والحقد والحسد

الحمد لله الذى لا يتكل على عفوه
ورحمته الا الراجون ولا يحذر سوء غضبه وسطوته الا الخائفون الذى استدرج
عباده من حيث لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات وامرهم بترك ما يشتهون
وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ عند ما يغضبون ثم حفهم بالمكاره
واللذات واملى لهم لينظر كيف يعملون وامتحن بذلك حبهم ليعلم صدقهم
فيما يدعون وعرفهم انه لا يخفى عليه شى مما يسرون وما يعلنون وحذرهم ان
ياخذهم

يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون فقال ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون
فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون والصلاة على محمد رسوله الذي
يسير تحت لوائه النبيون وعلى آله وأصحابه الذين هم الأئمة المرشدون والسادة
المرضيون صلاة يوازي عددها عدد ما كان من خلقه وما سيكون ويحظى
ببركتها الأولون والآخرون وسلم تسليما كثيرا أما بعد فإن الغضب شعلة
نار اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة وإنها لمستكنة
في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر الدفين في قلب كل
جبار عنيد كما يستخرج الحجر النار من الحديد وقد انكشف للناظرين بنور
اليقين أن الإنسان ينزع منه عرق إلى الشيطان المنصوص عليه في
القرآن حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فإن شأن الطين السكون
والوقار وشأن النار التلظي والاستعار والحرقة والاضطراب ومن نتائج والحركة
الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومفيضهما
مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد وإذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق
العبد إلى مواطن العطب فما أحوجه إلى معرفة معاطبه ومساويه ليحذره ويتقيه
ويميطه عن القلب إن كان وينفيه ويعالجه إن رسخ في قلبه ويداويه فإن من لا يعرف الشر
ويقع فيه ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى
ويجمع ذلك بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان الغضب هل يمكن إزالة
أصله بالرياضة أم لا ثم بيان الأسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه
ثم بيان فضيلة كظم الغضب ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي
به من الكلام ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب
في إزالته ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبني
الأعمام والأقارب من تأكده وقلته في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذي ينفي به مرض
الحسد عن القلب

بيان ذم الغضب

قال الله تعالى إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم
الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله الآية ذم الكفار بما تظاهروا
من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما أنعم عليهم به من السكينة
وروى أبو هريرة أن رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تغضب ثم أعاد
عليه قال لا تغضب وقال ابن عمر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولا وأقلل لعلي أعقله

فقال لا تغضب فاعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع الى لا تغضب وعن عبد الله بن عمرو انه
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب وقال ابن مسعود
قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال ليس
ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم
ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن عمر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمان بن داود يا بني اياك
وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف فواد الرجل الحليم وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا
وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه الغضب وقال ابو الدردا قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني
الجنة قال لا تغضب وقال يحيى لعيسى عليهما الصلاة والسلام لا تغضب فقال لا استطيع الا ان اغضب
انما انا بشر قال لا تقتني مالا قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وسلم الغضب يفسد
الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال صلى الله عليه وسلم ما غضب احد الا اشفى على جهنم
وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اي شي اشد قال غضب الله قال فما يبعدني من غضب
الله قال لا تغضب **الآثار** قال الحسن يا ابن ادم كلما غضبت وثبت يوشك ان تثب وثبة
فتقع في النار وعن ذي القرنين انه لقي ملكا من الملائكة فقال علمني علما ازداد به ايمانا ويقينا
قال لا تغضب فان الشيطان اقدر ما يكون على ابن ادم حين يغضب فرد الغضب بالكظم
وسكنه بالتودة واياك والعجلة فانك اذا عجلت اخطات حظك وكن
سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه ان راهبا كان
في صومعته فاراد الشيطان ان يضله فلم يستطع فجاه حتى ناداه فقال له افتح فلم يجبه
فقال افتح فاني ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه فقال اني انا المسيح فقال الراهب
وان كنت المسيح فما اصنع بك اليس قد امرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة
فلو جيتنا اليوم بغير ذلك لم نقبله منك فقال اني الشيطان وقد اردت ان اضلك
فلم استطع فجيتك لتسالني عما شيت فاخبرك قال ما اريد ان اسالك عن شي فولى مدبرا فقال
له الراهب الا تسمع قال بلى قال فاخبرني اي اخلاق بني ادم اعون لك عليهم قال
الحدة ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما تقلب الصبيان الاكرة وقال خيثمة الشيطان
يقول وكيف يغلبني ابن ادم واذا رضي جيت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون
في راسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الانصار راس الحمق
الحدة وقايده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل
شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه وقال ابليس ما اعجزني بنو ادم
فلن يعجزوني في ثلاث اذا سكر احدهم اخذنا بخزامته فقدناه حيث شينا وعمل لنا

صح

اي صاح

الحكما

ما احببنا

ما احسبنا واذا غضب قال ما لا يعلم ويحمل على ما يندم ويخليه على في بيته ويمليه لما لا يقدر عليه
وقيل لحكيم ما املك فلانا لنفسه قال اذا لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه
الغضب وقال بعضهم اياك والغضب فانه يصيرك الى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب
فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال عبد الله بن مسعود انظروا الى حلم الرجل
عند غضبه وامانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بامانته اذا لم يطمع
وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله ان لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه
فاذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز خمسة عشر سوطا وقال
علي بن زيد اغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز فاطرق عمر طويلا ثم قال اردت ان يستفزني
الشيطان بعز السلطان فانال منك اليوم ما تناله مني غدا وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت
العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحي في التنانير المسجورة فاقل الناس غضبا اعقلهم
فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للاخرة كان حلما وعلما وقد قيل الغضب عدو العقل
والغضب غول العقل وكان عمر رضي الله عنه اذا خطب قال في خطبته افلح منكم من حفظ من الهوى
والطمع والغضب وقال بعضهم من اطاع غضبه وشهوته قاداه الى النار وقال الحسن من علامات
المسلم قوة في دين وحزم في لين وايمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق واعطاء في حق
وقصد في غنى وتجمل في فاقة واحسان في قدرة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية
ولا تغلبه شهوته ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته ينصر المظلوم ويرحم
الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في
عنا والناس منه في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك اجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك
الغضب وقال نبي من الانبياء لمن معه من تكفل لي ان لا يغضب ويكون معي في درجتي ويكون من
بعدي خليفتي فقال شاب من القوم انا ثم اعاد عليه فقال الشاب انا اوفي به فلما مات كان
في منزلته وهو ذو الكفل سمي به لانه تكفل بالغضب ثم لا يغضب ووفى به وقال وهب بن
منبه للكفر اربعة اركان الغضب والشهوة والخرق والطمع

بيان حقيقة الغضب

اعلم ان
الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان باسباب في داخل بدنه واسباب خارجة
منه انعم الله عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك الى اجل معلوم سماه في كتابه اما السبب الداخل
فهو انه ركبه من الرطوبة والحرارة وجعل بين الرطوبة والحرارة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة
تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تنتشر اجزاؤها بخارا متصاعدا منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد
من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من اجزائها لفسد الحيوان فخلق الله تعالى الغذاء الموافق لبدن الحيوان
وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم
ليكون ذلك حافظا له من الهلاك فهذا السبب الداخل واما الاسباب الخارجة التي يتعرض
لها الانسان كالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية
تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق الغضب من النار وغرزه في الانسان وعجنه بطينته فمهما قصد

لفسد الحيوان

عن غرض من اغراضه ومقصود من مقاصده اشتعل نار الغضب وثار ثورانا يغلي به دم القلب
وينتشر به في العروق ويرتفع الى اعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي
في القدر فلذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكي لون ما وراءها
من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه
واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه
انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وان كان على نظير
يشك فيه تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب
محلها القلب ومعناها غليان دم القلب لطلب الانتقام وانما تتوجه هذه القوة عند ثورانها
الى دفع المؤذيات قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام هو قوت هذه القوة
على درجات ثلاث في اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال اما التفريط فبفقد هذه القوة
او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له ولذلك قال الشافعي رحمه الله من استغضب
فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الحمية والغضب فهو ناقص جدا وقد وصف الله تعالى
الصحابة بالشدة والحمية فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وانما الغلظة والشدة من اثار قوة الحمية وهو الغضب
واما الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة حتى تخرج من سياسة العقل والدين وطاعتهما ولا
يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته امور
غريزية وامور اعتيادية فرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كان صورته
في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لان الغضب من النار كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال رسول الله صلى الله وبرده المزاج ويكسر سورته وانما برودة
المزاج هي التي تطفيه وتكسر سورته **واما الاسباب الاعتيادية** فهو ان يخالط قوما يتبجحون
بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم انا الذي لا اصبر
على المحال ولا احتمل من احد ومعناه لا عقل لي ولا حلم ثم يذكره في معرض الفخر بجهله فمن
سمعه رسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما
اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها اعمى صاحبه واصمه عن كل موعظة فاذا وعظ
لم يسمع بل زاده غضبا وان استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر على ذلك اذ ينطفي
نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند
شدة الغضب من غليان دم القلب دخان الى الدماغ مظلم يستولي على معادن الفكر
وربما يتعدى الى معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه وربما تسود عليه
الدنيا باسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطرم فيه نار فاسود جوه وحمي
مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانطفأ اذ انمحى نوره
فلا يثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا يرى فيه صورة ولا يقدر على اطفائه
لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي ان يصبر الى ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق

فكذلك

فكذلك يشتعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفنى الرطوبة التي بها حياة
القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف فيتشقق وينهد عاليه على سافله
وذلك لابطال النار على حوائطها من القوة الممسكة الجامعة لاجزائها فهكذا حال القلب مع
الغضب وبالحقيقة فالسفينة في ملتطم الامواج عند اضطراب الارياح في لجة البحر
احسن حالا وارجى سلامة من النفس المغلوبة غيظا اذ في السفينة من يحتال لتمسكها
ويدبرها وينظر لها ويسوسها واما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته
اذ اعماه الغضب واصمه ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة
في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر
الزبد على الاشداق وينقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى الغضبان في حال غضبه
قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم من قبح
ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها
الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن وكلا فنفس المثمر بالثمرة
فهذا اثره في الجسد واما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبائح الكلام
الذي يستحيي منه ذوو العقول ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط
النظم واضطراب اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل
والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه او فاته وعجز عن التشفي
رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب بيده على الارض
ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير وربما سقط سريعا لا يطيق
العدو والنهوض بسبب شدة الغيظ والغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات
والحيوانات فيضرب القصعة على الارض وقد يكسر المائدة اذا غضب عليها ويتعاطى
افعال المجانين فيشتم البهيمة والحمار والجماد ويقول الى متى منك يا كيت وكيت
كأنه يخاطب عاقلا حتى ربما رفسته دابة فيرفس الدابة ويقابلها به واما اثره
في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساءة
والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من
القبائح فهذا ثمرة الغضب المفرط واما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة
مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والام واحتمال الذل من الاخساء وصغر
النفس والقماءة وهو ايضا مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم

الاستبداد والحرج

خلقت

وهو محمود قال صلى الله عليه وسلم ان سعد الغيور وانا اغير من سعد والله اغير مني وانما
حملت الغيرة لحفظ الانساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الانساب ولذلك
قيل كل امة وضعت الغيرة في رجالها ووضعت الصيانة في نسائها ومن ضعف الغضب
الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال عليه الصلاة والسلام خير امتي
احداؤها يعني في الدين قال ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله بل من فقد الغضب عجز
عن رياضة نفسه اذ لا تتم الرياضة الا بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب
على نفسه عند الميل الى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب مذموم وانما المحمود
غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفي حيث
يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده وهو
الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال خير الامور اوساطها فمن مال
غضبه الى الفتور حتى احس من نفسه ضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل
والضيم في غير محله فينبغي ان يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه الى الافراط
حتى جره الى التهور واقتحام الفواحش فينبغي ان يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب
ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو ادق من الشعر
واحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا
بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز عن
الاتيان بالخير كله ينبغي ان ياتي بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض
وبعض الخير ارفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته

بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا

اعلم انه ظن ظانون انه يتصور محو
الغضب بالكلية وزعموا ان الرياضة اليه تتوجه واياه تقصد وظن
اخرون انه اصلا لا يقبل العلاج وهذا راي من ظن ان الخلق كالخلق وكلاهما
لا يقبل التغير وكلا الرايين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو انه ما بقي الانسان
يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو عن الغيظ والغضب وما دام يوافقه شيء ويخالفه
اخر فلا بد ان يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما اخذ
منه محبوبه غضب لا محالة واذا قصد بمكروه غضب لا محالة الا ان ما يحبه الانسان
ينقسم الى ثلاثة اقسام القسم الاول ما هو ضرورة في حق الكافة وهو القوت
والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وان

يغضب

ويغضب على من أخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك من أخرج من داره التي هو
مسكنه أو أراق ماءه الذي هو لعطشه فهذه ضرورات لا تخلو الإنسان من كراهة
زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها القسم الثاني ما ليس ضروريا لأحد
من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فإن هذه الأمور صارت محبوبة
بالعادة والجهل بمقاصد الأمور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما
فيكنزان ويغضب على من يسرقهما وإن كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس
مما يتصور أن ينفك الإنسان من أصل الغيظ عليه فإذا كانت له دار زائدة على
مسكنه فظلمها ظالم فيجوز أن لا يغضب إذ يجوز أن يكون بصيرا بأمر الدين فيزهد
في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها فإنه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها
لغضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه
والصيت والتصدر في المجالس والمباهات بالعلم فمن غلب هذا الحب عليه
فلا محالة يغضب إذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل ومن لا يحب ذلك فلا يبالي
ولو جلس في صف النعال فلا يغضب إذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديئة
هي التي أكثرت محاب الإنسان ومكارهه فأكثرت غضبه وكلما كانت الإرادات
والشهوات أكثر كان صاحبها أحط رتبة وأنقص لأن الحاجات صفة نقص
فمهما كثرت كثر النقص والجاهل أبدا جهده أن يزيد في حاجاته وفي شهواته
وهو لا يدري أنه مستكثر من أسباب الغم والحزن حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات
الرديئة وبمخالطة قرناء السوء إلى أن يغضب لو قيل له إنك لا تحسن اللعب بالطيور واللعب
بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من
الرذائل فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لأن حبه ليس بضروري القسم
الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب مثلا في حق العالم
فإنه مضطر إليه فيحبه فيغضب على من يحرقه أو يغرقه وكذلك أدوات الصناعات في
حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل إلى القوت إلا بها فإن ما هو وسيلة إلى الضروري
والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالأشخاص وإنما الحب الضروري
ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من أصبح آمنا في سربه معافا في بدنه
وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقائق الأمور
وسلم له هذه الثلاث يتصور أن لا يغضب في غيرها فهذه ثلاثة أقسام فلنذكر
غاية الرياضة في كل واحد منها أما القسم الأول فليست الرياضة فيه لينعدم

غيظ القلب ولكن لكي يقدر معه ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد يستحبه
الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى
يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ من القلب فذلك خلاف مقتضى
الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن
وينتهي ضعفه الى ان لا يظهر اثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث
ايضا لكن ما لا بد منه وربما حتى يستخف فلا يمنعه الغيظ استغناء عنه
فالرياضة فيه تنفع في الحمل به وتضعيف الهيجان في الباطن حتى لا يشتد التالم بالصبر
عليه واما القسم الثاني فيمكن التوصل اليه بالرياضة الى الانفكاك عن الغضب عليه
اذ يمكن اخراج حبه من القلب وذلك بان يعلم الانسان ان وطنه القبر ومستقره
الاخرة وان الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه
وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبها عن القلب ولو كان للانسان كلب
لا يحبه لم يغضب اذا ضربه غيره فالغضب تبع الحب والرياضة في هذا قد تنتهي الى قمع
اصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهي الى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه
وهو اهون فان قلت الضروري في القسم الاول التالم بفوات المحتاج اليه دون
الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت لا يغضب على احد وان كان يحصل
فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتالم بالفصد والحجامة
ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها بيد الله
تعالى فلا يغضب على احد من خلقه اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في
يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح
شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الموت والذبح من الله فيندفع
الغضب بغلبة التوحيد ويندفع ايضا بحسن الظن بالله وهو ان يرى ان الكل من الله
وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله
فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد لانه يرى ان الخيرة فيه فنقول هذا على هذا الوجه
غير محال ولكن غلبة التوحيد الى هذا الحد انما تكون كالبرق الخاطف يغلب
في احوال مختطفة ولا يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا
لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان يغضب
حتى تحمر وجنتاه ثم قال اللهم انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر فايما مسلم سببته

او

او لعنته او ضربته فاجعلها منه صلاة عليه وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله اكتب ما قلت في الغضب والرضى
فقال اكتبه فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه الا الحق واشار الى لسانه فلم يقل اني لا اغضب
ولكن قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق اي لا اعمل بموجب الغضب وغضبت عايشة
رضي الله عنها مرة فقال صلى الله عليه وسلم ما لك جاءك شيطانك فقالت وما لك شيطان
فقال بلى ولكني دعوت الله فاعانني عليه فاسلم فلا يامرني الا بالخير فلم يقل لا شيطان لي
واراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على الشر وقال علي رضي الله عنه كان صلى الله
عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شي حتى ينتصر له
فكان يغضب على الحق وان كان غضبه لله فهو التفات الى الوسايط على الجملة بل كل من يغضب
على من ياخذ قوته الضرورية وحاجته التي لابد له منها في دينه فانما غضبه لله فلا يمكن الانفكاك عنه
نعم قد يفقد اصل الغضب فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا بضروري اهم منه فلا يكون في
القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما
عداه وهذا كما ان سلمان لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر مما تقول وان ثقلت موازيني
لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الاخرة فلم يتاثر قلبه بالشتم وكذلك شتم الربيع بن
خثيم فقال يا هذا قد سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرني ما تقول وان
لم اقطعها فانا اشر مما تقول وشتم رجل ابا بكر رضي الله عنه فقال ما ستر الله عنك اكثر فكانه
كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن ان يتقي الله حق تقاته ولم يعرفه حق معرفته
فلم يغضبه نسبة غيره اياه الى نقصان اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان
وذلك لجلالة قدره وقالت امراة لمالك ابن دينار يا مرائي فقال ما عرفني غيرك فكانه
كان مشغولا بان ينفي عن نفسه آفة الرياء وينكر على نفسه ما يلقيه الشيطان اليه فلم يغضب
لما نسب اليه وسب رجل الشعبي فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك
فهذه الاقاويل ظاهرها يدل على انهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا
به واشتغلوا بما كان هو الاغلب على قلوبهم فاذا اشتغال القلب ببعض المهمات
لا يبعد ان يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فاذا يتصور فقد الغيظ اما باشتغال
القلب بمهم او بغلبة نظر التوحيد او بسبب ثالث وهو ان يعلم ان الله يحب منه ان لا يغتاظ
فيطفئ شدة حب الله تعالى غيظه وذلك غير محال في احوال نادرة فقد عرفت بهذا ان طريق
الخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما

ماعونی

سياتي في كتاب حب الدنيا ومن اخرج حب المرايا عن القلب تخلص عن اكثر اسباب الغضب
وما لا يملكه يمحوه فيمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه **بيان
الاسباب المهيجة للغضب** قد عرفت ان علاج كل علة حسم مادتها وازالة اسبابها
فلا بد من معرفة اسبابها وقد قال يحيى لعيسى عليهما الصلاة والسلام اي شي اشد قال
غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال ان تغضب قال فما يبدي الغضب وما ينبته
قال الكبر والفخر والتعزز والحمية والاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزاح والهزل
والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي باجمعها
اخلاق رديه مذمومة شرعا ولا خلاص عن الغضب مع بقا هذه الاسباب فلا بد من ازالة هذه
الاسباب باضدادها فينبغي ان يميت الزهو بالتواضع ويميت العجب بالمعرفة بنفسك كما
سياتي في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بانك من جنس عبدك اذ الناس يجمعهم في الانتساب
اب واحد وانما اختلفوا في الفضل اشتاتا فبنو ادم جنس واحد وانما الفخر بالفضايل والعجب
الكبر الرذايل وهي راسها واصلها فاذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وانت من
جنس عبدك من حيث البنية والنسب والاعضا الظاهرة والباطنة واما المزح فتزيله الاشتغال
بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفته واما الهزل فتزيله بالجد في
طلب الفضايل من الاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك سعادة الاخرة واما
الهزو فتزيله بالتكرم عن ايذا الناس وبصيانة النفس عن ان يستهزا بك واما التعيير فتزيله
بالتحذر عن قول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب واما شدة الحرص على مزايا العيش
فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغنا وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه
الاخلاق وصفة من هذه الصفات تفتقر في علاجها الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها
يرجع الى معرفة غوايلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة
اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مالوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس
فقد زكت وطهرت عن هذه الرذايل وتخلصت ايضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن اشد
البواعث للغضب عند اكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة
وتلقيبه بالالقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى تميل النفس اليه وتستحسنه وقد يتاكد ذلك
بحكاية شدة الغضب عن الاكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مايلة الى التشبه
بالاكابر فيهيج الغضب الى القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل محض بل هو
مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وايه ضعف النفس ان المريض اسرع

وابين ذلك ان نقصان النفس   غضب

غضبا من الصحيح والمراة اسرع غضبا من الرجل والشيخ الضعيف اسرع غضبا من الكهل
وذا الخلق السيء والرذايل القبيحة اسرع غضبا من صاحب الفضايل فالرذل يغضب
لشهوته اذا فاتته اللقمة ولبخله اذا فاتته الحبة حتى يغضب على اهله وولده

وبخله

واصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد
بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي ان يعالج هذا الجاهل
بان تتلى عليه حكايات اهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان
ذلك منقول عن الانبيا والعلما والحكما واكابر الملوك الفضلا وضد ذلك منقول عن الاتراك
والاكراد والجهلة والاغبيا الذين لا عقول لهم ولا فضل بيان علاج الغضب بعد
هيجانه اعلم ان ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لاسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى
سبب هيجه فعنده يجب التثبيت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم
وانما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل اما العلم فستة امور الاول
ان يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال
ويرغب في ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفي
عنه غيظه قال مالك بن اوس بن الحدثان غضب عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رجل
وامر بضربه فقلت يا امير المومنين خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن
الجاهلين فكان عمر رضي الله عنه يقول خذ العفو وامر بالمعروف وكان يتامل
الاية وكان وقافا على كتاب الله تعالى مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى
الرجل وامر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرا قوله تعالى والكاظمين الغيظ
والعافين عن الناس ثم قال لغلامه خل عنه الثاني ان يخوف نفسه بعقاب الله
وهو ان يقول قدرة الله علي اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو امضيت
غضبي عليه لم امن ان يمضي الله تعالى غضبه علي يوم القيامة احوج ما اكون الى
العفو وقد قال الله تعالى في بعض الكتب يا ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك
حين اغضب ولا امحقك فيمن امحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا
الى حاجة فابطا عليه فلما جا قال لولا القصاص لاوجعتك اي القصاص في
القيامة وقيل ما كان في بني اسرايل ملك الا ومعه حكيم اذا غضب اعطاه
صحيفة وفيها ارحم المسكين واخش الموت واذكر الاخرة فكان يقراها
حتى يسكن غضبه الثالث ان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر

العدو وشماتته والسعي في هدم جميع أغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن
المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف في الآخرة وهذا
يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه لأنه
متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض إلا أن يكون محذوره أن
يتشوش عليه في الدنيا فراغه للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون حينئذ
مثابا على ذلك الرابع أن يتفكر في قبح صورته عند غضبه بأن يتذكر صورة
غيره في حال غضبه ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب
الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب للأنبياء
والحكماء والعلماء ويخير نفسه بأن يتشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس
وبين أن يتشبه بالأنبياء والعلماء في عادتهم لتميل إلى حب الاقتداء بهم إن كان
قد بقي معه مسكة من عقل الخامس أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام
ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد من أن يكون له سبب مثل قول الشيطان له
إن هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا في أعين
الناس فليقل في نفسه ما أعجبك يا نفس تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين
من خزي يوم القيامة والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين من أن
تصغري في أعين الناس ولا تحذرين من الصغر عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين
فمهما كظم الغيظ فينبغي أن يكظمه لله تعالى وذلك يعظمه عند الله تعالى فما له وللناس
وذل من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا
نودي يوم القيامة ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا فهذا وأمثاله من معارف
الإيمان ينبغي أن يكرره على قلبه السادس أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشيء
على وفق مراد الله تعالى لا على وفق مراده فكيف يقول مرادي أولى من مراده
فيوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه وأما العمل فأن تقول بلسانك
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال
عند الغيظ وكان صلى الله عليه وسلم إذا غضبت عائشة أخذ بأنفها وقال
يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني
من مضلات الفتن فينبغي أن تقول ذلك فإن لم يزل بذلك فاجلس إن كنت
قائما واضطجع إن كنت جالسا واقرب من الأرض التي منها خلقت لتعرف بذلك

الغضب صح

ذل نفسك

ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب
الحرارة الحركة وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الغضب جمرة توقد في القلب الم تر الى
انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان
كان جالسا فلينم فان لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد او يغتسل فان النار لا يطفئها
الا الماء فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا غضب احدكم فليتوضأ بالماء فانما الغضب من
النار وفي رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما
تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ وقال ابن عباس قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا غضبت فاسكت وقال ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا غضب وهو قائم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه وقال
ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم الا ان الغضب جمرة في قلب ابن ادم الا ترون
الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خده بالارض وكان
هذا اشارة الى السجود وتمكين اعز الاعضاء من اذل المواضع وهو التراب لتستشعر
به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب روي ان عمر رضي الله
عنه غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب
الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي ابي اوليت قلت نعم قال
فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الارض تحتك ثم عظم خالقهما وروي ان
اباذر قال لرجل يا ابن الحمراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا ابا ذر بلغني انك اليوم عيرت رجلا بامه فقال بلى فانطلق ابو ذر ليرضي صاحبه
فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر
ارفع راسك فانظر ثم اعلم انك لست بفضل من احمر فيها ولا اسود الا ان تفضله
بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد وان كنت قاعدا فاتك وان كنت
متكيا فاضطجع وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه
فكتب ثلاث صحائف واعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت فاعطني
هذه وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فاعطني هذه وقال للثالث اذا ذهب غضبي
فاعطني هذه فاشتد غضبه يوما فاعطي الصحيفة الاولى فاذا فيها ما انت وهذا
الغضب انك لست باله وانما انت بشر يوشك ان ياكل بعضك بعضا فسكن بعض
غضبه فاعطي الثانية فاذا فيها ارحم من في الارض يرحمك من في السماء فاعطي الثالثة

فاذا فيها خذ الناس بحق الله فانه لا يصلحهم الا ذاك انه لا تعطل الحدود وغضب
المهدي على رجل فقال الرجل تثبت لا تغضبن لله باشد من غضبه لنفسه فقال خلوا
سبيله **فضيلة كظم الغيظ** قال الله تعالى والكاظمين الغيظ وذكر ذلك في معرض
المدح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن
اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه وسلم
اشدكم من ملك نفسه او قال من غلب نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا بعد القدرة
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كظم غيظه ولو شاء ان يمضيه لامضاه ملأ
الله قلبه يوم القيامة رضى وفي رواية ملأ الله قلبه امنا وايمانا وقال ابن عمر قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها
ابتغاء وجه الله عز وجل وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لجهنم
بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما من جرعة احب
الى الله عز وجل من جرعة غيظ يكظمها عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله جوفه ايمانا
وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق ويخيره
في اي الحور شاء **الآثار** قال عمر رضي الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل
ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون وقال لقمان لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك
بالمسألة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال ايوب حلم
ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع سفيان الثوري وابو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض
فتذاكروا الزهد فاجمعوا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع
وقال رجل لعمر رضي الله عنه والله ما تقضي بالعدل ولا تعطي بالجزل فغضب عمر حتى عرف في وجهه
فقال له رجل يا امير المؤمنين الم تسمع قول الله عز وجل خذ العفو وامر بالمعروف واعرض
عن الجاهلين فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكأنما كانت نارا فاطفئت وقال
محمد بن كعب القرظي ثلاث من كن فيه استكمل الايمان بالله عز وجل اذا رضي لم يدخله
رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له
وجاء رجل الى سلمان فقال يا ابا عبد الله اوصني قال لا تغضب قال لا اقدر قال
فان غضبت فامسك لسانك ويدك **فضيلة الحلم** اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ
لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم اي تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج
غيظه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا
فلا يهيج

فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة على كمال
العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه التحلم
وكظم الغيظ تكلفا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم
ومن يتخير الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه اشار بهذا الى ان اكتساب الحلم طريقه التحلم
اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه التعلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون
منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم حلمكم اشار بهذا الى ان التجبر والتكبر هو الذي
يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم واكرمني بالتقوى وجملني بالعافية وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يا
رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم خمس من سنن المرسلين الحيا والحلم والحجامة والسواك
والتعطر وقال علي قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم
درجة الصايم القايم وانه ليكتب جبارا عنيدا وما يملك الا اهل بيته وقال ابو هريرة
ان رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة اصلهم ويقطعون واحسن اليهم ويسيئون
الي ويجهلون علي قال لئن كان كما تقول فكانما تسفهم المل ولا يزال معك
ظهير من الله تعالى ما دمت على ذلك المل يعني به الرماد الحار وقال رجل
من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضي شيئا
فهو عليه صدقة فاوحى الله عز وجل الى النبي صلى الله عليه وسلم اني قد غفرت له وقال صلى الله
عليه وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم قالوا وما ابو ضمضم قال رجل ممن كان قبلكم
اذا اصبح يقول اللهم اني تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني وقيل في قوله تعالى
ربانيين اي علما حلما وعن الحسن في قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
قال حلما ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطا بن ابي رباح يمشون على الارض هونا اي
حلما وقال ابن حبيب في قوله وكهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد واذا مروا باللغو
مروا كراما اي اذا اوذوا صفحوا وروي ان ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصبح ابن مسعود وامسى كريما ثم تلا ابن مسعود ...
قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركني ولا ادركه

العلم

زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون من الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم
السنة العرب وقال صلى الله عليه وسلم ليلني منكم ذوو الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم
الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق وروي انه
وفد الى النبي صلى الله عليه وسلم الاشج فاناخ راحلته ثم عقلها ثم طرح عنه ثوبين كانا
عليه واخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما يصنع ثم اقبل يمشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم يا اشج ان
فيك خلقين يحبهما الله ورسوله قال وما هما بابي انت وامي قال الحلم والاناة فقال خلقان تخلقتهما
او خلقان جبلت عليهما بل خلقان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما
الله ورسوله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحليم الحيي الغني المتعفف ويبغض
الفاحش البذي السائل الملحف وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من
لم يكن فيه واحدة منهن فلا تعتدوا بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف
به السفيه وخلق يعيش به في الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الخلائق
يوم القيامة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة
فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا
اسيء علينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين الاثار قال
عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وقال علي رضي الله عنه
ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك وان
لا تباهي الناس بعبادة ربك فاذا احسنت حمدت الله تعالى واذا اسات
استغفرت الله وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم وقال اكثم
ابن صيفي دعامة العقل الحلم وجماع الامر الصبر وقال ابو الدرداء ادركت
الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ان نقدتهم نقدوك وان
تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك وقال علي
رضي الله عنه ان اول ما عوض الحليم من حلمه ان الناس كلهم اعوانه على الجاهل وقال
معاوية لا يبلغ العبد ان يكون مع المتنكس حتى يغلب حلمه جهله وقال لا يبلغ
الرجل مبلغ الراي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك الا بقوة
العلم وقال معاوية لعمرو بن الاهتم اي الرجال اشجع قال من رد جهله بحلمه قال
اي الرجال اسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه وقال انس بن مالك في قوله تعالى
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم الى قوله عظيم هو الرجل يشتمه اخوه فيقول
ان كنت كاذبا يغفر الله لك وان كنت صادقا يغفر الله لي وقال بعضهم قال شتمت فلانا

من اهل

من اهل البصرة فحلم عني فاستعبدني بها زمانا وقال معاوية لعرابة بن اوس بم
سدت قومك يا عرابة قال يا امير المومنين كنت احلم عن جاهلهم واعطي سائلهم
واسعى في حوائجهم فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو افضل مني ومن
قصر عني فانا خير منه وسب رجل ابن عباس فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل
حاجة فنقضيها فنكس الرجل واستحيا وقال رجل لعمر بن عبد العزيز اشهد
انك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك وعن علي بن الحسين ابن علي رضي الله
عنه انه سبه رجل فرمى اليه خميصة كانت عليه وامر له بمائة درهم فقال بعضهم
جمع له ذلك خمس خصال محمودة الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعده
من الله تعالى وحمله على الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى جميع
ذلك بشي من الدنيا يسير وقال رجل لجعفر بن محمد انه قد وقع بيني وبين قوم
منازعة في امر واني اريد ان اتركه فاخشى ان يقال لي ان تركك له ذل فقال
جعفر انما الذليل الظالم وقال الخليل بن احمد كان يقال من اسا فاحسن اليه
جعل له حاجزا من قلبه يردعه عن مثل اساته وقال الاحنف بن قيس لست
بحليم ولكني اتحالم وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن
يجهل يغلب ومن يعجل يخطي ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المرا يشتم
ومن لا يكره الشتم ياثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن
يحذر الله يامن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسال الله يفتقر ومن يامن مكر الله يخذل
ومن يستعن بالله يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغني انك ذكرتني بسو قال
انت اذا اكرم علي من نفسي اني اذا فعلت اهديت اليك حسناتي وقال بعض
العلما الحلم ارفع من العقل لان الله تعالى يسمى به وقال رجل لبعض الحكما والله
لاسبنك سبا يدخل معك في قبرك قال معك يدخل لا معي ومر المسيح بن مريم
عليه الصلاة والسلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل
له انهم يقولون لك شرا وانت تقول لهم خيرا فقال كل واحد منا ينفق مما
عنده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب
ولا الشجاع الا عند الحرب ولا الاخ الا عند الحاجة اليه ودخل على بعض الحكما
صديق له فقدم اليه طعاما فخرجت امراة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرفعت
المائدة واقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال له تذكر
يوم كنا في منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة وافسدت ما عليها

ح
مالك

[illegible]

فلم يغضب احد منا فانه قال في حسب ان هن مثل تلك الاجابة فسري عن الرجل
وانصرف وقال صدق الحكيم العلم شفاء من كل الم وضرب رجل قدم حكيم فاوجعه
فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال اقمته مقام حجر تعثرت به وذبحت الغضب وقال
محمود الوراق، سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب، وان كثرت منه علي الجرائم،
وما الناس الا واحد من ثلاثة، شريف ومشروف ومثل مقاوم، فاما الذي فوقي
فاعرف قدره، واتبع فيه الحق والحق لازم، واما الذي مثلي فان زل او هفا،
تفضلت ان الفضل بالفخر حاكم

باب القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام

اعلم ان كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا يجوز
مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا مقابلة السب بالسب
وكذلك سائر المعاصي وانما القصاص والغرامة على ما ورد به الشرع قد فصلناه
في الفقه واما السب فلا يقابل بمثله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امرؤ
عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد
المظلوم وقال المستبان شيطانان يتهاتران وشتم رجل ابا بكر وهو ساكت
فلما ابتدا ينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر انك كنت ساكتا
لم تشتمني فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب
الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس في مجلس فيه الشيطان وقال قوم يجوز
المقابلة بما لا كذب فيه وانما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التعيير
بمثله نهي تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصي به والذي يرخص فيه ان يقول
من انت وهل انت الا من بني فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل انت الا من
بني هذيل فقال ابن مسعود وهل انت الا من بني امية ومثل قوله يا احمق
قال مطرف كل الناس احمق فيما بينه وبين ربه عز وجل الا ان بعض الناس
اقل حمقا من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقا
في ذات الله تعالى وكذلك قوله يا جاهل اذ ما من احد الا وفيه جهل فقد
اذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيئ الخلق يا صفيق الوجه يا ثلابا للاعراض
وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياء ما تكلمت وما احقرك في عيني
بما فعلت اخزاك الله وانتقم منك واما النميمة والغيبة وسب الوالدين فحرام
بالاتفاق لما روي انه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا

عند سعد

عند سعد فقال سعد مه ان ما بيننا لم يبلغ ديننا يعني ان يأثم بعضنا في بعض
فلم يسمع السوء فكيف يجوز ان يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة
الى الظلم والتحيف والسب ما روت عايشة رضي الله عنها ان ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم ... فقال يا بنيه أتحبين ما احب قالت نعم قال فاحبي هذه فرجعت
اليهن فاخبرتهن بذلك فقلن ما اغنيت عنا شيئا فارسلن زينب بنت جحش قالت
وهي كانت تساميني في الحب فجاءت فقالت بنت ابي بكر وبنت ابي بكر فما زالت
تذكرني وانا ساكتة انتظر ان يأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لي فقلت كلا انها ابنة
ابي بكر يعني انك لا تقاومينها في الكلام وقولها حتى سبتها ليس المراد به الفحش
بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلى الله عليه
وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم فاثبت
للمظلوم انتصارا الى ان يعتدي فهذا القدر هو الذي اباحه هؤلاء وهو رخصة في
الايذاء جزاء على ايذائه السابق ولا يتعدى الرخصة في هذا القدر ولكن الافضل
تركه فانه يجر الى ما وراءه ولا يمكن الاقتصار على مقدار الحق فيه والسكوت عن اصل
الجواب لعله ايسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن
من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فوران الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم
من يكف في الابتدا ولكن يحقد على الدوام والناس في الغضب اربعة فبعضهم كالحلفا
سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطي الوقود سريع الخمود وهو
الاحمد ما لم ينته الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطي الخمود
وهذا هو شرهم وفي الخبر المؤمن سريع الغضب سريع الرضى فهذه بتلك وقال
الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان
وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بني ادم خلقوا على طبقات
شتى فمنهم بطي الغضب سريع الفي ومنهم سريع الغضب سريع الفي فتلك بتلك
ومنهم سريع الغضب بطي الفي الا وان خيرهم البطي الغضب السريع الفي وشرهم
السريع الغضب البطي الفي ولما كان الغضب في الحال يهيج ويؤثر في كل انسان
وجب على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال غضبه عليه لانه ربما يتعدى الواجب
ولانه ربما يكون متغيظا عليه فيكون متشفيا لغيظه ومريحا نفسه من الم الغيظ
فيكون صاحب حظ فيه وينبغي ان يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه والى

عمر رضي الله عنه سكرانا فاراد ان ياخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع عمر فقيل له يا امير المومنين لما شتمك تركته قال لانه اغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم احب ان اضرب مسلما حمية لنفسي وقال عمر بن عبد العزيز لرجل اغضبه لولا انك اغضبتني لعاقبتك

القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق

اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وان يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم المومن ليس بحقود فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية امور الاول الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان اصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين وسياتي ذمه ان شا الله تعالى الثاني ان تزيد على اضمار الحسد في الباطن فتشمت بما يصيبه من البلا الثالث ان تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وان طلبك واقبل عليك الرابع وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا له الخامس ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشا سر وهتك ستر وغيره السادس ان تحاكيه استهزا به وسخرية منه السابع ايذاوه بالضرب وما يولم بدنه الثامن ان تمنعه حقه من قضا دين او صلة رحم او رد مظلمة وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان تحترز من الافات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ما تعصي الله تعالى به ولكن تستثقله بالباطن ولا تنتهي قلبك عن بغضه حتى تمتنع كما كنت تتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة له او تترك الدعا له او الثنا عليه او التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب ولما حلف ابو بكر ان لا ينفق على مسطح وكان قريبه لما تكلم في واقعة الافك نزل قوله تعالى ولا ياتل اولو الفضل منكم الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم فقال ابو بكر نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه فالاولى ان يبقى على ما كان عليه فان امكنه ان يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضايل اعمال المقربين فللمحقود ثلاثة احوال عند القدرة

واحتقن

مبدا العزة احدها ان يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زياده ونقصان فا
وهو العدل والثاني ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل والثالث
ان يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الاراذل والثاني هو اختيار
الصديقين والاول هو درجات الصالحين ولنذكر الآن فضيلة العفو والاحسان

فضيلة العفو والاحسان اعلم ان الغفران يستحق حقا فيسقط ويبرئ عنه
من قصاص او غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك افردناه قال الله تعالى
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال وان تعفوا اقرب للتقوى
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث والذي نفسي بيده ان كنت حالفا لحلفت
عليهن ما نقص مال من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله
الا زاده الله بها عزا يوم القيامة يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة
فتصدقوا يرحمكم الله ولا فتح رجل على نفسه باب مسالة الا فتح الله عليه باب
فقر وقال صلى الله عليه وسلم التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم
الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا
كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عائشة ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله فاذا انتهك من محارم الله
شيء كان اشدهم في ذلك غضبا وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم
يكن اثما وقال عقبة لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فابتدرته فاخذت
بيده او بدرني فاخذ بيدي فقال يا عقبة الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا
والاخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسى يا رب اي عبادك اعز عليك قال الذي
اذا قدر عفى وكذلك سئل ابو الدرداء عن اعز الناس قال الذي يعفو اذا قدر
فاعفوا يعزكم الله وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة فامره النبي
صلى الله عليه وسلم ان يجلس واراد ان ياخذ له مظلمته فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان المظلومين هم المفلحون يوم القيامة فابى ان ياخذها حين
سمع الحديث وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد تحت العرش ثلاثة اصوات

يا معشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى
الكعبة فاخذ بعضادتي الباب فقال ما تقولون وما تظنون قالوا نقول
اخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم اقول كما قال
اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال فخرجوا
فكانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام وعن سهيل بن عمرو قال لما قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على بابي الكعبة والناس حوله فقال
لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده
ثم قال يا معشر قريش ما تقولون ما تظنون قال قلت يا رسول الله نقول خيرا
ونظن خيرا اخ كريم وابن عم رحيم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اقول لكم كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وعن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من اجره على
الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذي اجره على الله قال العافون عن الناس فيقوم
كذا وكذا الفا فيدخلونها بغير حساب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا ينبغي لوالي الامر ان يؤتى بحد الا اقامه والله عفو يحب العفو
ثم تلى وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم الاية وقال جابر قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من جاء بهن مع ايمان دخل الجنة من
اي ابواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من ادى دينا خفيا
وقرا في دبر كل صلاة قل هو الله احد عشر مرات وعفا عن قاتله قال ابو بكر
او احداهن يا رسول الله قال او احداهن **الاثار** قال ابراهيم التيمي ان الرجل
ليظلمني فارحمه وهذا احسان وراء العفو لانه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية
الله عز وجل بالظلم وانه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب وقال
بعضهم اذا اراد الله ان يتحف عبدا قيض له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن
عبد العزيز فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر انك ان تلقى الله
ومظلمتك كما هي خير من ان تلقاه وقد اقتصصتها وقال يزيد بن ميسرة ان
ظللت تدعو على من ظلمك فان الله تعالى يقول ان اخر يدعو عليك بانك ظلمته
فان شئت استجبنا لك واجبنا عليك وان شئت اخرتكما الى يوم القيامة

فيسعكما

صح
من هنا ٢
الى صح

بنسعكما عقوبة وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم الى ظلمه
فانه اسرع اليه من دعائك عليه الا ان يتداركه بعمل وقمن انه لا يفعل وعن ابي عمر
عن ابي بكر انه قال بلغنا ان الله تعالى يامر مناديا يوم القيامة فينادي من كان
له شي عند الله فليقم فيقوم اهل العفو فيكافيهم الله بما كان من عفوهم عن الناس
وعن هشام ابن محمد قال اتي النعمان بن المنذر برجلين احدهما قد اذنب ذنبا
عظيما فعفا عنه والاخر اذنب ذنبا صغيرا فعاقبه وقال تعفو الملوك عن الذنوب
بفضلهم ولقد تعاقب في اليسير وليس ذاك للجهل الا ليعرف حلمها ويخاف
شدة نكالها وعن مبارك بن فضالة قال وفد سوار بن عبد الله في وفد من اهل
البصرة الى ابي جعفر قال فكنت عنده اذ اتي برجل فامر بقتله فقلت
تقتل رجلا من المسلمين وانا حاضر فقلت يا امير المؤمنين الا احدثك حديثا
سمعته من الحسن قال وما هو قلت سمعته يقول اذا كان يوم القيامة جمع
الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد
فيقول من له عند الله تعالى يد فليقم فلا يقوم الا من عفا فقال والله لسمعته قلت
والله لسمعته من الحسن فقال خلينا عنه وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتمال
حتى تمكنكم الفرصة فاذا امكنتكم فعليكم بالصفح والافضال وروي ان راهبا
دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب ارايت ذا القرنين اكان نبيا قال لا ولكنه
اعطي ما اعطي باربع خصال كن فيه كان اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا
حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لغد وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا
قدر انتقم ولكن الحليم من ظلم فحلم ثم قدر فعفا وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة
يعني الحقد والغضب واتي هشام برجل بلغه عنه امر فلما اقيم بين يديه جعل يتكلم
بحجته فقال له هشام وتتكلم ايضا فقال الرجل يا امير المؤمنين قال الله تعالى يوم
تاتي كل نفس تجادل عن نفسها افنجادل الله ولا نتكلم بين يديك كلاما فقال تكلم
ويحك تكلم وروي ان سارقا دخل خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له اقطعه فانه
من اعدائنا فقال استر عليه لعل الله يستر علينا يوم القيامة وجلس ابن مسعود
في السوق يبتاع طعاما فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت
فقال لقد جلست وانها لمعي فجعلوا يدعون على من اخذها ويقولون اللهم اقطع يد السارق
الذي اخذها اللهم افعل به كذا فقال اللهم ان كان حمله على اخذها حاجة فبارك له فيه

وان كانت جنايته جراة على الله فاجعله اخر ذنوبه وقال الفضيل ما رايت ازهد من رجل
من اهل خراسان جلس الي في المسجد الحرام ثم قام يطوف فسرقت دنانير كانت
معه فجعل يبكي فقلت اعلى الدنانير تبكي قال لا ولكن مثلتني واياه بين يدي الله عز وجل
فاشرف عقلي على ادحاض حجته فبكائي رحمة له وقال مالك بن دينار اتينا منزل
الحكم بن ايوب ليلا وهو على البصرة امير وجا الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه
فما كنا مع الحسن الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف وما صنع به اخوته
من بيعهم اياه وطرحهم في الجب فقال باعوا اخاهم واحزنوا اباهم وذكر ما لقي من كيد
النسا ومن الحبس ثم قال ايها الامير ماذا صنع الله به اداله منهم ورفع ذكره واعلى
كلمته وجعله على خزاين الارض فماذا صنع حين اكمل له امره وجمع له اهله قال لا
تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين يعرض للحكم بالعفو عن اصحابه
قال الحكم وانا اقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم اجد الا ثوبي لواريتكم تحته وكتب ابن
المقفع الى صديق له يسله العفو عن بعض اخوانه فلان هارب من زلته الى عفوك لايذ بك
منك واعلم انه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا واتي عبد الملك بن مروان باسارى
ابن الاشعث فقال لرجا بن حيوة ما ترى قال ان الله تعالى قد اعطاك ما تحب من الظفر
فاعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم وروي ان زيادا اخذ رجلا من الخوارج فافلت
منه فاخذ اخا له فقال له ان جئت باخيك والا ضربت عنقك فقال ارايت ان جئتك
بكتاب من امير المومنين تخلي سبيلي قال نعم قال فانا اتيك بكتاب من العزيز الحكيم واقيم
عليك شاهدين ابراهيم وموسى ثم تلا ام لم ينبا بما في صحف موسى وابراهيم الذي
وفى الا تزر وازرة وزر اخرى قال زياد خلوا سبيله هذا رجل قد لقن حجته وقيل
مكتوب في الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان

فضيلة الرفق

اعلم ان
الرفق محمود ويضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق
واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببها
الحرص واستيلاوه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت والرفق ثمرة لا يثمرها الا
حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما
على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه
فقال يا عايشة انه من اعطي حظه من الرفق فقد اعطي حظه من خير الدنيا والاخرة ومن
حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم
اذا احب

اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليعطي على
الرفق ما لا يعطي على الخرق واذا احب الله العبد اعطاه الرفق وما من اهل بيت
يحرمون الرفق الا وقد حرموا محبة الله تعالى وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله رفيق
يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وقال صلى الله عليه وسلم يا عايشة ارفقي
فان الله اذا اراد باهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق وقال صلى الله عليه وسلم ايما وال ولي
ورفق ولان رفق الله تعالى به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم تدرون من يحرم على النار
كل هين لين سهل قريب وقال صلى الله عليه وسلم الرفق يمن والخرق شوم وقال صلى الله
عليه وسلم التاني من الله والعجلة من الشيطان وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير فقال الحمد لله يحمد الله مرتين
او ثلاثا ثم اقبل عليه فقال انت مستوص او هل انت مستوص مرتين او ثلاثا
فقال نعم قال اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان سوى
ذلك فانته وعن عايشة رضي الله عنها انها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا عايشة عليك بالرفق فانه لا يدخل في شي الا زانه ولا ينزع من شي الا شانه

الاثار

بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان جماعة من عماله اشتكوا امامهم فامرهم ان يوافوه
فلما اتوه قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايتها الرعية ان لنا عليكم حقا النصيحة
بالغيب والمعاونة على الخير ايتها الرعاة ان للرعية عليكم حقا فاعلموا انه لا شي
احب الى الله ولا اعز من حلم امام ورفقه وليس شي ابغض الى الله ولا اغم من جهل
امام وخرقه واعلموا انه من ياخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية ممن
هو دونه وقال وهب بن منبه الرفق ثني الحلم وفي الخبر موقوفا او مرفوعا
العلم خليل المومن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده
واللين اخوه والصبر امير جنوده وقال بعضهم ما احسن الايمان يزينه العلم وما
احسن العلم يزينه العمل وما احسن العمل يزينه الرفق وما اضيف شي الى شي
مثل حلم الى علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال ان تكون ذا
اناة وتلاين الولاة قال فما الخرق قال معاداة امامك ومناواة من
يقدر على ضررك وقال سفيان لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا ابا محمد
قال ان تضع الامور مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في

صح
الى هنا ٢

موضعه والسوط في موضعه وهذه اشارة الى انه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة
بالرفق كما قيل ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف
في موضع الندى فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الاخلاق ولكن
ولكن لما كانت الطباع الى الحدة والعنف اميل كانت الحاجة الى ترغيبهم في جانب
الرفق اكثر فلذلك كثر ثنا الشرع على جانب الرفق دون العنف وان كان
العنف في محله حسنا كما ان الرفق في محله حسن فاذا كان الواجب هو العنف
فقد وافق الحق الهوى وهو الذ من الزبد بالشهد وهكذا قال عمر بن عبد
العزيز رحه وروي ان عمرو بن العاص كتب الى معاوية يعاتبه في التاني فكتب
اليه معاوية اما بعد فان التفهم في الخير زيادة ورشد وان الرشيد من
رشد عن العجلة وان الخايب من خاب عن الاناة وان المتثبت مصيب
اوكاد ان يكون مصيبا وان العجل مخطي اوكاد ان يكون مخطيا وان من لا ينفعه
الرفق يضره الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالي وعن ابي عون
الانصاري قال ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا والى جانبها كلمة الين
منها تجري مجراها وقال ابو حمزة الكوفي لا تتخذ من الخدم الا ما لا بد منه فان مع
كل انسان شيطانا واعلم انهم لا يعطونك بالشدة شيا الا ما اعطوك باللين
ما هو افضل منه وقال الحسن المومن وقاف متان وليس كحاطب ليل فهذا
ثنا اهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد في اكثر الاحوال واغلب الامور
والحاجة الى العنف قد تقع ولكن على الندور وانما الكامل من يميز مواقع
الرفق عن مواقع العنف فيعطي كل امر حقه فان كان قاصر البصيرة
او اشكل عليه حكم واقعة من الوقايع فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه
في الاكثر **القول في ذم الحسد وفي حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب**
في ازالته بيان ذم الحسد اعلم ان الحسد ايضا من نتايج الحقد والحقد من نتايج
الغضب فهو فرع فرعه والغضب اصل اصله ثم للحسد من الفروع
الذميمة ما لا يكاد يحصى وقد ورد في ذم الحسد خاصة اخبار كثيرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال
صلى الله عليه وسلم في النهي عن الحسد واسبابه وثمراته لا تحاسدوا ولا
تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وقال انس كنا
يوما جلوسا

يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الان من هذا الفج رجل
من اهل الجنة قال فطلع رجل من الانصار تنطف لحيته من وضوءه قد علق نعليه في يده
الشمال فسلم فلما كان الغد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك
الرجل وقال في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم
تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال اني لاحيت ابي فاقسمت ان لا ادخل عليه
ثلاثة فان رايت ان تؤويني اليك حتى تمضي فعلت فقال نعم فبات عنده ثلاث
ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير انه اذا تقلب على فراشه ذكر الله تعالى
ولم يقم حتى يقوم لصلاة الصبح قال غير اني لم اسمعه يقول الا خيرا فلما مرت
الثلاث وكدت ان احتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين ابي غضب
ولا هجرة ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فاردت
ان اعرف عملك فلم ارك تعمل عملا كثيرا فما الذي بلغ بك ما قال قال ما هو الا ما رايت
فلما وليت دعاني فقال ما هو الا ما رايت غير اني لا اجد على احد من نفسي من
المسلمين غشا ولا حسدا على خير اعطاه الله اياه قال عبد الله هي التي بلغت
بك وهي التي لا نطيق وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ينجو منهن احد الظن
والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت
فامض واذا حسدت فلا تبغ وفي رواية ثلاث لا ينجو منهن احد وقل من ينجو
منهن فاثبت في هذه الرواية امكان النجاة وقال صلى الله عليه وسلم دب اليكم
داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا اقول حالقة الشعر
ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا
ولن تؤمنوا حتى تحابوا الا انبئكم بما يثبت ذلك لكم افشوا السلام بينكم وقال
صلى الله عليه وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر وقال صلى الله
عليه وسلم انه سيصيب امتي داء الامم قالوا وما داء الامم قال الاشر والبطر
والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم يكون الهرج وقال
صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لاخيك فيرحمه الله ويبتليك وروي ان موسى لما
تعجل الى ربه راى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه وقال ان هذا لكريم على ربه
فسال ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال احدثك من عمله ثلاث كان لا يحسد
الناس على ما اتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة وقال

ذكروا صلوات الله وسلامه عليه قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضاي
غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي وقال عليه الصلاة والسلام اخوف
ما اخاف على امتي ان يكثر لهم المال فيتحاسدوا ويقتتلوا وقال صلى الله عليه وسلم
استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال صلى الله عليه
وسلم ان لنعم الله اعداء فقيل ومن ذلك فقال الذين يحسدون الناس على ما اتاهم
الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار قبل الحساب
بسنة قيل يا رسول الله من هم قال الامرا بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين
بالتكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلما بالحسد

الآثار

قال بعض السلف ان اول خطيئة هي الحسد حسد ابليس ادم ان يسجد له
فحمله الحسد على المعصية وحكي ان عون بن عبد الله دخل على الفضل بن المهلب
وكان يومئذ على واسط فقال اني اريد ان اعظك بشي قال وما ذاك قال اياك والكبر
فانه اول ذنب عصي الله تعالى به ثم قرا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم الاية
واياك والحرص فانه اخرج ادم من الجنة امكنه الله من جنة عرضها السموات والارض
ياكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عز وجل عنها فاكل منها فاخرجه الله منها
ثم قرا اهبطوا منها جميعا الى اخر الاية واياك والحسد فانما قتل ابن ادم اخاه
حين حسده ثم قرا واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق الاية واذا ذكر اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاسكت واذا ذكر القدر فاسكت واذا ذكر النجوم فاسكت
وقال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذا الملك فيقول احسن
الى المحسن باحسانه والمسي سيكفيكه مساويه فحسده رجل على ذلك
المقام والكلام وذلك المكان فسعى به الى الملك فقال ان هذا الذي يقوم بحذايك
ويقول ما يقول زعم ان الملك ابخر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندي
قال تدعوه اليك فاذا دنا منك وضع يده على انفه لئلا يشم ريح البخر فقال له انصرف
حتى انظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج
الرجل من عنده وقام بحذا الملك فقال احسن الى المحسن باحسانه والمسي
سيكفيكه مساويه فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه
مخافة ان يشم الملك منه ريح الثوم فقال الملك في نفسه ما ارى فلانا الا وقد
صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجايزة او صلة فكتب له كتابا بخطه الى
عامل

عاملٍ من عمّاله اذا اتاك صاحب كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا
وابعث به الي فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب
فقال خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فاخذه ومضى الى العامل فقال
العامل في كتابك ان اذبحك واسلخك قال ان الكتاب ليس هو لي الله الله في
امري حتى ارجع الى الملك قال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا
جلده تبنا وبعث به الى الملك ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله
فتعجب الملك وقال ما فعل الكتاب قال لقيني فلان فاستوهبه فوهبته
قال الملك انه ذكر لي انك تزعم اني ابخر قال ما قلت قال فلم وضعت يدك
على انفك قال كان قد اطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت ان تشمه قال صدقت
ارجع الى مكانك فقد كفى المسيء مساويه وقال ابن سيرين ما حسدت
احدا على شيء من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا
وهي حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا
وهو يصير الى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما انساك بني
يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك فانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا وقال ابو الدردا
ما اكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس اقدر
على رضاه الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ولذلك قيل كل العداوة قد
ترجى اماتتها الا عداوة من عاداك من حسد وقد قال بعض الحكما الحسد جرح
لا يبرى وحسب الحسود ما يلقى وقال اعرابي ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من
حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن ادم لم تحسد اخاك فان
كان الذي اعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله وان كان غير ذلك فلم
تحسد من مصيره الى النار وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة
وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال
عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا

بيان حقيقة الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه

اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم
الله عز وجل على اخيك بنعمة فلك فيها حالتان احدهما ان تكره تلك النعمة
وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها
عن المنعم عليه الحالة الثانية ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها

ولكنك تشتهي لنفسك مثلها وهذا يسمى غبطة وقد يخص باسم المنافسة وقد
تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة ويوضع احد اللفظين موضع الاخر
ولا حجر في الاسامي بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وسلم المومن يغبط والمنافق
يحسد فاما الاول فهو حرام بكل حال الا نعمة اصابها فاجر او كافر وهو يستعين
بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذا الخلق فلا يضرك كراهتك
لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد
ولو امنت فساده لم يغمك تنعمه ويدل على تحريم الحسد الاخبار التي نقلناها وان
وان هذه الكراهة تسخط لقضا الله تعالى في تفضيل بعض عباده على بعض
وذلك لا عذر فيه ولا رخصة واي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من
غير ان يكون لك منه مضرة والى هذا اشار القران بقوله ان تمسسكم حسنة تسوهم
وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان وقال
وقال تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من
عند انفسهم فاخبر ان حبهم زوال نعمة الايمان حسدا وقال ودوا لو تكفرون
كما كفروا فتكونون سوا وذكر الله تعالى حسد اخوة يوسف وعبر عما في
قلوبهم فقالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا
لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم
فلما كرهوا حب ابيه له وساهم ذلك واحبوا زوالها عنه فغيبوه عنه
وقال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اي لا تضيق صدورهم
ولا يغتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى في معرض الانكار ام
يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله وقال كان الناس امة واحدة
الى قوله الا الذين اوتوه من بعد ما جاتهم البينات بغيا بينهم قيل في التفسير
حسدا وقال وما تفرقوا الا من بعد ما جاهم العلم بغيا بينهم فانزل الله
العلم ليجمعهم ويولف بينهم على طاعته فامرهم ان يتالفوا بالعلم فتحاسدوا
واختلفوا اذ اراد كل واحد منهم ان ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد
بعضهم على بعض قال ابن عباس كانت اليهود قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه
وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا نسالك بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله وبالكتاب

الذي تنزل

الذي ننتظره الا منهم فكانوا يستنصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد
اسماعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم فقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا الى قوله ان يكفروا بما انزل الله بغيا
اي حسدا وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء ابي وعمي من عندك
يوما فقال ابي لعمي ما تقول فيه قال اقول انه النبي الذي بشر به موسى قال فما
ترى قال معاداته ايام الحيوة فهذا حكم الحسد في التحريم واما المنافسة
فليست بحرام بل هي اما واجبة واما مندوبة او مباحة وقد يستعمل لفظ
المنافسة بدل الحسد والحسد بدل المنافسة قال قثم بن عباس لما اراد
هو والفضل ان يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألاه ان يؤمرهما على
الصدقة لعلي حين قال لهما لا تذهبا فانه لا يؤمركما عليها فقالا له ما هذا منك
الا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك اي هذا منك حسد
وما حسدناك على تزويجك فاطمة فالمنافسة مشتقة في اللغة من النفاسة
والذي يدل على اباحة المنافسة قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
وقال سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة وانما المسابقة عند خوف الفوت وهو
كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد ان يسبقه صاحبه
فيحظى عند مولاه منزلة لا يحظى هو بها وكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه
وسلم بذلك فقال لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله مالا فسلطه على هلكته
في الحق ورجل اتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم فسر ذلك في
حديث ابي كبشة الانماري فقال مثل هذه الامة مثل اربعة رجل رجل
اتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل اتاه الله علما ولم يؤته
مالا فيقول رب لو ان لي مالا مثل مال فلان لكنت اعمل فيه مثل عمله فهما في الاجر سوا
وهذا منه حب لان يكون له مثل ما كان له من غير حب زوال النعمة عنه قال ورجل
اتاه الله مالا فهو ينفق في معاصي الله ورجل لم يؤته الله مالا فيقول لو ان لي مالا مثل
مال فلان لعملت مثل عمله فهما في الوزر سوا فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من
جهة تمنيه للمعصية لا من جهة ان يكون له من النعمة مثل ما له فاذا لا حرج على من
يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها منه ولم يكره
دوامها له نعم ان كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلاة

والزهد فتلك المنافسة واجبة وهو ان يحب ان يكون مثله لانه ان لم يحب ذلك
فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل كانفاق
الاموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة
يتنعم فيها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباح وكل ذلك يرجع الى ارادة
مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيها كراهة للنعمة وتحت هذه النعمة
امران احدهما راحة المنعم عليه والاخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره
احد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف
نفسه ونقصانها في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل
والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان وههنا دقيقة
غامضة وهو انه اذا ايس من ان ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه
فلا محالة يحب زوال النقصان وانما يزول نقصانه اما بان ينال مثله او بان
تزول نعمة المحسود فاذا انسد احد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة
الطريق الاخر حتى اذا زالت النعمة من المحسود كان ذلك اشهى عنده من دوامها
لان بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا لا يكاد القلب ينفك عنه فان
كان بحيث لو القي الامر اليه ورد الى اختياره لسعى في ازالة النعمة عنه فهو حسود
حسدا مذموما وان كان تزعه التقوى عن ازالة ذلك فيعفى عما يجده في طبعه
من ارتياح الى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه
بعقله ودينه ولعله المعني بقوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ينفك المؤمن عنهن الحسد
والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ اي ان وجدت في
قلبك شيئا فلا تعمل به وبعيد ان يكون الانسان مريدا للحاق باخيه في النعمة
فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى زوال النعمة اذ يجد لا محالة ترجيحا على دوامها
فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغي ان يحتاط له فانه موضع الخطر
وما من انسان الا وهو يرى فوق نفسه من معارفه واقرانه من يحب ان يساويهم
ويكاد ان يجره ذلك الى الحسد المكروه ان لم يكن قوي الايمان رزين التقوى
ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره
الى الحسد المذموم والى ميل الطبع الى زوال النعمة عن اخيه حتى ينزل هو الى
مساواته اذ لم يقدر هو ان يرتقي الى مساواته بادراك النعمة وذلك لا رخصة

فيه اصلا

فيه اصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين او مقاصد الدنيا ولكن يعفى
ذلك عنه ما لم يعمل به ان شاء الله تعالى ويكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه
حقيقة الحسد واحكامه اما مراتبه فاربعة الاول ان يحب زوال النعمة عنه
وان كان لا ينتقل اليه وهذا غاية الخبث الثاني ان يحب زوال النعمة اليه لرغبته
في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة او امراة جميلة او ولاية نافذة او سعة نالها
غيره وهو يحب ان تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة
لا تنعم غيره بها والثالث ان لا يشتهيها لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها
كيلا يظهر التفاوت بينهما والرابع ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم تحصل فلا
يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان
في الدين والثالث فيها مذموم وغير مذموم والثانية اخف من الثالثة والاول مذموم
محض وتسمية الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى ولا
تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لذلك غير مذموم

بيان اسباب الحسد والمنافسة

اما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة فان كان ذلك امرا
دينيا فسببه حب الله تعالى وحب طاعته وان كان امرا دنيويا فسببه حب مباحات
الدنيا والتنعم فيها وانما نظرنا الآن في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن
يحصر جملتها سبعة ابواب العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف
من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة
على غيره اما لانه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالامثال بل يحسد
الخسيس الملك بمعنى انه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب اساءته اليه
او الى من يحبه واما ان يكون من حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال
كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان يكون في طبعه ان يتكبر
على المحسود ويمتنع ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان تكون النعمة
عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو التعجب واما
ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه
واما ان يكون لحب الرياسة التي تنبني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما
ان لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد
الله ولا بد من شرح هذه الاسباب السبعة الاول العداوة والبغضاء وهذا اشد

اسباب الحسد فان من اذاه انسان بسبب من الاسباب وخالفه في غرضه
بوجه من الوجوه ابغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي
التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه
بتغيير الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله فمهما اصاب عدوه
بلية فرح بها وظنه مكافاة من جهة الله له على بغضه وانه لاجله ومهما اصابته
نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يخطر له انه لا منزلة له عند الله تعالى حيث
لا ينتقم له من عدوه الذي اذاه بل انعم عليه وبالجملة فالحسد يستلزم البغض والعداوه
ولا يفارقهما وانما غاية التقوى ان لا يبغي وان يكره ذلك من نفسه فاما ان يبغض
انسانا ثم يستوي عنده مسرته ومساءته فهو غير ممكن وهذا ما وصف الله
الكفار به اعني الحسد بالعداوه اذ قال واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا
عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان
تمسسكم حسنة تسوهم وكذلك قال تعالى ودوا ما عنتم قد بدت البغضا
من افواههم والحسد بسبب البغض ربما يفضي الى التنازع والتقاتل واستغراق
العمر في ازالة النعمة بالحيل بالسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه السبب
الثاني التعزز وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله
ولاية او علما او مالا خاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال
صلفه وتفاخره عليه فليس من غرضه ان يتكبر بل من غرضه ان يدفع كبره
فانه قد رضي بمساواته مثلا ولكنه لا يرضى بترفعه والسبب الثالث الكبر وهو
انه يكون في طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد
له والمتابعة في اغراضه فاذا نال النعمة خاف انه لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته
او ربما يتشوف الى مساواته او الى ان يرتفع عليه فيعود متكبرا عليه ومن التعزز والتكبر
كان حسد اكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام
يتيم وكيف نطاطي رووسنا فقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم اي كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيما وقال الله تعالى
يصف قول قريش اهولا من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة لهم السبب
الرابع التعجب كما اخبر الله تعالى عن الامم الماضية اذ قالوا ما انتم الا بشر
مثلنا وقالوا انومن لبشرين مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون
فتعجبوا

فتعجبوا ان يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله بشر مثلهم في الخلقة
لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة او سبب اخر من سائر الاسباب فقالوا
متعجبين ابعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة وقال تعالى
او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم السبب الخامس الخوف من فوت المقاصد
وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه في كل
نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس
تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم
على نيل المنزلة في قلب الابوين للتوصل الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك
تحاسد التلميذين لاستاذ واحد في نيل المنزلة في قلب الاستاذ وتحاسد
ندماء الملك وخواصه على نيل المنزلة من قلبه للتوصل به الى الجاه والمال
وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على اهل بلدة واحدة اذا كان غرضهما
نيل المال من القبول عندهم وكذلك العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة
محصورين اذ يطلب كل واحد منهم منزلة في قلوبهم للتوصل بهم الى اغراض
لهم السبب السادس حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توسل
به الى مقصود وذلك كالرجل الذي يريد ان يكون عديم النظير في فن من
الفنون اذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما مدح به من انه
واحد الدهر وفريد العصر في فنه وانه لا نظير له لانه لو سمع بنظير له في
اقصى العالم لساءه ذلك واحب موته او زوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة
من شجاعة او علم او عبادة او صناعة او جمال او ثروة او غير ذلك مما ينفرد
هو به ويفرح بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تعزز ولا تكبر
على المحسود ولا خوف من فوات المقصود سوى محض الرياسة بدعوى
الانفراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب [illegible]
الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون خيفة من ان تبطل رياستهم واستتباعهم
السبب السابع خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله
مهما نسخ علمهم فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال
عبد من عباد الله فيما انعم به عليه يشق عليه ذلك واذا وصف له اضطراب
امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو ابدا

يحسد

فنه

يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كانهم ياخذون ذلك من ملكه
وخزاينه ويقال البخيل من بخل بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا
يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينهم وبينه عداوة ولا رابطة وهذا
ليس له سبب ظاهر الا خبث في النفس ورذالة في الطبع وعليه وقعت الجبلة
ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بساير الاسباب اسبابها عارضة
يتصور زوالها فيطمع في ازالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر
ازالتها ويستحيل في العادة ازالته فهذه هي اسباب الحسد وقد يجتمع بعض
الاسباب او اكثرها او جميعها في شخص واحد فيعظم الحسد لذلك ويقوى
قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة
بالمكاشفة واكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد
سبب واحد منها

بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتاكده وقلته في غيرهم وضعفه

اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم يجتمع فيهم جملة من هذه الاسباب وتتظاهر
فيهم اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد لانه يمتنع عن قبول التكبر ولانه يتكبر
ولانه عدو ولغير ذلك من الاسباب انما يكثر بين اقوام تجمعهم روابط
يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف
واحد صاحبه في غرض من اغراضه نفر طبعه وابغضه وثبت الحقد فيه
فعند ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافيه على مخالفته لغرضه
ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه وتترادف جملة الاسباب اذ لا رابطة
بين شخصين في بلدتين متقابلتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين
نعم لو تجاوروا في مسجد او سوق او مسكن او مدرسة تواردوا على مقاصد
تتناقض فيها اغراضهم فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تثور بقية
اسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد
العابد والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز
الا بسبب اخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد
الاجانب والمراة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته
لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد
البزاز الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه فيه بزاز اخر

اذ حر

مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي ان تطول حياتك ولكن في
عذاب الحسد لينظر الى نعمة الله عليه وينقطع قلبك حسدا ولذلك قيل ٭
لا مات اعداوك بل خلدوا ٭ حتى يروا منك الذي يكمدوا ٭ لا زلت محسودا على نعمة ٭
فانما الكامل من يحسد ٭ ففرح عدوك بغمك وحسدك اعظم من فرحه
بنعمته ولو علم خلاصك من الم الحسد وعذابه لكان ذلك اعظم مصيبة وبلية
عنده فما انت فيه من لزوم غم الحسد الا كما يشتهيه عدوك فاذا تاملت
هذا عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا
والاخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والاخرة وصرت مذموما عند الخلق والخالق
شقيا في الحال والمال ونعمة المحسود دائمة شئت ام ابيت ثم لم تقتصر
على تحصيل مراد عدوك حتى توصلت الى ادخال اعظم سرور على ابليس
الذي هو اعدى اعدائك لانه لما كان ذلك محروما من نعمة العلم والورع والجاه
والمال الذي اختص به عدوك عنك خاف ان تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب
المحبة لان من احب الخير لجميع المسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة
الاكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما احب ذلك فخاف ابليس ان تحب ما
انعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه اليك حتى
لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك وقد قال اعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم
الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من احب وقام
اعرابي وقام اعرابي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى الساعة فقال
ما اعددت لها فقال ما اعددت لها كثير صلاة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت قال انس فما فرح المسلمون بعد اسلامهم
كفرحهم يومئذ اشارة الى ان اكثر بغيتهم كان حب الله ورسوله قال انس فنحن نحب الله
ورسوله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو ان نكون معهم
وقال ابو موسى الاشعري قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب
الصوام ولا يصوم حتى عد اشيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من احبه
وقال رجل لعمر بن عبد العزيز انه كان يقال ان استطعت ان تكون عالما فكن
عالما فان لم تستطع ان تكون عالما فكن متعلما فان لم تستطع ان تكون متعلما
فاحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم فقال سبحان الله لقد جعل الله مخرجا فانظر

فالآن كيف حسدك ابليس بقوته عليك ثم اذا جئت به لم تقنع به حتى بغض اليك
وحملك على الكراهية حتى انك ولكنك لا ونفساك لحاسد ولحاسد رجلا من اهل
العلم وتحب ان يخطى في دين الله وينكشف خطاؤه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه
حتى لا يتكلم او يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم واي اثم يزيد على ذلك فليتك اذا فاتك اللحاق
به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث اهل الجنة
ثلاثة المحسن والمحب له والكاف عنه اي من يكف عنه الاذى والحسد والبغض
والكراهية فانظر كيف ابعدك ابليس عن جميع المداخل الثلاثة حتى لا تنفذ فيك البتة
فقد نفذ عليك حسد ابليس وما نفذ حسدك على عدوك بل على نفسك بل لو
كوشفت في حالك في يقظة او منام لرأيت نفسك ايها الحاسد في صورة
من يرمي حجرا الى عدوه ليصيب به مقلته فلا يصيبه بل يرجع على حدقته
اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه ثانيا فيعود ويرميها اشد من الاول فيرجع على
عينه الاخرى فيعميها فيزداد غيظه فيعود ثالثا فيعود الى رأسه فيشجه
وعدوه سالم في كل حال وهو اليه راجع في كل حال وهو اليه راجع كل من بعد
اخرى واعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية
الشيطان منه بل حالك في الحسد اقبح من هذا لان هذا الحجر العائد لم يفوت
الا العين ولو بقيت لفاتت بالموت لا محالة والحسد يعود بالاثم والاثم لا
يفوت بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله والى النار فلان تذهب عينه في الدنيا
خير من ان يبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها لهب النار فانظر كيف انتقم الله
من الحاسد اذا اراد زوال النعمة عن المحسود فلم تزلها عنه ثم ازالها من الحاسد
اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا منه تصديقا
لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه
لعدوه وقل ما يشمت شامت بمساءة الا ويبتلى بمثلها حتى قالت عائشة رضي الله
عنها ما تمنيت لعثمان شيئا الا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا اثم
الحسد نفسه فكيف بما يجر اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق
اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الاعداء وهو الداء الذي فيه هلك الامم
السالفة من الاولين والعالمين نعوذ بالله منها تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب
خاضع انطفأ من قلبه نار الحسد وعلم انه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه

ومنغص

ومنغص بمنغصه واما العمل النافع فيه فهو ان يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد
من قول وفعل فينبغي ان يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح فيه
كلف لسانه المدح له والثنا عليه وان حمله على التكبر عليه الزم نفسه التواضع له والاعتذار
اليه وان بعثه على كف الانعام عليه الزم نفسه الزياده في الانعام فمهما فعل
ذلك على تكلف وعرفه منه المحسود طاب قلبه واحبه ومهما ظهر حبه
عاد الحاسد واحبه وتولد منها الموافقه التي تقطع ماده الحسد لان التواضع
والثنا والمدح واظهار السرور بالنعمه يستميل قلب المنعم عليه ويسترقه
ويستعطفه ويحمله على مقابله ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود الى الاول
فيطيب قلبه فيصير ما تكلفه اولا طبعا اخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان
لو تواضعت واثنيت عليه لحمله العدو على العجز او على النفاق والخوف وان
ذلك مذله ومهانه فان ذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجامله تكلفا
كانت او طبعا تكسر سوره العداوه من الجانبين وتقل مرغوبها وتعود القلب
الى التالف والتحاب وبه يستريح القلب من الم الحسد وغم التباغض فهذه
هي ادويه الحسد وهي نافعه جدا الا انها مره جدا ولكن النافع في الدوا المر
فمن لم يصبر على مراره الدوا لم ينل حلاوه الشفا وانما تهون مراره هذا الدوا
اعني التواضع للاعدا والتقرب اليهم بالمدح والثنا وقوه العلم بالمعاني التي
ذكرناها وقوه الرغبه في ثواب الرضا بقضا الله وحب ما احبه وعزه النفس
وترفعها عن ان يكون في العالم شي على خلاف مراده وعند ذلك يريد ما لا يكون
اذ لا مطمع في ان يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسه ولا طريق الى الخلاص
من هذا الذل الا باحد امرين اما بان يكون ما تريد او بان تريد ما يكون والاول
ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهده فيه واما الثاني فللمجاهده فيه مدخل
وتحصيله بالرياضه ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدوا الكلي فاما
الدوا المفصل فهو تتبع اسباب الحسد من الكبر وعزه النفس وشده الحرص
على ما لا يغني وسياتي تفصيل مداواه هذه الاسباب في مواضعها فانها مواد هذا
المرض ولا ينقمع المرض الا بقمع الماده فان لم يقمع لم يحصل بما ذكرناه الا تسكين
وتطفيه ولا يزال يعود مرة بعد اخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقا مواده
فانه ما دام محبا للجاه فلا بد وان يحسد من استاثر بالجاه والمنزله في قلوب الناس

دونه ويهمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهول الهم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فاما الخلو عنه راسا فلا يمكنه

باب القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

اعلم ان المؤذي ممقوت بالطبع ومن اذاك لا يمكنك الا ان تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك الا ان تكرهها حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك الى الحسد له ولكن ان قوي ذلك فيك حتى بعثك على اظهار الحسد بقول او فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فانت اذا حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا انك بباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فانت ايضا حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا وقال ودوا لو تكفرون وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم اما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليست مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله تعالى وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح فاما اذا كففت ظاهرك والزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كانك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد اديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في اغلب الاحوال اكثر من هذا فاما تغيير الطبع ليستوي عنده المسيء والمحسن ويكون فرحه او غمه بما يتيسر لهما من نعمة او تنصب عليهما من بلية سوا فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا ان يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت قلبه الى تفاصيل احوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وافعالهم افعالا لله ويراهم مسخرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك الى طبعه ويعود القلب الى منازعته اعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهيته والزمها نفسه فقد ادى ما كلفه وقد ذهب ذاهبون الى انه لا يأثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روي عن الحسن انه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك ما لم تبده وروي عنه موقوفا ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة في المؤمن له منهن مخرج ومخرجه من الحسد انه لا يبغي والاولى انه يحمل

ان يحمل هذا على ما ذكرناه من ان يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة
حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة هي تمنعه عن البغي ومن الايذا فان
جميع ما ورد من الاخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على ان كل حاسد آثم والحسد
عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال فكل من يحب مساءة المسلمين فهو حاسد
فاذا كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هي في محل الاجتهاد والاظهر
ما ذكرناه من حيث ظواهر الايات والاخبار ومن حيث المعنى اذ يبعد ان
يعفى عن العبد في ارادته مساءة مسلم واشتماله بالقلب عليه من غير كراهة
وقد عرفت من هذا ان لك في اعدائك ثلاثة احوال احداها ان تحب مساءتهم
بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه
وتود لو كانت لك حيلة في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لانه لا
يدخل تحت الاختيار الثانية ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك
او بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا الثالثة وهي بين الطرفين ان
تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك
ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاها وهذا محل الخلاف والظاهر
انه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله اعلم اخر كتاب ذم آفة
الغضب والحقد والحسد وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم يتلوه
كتاب ذم الدنيا وغوائلها وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات من
احيا علوم الدين











